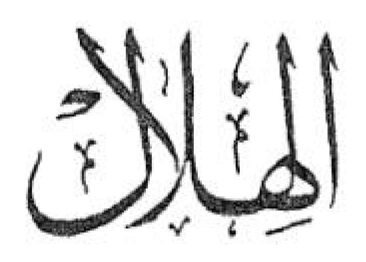


الجزء الاول من السنة الثامنة عشرة

اول اكتوبر (ت ٢) سنة ١٩٠٩ و ١٧ رمضان سنة ١٣٢٧

الاستانة العلية

موقعها ومناظرها وآثارها وقصورها ومتاحفها

واحوالها الاجتماعية والعلمية والادبية والسياسية

كثر اهتمام الناس بالاستانة واحوالها على اثر الانقلاب العثماني وافاضت الصحف في ذلك على اختلاف اغراضها واحوالها وكان للهلال نصيب من ذلك في سنته الماضية فذكرنا تاريخ ذلك الانقلاب وما تقدمه وما نتج عنه . ثم رأينا القول في ذلك لا يكون وافياً ان لم نر مقر ذلك الانقلاب ونشاهد رجاله وندرس احوالهم فرحلنا الى الاستانة في اثناء عطلة الهلال قضينا فيها بضعة اسابيع تفقدنا بها آثارها وتعرفنا الى خيرة رجالها ودرسنا أحوالها الاجتماعية والادبية والسياسية . ونحن باسطون في ما يلي خلاصة ما علمناه بعد الدرس والاختبار

ونقسم الكلام في ذلك الى اقسام ١ موقع الاستانة الجغرافي ٢ مناظرها الطبيعية ٣ آثارها التاريخية ٤ مشاهدها وقصورها ٥ متاحفها ومعارضها ٦ حالتها الاجتماعية ٧ حالتها العلمية والادبية ٨ حالتها السياسية . فنقول

١ — موقعها الجغرافي

الاستانة وهي القسطنطينية مدينة قسطنطين الكبير وكانت قبله تسمى بيزانطية فسماها باسمه وجعلها سنة ٣٣٠ م كرسي المملكة الرومانية الشرقية او مملكة الروم في اصطلاح العرب . وقد خصها الله بموقع طبيعي لا مثيل له على سطح هذه الكرة لانها موصلة بين القارتين ووسط بين البحرين تمنعها المضائق وتصونها البواغيز . وتقسم الى الاستانة المدينة الكبرى والى الضواحي

والاستانة ثلاثة اقسام اثنان في أوربا والثالث في اسيا كأنها تتجاذب للمعانقة فتحول بينها المياه · او هي ثلاث مدن برية تفصل بينها ثلاثة ابحر (كما ترى في الخارطة) فالاقسام البرية هي استامبول في الجنوب وبك اوغلي او بيرا في الشمال وكلاهما في أوربا واسكودار في الشرق وهي في اسيا يفصل بينها البوسفور في الشمال الشرقي ومرمرا أو الدردنيل في الجنوب وقرن الذهب في الغرب الشمالي — تلك هي اقسامها اليوم . أما في زمن الروم فلم يكن عامراً منها الا استامبول وهي البلد الذي فتحه العثمانيون وجعلوه مقر حكومتهم ولا تزال الى الآن مقر رجال الدولة وفيها ابنية الحكومة والجوامع والمساجد والمدارس وهي تعد اسلامية لأن أكثر سكانها من المسلمين · ولذلك فا كثر الآثار التاريخية فيها . وكانت بيرا عند الفتح ضاحية يقيم فيها بعض الاجانب اذا نزلوا الاستانة ثم عمرت فصارت بلداً أكثر سكانه من الافرنج ونحوهم . ويوصل بين استامبول وبيرا جسران أحدهما جسر غلطه القديم وهو اقربهما الى البوسفور وثانيهما الجسر الجديد الى غربيه . اما اسكودار فانها بلد اسلامي تركي يتفاءل به الاتراك خيراً لانهم نزلوه قبل الفتح ومنهُ انتقلوا الى أوربا ومدوا سلطانهم فيها · ونختص استامبول بالوصف هنا لانها تشتمل على اهم المشاهد والآثار التي سيدور الكلام عليها في ما يلي

استامبول

هي مثلثة الشكل رأسها في الشرق وقاعدتها في الغرب يحدها قرن الذهب من الشمال الشرقي وبحر مرمرا من الجنوب وقاعدتها سورٌ موصل بين المائين بما يشبه مدينة الخرطوم · ومما يهمنا ذكره من اجزائها السور القديم فانه يبتدئ في الشمال بايوان سراي وينتهي في الجنوب بالابراج السبعة وسياتي ذكره · وترى في طرف استامبول

من الشرق بناء يسمى ضربخانة وبجانبه كانت سراي امبراطور الروم والى غربيها جامع ايا صوفيا وكان قبل الفتح كنيسة على اسم القديسة صوفيا . وترى خارج السور في الشمال الغربي مكاناً اسمه ايوب اصله قبر ايوب الانصاري الذي قتل في حصار القسطنطينية على عهد بني أمية . لان العرب مافتئوا منذ الاسلام يحاولون اخراج الروم من القسطنطينية كما اخرجوهم من العراق والشام ومصر واول من باشر ذلك منهم معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان بن عفان ثم حاصرها يزيد بن معاوية وكان في جملة المحاصرين ابو ايوب الانصاري كما سيأتي . ثم حاصرها غيره وغيره من قواد المسلمين ولم يفز بفتحها الا العثمانيون ففتحها السلطان محمد الثاني سنة ١٤٥٣ م وقد فصلنا ذلك في السنة السادسة من الهلال

ضواحي الاستانة

اهم ضواحيها واقع على شاطىء البحر وهي قسمان شمالي وجنوبي والشمالي على ضفاف البوسفور والجنوبي في جنوبيها مما يطول شرحه فنقدم اهمها وهو البوسفور

«البوسفور» يمتد من الاستانة شمالاً الى البحر الاسود على مسافة ٢٧ كيلومتراً فهو موصل بين البحر الاسود في الشمال وبحر الدردنيل في الجنوب وعرضه عند مدخله نحو كيلو متر ونصف واضيق المسافات فيه عند روملي حصار واناطول حصار نحو ٥٠٠ متر واوسعها عند بيوك دره فان المسافة بين الشاطئين هناك ٣,٥٠٠ متر . وهو عبارة عن قرى متقاربة تمتد على ضفتي البوسفور شرقاً وغرباً . وهذه اسماء اشهر القرى بعد الاستانة شمالاً الى البحر الاسود على الشاطئين :

على شاطىء اوربا	على شاطىء اسيا
قباطاش	كوسكنجق
بشكطاش	كيرشك جالجه
اورته كوي	بكلربكي كوي
كورو چشمه	جنكل كوي
ارناوط كوي	رافي كوي
بيك	قنديللي

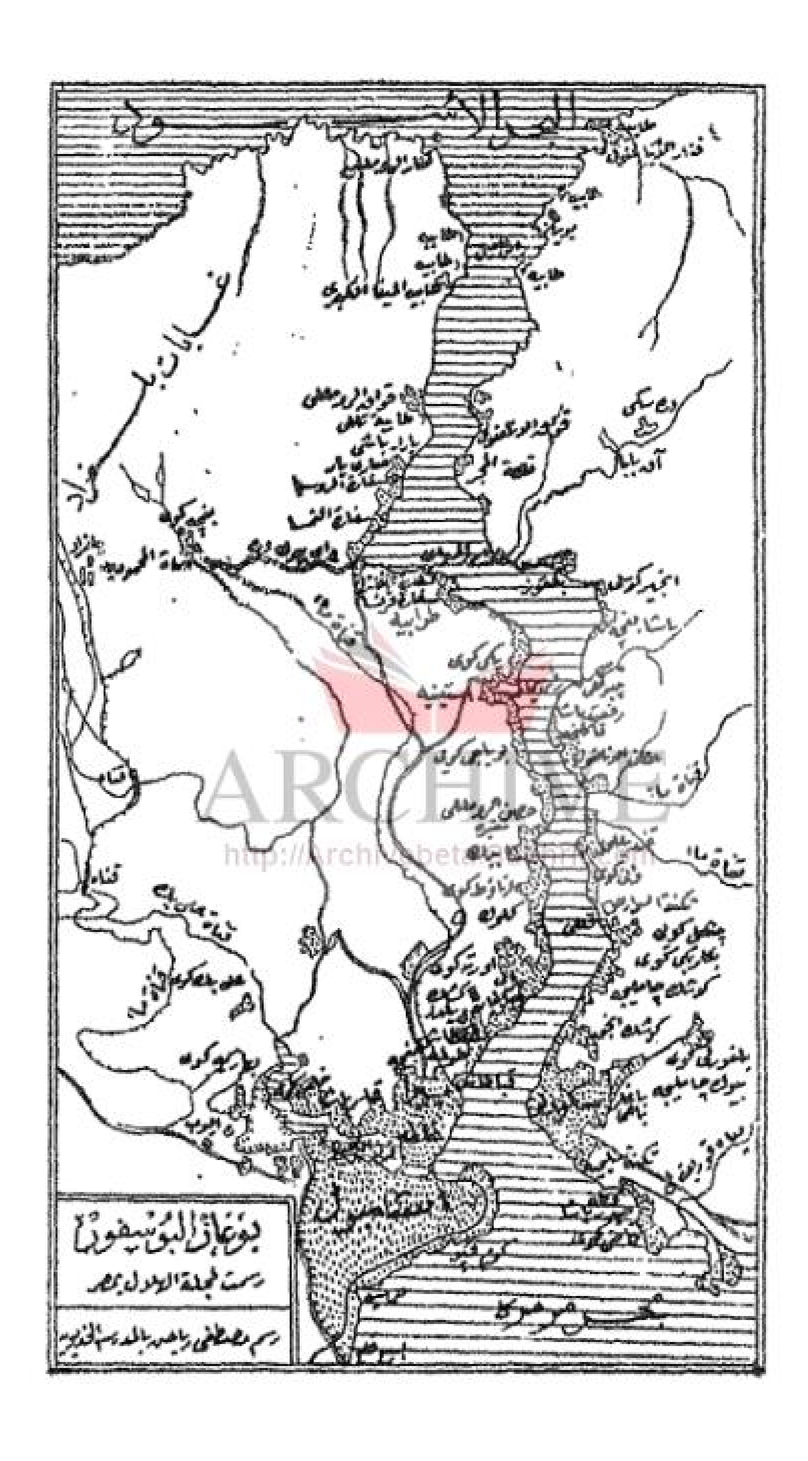
على شاطىء اوروبا	على شاطىء اسيا
روملي حصار	اناطول حصار
بوياجي كوي	قانلجه
اميرجيان	چبوقلي
ستانيا	باشا بغچه
بكي كوي	انجير كوي
طرابيا — كيرج بورنو	بيكوس
بيوك دره	بالي كوي
مزار بورنو اوصاري ير	بك قوز
بكي محله	اناطول قواق
روملي قواق	

أما في الجنوب فهناك عدة قرى بعضها على شاطئ اوروبا وراء سور استامبول والبعض الاخر على شاطئ اسيا بعد اسكودار وهذه اشهرها على شاطئ استامبول وعلى شاطئ اسيا بعد اسكودار

على شاطىء اوربا	على شاطىء اسيا
قوم قبو	حيدر باشا
بكي قبو	قاضي كوي
بساماتا	مودا
ماقري كوي	فنربورنو
سان ستفانو	مال تبه

ووراء هذه القرى بضع جزر تعرف بجزر الامراء اشهرها برنكبو وخالكي

وهناك خط آخر بحري تكتنفه القرى على الجانبين نعني خليج قرن الذهب وهو يعدّ من الاستانة نفسها وليس من ضواحيها . طول هذا الخليج نحو ١١ كيلو متراً ومتوسط عرضه نحو ٤٠٠ متر ويختلف عمقه بين مترين و٤٠ متراً والمحطات على ضفتيه متقاربة بعضها من جهة بيرا والبعض الآخر من جهة استامبول وهذه اهمها :


البحر الأسود
بوغاز البوسفور
رسمت لمجلة الهلال بمصر
رسم مصطفى رياض بالمدرسة الخديوية
بحر مرمرة

من جهة استامبول	من جهة بيرا
جوبالي	غلطة
ايا قبو	قاسم باشا
الفنار	اينالي قواق
بلاطه	خاص كوي
ايوان سراي	بيري باشا
ايوب	خليجي اوغلو

وينتهي قرن الذهب في طرفه الغربي بمحلة تعرف بالكاغدخانة هي من اجمل متنزهات الاستانة . ويقدرون سكان الاستانة وضواحيها بنحو ١,٢٠٠,٠٠٠ نفس ونظنهم اكثر من ذلك

٢ – مناظرها الطبيعية

يعلم القارئ مما تقدم ان الاستانة كثيرة الشواطئ وربما زاد طول هذه الشواطئ فيها على مئة وخمسين كيلو متراً يدخل فيها ضفاف البوسفور وشواطئ قرن الذهب والدردنيل والجزائر . وجميع هذه الشواطئ عامرة بالقصور والبساتين والفنادق لانها عبارة عن قرى متواصلة العمارة – وان البلد يكون فيه كيلو متران أو بضعة كيلومترات من الشاطئ فيقيم اهله عليه الأبنية الفخيمة ويعدون ذلك نعمة عليهم فكيف ببلد فيه ١٥٠ كيلومتراً من الشواطئ الآهلة؟

ثم ان هذه الشواطئ عبارة عن سلسلة تلال أو هضاب بينها الأودية . حتى الاستانة نفسها فانها مؤلفة من هضاب تكسوها القصور والجوامع والشوارع اذا اطلّ عليها القادم بالبحر رأى تلك الابنية تتدرَّج صعوداً من الشاطئ الى قمم الهضاب وتتخللها الحدائق . فاستامبول مثلاً مؤلفة من سبع هضاب متصلة العمارة ممتدَّة على شاطئ قرن الذهب لا تظهر جليًّا الا للمتأمل : أولها تشرف على الدردنيل وعليها الآن بناية الطوبخانه والسراي القديمة (طوب قبو) وجامع أيا صوفيا وجامع السلطان احمد . وعلى الهضبة الثانية جامع نوري عثمانية . وعلى الثالثة سراي السرعسكرية وجامع السلطان سليمان أو السليمانية . وعلى الرابعة جامع السلطان محمد الفاتح أو المحمدية . وعلى الخامسة جامع

السلطان سليم أو السليمية وحي الاروام المعروف بالفنار وفيه بطركخانة الروم . وعلى السادسة ابنية سراي تكفور عند محلة بلاطه و بعدها على السابعة جامع ايوب وغيره . (انظر الخارطة) و بين هـذه الابنية البارزة القصور والمنازل والاسواق والبساتين وغيرها متلاصقة أو متقاربة تظهر للناظر اليها من البحر كأنها معرض منضد بعضه فوق بعض بشكل امفيتياتر

واعتبر ذلك بيبرا تجاه استامبول على قرن الذهب فانها مؤلفة من تلال متقاربة . وهكذا أيضاً ضـفتا البوسفور وشواطئ الدردنيل فانها عبارة عن تلال متحاذية على الشاطئ يختلف طول قاعدة كل منها من نصف كيلومتر الى كيلو مترين أو اكثر أو اقل . وعلوها من مئة متر الى الف متر . اجملها على ضفاف البوسفور فانك ترى القرية من قراها اشبه بمعرض من الخمائل والقصور تتدرَّج بعضها وراء بعض من الشاطئ الى قمة التل و بينها بساتين بعضها من الشجر القديم كالسنديان والصنوبر والدلب ونحوها تقادم عهدها واهملها الانسان فنمت على الفطرة بلا تعهد ولا تقليم فتشبكت اغصانها وتعانقت افنانها ثم جاء الانسان فابتنى بينها قصوراً متفرقة أو بيوتاً صغيرة من الخشب سقوفها من القرميد — وانما عمدوا الى الخشب دون الحجر لانهُ أقل كلفة وابعد عن خطر الزلازل فوقعوا بذلك في خطر الحريق

فالمتوغل في البوسفور على الباخرة يرى انه في بحيرة تحيط بها الهضاب المكسوة بالخمائل والحدائق بينها الابنية مختلفة الالوان والاشكال مما يشرح الصدر ويطلق عنان الخيال . واجمل ماشاهدناه من مناظرها قبيل الغروب انعكاس اشعة الشمس عن زجاج النوافذ من منازل الشاطئ الاسيوي لامعة تبهر النظر كأنها منعكسـة عن الماس ترصعت به تلك المنازل . ثم احمرت فخيل لنا ان النار شبت في الغرف حتى كاد لسان لهيبها يندلع من الشبابيك مما يستوقف النظر . فاذا غربت الشمس وخيم الظلام ارتسمت السماء على صفحات الماء . والجالس في أي منزل من منازل تلك القرى سواء كان على الشاطئ قرب الماء أو في سفح الهضبة أو على قمتها فانه يشرف على المياه والبواخر تسبح فيها ويرى وراءها التلال المكسوة بالاشجار والابنية

ذلك شأن ضفاف البوسفور وغيرها من شواطئ الاستانة وضواحيها . واذا

أوغلت في البر وراءها لا يقع نظرك الا على وادٍ خصيب أو غابة غضة أو جبل مكسوّ بالاشجار الكثيفة بينها ينابيع باردة مثل ينابيع لبنان تجري صافية كالزلال . وقد اقيمت هناك اماكن النزهة يقصدها الناس يقضون عندها الساعات والايام كما يفعل المصطافون بلبنان في خروجهم الى الينابيع المشهورة كعين الرمانة وعين حمانا ونبع العسل ونبع اللبن وغيرها وان كانت هذه اشد برودة من ينابيع الاستانة الا ان هذه اجمل منظراً واكثر خضرة لان معظمها يجري في جبال تكسوها اشجار هائلة الكبر قد تعانقت اغصانها وتكاثفت اوراقها حتى تحجب أشعة الشمس لكنها لا تضيق الصدر لانها عالية وبين جذوعها منفرجات . وقد تعاظم جرمها لقدم عهدها ويندر ان تكون للانسان يد في اصلاحها . وهذه الينابيع كثيرة بعضها في شاطىء الاناطول والبعض الآخر في جهات الروملي . واشهر المياه في الروملي نبع الكاغدخانة في آخر قرن الذهب وهو منتزه جميل عبارة عن عشرات من الافدنة مكسوة بالاشجار والاعشاب وتجري فيها المياه فيقصدها الناس زرافات ووحدانا في فصل الربيع . وچرچر صو نبع كثير الشبه بموقعه وبرودته بعين الرمانة بلبنان . وبالقرب منه نبع خونكار (خونكار صو) وهو اعلى كثيراً من چرچر لا يمكن الصعود اليه بالمركبات ويصعب تسلقه على الدواب . ماؤه بارد ولذيذ اذكرنا بعين حمانا في عيناب لكنه اكثر خضرة وشجراً وقس عليه نبع كستنه صوفي ذلك الجوار وماء فلوريا وراء سان ستفانو وغيرها

ومن الينابيع المشهورة في شاطىء اسيا « كوك صو » وقد وصفها شوقي بقصيدته التي مطلعها « تحية شاعر يا ماء جاكسو » ومنها عين وراء اسكودار يحملون منها الماء بالبراميل الى الاطراف يبيعونها — وهم يحملون الماء على هذه الصورة من سائر الينابيع

وتسهيلاً للتمتع بالطبيعة والانتقال بين الشواطىء تألفت في الاستانة شركتان للبواخر احداهما الشركة الخيرية تنقل الناس بين الاستانة وضفاف البوسفور والاخرى اسمها الشركة المخصوصة تمخر في قرن الذهب والدردنيل الى جزائر الامراء . تحمل السفينة مئة انسان او اكثر تنقلهم بين المدينة والقرى او بين القرى بعضها الى بعض . وبينها سفن تنقل المركبات بخيولها فتقترب من الشاطىء ولها باب واسع تدخل فيه المركبة وقد تسع ثلاث مركبات أو اكثر بخيولها وتنقلها بين الشواطىء . تخترق

تلك السفن البحرهادئة والهواء يهب عليلاً والعين تتمتع بمنظر الشواطىء على ما قدمناه ومهما يكن من حرارة الطقس في اشد ايام الحر فان البوسفور لا يبرح هواءه منعشاً وتفضل الصيفية فيه على معظم مصائف العالم

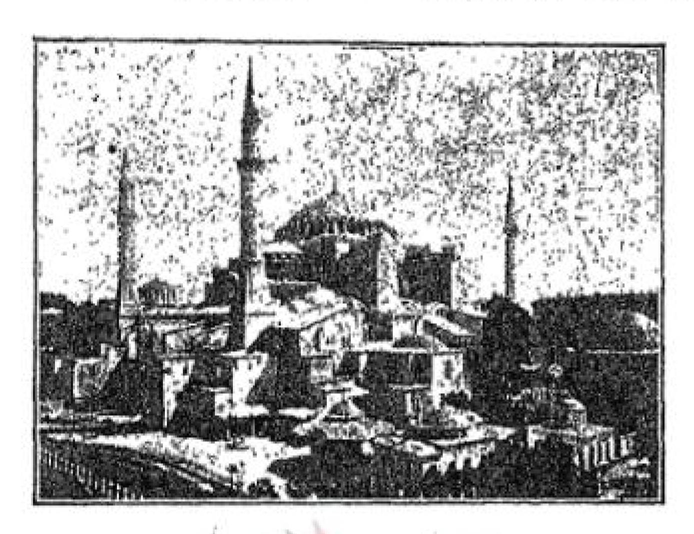
فترى ان الطبيعة وهبت الاستانة وضواحيها هبات يعز مثالها في مشارق الارض ومغاربها ولكن الانسان لم يحسن استخدام تلك الهبة — فبين ترى منازل الاستانة متراصة بعضها وراء بعض تشرف على البحر وعلى ما جاورها من المنازل ترى شوارع المدينة ودروبها تكاد تكون خراباً لتقلقل بلاطها وقلة العناية في اصلاحها فضلاً عن ضيقها . كأن حكام العصر الماضي لم يكن يهمهم الاّ ما يخصهم أو يأول الى منافعهم الشخصية لانك ترى منازلهم على أتم نظام وحدائقهم على اجمل ترتيب يتعهدون اشجارها بالمقراض على احسن هندام ويرصفون الطرق بين المساكب بالحصى الملوّنة على شكل الفسيفساء . وكانوا ينفقون الملايين على بناء منازلهم ومتنزهاتهم ويضنون بالقروش على الاماكن العمومية . ولكن الآمال معقودة بالحكومة الدستورية ان تعوّض مافات

٣ — آثارها التاريخية

ان اكثر آثار الاستانة التاريخية في استامبول وأهمها المساجد وهي عديدة يزيد عددها على ٤٨٠ جامعاً منها ٨٩ كانت كنائس حولها العثمانيون بعد الفتح الى مساجد اشهرها جامع ايا صوفيا الواقع على الهضبة الاولى من هضاب استامبول

كان هذا الجامع قبل الفتح كنيسة باسم القديسة صوفيا بناها قسطنطين الكبير سنة ٣٦٠ م ووسعها ابنه قونستانس واحترق بعضها سنة ٤٠٤ م على عهد اركاديوس ورممها ثيودسيوس ثم احترقت برمتها على زمن يوستنيان الاول فاعاد بناءها ثانية على الشكل الباقي الى اليوم . و بذل يوستنيان جهده في جعلها اجمل كنيسة في عصره فلم يدخر وسعاً في تذهيبها وانتقاء احسن الاساطين من الرخام وغيره حملوا اليه بعضها من رومية والبعض الآخر من افسس وغيرهما وفيها اساطين من انقاض الهياكل الوثنية القديمة في اثينا و بعلبك وديلوس ومصر . وقد تولى يوستنيان مراقبة البناء بنفسه وكان يكافئ العملة بما ينهض هممهم و يستحث قرائحهم . واصطنع قراميد القبة في رودس

من تراب خفيف جداً فلم تكن تزن القرميدة منه عشر قرميدة من سواه وقد طبع على كل قرميدة هذه العبارة باليونانية « الله اسسها وهو يعينها »

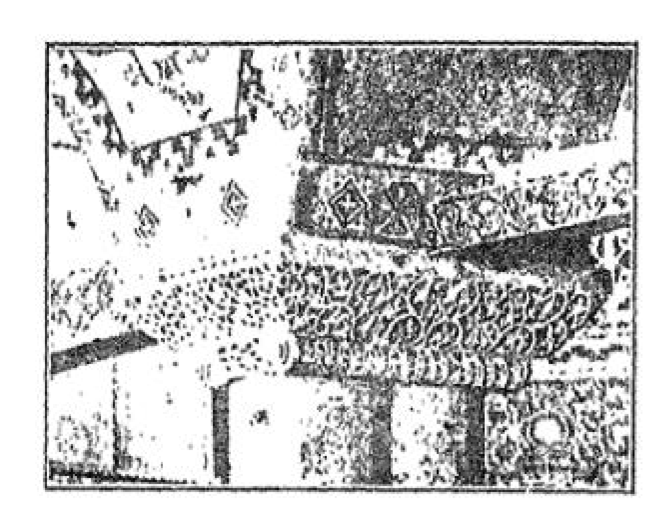


جامع ايا صوفيا

وبلغت النفقات عليها قبل ان يرتفع البناء متراً واحداً عن الارض ٤٥٢ قنطاراً من الذهب . وفرغ من البناء سنة ٥٤٨ م بعد قضاء ١٦ سنة في اتمامه فاحتفل الامبراطور بتدشينه احتفالاً شائقاً فرّق فيه الاعطية والحسنات اربعة عشر يوماً وقال يومئذٍ « المجد لله لانهُ جعلني اهلاً لاتمام هذا العمل العظيم فقد غلبتك يا سليمان »

فلما فتح العثمانيون الاستانة سنة ١٤٥٣ دخلها محمد الفاتح على جواده حتى اذا بلغ هذه الكنيسة وطئ صحنها ووحَّد فصارت معبداً للمسلمين من ذلك الحين . وبنى فيها منارة وبنى غيره بعده سائر المنائر فصارت اربعاً . ولو أردنا وصف هذا الجامع لاستغرق ذلك شرحاً كبيراً يضيق هذا المكان عنه فنقتصر على خلاصته — وذلك ان مساحته ٧٦ متراً في ٧٠ فهو مربع تقريباً وعلى قمته قبة عاليــة قطر دائرتها ٣٢ متراً وارتفاعها عن الارض ٦٥ متراً وفيها ٤٠ نافذة والقبة قائمة على اربع اقواس كبيرة مرتكزة على اعمدة ضخمة بعضها مطوق بالحديد خوفاً من تشققه بينها اربعة اعمدة مجلوبة في الاصل من افسس وثمانية اخرى من معبد الشمس واخرى من مصر وجملة الاعمدة نحو ١٠٧ اعمدة من الرخام الملوَّن عليها تيجانها مزخرفة بالنقوش

وكان على جدران هذا المسجد وهو كنيسة صورٌ لبعض القديسين أو الملائكة



تاج احد اعمدة جامع ايا صوفيا

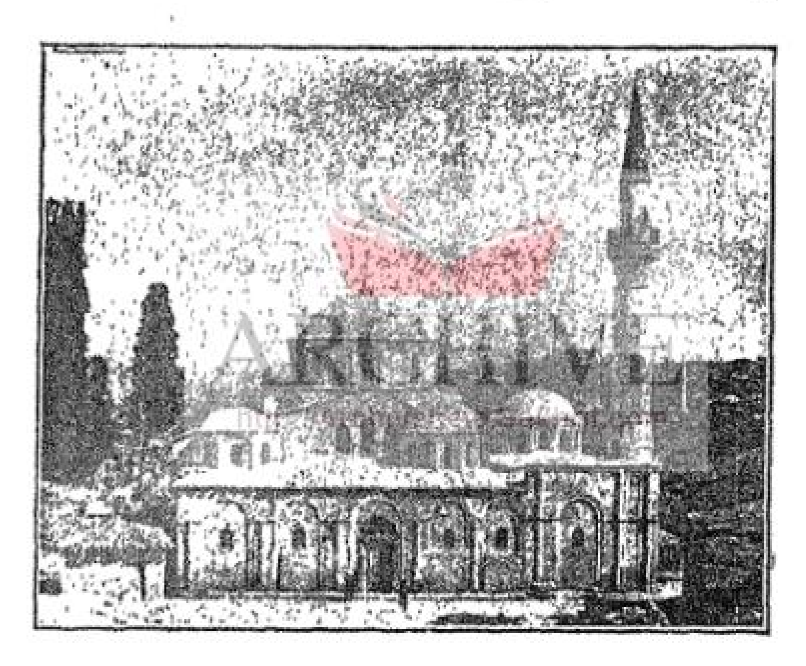
وقد محوا بعضها وغطوا البعض الآخر بستائر عليها آيات مطرزة . وهناك صورة كروبيم لم يبق ظاهراً منها الا الاجنحة وقد تغطت الرؤوس بالستارة . وجدران الجامع مصفحة بالمرمر والرخام وعلى باطن القبة الكبرى كتابة بالذهب طول الحرف منها تسعة امتار تبدأ بالآية « بسم الله الرحمن الرحيم الله نور السموات والارض » الخ ويتدلى من القبة ثريا كبيرة فيها المصابيح الكثيرة . وفي صدر الجامع المحراب وقد نقش بالذهب في اعلاه ايات تنقش في اكثر المساجد مع تغيير قليل في المحراب « كلما دخل عليها زكريا المحراب » وتحته « لا إله الا الله محمد رسول الله . وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً » ثم « وليطوفوا بالبيت العتيق » ثم « ونادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب » و بين يدي المحراب شمعتان ضخمتان على قواعد ثابتة . والى جانبي المحراب من الاعلى « الله » « محمد » ووراء ذلك ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين والى يسار المحراب المقصورة التي كان السلاطين يقفون فيها للصلاة والى اليمين المنبر يصعد اليه بسلم مذهب . وللجامع مكتبة نفيسة

وبجواره مدفن السلطان سليم الثاني واولاده قتلهم مراد الثاني لما تولى الملك . وقبور مراد هذا و ١٩ من اولاده قتلهم اخوهم محمد الثالث لما تولى

جامع الفتح ...

موقعه عند باب ادرنة من ابواب السور في طرف استامبول الغربي و اسميه

الافرنج جامع القهرية او القاهرية لكن الاتراك يضبطون لفظه بالعين (القعرية). وكان في اصل بنائه كنيسة هي اقدم كنائس القسطنطينية فقد ذكرت سنة ٢٩٠م ثم تهدمت غير مرة واعيد بناؤها اخيراً في القرن الحادي عشر للميلاد ولما دخل الاتراك القسطنطينية بعد الفتح جعلوها جامعاً عرف بجامع القعرية وهو بناء صغير لا أهمية له الا من حيث قدمه وبما على سقوفه وجدرانه من الصور النصرانية المتقنة مرسومة بالفسيفساء الملوّنة وهي عديدة اكثرها في سقوف رواقه لا يزال معظمها محفوظاً باشكاله والوانه كانه رسم بالامس الاّ ما أفسده الحريق



جامع القعرية

دخلنا هذا الجامع من بابه الخارجي الى الرواق وهممنا بالدخول الى صحنه إذ لم يبدُ لنا في الرواق لاول وهلة ما يستلفت النظر لان بناءه في غاية البساطة فاستوقفنا قيمه واشار باصبعه الى السقف فبهرنا ما شاهدناه هنالك من الصور المدهشة بالوانها الزاهية ورسومها المتقنة . والسقف عبارة عن قبب اقواسها متداخلة في كل قبة صورة أو غير صورة بالحجم الطبيعي تمثل السيد المسيح أو بعض أعماله أو بعض حوادث الكتاب المقدس منها صورة ولادة المسيح في بيت لحم . وصور تمثل ظهور ملاك الرب ليوسف . واحصاء سكان بيت لحم . ووقوف مريم بين يدي اليصابات . وأخذ يوسف مريم العذراء الى بيت لحم

ووقوف المجوس بين يدي هيرودس . وهيرودس يخاطب رئيس الكهنة والكتبة . وأمر هيرودوس بقتل الاولاد . وسجود المجوس للمسيح . وبكاء الامهات . وفرار اليصابات الى المغارة يتبعها جندي . ورجوع المسيح الى الناصرة . ورحلتهُ الى اورشليم والمسيح



ثيودورس يقدم مثال الكنيسة للمسيح

بين الكهنة . ويوحنا يعمّد . ومجيء المسيح ليتعمد . وتجربة الشيطان له . والعرس في



مريم العذراء والمسيح في حجرها

قانا الجليل . وكسر الخبز . ويسوع والسامرية . وشفاء المفلوج . وشفاء الابرص . وصور كثيرين من القديسين والانبياء في دوائر حول المسيح والعذراء . وصورة المسيح جالسا وبين يديه ثيودوروس المتوخي ساجداً يقدم له الكنيسة أو مثالاً منها كما ترى في الشكل . وشفاء اليد اليابسة وغيره وشفاء الاعمى والاطرش . وشفاء حماة بطرس . وبشارة الملاك لحنة . والتقاء يواكيم وحنة بباب الهيكل . وولادة العذراء . والعذراء بين والديها . والعذراء يباركها الكهنة . ومجيء العذراء الى الهيكل ونحو ذلك . واكثر هذه الصور لا يزال واضحاً وما فسد منها لم يفسده المسلمون وانما أضرَّ به الحريق أو الزلزال — حتى داخل المسجد فقد رأينا صوراً على جدرانه غطاها المسلمون بما يشبه أجنحة النوافذ تفادياً من ظهورها وقت الصلاة ولم يمحوها مما يدلُّ على رغبتهم في تجنب أذاها

جامع السليمانية

بناه السلطان سليمان القانوني واقع بجانب السرعسكرية ويشغل معظم الهضبة الثالثة من هضاب استامبول كما تقدم وله ملحقات من المدارس والمنائر والتكيات والاضرحة والمكاتب والحمامات . وهو من اتقن ابنية الاستانة وافخمها هندسه سنان الشهير سنة ١٥٥٠ — ١٥٦٦ ونقلت أهم احجاره من كنيسة خلكيدونية وكنيسة السراي الكبرى وهو افخم ابنية العاصمة ويظهر لاهلها من كل ناحية لعلوه واشرافه وهو نحو جامع اياصوفيا في السعة . دخلناه وتهيبنا من ضخامته وعلوه وعظم عضائده فان قبته قطرها ٢٦ متراً قائمة على اربع عضائد سماقية اللون مربعة الشكل طول كل ضلع منها ٩ امتار وعلوها ٢٠ متراً وبين كل عضادتين في الجانبين عمودان مستديران من الجرانيت تيجانها مذهبة وداخل الجامع لونهُ سماوي

محرابه منحوت من الرخام في اعلاه الآية « وكلما دخل عليها زكريا المحراب » وقد تدلى الى كل من جانبيه طبق شبه الجرس الكبير مذهب وتحت الطبقين على الارض شمعتان طول الواحدة خمسة امتار ومحيطها متر ونصف قائمتان على مشمعتين مشدودتين الى الحائط بامراس . والى جانبي المحراب اسطوانتان من الجرانيت المجزع فيها نقش كالميازيب . والى يمين المحراب المنبر منحوت من الرخام هو ودرابزينه وبابه قطعة واحدة وقد طليت فاريزه بالذهب ونقش على عتبة بابه بالذهب نقشاً من الطرز العربي

المعروف بالمقرنص تحته آية التوحيد . والحائط حول المحراب مبطن بالقيشاني الثمين وقد كتبت فيه بالقيشاني الملون دائرتان هما معاً سورة الفاتحة . وفوق ذلك النوافذ عليها الزجاج الملون قطعاً صغيرة بغاية الاتقان والزخرفة وفيها كتابات دينية . وفوق المنبر قبة مستطيلة مذهبة تشبه منبر المدينة . وفوق المحراب من اليمين اسم الجلالة منقوش بالذهب والى اليسار اسم محمد والى كل من الجانبين وراء ذلك اسماء الصحابة كالعادة وآيات عديدة . ويتدلى من القبة في وسط الجامع ثريا كثرية الشكل حولها دائرة تتعلق بها المصابيح

وبالجملة فان جامع السليمانية هذا آية في الضخامة والاتقان وقد استوقفت فخامته نظرنا اكثر من سائر المساجد وبجانبه ضريح السلطان سليمان القانوني بانيه

جامع ابي ايوب

ويسميه بعضهم السلطان أيوب غلطاً فانه مقام ابي ايوب الانصاري احد كبار الصحابة نزل النبي في داره يوم جاء المدينة وكان قد دخلها على ناقته فامسك بها بعضهم وطلب اليه النزول عند اهله او غيرهم فقال « دعوا الناقة فانها مأمورة » فبركت على باب أبي ايوب ونزل النبي عنده حتى بنى المسجد . والمشهور ان ابا ايوب جاء لغزو القسطنطينية مع يزيد بن معاوية سنة ٥١ هـ فمات خارج سورها ودفن هناك . وما زال قبره مهملاً حتى كان الفتح العثماني فبنى محمد الفاتح على قبره مقاماً وبجانبه جامعاً وجعل ان لا يتولى سلطان عثماني الا تقلد سيف عثمان رسمياً في جامع ابي ايوب

وهو واقع في اواخر قرن الذهب لا يظهر من بعيد لانه قائم في بقعة منبسطة تحدق به الاشجار والمنازل فلا يراه الزائر حتى يصل اليه

دخلنا من بابه الخارجي الى ساحة مكشوفة في وسطها بركة او ميضة وفي بعض جوانبها شجرة دلب مات جذعها لقدم عهدها ونما بجانبه شجرة أخرى توكأت على ذلك الجذع وانفرش جذعها عليه واتخذ شكله . وقرأنا على عتبة هذا الباب من الداخل « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً » فمشينا في تلك الساحة خطوات فاصبنا الى يميننا باباً يؤدي الى صحن المسجد فولجناه وقد كتب على بابه « سلام عليكم طبتم فادخلوها » وفي يمين ذلك الصحن باب الجامع وعليه « سلام عليكم ادخلوا الجنة

بما كنتم تعملون » وفي وسط الصحن شجرتان من الدلب هائلتا الكبر والى اليسار شبابيك محدبة من نحاس قد نقش في وسط أحدها « لااله الا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله صادق الوعد الامين » وهــذا الشباك من شبابيك مقام أبي ايوب . ومدخل المقام من باب خاص في الساحة الخارجية سنعود اليه

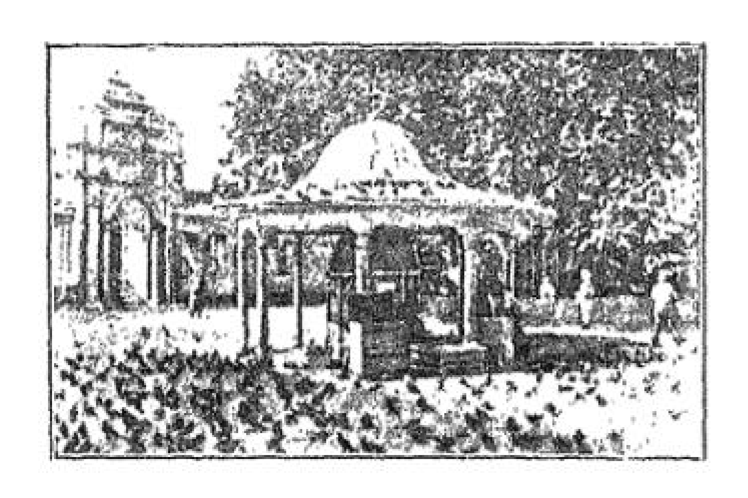
أما الجامع فبابه الى يمين الداخل كما تقدم في صدره محراب قد نقش فوقه بشكل دائرهذه الآية «فول وجهك شطر المسجد الحرام » وتحتها مربع مستطيل فيه قوله « كلما دخل عليها زكريا المحراب » والى يمين المحراب المنبر يصعد اليه بسلم مثل سائر المنابر وهو مصنوع من رخام مذهب وقبة الجامع قائمة على ستة اعمدة محيط كل منها ٤ امتار بينها اربعة اعمدة صغار وفي هذا المسجد يتقلد السلاطين سيف عثمان

مقام ابي ايوب

وأما المقام فبابه الخاص في آخر الساحة الخارجية الى اليمين أي بعد باب الجامع الخارجي . دخلنا منه الى دهليز طويل مبطن بالقيشاني الجميل وله نوافذ عليها ستائر من الحرير ينتهي الدهليز بغرفة مبطنة بالقيشاني . وعلى جدرانها اطارات فيها الواح عليها آيات قرآنية واحاديث بخطوط جميلة . وفي هذه الغرفة حجرة هي جزء منها فيها مقام ابي ايوب أي قبره دخلناها من باب في الغرفة بجانبه شباك مذهب . وقد نقش على عتبة الباب من الخارج بحرف كبير « دعوا الناقة فانها مأمورة فبركت على باب ابي ايوب » فرأينا في وسطها الضريح يحف به سور من شبك الفضة اعلى من قامة الانسان فيه نقوش يقرأ في أحدها « السلطان سليم الثالث سنة ١٢٠٧» ويجلل الضريح غطاء من المخمل الاسود المطرز بالذهب وعليه آيات وادعية . وحول الضريح وراء الشبك الفضة وعند قاعدته مساند من الخشب عليها مصاحف خطية كل منها ملفوف بجوخ أخضر . وفي بعض جوانب الحجرة المذكورة بئر يستقى منها . وجدران هذه الحجرة مبطنة بالقيشاني ايضاً وعليها الواح فيها آيات واحاديث

ورأينا في الغرفة الخارجية المؤدية الى الحجرة آثاراً تستحق الذكر غير الآيات والاحاديث منها أثر قدم النبي على بلاطة محفوظة في كوة خصوصية . وبجانبها اطار صغير مذهب يشتمل على صفيحة من زجاج تحتها ورقة شجر مجففة وقد كتب فوقها

بالتركية انها من شجرة في مكة غرسها النبي بيده

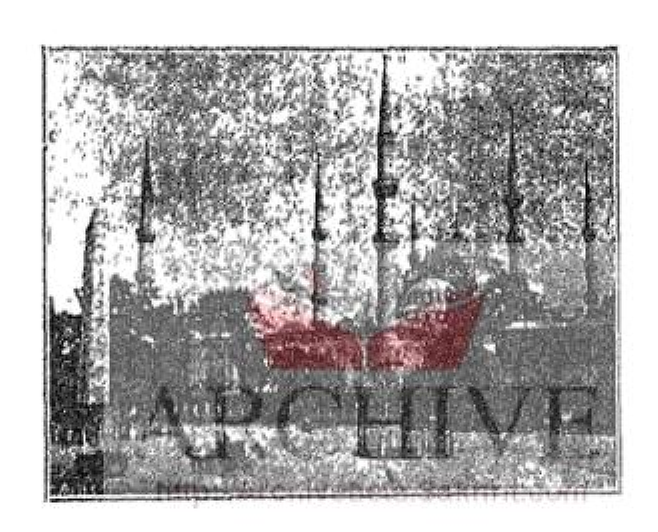


صحن جامع بايزيد فيه الحمام يربونه فيتكاثر حتى يعد بالالوف وهناك رجل يبيع الحبوب لمن يريد ان يطعم الحمام ولا يكاد المطعم يقف بجانب البائع حتى يتساقط عليه الحمام بالمئات

جامع السلطان احمد

بناه السلطان احمد المتوفى سنة ١٠٢٦ ﻫ بالقرب من اتميدان الذي قتل فيه الانكشارية ويمتاز عن سائر المساجد بكثرة مآذنه فانها ست وسائر المساجد لا تزيد مناثرها على اربع . دخلنا اليه بعد المرور بخلاء يحيط بثلاث من جهاته ثم صعدنا على سلم كالهرم المدرج الى صحن في احدى جهاته الى اليمين مصطبة من الرخام الكبير بينها رخامات يزيد طول بعضها على خمسة امتار او ستة . في وسط ذلك الصحن حنفية او ميضة ويحف به من الجهات الثلاث الباقية قناطر كالقباب الصغيرة قائمة على ٢٦ عموداً . ثم دخلنا الى المسجد من باب يخترق المصطبة قرأنا على عتبته في الاعلى اسم السلطان احمد واجداده منقوشة بالذهب . وفوق الباب قبة من الرخام على الشكل المقرنص مثل اكثر ابواب مساجد الاستانة . والمسجد من الداخل قبة واحدة مثل سائر جوامع الاستانة قائمة على اربعة اعمدة او عضائد مستديرة من رخام ابيض محيط كل عضادة منها ٣٢ متراً وحول تيجان هذه العضائد في الاعلى كتابة منقوشة بالذهب هي واحدة فوق كل عضادة تبدأ بقوله « قال الله تبارك وتعالى « لمسجد اسس على التقوى » الخ والمسافة بين كل عضادتين ٢٤ متراً ومساحة الجامع كله نحو مساحة

السليمانية . واذا امتاز جامع السليمانية بالفخامة والمتانة فان هذا يمتاز بالزخرفة واللطافة وجمال الهندسة لان محيطه من الاسفل عبارة عن رواق من قباب صغيرة قائمة على اساطين لطيفة من الرخام المجزع بينها أعمدة رخام ابيض ضخمة وقد تبطن هذا الرواق بالقيشاني الازرق وكذلك أعلاه بين الشبابيك الى حدود السقف تحت القبة . وفوق ذلك الى أعلى القبة مدهون بالوان تشبه القيشاني فيظهر باطن الجامع لاول وهلة انه مبطن بالقيشاني الازرق كله أعلاه وأسفله



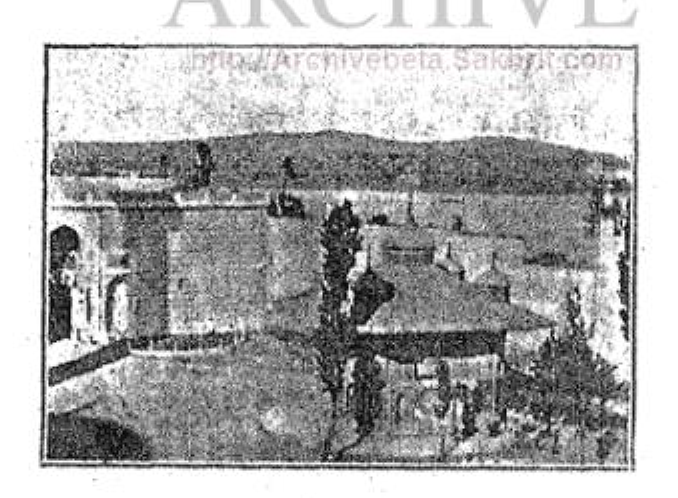
جامع السلطان احمد وبجانبه مسلة تيودسيوس

والمحراب في الصدر رخام مذهب و بجانبه شمعتان اقل ضخامة من شمعتي محراب السليمانية وابواب الجامع وشبابيكه كلها من الرخام الابيض والمنبر رخام مذهب بابه قطعة واحدة عليها سورة التوحيد وهو يشبه منبر مكة . وفي اعلى المحراب الآية « كلما دخل عليها زكريا المحراب » تحتها الآية « فنادته الملائكة وهو يصلي في المحراب » وبجانب المحراب في الحائط قطعة من حجر مجزع يتوهم الناظر اليها لاول وهلة انها صورة ملونة تشبه مقطوع جزع الشجرة فاذا تفرس فيها وجدها حجراً مصقولاً وهو نادر المثال . وفوقه شكل مسدس هو كتابة كوفية فيها اسماء الصحابة . وبجانبه صورة كبيرة بالزيت تمثل الكعبة ضمن اطار مذهب وقد كتب في اسفلها انها رسم معمار زاده سنة ١٣٢١ وهي في غاية الاتقان . ولايدرك مقدار ما انفق في تزيين باطن هذا الجامع الا من يعرف قيمة القيشاني الثمين فضلاً عن الرخام والذهب وغيره

وهناك جوامع أخرى أغضينا عن وصفها فراراً من التطويل واكتفاء بما تقدم على سبيل المثال . انما نذكر انا رأينا بباب جامع نوري عثمانية الخارجي مدخل يوءدي الى طلعة تنتهي باعلى الجامع الى المقصورة التي يجلس فيها السلاطين لحضور الصلاة قال مخبرنا ان السلاطين كانوا يدخلون من هناك على خيولهم حتى يبلغوا الى الطبقة العليا فيتحولون ويسيرون على اقدامهم الى المقصورة

سبيل السلطان احمد

في الاستانة سبل كثيرة اختصصنا هذا بالذكر لانه افخمها . بناه السلطان احمد في ساحة بين جامع ايا صوفيا وباب سراي طوب قبو . وهو مبني بشكل مربع من الرخام الابيض وفوقه قبة مستديرة الاركان تستطيل حافاتها حوله على شكل الطنف في غاية الزخرفة والاتقان وعلى جهاتها الاربع نقوش مذهبة في وسطها اشعار منقوشة بالذهب بخط جميل هي قصيدة باللغة التركية نظمها شاعر السلطان احمد في جملتها بيت التاريخ جاء فيه اسم هذا السلطان ويقال انهُ هو نفسه وضعه وهو :



سبيل السلطان احمد

تاريخي سلطان احمدك جاري زبان لوله دن   آج بسمليله ايج صولي خان احمدايله دعا

وهذه خاتمة القصيدة بالتركية نقلناها عن احد جدران السبيل حرفياً واكثر الفاظها عربي بحيث يمكن للعربي فهمها بتفسير بعض الالفاظ التركية وهي

هم بادشاهدرهم ولي ذاتنده اولمش منجلي
عدل عمر جود علي خلق محمد مصطفى
دستنده دولت خاتمي قلمش مسخّر عالمي
حق رسم اسم اعظمي نقش جبين آتمش أكا
سيرت دررصد قيصره غالب هزار اسكندرا
حكمي روان هر كشوره فرمانبري شاه وگدا
هم حامئ بيت الحرم هم خادمي شاه أمم
روم وعرب ملك عجم محكوميدر سر تا بپا
اولدر امام المسلمين ظل خداوند معين
بانصر قرآن مبين امرينه واجب اقتدا

كنيسة الفنار وغلاتاريا

ومن قبيل المعابد التي تستحق الذكر في الاستانة كنيسة الفنار في حي الفنار باستامبول تطل على قرن الذهب وهي قائمة في دير الكرسي القسطنطيني الارثوذكسي والدير كبير فيه عدة أقسام من جملتها هذه الكنيسة . لاحظنا في أثناء دخولنا اليها ان احد ابواب الدير موصد فسألنا عن سبب ذلك فقيل لنا ان البطريرك يواكيم (الحالي) لما هددته الحكومة العثمانية منذ بضع عشرة سنة بذهاب الامتيازات البطريركية اقفل الباب وعزم ان لا يفتحه الا اذا أعيدت اليه وقد نالها كما لا يخفى ولكن الباب لا يزال موصداً

وتفقدنا غرف هذا الدير واحدة واحدة فاذا هي متقنة وفيها من الآثار التي تستحق الذكر صورة زيتية كبيرة تمثل السلطان محمد الفاتح يسلم صولجان البطريركية للبطريرك القسطنطيني وصور أخرى كثيرة . وقد زرنا الكنيسة وهي قديمة ومزخرفة باتقان شاهدنا فيها ثلاثة توابيت اثنان من نحاس اصفر وواحد أبيض لعله مطلي بالفضة . قالوا ان فيها جثثاً محنطة لثلاث قديسات هن فوميا وثيوفانو وسولوموني . وفي الهيكل صورة مريم العذراء وابنها قديمة العهد جداً وقد زينت بالفضة

وشاهدنا في حي الفنار كنيسة للبلغار لم نر مثلها من قبل . اقامها البلغاريون هناك

في اثناء اختلافهم مع اليونان ساعدتهم روسيا على انشائها . وهي مصنوعة من الحديد الخالص على شكل القبر المقدس في القدس . حملت قطعاً وركبت هناك فلاخوف عليها من الزلازل ولا الحريق . وقد ذكروا انها كلفت ١٢٠,٠٠٠ جنيه . طولها نحو ٣٠ متراً هيكلها مذهب وكتبها باللغة البلغارية وجدرانها قد نزل فيها قطع من الرخام المرمر او الجزع الثمين يختلف حجمها بين متر واكثر او أقل . وللكنيسة طبقة عليا لجلوس النساء وفوق ذلك قبة الجرس

ومن هذا القبيل مقام للروس بجوار فادريا وراء محطة سان ستفانو يسمونه غلاتاريا بنوه هناك منذ عشرين سنه باذن من الدولة العثمانية ودفنوا فيه عظام قتلاهم في ادرنة سنة ١٨٧٧ وهو عبارة عن بناء له عقود سفلية دفنوا فيها العظام وأقاموا فوقها كنيسة او ديراً تعلوه قبة فوقها شبه المنارة تظهر عن بعد فيراها الماخر في البحر والمسافر في البر . ويحيط بالمقام حديقة حولها سور مربع من الحجر الصلد طول كل ضلع منه ١٢٠ متراً فيه منافذ تشبه ان تكون مرامي للبنادق او مواقف للمدافع فهو اشبه بالحصون منه بالمزارات

الاسوار والحصون

في الاستانة كثير من الاسوار والحصون لكن اكثرها قديم لايزال باقياً من قبل الفتح واكبرها السور الذي يحد استامبول من الغرب ويكون ضلع المثلث بين قرن الذهب في الشمال وبحر مرمرا أو الدردنيل في الجنوب طوله ستة كيلو مترات ونصف وهو عبارة عن حائط من الحجر مزدوج يبدأ بنقطة تسمى ايوان سراي على قرن الذهب وينتهي بنقطة اسمايدي قله على بحر مرمرا وقد تهدم بعضه بالزلازل . ثخانته بضعة امتار وعليه ابراج مربعة الشكل وبعضها مستدير بينها مسافات قصيرة . وللسور سبعة ابواب وهي من الشمال الى الجنوب ١ باب أغري ٢ باب ادرنه ٣ باب طوب قبو (باب المدفع) ٤ باب المولوي خانة ٥ باب سيليبري ٦ باب بساماتيا ٧ باب يدي قله (السبعة الابراج) وحول السور من الخارج خندق لا تزال آثاره باقية عرضه نحو ثلاثين خطوة . وقد حاصر العثمانيون استامبول من هذه الجهة مدة طويلة حتى كادت تمتنع عليهم . وكان مثل هذا السور حول استامبول من جهة البحر على مرمرا وقرن الذهب لا تزال آثاره

باقية بالابراج وقطع الاسوار . ووضع الروم عند مدخل قرن الذهب سلسلة ضخمة من الحديد قطعوا بها مدخل ذلك البوغاز فتعسر على محمد الفاتح دخولها واضطر لحمل السفن من البوغاز في البر الى داخل قرن الذهب . وقد كنا في ريب من حديث هذه السلسلة حتى رأيناها بجملتها في كنيسة ريني كما سيأتي في الكلام عن سراي طوب قبو

ومن الحصون التي تستحق الذكر حصنا روملي حصار واناطول حصار على البوسفور وهما نقطتان متقابلتان احداهما على شاطىء اسيا والاخرى على شاطىء اوربا وهما أقرب نقطتين على البوسفور لا تزيد المسافة بينهما على ٥٠٠ متر . ومن هذه النقطة عبر داريوس بجيشه العرمرم منذ نيف والفي سنة ومنها عبر الصليبيون في مسيرهم لفتح بيت المقدس واخيراً قطعها الاتراك . وهناك بنى السلطان محمد الفاتح حصنين متقابلين احدهما على شاطىء اسيا سماه اناطول حصار والآخر على شاطىء اوربا سماه



حصن روملي حصار على البوسفور

روملي حصار وجعل فيها المدافع الضخمة سلطها على البوغاز ليمنع مسير سفن الاعداء فيه وقد سماها ايضاً « بوغاز كسن » أي قاطع البوغاز

ولا تزال هذه الحصون باقية الى الآن أهمها حصون روملي حصار وهي عبارة عن ثلاثة ابراج كبيرة شكلها مستدير وعدة ابراج صغيرة مربعة الشكل في خطين من السور شبه مثلث ويقابلها ابراج مثلها أو اقل منها على بر الاناطول

فهذه الاستحكامات تمنع الاستانة من الشمال . وهناك استحكامات بحرية تمنعها

من الجنوب نعني بوغاز الدردنيل فانه يبعد عن الاستانة جنوباً مسير بضع ساعات لكن لابد للقادم علي الاستانة بحراً من المرور فيه وهو ضيق وعلى شاطئيه قلاع وحصون من الجانبين تعرف بشنا قلعة اذا احسن استحكامها يستحيل مرور سفن الاعداء بينها

ومن الحصون العامرة الى الآن وفيهـا الحامية طوابي وقلاع في آخر حدود البوسفور في محلة سودلجة على البرين يسمى القائم منها في بر الروملي روملي قواق والذي في بر الاناطول اناطول قواق

الاعمدة والمسلات

ومن الآثار التاريخية في الاستانة مسلة مصرية منصوبة في اتميدان بقرب جامع السلطان احمد تعرف بمسلة ثيودسيوس يؤخذ من الهيروغليف الذي عليها ان تحوتمس ملك مصر نصبها في هيليو بوليس في القرن السادس عشر قبل الميلاد وقد اشتغل بنقلها الى القسطنطينية ثلاثة قياصرة آخرهم ثيودسيوس في القرن الرابع للميلاد ولم يتمكن من نقلها الا اركاديوس وهي من الحجر الاسواني علوها ٣٠ متراً وعرض قاعدتها اربعة امتار وفي مصر كثير مثلها فلا نطيل في وصفها

وفي ساحة اتميدان أيضاً عمود الحية أقامه الروم في القرن الخامس قبل الميلاد تذكاراً لانتصارهم على الفرس في معركة بلاتا اتفقوا عليه من اسلاب الجيش وسمي بذلك لانه عبارة عن ثلاث حيات من النحاس الاصفر المذهب ملتفة على شكل الضفيرة وقد كسرت رؤوسها الآن ولا تزال اجسادها قائمة في وسط تلك الساحة

ومن الآثار التاريخيـة أيضاً صهريج الالف عمود يقال انه حفر في اوائل عهد الدولة الرومانية الشرقية ولعل الذي شرع ببنائه قسطنطين الكبير ويظن القصد منهُ جمع مياه الامطار واختزانها لحين الحاجة . وهو عبارة عن صهريج هائل السعة كان قائماً على الف عمود لم يبقَ منها الا نحو مئتين على كل منها رسم الصليب . وهناك صهاريج اخرى قليلة الاهمية

ومنها العمود المطوق ويسميه الاتراك (جمبرلي طاش) أي الحجر المطوّق قائم في شارع ديوان يولي علوه اربعون متراً ومؤلف من تسع قطع اسطوانية الشكل عليها عند اتصالها بعضها ببعض بروز من النقش على شكل اكاليل الغار لاخفاء الاتصال .

وكان على العمود تمثال من البرونز لابولون ثم ابدل بتمثال قسطنطين وفي ايام الكسيس انقضت عليه صاعقة صدعته وكسرت تاجه فرمموه ولكنه لم يرجع الى اصله . ومن الاعمدة التاريخية عمود اركاديوس وعمود مارسيان وعمود ثيودسيوس اغضينا عن وصفها

ومن الآثار التاريخية سراي طوب قبو على الهضبة الاولى من هضاب استامبول وكانت قصراً لامبراطور الروم ثم جعلها السلاطين العثمانيون مقراً لهم الى عهد غير بعيد وسيأتي الكلام عليها بفصل خاص بين المتاحف لان فيها تحف آل عثمان ومجوهراتهم

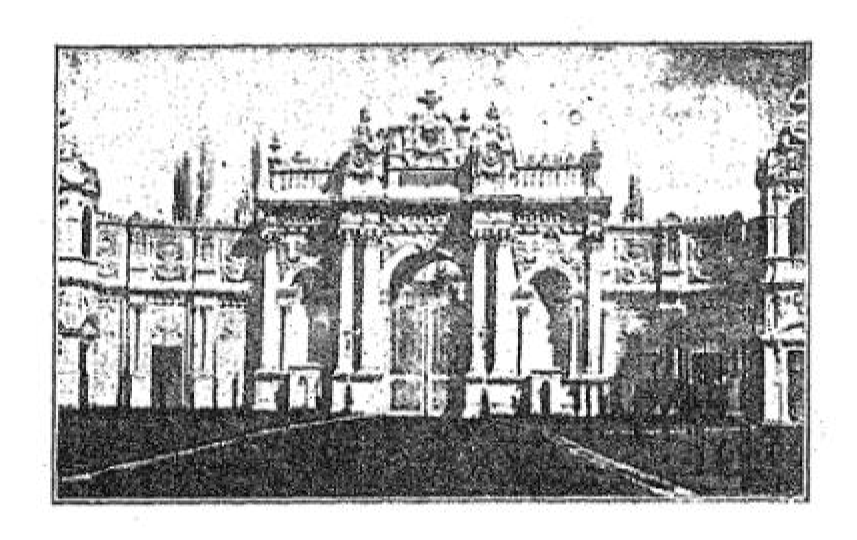
٤ - مشاهدها

أهم مشاهد الاستانة القصور السلطانية وهي كثيرة نكتفي باشهرها :

قصر طولمه بغجه

واقع في محلة بشكطاش على ضفة البوسفور وهو مقرّ جلالة السلطان الآن بناه السلطان عبد المجيد سنة ١٨٥٣ واتمه السلطان عبد العزيز انفق في ذلك بضعة ملايين من الجنيهات وهو عدة اقسام مبنية بالرخام الابيض المجلوب من مرمرا وقد نزل الذهب في نوافذه وابوابه

ويعدُّ قصر طولمه بغجه من عجائب الابنية في العالم بما يحويه من الاساطين المنقوشة والرخام المحفور والنقوش الجميلة المزخرفة بما يشبه قصر فنيس القديم . وبين يدي هذا القصر من ناحية البوسفور رصيف من الرخام طولهُ نحو ٦٠٠ متر تتخلله نماش تؤدي الى الشاطئ ويحدُّ الرصيف اساطين ضخمة عليها اقواس مذهبة بنقوش بديعة وابواب القصر بيضاء مذهبة . في بعض اطرافه برج للساعة يبدو للناظر عن بعد وبجانبه مسجد خاص يسمى جامع الوالدة يصلي فيه السلطان . وفي سقوف طولمه بغجه نقوش مذهبة تدل على ما انفق في سبيلها من الاموال يقال ان الذي تولى نقشها سانشان الفرنساوي . وفيها من الثريات أو منائر البلور عدد كبير شمعات الواحدة منها ٢٥٠ شمعة والواح من البلور مساحة الواحد ٣٠ متراً مربعاً ومواقد الاستدفاء من البروسلين المذهب وفيه معرض للصور القديمة جميل وثمين . واما الصالون فانه من الفخم ما جادت



باب قصر طولمة بغجة

به قرائح البشر وفيه يحتفل العثمانيون كل عام بتقبيل يدي جلالة السلطان في عيد الاضحى فضلاً عن قاعة الرقص وغيرها من القاعات الواسعة والحمام ومعرض الصور الحديثة والمصنوعات الجميلة

ويقال على الجملة ان الناقد يرى في بناء هذا القصر بذخاً وسخاء اكثر مما يرى نحافة ودقة بخلاف قصر چراغان

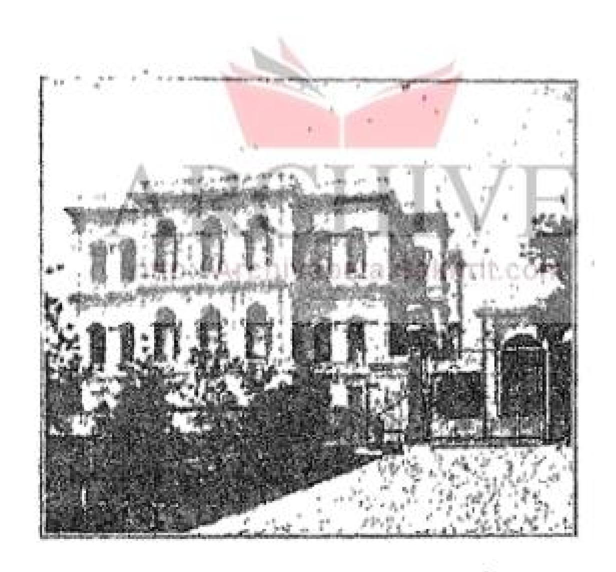
قصر چراغان

هو اجمل قصور السلطنة بناه السلطان عبد العزيز سنة ١٨٧٤ بين بشكطاش واورته كوي على ضفة البوسفور ويمتاز بجماله ودقة الصناعة في نقشه وهندسته وفيه كان يقيم السلطان مراد محجوراً عليه في زمن السلطان عبد الحميد ولم يكن يجرا احد على المرور بجانبه والتطلع اليه خوفاً من التهمة . وقد جعلته الحكومة الآن مجتمعاً لمجلس النواب وسيجتمع به للمرة الاولى في اول جلساته للعام المقبل

وهنالك قصور سلطانية اشهرها قصر بكلر بك على شاطىء البوسفور من جهة اسيا بناه عبد العزيز سنة ١٨٦٥ وسراي تكفور في استمبول وغيرها . وقد آن لنا ان نتقدم الى وصف سراي يلدز فانها اشهرها جميعاً واصبح الناس يتشوقون لمعرفة مخبآتها وتحفها بعد هذا الانقلاب

سراي يلدز

ليست هذه السراي قصراً واحداً فخيماً كما يتبادر الى الذهن وانما هي عدة قصور قد لا يرى في احدها فخامة ما يراه في قصر طولمه بغجه او الجمال الذي يراه في قصر جراغان . وانما هي هضبة كبيرة واقعة وراء محطه اورته كوي فوق قصر جراغان تكتنفها الاودية وقد انشئت فيها الحدائق والبساتين والبحيرات و بنيت فيها قصور تتفاوت قدراً وجمالاً وهي عديدة ومتفرقه بين الخمائل والغابات على غير نظام وليس في وصف هذه القصور كثير مما يدهش القارىء ولكن العبرة بما هنالك من المخبآت الغريبة التي تواترت الاقوال بشأنها واختلفت الروايات عنها وقد اتيح لنا دخول تلك القصور في فرصة مناسبة فاستطلعنا احوالها واليك خلاصة ذلك :



باب يلدز الخارجي وبجانبه المابين الكبير

ان البقعة التي اقاموا فيها قصور يلدز واسعة تزيد سعتها على مساحة بلد كبير اكثرها غابات كثيفة الاشجار بينها حدائق غناء وبحيرات تجري فيها القوارب وتقسم بجملتها الى قسمين كبيرين (١) الحديقة الداخلية (٢) الحديقة الخارجية . وليلدز باب خارجي كبير تدخله المركبات الى بقعة فيها طريقان أحدهما الى اليسار يؤدي الى باب الحديقة الداخلية والآخر الى اليمين يؤدي الى طريق الحديقة الخارجية وفي كل من الحديقتين قصور وابنية سيأتي ذكرها

الحديقة الداخلية ومسارح الطير

فالحديقة الداخلية عبارة عن بستان كبير محاط بسور عال اشبه باسوار الحصون منه بالحدائق يفصله عن الحديقة الخارجية . يدخل الى الحديقة الداخلية من باب كبير مذهب هو باب السراي المؤدي الى اهم القصور الداخلية . وهي قصر المابين الصغير مسكن السلطان المخلوع وقصر جيب وقصر مالطة وقصر جهان نما ومعرض الحيوان . فهذه القصور متقاربة كل منها يستطرق الى الحديقة الداخلية . وفي الحديقة المذكورة بحيرات تجري فيها القوارب . ومسارح للطير هي عشرات من الغرف المتقنة مصنوعة من الخشب المزخرف ملاصقة لجدار الحديقة الشرقي . ولها واجهات من الزجاج وشبابيك من الاسلاك و بعض الغرف كلها من الزجاج . يسرح فيها الحمام كل نوع في غرفة او بضع غرف متقاربة و بينها الحمام الابيض والاسود والمرقط وذات العرف الطويل او الذيل العريض على اختلاف الاجناس . ولها في مسارحها مجالس تأوي اليها وتبيض او تفقص فيها على ابدع نظام . ويلي مسارح الحمام غرف لتربية الازهار الشتوية التي يضرُّ بها البرد مصنوعة من الزجاج المضبوط التماساً للدفء . ويلي ذلك اقفاص فيها بنات آوى أو بعض الكلاب الضخمة . وفي بعض جوانب هذه الحديقة اسطبلات فيها مواقف للخيل في كل موقف اسم الجواد الذي كان يقف فيه

وفي وسط هذه الحديقة مسارح للحمام غير ما في اطرافها كأن السلطان المخلوع كان مولعاً بمعاشرة هذا الطير الوديع ولعاً كثيراً — وذلك من جملة غرائب اطواره وتناقضها . واكثر اشجار هذه الحديقة الصفصاف والدلب والسرو والخروع والحور والتوت . وفي غربيها اقفاص للعصافير من الكنار والحسون ونحوهما وفي جنوبيها مسارح للطاووس وامثاله من الطيور الجميلة وأخرى لطيور الماء تسبح في بحيرات صغيرة وفي الحديقة بالقرب من القصور طرقات مرصفة بالاسفلت عليها نقوش بشكل حدوة الفرس التي يتفاءل الناس بها

قصر جهان نما

وفي هذه الحديقة قصر جهان نما وهو صغير لكنه في غاية الاتقان يشرف على البوسفور اشرافاً واسعاً . يصعد اليه بسلم من الرخام الى دار مفروشة بالبسط تستطرق الى غرفتين جانبيتين وعلى الجدران صور زيتية متقنة بينها صورة الجامع الحميدي وصور

بعض اجزاء الحديقة الداخلية من جملتها صورة جزء من البحيرة على ضفتها الأنوار والاشجار. وجدران الغرف وسقوفها ملونة الواناً زاهيــة اكثرها الاحمر. وقد طليت الابواب والافاريز بالذهب وأرخيت عليها الستائر الحريرية من كرانيش مذهبة. وخرجنا من باب في صدر الدار الى شرفة اشرفنا منها على البوسفور وما يحف به من الخمائل والمنازل. وفوق هـذه الطبقة طبقة أخرى في مثل تفصيلها فرشها من المخمل العنابي وفي دارها نظارتان مقربتان (تلسكوب) كل منهما مرتكزة على طاولة ينظر بهما الى البوسفور وما يليه

وفوق هذه الطبقة السقف القرميدي بشكل الزاوية واكثر سقوف الاستانة بهذا الشكل يستطرق اليه بسلم سري وفيـه غرف صغيرة مقفلة كأنها مخابىء سرية

قصر چيت

سمي بذلك لانه مبطن بالانسجة بابه خارج باب الحديقة الداخلية لكنه يعدُّ منها لان بناءه من جملة ابنيتها وقد يدخل اليه منها بباب آخر سيأتي ذكره. والقصر المذكور مؤلف من عدة غرف كبيرة مبطنة جدرانها بالاطلس كل غرفة بلون خاص ونقش خاص. فيمتاز هذا القصر بذلك وبما علق على جدرانه من الخرائط الجغرافية البارزة تمثل فيها البلاد تمثيلاً مجسماً بما بها من الجبال والاودية والبحور. وكلها من صنع مهندسين عثمانيـين اسم كل منهم على الخريطة التي رسمها. وفي كل غرفة بضع خرائط موضوعة في اطارات ثمينة ومعلقة على الجدران وبما زاد عددها كلها على خمسين خريطة في جملتها خريطة البوسفور وخرائط الروملي والاناطول والاستانة والبحر الاسود. واهمها خريطة تمثل الكعبة وما جاورها بغاية الاتقان موضوعة في القاعة الكبرى (الصالون). ولهذه القاعة مزية فضلاً عن كبرها وكثرة ما فيها من الخرائط المتقنة والثريات ان في جدارها الايسر باباً سريًا اذا أقفل اختفى وهو يستطرق الى المابين الصغير كان السلطان المخلوع اذا أراد مقابلة احد هناك خرج اليه من ذلك الباب بدلاً من مروره بباب الحديقة الداخلية الى الخارج حتى يدخل من باب هذا القصر. ورأينا في بعض الغرف خزائن من خشب اسود منزلة بالذهب

ومن جملة ابنية يلدز معرض الحيوانات فيه انواع من الطيور وغيرها محنطة لاشي

من الغرابة فيها . وكذلك قصر چادر وقصر مالطه فنكتفي بالاشارة اليها ونعمد الى تفصيل ما شاهدناهُ في المابين الصغير مسكن السلطان المخلوع فانهُ ادعى الى الاهتمام

المابين الصغير او مسكن عبد الحميد

هو اول قصر يستقبله الداخل من باب الحديقة الداخلية الى يمينهِ . وليس هو بالقصر الفخيم . يرقى اليهِ على بضع درجات بسيطة ومدخله باب اعتيادي يؤدي الى فسحة صغيرة ومنها الى الدهاليز والغرف على غير نظام . ولم نستطع تمييز هندسة ذلك البناء لكثرة ما فيه من الدهاليز والمماشي والغرف المستطرقة بعضها الى بعض . ولذلك فلا نقدر ان نرسمهُ للقارئ فنكتفي بذكر اهم ما شاهدناهُ فيهِ

اول شيء استلفت انتباهنا عند دخولنا منضدة صغيرة من الرخام في الفسحة عليها زجاجة فيها ماء كالدواء قال الرجل المولج بشرح ما نراهُ ان الذين اتوا لتبليغ عبد الحميد الخلع وجدوا هذهِ الزجاجة هناك . وعلموا بعد ذلك انها تحوي عقاراً مقويًا للقلب لانه اصيب بصدمة عصبية في ذلك اليوم على أثر ما اصابهُ من الفشل والخوف فوصفوه لهُ

وهناك غرفة واسعة فيها مائدة كبيرة هي غرفة الطعام في ارضها سجادة واحدة نقشها مثل نقش السقف تماما وفيها خزائن (بوفيه) وموقد للتدفئة . وهذهِ المواقد لا تخلو منها غرفة في الآستانة لشدة البرد في فصل الشتاء ولكنها تختلف قيمةً باختلاف المادة المصنوعة منها وهي هنا من البروسلين الابيض المذهب وعليها حرف H ومن جميل ما في هذهِ الغرفة ان احد البوفيين آلة موسيقية كالبيانو دقيق الصنعة اهداها الامبراطور غليوم لصديقه السلطان عبد الحميد . ولما بلغوه خبر الخلع كان جالساً على كرسي في هذه الغرفة

ومن جملة ذلك القصر غرفة فيها طاولة للكتابة عليها اوراق ومحابر واقلام كأنها محل الشغل أو المكتب شاهدنا فيها خزانة قصيرة اشار دليلنا اليها وقال « في هذهِ الخزانة وجدوا اوراق علي كمال » وهي التقارير التي قدمها الى عبد الحميد ضد جمعية الاتحاد والترقي . ورأينا هناك كرسيًا وطاولة من زجاج خالص قال «ان عبد الحميد كان يجلس على هذا الكرسي اذا اشتدت كهربائية الجو وتكاثرت الصواعق لعلمه ان الزجاج

موصل رديء للكهربائية فيأمن ان يصاب بالصاعقة ! »

ورأينا في غرفة اخرى خزانة وجهها من بلور صاف وهي مملوءة بالاسلحة النارية بينها انواع من المسدسات المتقنة وفيها المذهب والمرصع على اختلاف الاحجام من الكبير الذي لا تحيط به اليد الى الصغير الذي يسعه الجيب • وفيها بعض الخناجر ونحوها وقد ترتبت هذه الاسلحة في تلك الخزانة ترتيباً هندسياً جميلاً

ورأينا كثيراً من خزائن الحديد لوضع النقود وكثيراً من اصناف البيانو وفي كل غرفة ترمومتر وبارومتر وساعة • والساعات كثيرة جداً كأن عبد الحميد كان مولعاً باقتنائها الى حد الهوس • فانك لا تجد طاولة أو موقفاً أو موقداً أو كونسولاً الا وعليهِ ساعة دقاقة ومنها الفضة والذهب والبروسلين . وفي هذا البناء حمام من الرخام كثير الاتقان جرنه وحنفياته مذهبة

وقد ادهشنا بنوع خاص كثرة الخزائن في الدهاليز وغيرها فانها تعدُّ بالعشرات من الخشب أو المعدن وفيها البسيط والمذهب والمطعم وكلها مقفلة • وفي هذهِ الخزائن كان عبد الحميد يحفظ تقارير الجواسيس وقد استخرجها رجال الدستور بعد خلعه واخذوا يتفحصونها

وكثيراً ما كنا نسمع ان عبد الحميد لاينام يومين متواليين في غرفة واحدة أو هو يخفي محل نومه عن كل انسان ولم نكن نتصور ذلك فتبين لنا بعد مشاهدة هذا البناء انهُ لم يكن ينام على الاسرة وانما كان رقادهُ على مقاعد مستطيلة (كنابيه) في كل غرفة واحدة منها • وهي من نوع المقاعد التي يستخدمها الافرنج في غرف النوم ويسمونها (شيزلون) فكان يتوسد احد هذه المقاعد ويتغطى بحرام أو نحوه فلا يمكن الاهتداء الى مكانه

ورأينا غرفة كبيرة مقطوعة بحاجز من زجاج بحيث يتكوّن بذلك القطع حجرة صغيرة داخل تلك الغرفة الكبيرة بابها من زجاج • وفي هذهِ الحجرة آلات النجارة وادواتها من البنك الى الفارة فالمنشار فالشاكوش فالازميل • بل هناك اصناف من المناشير والازاميل والشواكيش والمناقير على اختلاف الاحجام والاشكال بين ماقبضتهُ من الخشب او العاج أو الابنوس أو نحوه • وعلى البنك قطع من الخشب

كأنهُ كان قد بدأ بحفرها • ويظهر من مجمل هذه الحجرة انهُ كان يشتغل فيها بالحفر واصطناع الادوات الصغيرة كالعلب والبراويز ونحوها . وفي هذه الغرفة وجدوا اوراق مالية قيمتها ٥٠٠٠٠٠ جنيه

وكان المتواتر على الالسنة ان عبد الحميد اذا خرج للسلاملك او للصلاة تدرَّع خوفاً على حياته وكنا نستبعد ذلك حتى شاهدنا درعه في بعض الغرف وهي عبارة عن دراعة (صدرية) لها صدر وظهر كلاهما من فولاذ بشكل صفيحة مقوسة وقد كسيتا بنسيج من الكتان الابيض كان يلبسهما تحت أثوابه

واغرب ما رأيناهُ في بعض الغرف صورة زيتية معلقة بالحائط طولها نحو متر وعرضها ٧٠ سنتمتراً قد أُرخي عليها سترٌ ازحناه فاذا هي تمثل قارباً بجانب الشاطئ قد وقف فيه نحو عشرة رجال عليهم البسة سوداء وقبعات سوداء يقرب شكلها مما يلبسه الرهبان اليسوعيون • وفي يدي كل منهم آلة موسيقية من الناي أو العود أو المزمار يضربون ويعزفون وهم في حال عربدة أو سكر • وبين ايديهم على الشاطئ نحو عشر نساء عاريات يرقصن أو يتخالعن مما يخل بالادب — قال الدليل : ان هذه الصورة اهداها بعض المتملقين الى عبد الحميد يمثل فيها مدحت باشا ورجاله الاحرار تمثيلاً يحقر دعواهم — يريد انهم انما يتظاهرون بطلب الحرية والدستور تمويهاً على العقول وهم بالحقيقة يريدون الخروج عن الآداب الدينية والاقتداء بالنصارى في خلاعتهم وسكرهم • ويا حبذا لو عرفنا صاحب هذه الهدية النفيسة !

ولم نشاهد في هذا المابين شيئاً من التحف أو الجوهرات لانهم نقلوها في جملة ما نقلوه من النقود التي وجدوها • لكننا رأينا تمثالاً طوله نصف متر يمثل سفينة بخارية تدور بدولابين جانبيين وهو مصنوع من الذهب ومرصع بالاحجار الكريمة • فوقهُ علم عثماني هلاله من الماس وارضهُ من الميناء الحمراء • وحبال السفينة مرصعة باحجار مختلفة الالوان والاقدار

وارشدنا الدليل الى الغرفة التي كان يستقبل بها تحسين باشا الباشكاتب او غيره من الخاصة وهي بسيطة وفي صدرها لوحة عليها كتابة بالذهب هذا نصها « انا فتحنا لك فتحاً مبيناً » وبجانبها لوحة أخرى عليها « امان يارسول الله »

و بالجملة ان غرف المابين الصغير كلها مفروشة بالسجاد الثمين وسقوفها مزخرفة ومذهبة • ومنه يستطرق الى دار الحريم وهي مقفلة لا يؤذن في الدخول اليها ولكنهم أرونا الباب الموصل اليها فاذا هو مرآة واحدة جعله عبد الحميد كذلك حتى اذا اراد الدخول فيه كان على بينة ممن قد يكون وراءه من لص او غيره

المابين الكبير

أما الحديقة الخارجية ففيها قصور اهمها قصر المابين الكبير وقصر مراسم والقصر الجديد (يكي كوشك) . فالمابين الكبير واقع خارج باب الحديقة الداخلية بالقرب من مدخل يلدز الخارجي ويشرف على الجامع الحميدي وهو مؤلف من قاعات كبيرة لاجتماع الوكلاء أو الوزراء أو السفراء في وسطهِ اكبر القاعات ربما زادت مساحتها على ٣٠ متراً أو ٢٥ متراً في ٢٥ وفي وسطها ساعة كبيرة من الفضة قائمة على قاعدة مربعة ولها اربع مين واحدة للساعات واخرى للترمومتر والثالثة للبارومتر والرابعة لأوجه القمر. ارضها مكسوّة بسجادة واحدة . وهي تستطرق الى سائر غرف القصر ولكل غرفة فرش خاص بلون خاص • احداها تسمى سرداب فاخرة الرياش وفيها سجاد ثمين واعمدة من المرمر المذهب • واحدى الغرف مرصعة بالخشب المطعم بالعاج وفي احدها موقد أعمدته من زجاج احمر • ويصعد الى الطبقة العليا بسلم اعمدة درابيزينه من الزجاج ودرجات السلم من الخشب المطعم

وفي الطبقة العليا عدة كونسولات كبيرة رخامها من المرمر المجزع وفي صدر القاعة الكبرى الى كل من جانبي الباب المستطرق الى الغرف الاخرى صورة زيتية على طول الحائط وفي قفا هذا الحائط من الجانب الاخر صورتان اخريان وهذهِ الصور زيتية جميلة احداها تمثل عبد العزيز والاخرى السلطان محمود والاثنتان الباقيتان تمثلان السلطان عبد المجيد راكباً وراجلاً • وهناك غرفة المائدة فيها بوفيان مذهبان ضخمان وحنفية من رخام مذهب للغسل على شكل جميل • ولهذا المابين نوافذ تشرف على الجامع الحميدي وعلى الطريق المؤدي اليهِ من المابين الصغير . فكان الاعيان والسفراء يجلسون يوم السلاملك في القاعات المطلة على ذلك الطريق ليتمكنوا من رؤية الموكب الشاهاني واكثرهم يقفون في حديقة هذا القصر بالجهة المطلة على الطريق او صحن الجامع

قصر مراسم

هو افخم قصور يلدز بناه عبد الحميد احتفاء بزيارة امبراطورالمانيا منذ بضع عشرة سنة وانفق عليهِ نحو مليوني جنيه وهو واقع في الحديقة الخارجية يتصل اليه من رواء سورالحديقة الداخلية مسافة طويلة تمرُّ في اثنائها والى يسارك السور والى يمينك شبه غابة من الاشجار الباسقة المتعانقة تمثل الطبيعة في ابسط احوالها كانها نامية في برية لا يد للانسان فيها . فاذا بلغت الى القصر رأيت بين يديه حديقة منظمة الطرقات اشجارها هندسية الاشكال كأن البستاني يتعهدها بالمقراض صباح مساء . فسرنا في هذا الحديقة الى باب مراسم وهو فخيم صعدنا اليه على درجات من الرخام الى فسحة ومنها الى سلم اعمدة درابيزينه مذهبة يؤدي الى فسحة يمتد منها الى كل من الجانبين دهليز الى جانبيه غرف ربما بلغ عددها ٤٠ غرفة واهمها الى اليمين . وفي هذه الغرف الرياش الثمين من السجاد الجميل والستائر المزركشة والمواقد المذهبة والمرايات الكبيرة والساعات على اختلاف اشكالها واقدارها بينها ساعة على شكل الطير موضوعة على خزانة من الخشب الاسود مُنزَّل بالذهب . وفي بعض الغرف خزائن صغيرة أو هي مواقف للكتب في بعضها كتاب الجغرافية العمومية لاليزه ركلي في اللغة الفرنساوية ١٩ مجلداً ضخماً تجليدها احمر مذهب جميل . وفي غرفة أخرى كتاب تاريخ تمدن اوربا للعالم الفرنساوي جيزو وفي غرفة أخرى مؤلفات بلوتارخس . غير ما على الجدران من الرسوم في جملتها صور بعض الجوامع أو بعض اجزائها . وفي احدى الغرف تمثال غليوم الثاني

وافخم غرف قصر مراسم الصالون فان مساحته ٣٠ متراً في ١٥ في ارضه سجادة جميلة كلها قطعة واحدة لونها ذهبي فاتح وسقفها منقوش نقشاً مذهباً في غاية الجمال . وعلى النوافذ ستائر من الحرير الثقيل تتدلى من (كرانيش) مقوسة الشكل ومذهبة الحواشي . اقبلنا على هـذا الصالون من بابه الاصلي فرأينا الحائط الى يسارنا عليه المواقـد بعضها داخل في الحائط والبعض الآخر بارز وهو من البورسلين الجميل . وبين هذه المواقد ابواب يستطرق بها الى غرف أخرى من ذلك القصر . وعلى المواقد شمعـدانات من الذهب وبجانب كل شمعدان ساعة وبين الابواب وفوقها صور زيتية جميلة مرسومة على الحائط . ورأينا الى اليمين الجدار المطل على الحديقة وفيه الستائر وفوقها الكرانيش

المذهبة كما تقدم . واستقبلنا في صدر القاعة ثلاث نوافذ ورأينا زاويتي القاعة امامنا خارجتين يتألف من كل منهما غرفة صغيرة مستديرة في وسطها طاولة وعلى نوافذها الستائر

وفي ارض القاعة المذكورة الى كل من طرفيها طاولة مفضضة عليها سن فيل وهي اكبر سن معروفة الى اليوم والسنان تقدمتا هدية لعبد الحميد من راتب باشا والي الحجاز. طول كل منهما متران الأ ربع وقد زركشتا بالفضة باشكال الافيال ووضعتا في طرفي القاعة متقابلتين يتدلى من رأس كل منهما شبه الطبق من الفضة او كالقنديل . ويتدلى من السقف ثلاث ثريات كبيرة الوسطى اكبرها

الجامع الحميدي

بناه عبد الحميد ليصلي فيه وهو على مقربة من المابين الكبير الى يسار باب يلدز الخارجي . وهو محاط بسور من الدرابزين الحديد يحيط بساحة مكشوفة فيها اطلق الارمني قنبلته وبجانب باب الدرابزين الخارجي برج فيه ساعة كبيرة ذات اربعة اوجه . فقطعنا الساحة المكشوفة الى باب الجامع وقد كتب عليه بماء الذهب « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » فدخلنا الى دهليز اوصلنا الى باب آخر يطل على المسجد وفوق هذا الباب منقوش « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » والداخل من هذا الباب يستقبل المحراب الى يمينه وقد كتب بجانبه « كلما دخل عليها زكريا المحراب » وسقف الجامع قبة قائمة على اربعة اساطين مكسوة بالخشب وفي دائر الجدران من الاعلى اسماء الجلالة والنبي والصحابة هكذا : الله ومحمد في الصدر وابو بكر وعثمان وحسن وسعد الى اليمين وعمر وعلي وحسين الى اليسار . وفوق الباب مقصورتان عليها الشعريات وهما مذهبتان وفي الجدارين الى الجانبين شعريات للنساء وفي اعلى القبة كتابة بالكوفي فيها « بسم الله الرحمن الرحيم » وحول الجدار قرب السقف آيات مذهبة

وكان عبد الحميد يركب يوم الجمعة للصلاة في موكبه الحافل بين باب المابين وباب الجامع والمسافة لا تزيد على كيلومتر فيمشي بين يديه الوزراء والمشيرون ينكصون رؤوسهم تخشعاً وتهيباً وهو وراءهم يسوق مركبته بيده . ويمشي الى جانبي المركبة جماعة الياوران والسرياور فيقبض بعضهم على عجلات المركبة يوازنون حركتها

خوفاً من ان يجمح الجوادان فيلحق الخليفة اذى . اوهم يتبركون بتسيير الخليفة الى الجامع او يتملقون اليه نفاقاً ورياء

سرايات الحكومة

ومن قبيل القصور الفخيمة في الاستانة سرايات الحكومة واجملها سراي السر عسكرية قرب جامع بايزيد وبينها ساحة إتميدان (غير أتميدان) كانوا يشنقون فيها الارنجاعيين . والسراي قائمة في ميدان واسع يستعرض فيه الجند قد كتب على بابه في الوسط « دائرة أمور عسكرية » والى اليسار « انا فتحنا لك فتحاً مبيناً » والى اليمين « وينصرك الله نصراً عزيزاً » وفي بعض جوانب ميدان السر عسكرية برج شاهق كالمنارة الكبيرة يرصدون منه الاستانة وينتبهون منه للحريق اذا وقع . والسراي واسعة الاطراف طولها ٤٣٠ متراً وعرضها ٢٨٠ متراً وهي قائمة على هضبة تشرف على سائر اجزاء الاستانة



باب همايوني (او الباب العالي)

ومنها الباب العالي ويراد به اهم نظارات الحكومة دخلنا اليه من باب كبير مصنوع من الرخام وفوقه الطغراء يقال له باب همايون

وفي الباب العالي سراي الصدارة العظمى ونظارة الداخلية والخارجية والنافعة (الاشغال العمومية) . واما سائر النظارات فنظارة الخاصة بقرب سراي طوله بغجه

ونظارة البحرية في قرن الذهب وهناك الترسانة لتصليح السفن وهي كبيرة جدًّا . ونظارة الحربية في السرعسكرية ونظارة العدلية في ميدان اياصوفيا وقد صارت لمجلس النواب ونظارة المالية في ميدان بيازيد ونظارة المعارف بالقرب من جامع محمود باشا

وسنأتي على وصف متاحف الاستانة ومعارضها وسائر احوالها في الهلال القادم

الدستور الفارسي

والشاه الجديد

لخصنا في الهلال السابع من السنة الماضية تاريخ الدستور الفارسي منذ تنبَّه الفارسيون لهُ على أثر اعلان الدستور العثماني سنة ١٨٧٦ الى ان طلبوه على عهد مظفر الدين شاه ثم رضي به ابنهُ محمد علي شاه وكيف غدرهذا بالاحرار وقاومهم وهدم مجلس الامة وفتك بالنواب واشياعهم . وما كان من تفاصيل ذلك حتى غلب الظلم وصارت القوة في قبضة الشاه فاخذ يناوئ الاحرار وهم نخبة رجال العلم والحرية . وكتب الى الولايات ان يقاوموا طلاب الدستور فاطاعه بعضهم وظل البعض الآخر اميناً للدستور ان لم يكن ظاهراً فباطناً . وبعضهم جاهر بنصرة الحرية مجاهرة عرَّض بها نفسه للخطر واكثر الولايات مقاومة للظلم ونصرة الدستور تبريز قصبة اذربيجان فقد ثبتت في طلب الحرية ثبوت الجبال ولكن القوة العسكرية كانت في قبضة محمد علي شاه في طهران

واتفق على أثر ذلك حدوث الحركة الارتجاعية في الاستانة حتى كاد الارتجاعيون يقلبون الدستور رأساً على عقب وينكلون باصحابه أعضاء جمعية الاتحاد والترقي . ثم رأوا فوز الاحرار وقد دخلوا الاستانة بالقوة وخلعوا السلطان عبدالحميد وولوا أخاه مكانه ولم يعانوا في ذلك مشقة فتحمس الايرانيون وعادت اليهم آمالهم على ان يجعلوا العثمانيين قدوتهم بل هم تحملوا في سبيل ذلك اكثر مما تحمله العثمانيون . ومما ثبتهم في مطالبهم تنشيط جمعية الاتحاد والترقي لهم فقد خابرها علماؤهم في النجف واستنصروها فانفذت الجمعية مندوباً من قبلها اسمه ثريا بك اجتمع بهم في النجف فخطبوا وتعاقدوا وتنشطوا وتسمت جمعية الاحرار الايرانيين «جمعية الاتحاد والترقي الايرانية»

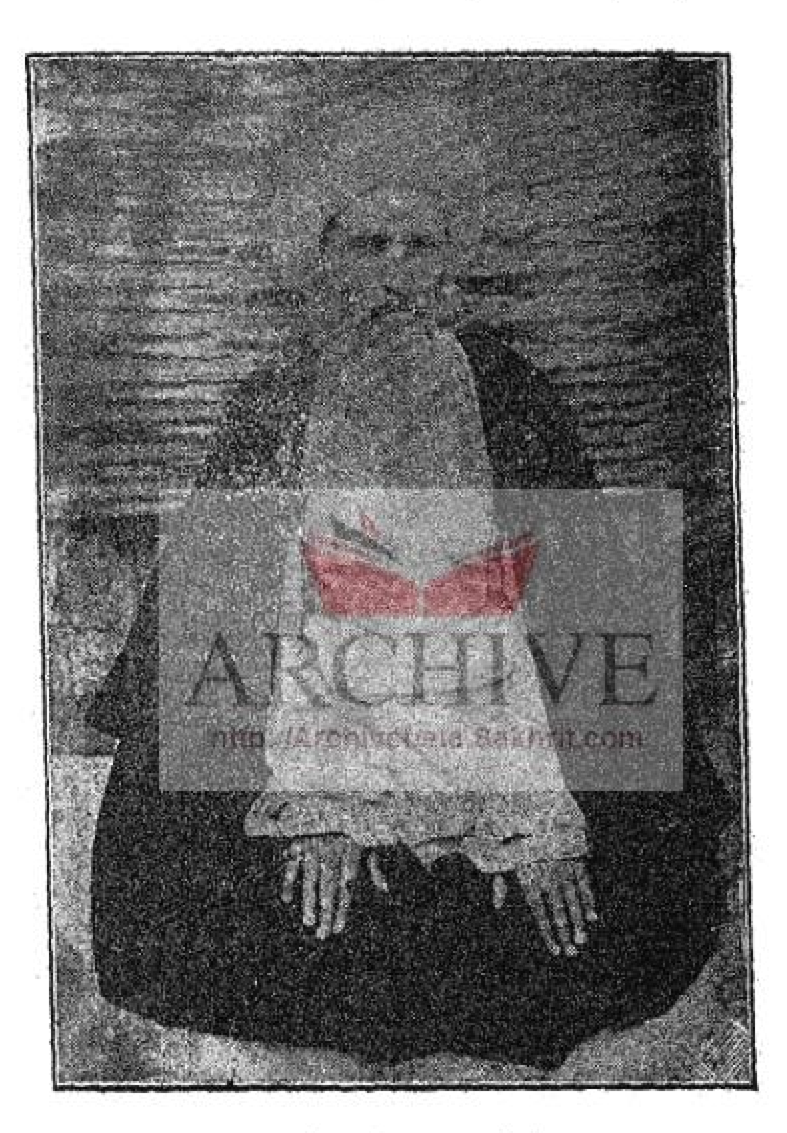


اجتماع علماء النجف بثريا باك

وقد نشطهم غير العثمانيين وحسوهم وانما الفضل لما في قلوبهم من حب الحرية وما في نفوسهم من الشمم واباء الضيم · وما في صدورهم من الشجاعة الادبية · فانهم قاوموا ظلم الشاه ودسائس الاجانب وصبروا على القتل والنهب · وخصوصاً التبريزيون فقد برهنوا للعالم انهم رجال اشداء — ولا غرو فان هذه المدينة احرز سائر مدائن فارس لوسائل التمدن واكثرها حرية واحراراً وفيها ابتدأت هذه النهضة بانشاء المدارس على النسق الحديث مع طهران · وفيها مدرسة كبرى اساتذتها من متخرجي مدارس فرنسا وانكلترا · وفي تبريز انشئت أول مطبعة فارسية سنة ١٨٢٥ ثم اقتدت بها طهران وفي تبريز صدرت اول جريدة فارسية اسمها « روزنامه » في اواسط القرن الماضي . ثم كانت هي في مقدمة سائر مدائن فارس باسباب هذه النهضة وعواملها فلا عجب ان اظهر اهلها ما اظهروه من الثبات في طريق الحق وجاهدوا في سبيل الحرية فان العلم شقيق الحرية وعدو الاستبداد . ولذلك كان نصراء الدستور العثماني من العلماء والادباء وكان فوزهم على رجال العصر السابق فوز العلم على الجهل

صبر الايرانيون الاحرار على ظلم الشاه ورجاله صبر الاحرار ورأوا بعد ملازمة خطة الدفاع انهم قادرون على مهاجمة الظالمين في ديارهم فحملوا على طهران بجيش

متحمس متحالف ينصرهم العلماء والمجتهدون وهم فقهاء الفرس ولهم تأثير كبير على شعائر الامة. وكبيرهم اليوم ملا محمد كاظم خراساني في النجف. وحاصروها وجرت مناوشات



ملا محمد كاظم خراساني كبير المجتهدين

انتهت بهجوم الاحرار على طهران في ١٣ يوليو الماضي وعددهم لا يزيد على بضعة آلاف حتى دخلوها من بابها الشمالي الغربي ولم يلقوا مقاومة من الاهالي فاستبدلوا خفر الابواب والضابطة برجال منهم واجتمع رؤساؤهم في بهارستان (مجتمع النواب السابق) وهو لا يزال خراباً فاتخذوه مركزاً لجيوشهم وحكومتهم وأخذوا يصدرون منه الاوامر والمنشورات الى الجهات



احمد شاه ملك الفرس الجديد

وكان الشاه في معسكره بسلطان اباد وحوله جنده يشدون ازره ويشجعونه وهو يرجو ان يخرجوا الاحرار من العاصمة وقد جرت بين الفريقين مناوشات عديدة كان للقوزاق فيها شأن كبير وجاهد البختيارية الاحرار جهاداً حسناً وكان القوزاق اكثر ما يطلقون بنادقهم ومدافعهم من الثكنة على بهارستان فاصبح هم الاحرار الاستيلاء على الثكنة وقد عبر بعضهم عنها بالباستيل – قضوا في ذلك يومين وكان الاهالي على اختلاف عناصرهم واديانهم وفيهم الاتراك والارمن والافرنج وغيرهم ينصرون الاحرار ولم يبق

مع الشاه الا الجند وقد ساءهم انحياز الاهلين للاحرار فجعلوا يمنعون الوارد على طهران من الاطعمة ونحوها ويقفون في سبيل الفلاحين حملة الخضر وغيرها فزادت نقمة الناس على الشاه ورجاله

وفي ١٦ يوليو لجأ الشاه واهله الى وكالة روسيا في زركنده يطالب ان تحميه فنشروا على الوكالة العلمين الروسي والانكليزي وبثوا الحرس حولها . فالتجاء الشاه قوّى عزائم الاحرار لاعتقادهم انه لم يفعل ذلك الا لشعوره بالضعف عن مقاومتهم فزاد تحمسهم واخذوا يهنئون بعضهم بعضاً ويتواصون بالثبات واعلنوا خلع الشاه محمد علي وجرت المخابرة بينهم وبينه على يد سفارة روسيا وانتهت في ١٧ منه بخلعه وتولية ابنه احمد ميرزا مكانه وعمره ١٢ سنة فصار احمد شاه ملك الفرس من ذلك اليوم . وان يخرج الشاه المخلوع من ايران ليعيش في روسيا براتب عينوه له

هكذا فاز احرار الفرس بالدستور وقد بذلوا في سبيله اكثر مما بذله العثمانيون من الانفس او قاسوه من العذاب فعاد مجلس الامة الى العمل واخذ الايرانيون يهتمون في تثبيت دستورهم وقد عاد الهاربون وتكاتفوا على نصرة الحرية ولابد لتأييد ذلك الدستور من نشر العلم بين العامة وجهل هذه الطبقة هو العقبة الوحيدة التي يخشى منها على الدستور الايراني لان الايرانيين أمة واحدة لغتها واحدة ومذهبها واحد وعاداتها واحدة بخلاف الدستور العثماني فان العقبات في سبيله عديدة يكفيك منها اختلاف العناصر وتفرق اللغات وتعدد المذاهب والله ولي التوفيق

الهلال الثاني من السنتين ١٦ و ١٧

صدرت الطبعة الثانية من الهلال الثاني للسنة السابعة عشرة الماضية فمن كان في حاجة اليه فليطلبه من ادارة الهلال

وكذلك الهلال الثاني من السنة السادسة عشرة فقد تم طبعه ونرسله لمن لم يصل اليه من المشتركين

يلزم ادارة الهلال

يلزم ادارة الهلال الاعداد ٩ من السنة الرابعة و١ و٥ من السنة ١٧ للهلال بالثمن فمن يعثر عليها او بعضها يتكرم بها وله الفضل

الميزانية العثمانية

صدرت الميزانية العثمانية لعام ١٣٢٥ رومي الحالية وقد ناقش النواب فيها قبل ان أقروا عليها لانها أول ميزانية صدرت بعد الدستور بل هي أول ميزانية قانونية للدولة العثمانية فان الميزانيات التي كانت تصدر قبلاً على قلتها لم تكن الاَّ حبرًا على ورق على أن الحكومة العثمانية لم تصدر ميزانيتها منذ ١١ سنة وآخر ميزانية اصدرتها سنة ١٨٩٨ على عهد عبد الحميد هذه خلاصتها :

مصادر الايراد	جنيه عثماني	ابواب النفقة	جنيه عثماني
العشور	٤١٠٠٠٠٠	للمابين	٨٨٢٥٥٠
الويركو (الخراج)	٢٥١١٩٢٤	للدين العمومي	٦٤٥٩٣٠٦
التمنة	٥٠٠٠٠٠	التأسيسات الخيرية	٧٤٩٤٨٤
البدل العسكري	٨٨٦٢١٠	العسكرية	٤٤٨٩٦٩٨
ضرائب الاغنام	١٩٣٧٨٤٩	الجندرمة	١٠١٣٩٤٤
ايرادات اخرى	٣٢١٢٧٣	البحرية	٥٤٦٣٠٩
عوائد الجمارك	٢٠٠٠٠٠٠	الطوبجية	٤٦٢١٧٧
« التبغ والملح والمشروبات الخ	٢٠٧١١٤٦	الصدارة العظمى والداخلية	٩٨٩٣٢٢
الايرادات العسكرية	٥٣٢٧٩٣	المالية	٦٦٨٠١١
« الملكية	١٩٦٢٠٣٦	العدلية	٤٦١٤٤١
من الرجى	٥١٧٧٥	سائر المصالح	١٧٠٧٢٦٩
اموال الجزية	١١٣٦٣١٦		
(جملة الايراد)	١٨٥١١٣٢٢	(جملة النفقات)	١٨٤٢٩٤١١

فترى هذه الميزانية لم يبلغ مقدارها ١٩ مليونا مع ان ميزانية هذا العام زادت ثلاثين مليونًا وهاك خلاصتها :

ابواب النفقة	جنيه عثماني	ابواب النفقة	جنيه عثماني
الديون العمومية	٨٢٩٤٢٦٢	الصدارة	٣٤٤٩٤
الخزينة الخاصة	٥٢٢٥٧٠	شورى الدولة	٥١٥٢٢
المجلس العمومي اعيان ومبعوثان	٢١٥٣٤٦	الداخلية	٨٥١١٢

ابواب النفقة	جنيه عثماني	ابواب النفقة	جنيه عثماني
الامن العام	٤٠٣٦٣٠	البحرية	١٢٢٨٨٤٠
الخارجية	٢١٨٣١٠	الحلية (المشيخة)	٤٨٥٤٣٣
المالية	٢٧٢٣٢٣٤	العدلية والمذاهب	٦٥١٩١٧
ديوان المحاسبات	١٦٢٨٤	المعارف	٦٦٠٥٢٧
الرسومات (الجمارك)	٥١٤٨٣٨	الخراج والمعادن والزراعة	٣٣٤٢٦٢
البوستة والتلغراف	٦٩٢٨٩٩	التجارة والنافعة (الاشغال)	١٠٦٤١٢٣
الحربية	٨٢٨٠٥٤٢	السكة الحديدية الحجازية	٦٩٣٢٥١
الطوبخانة	٤٣١٤٥١	الدفتر الخاقاني (قادستر)	١١٣٨٢٠
الجندرمة	١٨٠٠٧١٤	الصحة	١٠٩٢٠
		(مجموع النفقات)	٣٠٥٢٨٣١١

مصادر الايراد	جنيه عثماني	مصادر الايراد	جنيه عثماني
الويركو (الخراج)	٢٤٣٥٧٦٤	رسوم البحرية	١٦١٥٥٤
ضريبة التمتع	٤٧٢١٧٥	رسوم صحة الحيوانات	١٩٣٢٨
البدل النقدي	١٢٨٩٦١٢	الصيد البري والبحري	١٣٥٣٤١
التكاليف الشخصية	٢٨٣٤٤٤	الملح	١١٦٤٨١٨
رسوم الاغنام والجمال والجواميس	١٦٦٩٣٤٩	الريجي وحصة الديون والخزينة	٩٥٠٩٧٣
الاعشار	٥٣٨٣١٠٢	ريجي التنباك	٤٠٠٠٠
رسوم الغابات المخصوصة	١٢٦٨٦١	البارود	٧٢٦٣٤
رسوم المعادن	٥٥٥٥٨	المسكوكات	١١٠١٣
اثمان تذاكر الضرائب	٥٦٦٠١	البوستة والتلغراف	٧٩٢٥٨٩
حاصلات الاملاك الاميرية	٦٢٠٣٣٣	حاصلات السكة الحجازية	٧٦٠٠٠
اعانة المنافع والمعارف	٧٧٠٢٣١	معمل الحراء الغازي بطولمه بغجه	٥٧٢٠٦
رسوم التمغة	٤٢٥١٦٠	حاصلات مكتب الصنائع	٩٢٠٠
الخرج	٣٧٠١٢٨	واردات كباري الخليج	٥٩٣٦٥
القيديات	٢٦٨٨٥٨	حاصلات المعادن	١٢٤١٣٤
رسوم المسكر وبيع التنباك	٢٨٥٢٤٣	الايرادات من بيع الاملاك	٨٦٢٦٠
رسوم الكمرك	٣٩٤٦٢٤٤	اثمان الاشياء التي تباع	٢٤٣٧١

مصادر الايراد	جنيه عثماني
حاصلات الخراج الاميرية	١٥٤٨٠٠
و يركو مصر وزيلع وقبرس وابنه روز وسيسام	٨٨١٣١٦
واردات معاملات الخزينة	٨٩٤٦٧
تمتعات بنوك الزراعة	٧٧٠٩٨
حاصلات المكتب الطبي	٣٠٧٧
براءات الاختراع	١٩٣١
الجزاء النقدي (الغرامات)	١٧٢٥٧
من حاصلات الشركات ذات الامتيازات	١١٩٣٥
من السكة الحديدية	١٧٣٢٤
من القومبانيات ذات الامتياز	١٧٦٨٠
اعانات السكة الحديدية الحجازية	٢٤٩٥٤٠
التجهيزات العسكرية	٥٨٦٣٤٣
الحاصلات المتفرقة	٣٩٠٠١٦
(مجموع الايرادات)	٢٥٠٧٨٩٦٢

فمن المقابلة بين خلاصة الميزانيتين يتبين لك ان فرق الايراد اكثره في دخل الجمارك والاعشار والبدل العسكري وأما النفقات فاكثر الزيادات في نفقات الحربية فانها تضاعفت هذا العام عما كانت عليه قبله وزاد المدفوع للديون العمومية نحو مليوني جنيه وزادت نفقات المالية نحو مليونين ايضاً . ولذلك فالعجز على المالية العثمانية هذا العام نحو خمسة ملايين جنيه عثماني سيقتدون لها قرضاً

القطب الشمالي

تاريخ اكتشافه

١ — معرفة بقاع الارض

يظهر مما عرفناه من تاريخ الانسان المتمدن انه تكاثر أولاً حول البحر المتوسط وقضى اجيالاً طوالاً لا يعرف غير البلاد المحدقة بذلك البحر مبعث التمدن القديم بمصر وبابل واشور وفينيقية وقبرس واثينا رطروادة ونحوها . ثم اخذت معرفة الناس تمتد الى كل ناحيته بتوالي الاسفار للارتزاق او الغزو اوالتماساً للاكتشاف حتى عرفوا القارات وحدودها واكتشفوا العالم الجديد وجزائر المحيط وأخذوا يسعون في اكتشاف القطبين

وكانت معرفتهم بقاع الارض تختلف باختلاف الامم والاعصر فاليهود على زمن

موسى لم يكونوا يعرفون من الارض الا البحر المتوسط ومصر والشام والعراق و بلاد العرب واسيا الصغرى و بعض بلاد فارس واليونان . واما اليونان فلم يكونوا يعرفون من العالم على عهد هوميروس الا أسيا الصغرى و بلاد اليونان ومصر وسوريا وسائر شواطئ البحر المتوسط . ثم اتسعت معرفتهم على زمن هيرودوتس في القرن الخامس قبل الميلاد فعرفوا بلاد العرب وما بين النهرين و بلاد فارس و بعض الهند وتركستان وشمالي افريقيا و بعض السودان وجنوبي أوربا الى بوغاز جبل طارق . وزادوا على زمن سترابون في القرن الأول قبل الميلاد معرفة خليج فارس وشواطئه و بلاد الحبشة و بوغاز باب المندب . واتسعت المعرفة في الدولة الرومانية بسبب الفتوح فعرفوا شواطئ افريقيا من كل جهاتها الا الجنوب وشواطئ اسيا الى اطراف الهند ومن الشمال اعالي تركستان واما أوربا فعرفوها الى شمالي المانيا وطافوا حول شواطئها الغربية

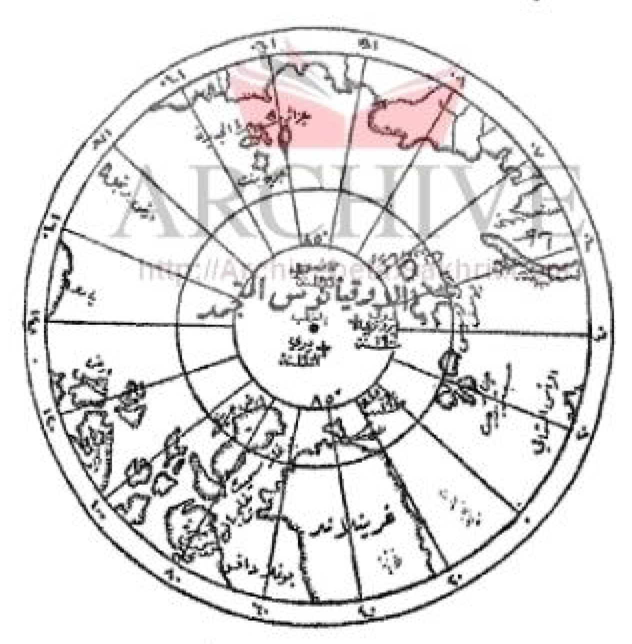
ثم كان الاسلام وفتوحه الواسعة فطرق المسلمون بلاداً لم يطرقها سواهم فاخترقوا اسيا وافريقيا ووصفوا كثيرًا من اواسطها ويظن البعض انهم داروا حول افريقيا وانهم اكتشفوا اميركا بما لا محل لتحقيقه هنا . ولكنهم اكتشفوا كثيرًا من جزائر المحيط وجزائر الاتلانتيك وعرفوا من اصقاع الارض اكثر من سائر الامم التي تقدمتهم ولكنهم لم يعرفوا شيئاً عن قطبيها . وكانوا يعدون القطب الشمالي من جملة مجهولات الارض وهو عندهم من الاقليم السابع وفيه بلاد ياجوج وماجوج والبحر المحيط الغامر

وما زالت معرفة الناس عن الارض محصورة في ما يجتمع من اسيا واوربا وافريقيا حول البحر المتوسط والبحر الاحمر والبحر الاسود وخليج فارس وعلى شواطئ البحر الهندي والاتلانتيكي حتى بزغ فجر التمدن الحديث واخذ الاوروبيون بالنهوض من سباتهم . فكان في مقدمة مساعيهم نحو هذا التمدن الرحلة لاكتشاف الطرق التجارية المختصرة الى الهند . واول من سعى في ذلك البرتوغاليون في اواخر القرن الخامس عشر وكانوا اهل تجارة وملاحة وقد علموا بما في الهند من المحصولات والمعادن الثمينة وكانت الطريق اليها شاقة بالبر فعمدوا الى اكتشافها بالبحر فاكتشفوا في اثناء مسيرهم بالاتلانتيكي سواحل غينيا ثم رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٨٦ و بلغ هذا الخبر خريستوفوروس كولمبوس فلاح لهُ ان الطريق الى الهند أقرب من جهة الغرب لان الارض كروية فسار في عرض

الاتلانتيكي غرباً فعثر على اميركا . وقس على ذلك سائر الاكتشافات فقد كان الغرض الاصلي من السعي فيها تقريب المواصلات التجارية ولمثل هذا السبب رحل الناس الى الاقصاع المتجمدة الشمالية

٢ — الطور الاول في البحث عن طريق الهند

وكان الناس قبل هذه التمدن يطلبون الرحلة نحو الشمال للبحث عن جزيرة ذكر بيتياس اليوناني انها توجد في تلك الاقصاع سماها « طولي » فاكتشفوا غرينلايد وغيرها ولم يعثروا عليها . فلما كانت نهضة اوربا في القرن السادس عشر وبعده لتقريب المواصلات دخلت تلك الرحلات في طور جديد وصار الغرض منها اكتشاف طريق مختصرة الى الهند واول من باشر ذلك الانكليز . ومن اقدم بعثاتهم اليها بعثة السير ويلوبي سنة ١٥٥٣ ولم يكن غرضه محصورًا في اكتشاف طريق الهند



خريطة القطب الشمالي وما اكتشف حوله الى سنة ١٩٠٧

فاكتشف نوفا زمبلا واقتدى به سواه حتى قام فوربشر سنة ١٥٧٦ وجهز بعثة جعل غرضها الاصلي اكتشاف طريق الهند من جهة الشمال فاكتشف اماكن سماها باسمه . وجاء بعده جون دافس اشهر ملاحي ذلك العصر فرحل في هذا الغرض سنة ١٥٨٥ بطريق غرينلاند وباسمه يعرف بوغاز دافس (راجع الخارطة)

ثم اهتم الهولنديون باكتشاف الطريق الى الهند والصين براً فالف احدهم

بلانشيوس سنة ١٥٩٤ حملة بنى لها مركباً من منة طن عهد بقيادته الى وليم بارنتس فتوصلوا بعد رحلتين الى بحركارا وفي الرحلة الثالثة سافروا من امستردام وبعد مشقات واخطار اكتشفوا جزيرة بيار وما زالوا حتى اشرفوا على جزائر سبتزبرجن عن بعد وكادوا يدركونها فاعاقهم الجليد فعادوا ولكنهم سموا ذلك المكان البلاد الجديد . وكانوا يظنونه جزءا من غرينلاند . واتت رحلة بارنتس هذه بنتائج مالية حسنة لانها اكتشفت مصائد للاسماك اكتسب منها الهولنديون اموالاً طائلة

ومن مشاهير اهل الرحلة في الاقصاع الشمالية هنري هدسن رحل رحلته الاولى سنة ١٦٠٧ فاكتشف آخر حدود غرينلاند شمالاً وتفحص الحدود بينها و بين جزائر سبتزبرجن فوصل الى الدرجة الثمانين و٢٣ دقيقة وتفحص في رحلته الثانية الجليد بين سبتزبرجن ونوفا زمبلا . وفي رحلته الثالثة اكتشف نهرًا في شمالي اميركا سماه باسمه واكتشف مصائد الحيتان في سبتزبرجن . وتبعه في البحث عن الحيتان بافن فاكتشف خليجاً سمي باسمه واقتفى اثرهما كبتن ادج سنة ١٦١٧ وغيره

وفي نحو ذلك الزمن اهتم ملك الدنمارك بارسال البعثات من عنده والانكليز لا يزالون يشتغلون في هذا السبيل فلم ينقض القرن السابع عشر حتى كان اهل النشاط والهمة من الملاحين قد اكتشفوا بلاداً كثيرة اهمها بوغاز هدسن وخليجه و بوغاز دافس وخليج بافن وبحور الجليد من غرينلاند الى سبتزبرجن ومن هذه الى نوفا زمبلا وعمدوا في القرن الثامن عشر الى استثمار تلك الاكتشافات اكثر من السعي في اكتشاف غيرها . فاستفاد الانكليز من مصائد الاسماك في ذلك القرن مالاً كثيرًا وصارت تجارة الاسماك ذات شان كبير عندهم . واخذت الحكومة تنشط اهل الهمم لمواصلة الاكتشاف لهذا الغرض

والروسيون بدأوا بعد استيلائهم على سيبيريا يرتادون اصقاعها الشمالية واول من فعل ذلك منهم سيمون دشنيف ركب سفينته سنة ١٦٤٨ في نهر كوليما فوصل الى خليج انادير واقتدى به روسي آخر سنة ١٧٣٨ تعب في هذا السبيل ولم يوفق الى مراده . واهتم بطرس الاكبر قيصر الروس سنة ١٧٢٥ فاوعز الى الكبتن بيرين الدنماركي ان يشكل بعثة للرحلة الى الشمال فابتنى سفينتين وخرج بهما فوفق سنة ١٧٢٦

الى اكتشاف البوغاز بين اسيا واميركا و يعرف باسمه الى اليوم وتالفت بعثات اخرى على عهد خلفاء بطرس اكتشفت جزرًا و بقاعاً في سيبيريا

٣ـ الطور الثاني في البحث من باب العلم

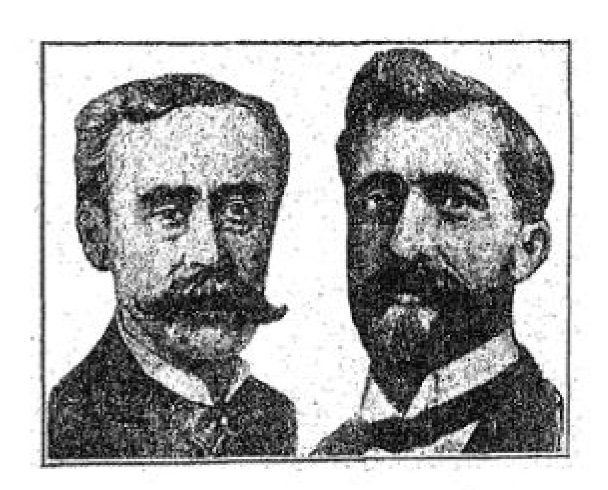
قد رأيت ان القصد الاول من هذه الرحلات اكتشاف طريق قريب الى الهند ثم تحول الى اكتشاف المصائد ونحوها واخيرًا اصبح الغرض مجرد حب الاطلاع وتحقيق المسائل العلمية وكان اكثر الامم اهتماماً به من هذا الوجه الانكليز فانهم حملوا حكومتهم على استئناف السعي في الاكتشاف باواخر القرن الثامن عشر. فتالفت الجمعيات لهذا الغرض وانفذوا رجالاً للبحث والتنقيب وفي جملتهم الكبتن كوك الرحالة الشهير (غير الدكتور كوك) فانه امر سنة ١٧٧٨ ان يذهب من كمشتكا شمالاً شرقياً او شمالاً غربياً للبحث عن طريق موصل بين الاوقيانوس المحيط والاوقيانوس الاتلانتيكي فتوصل بذلك الى رأس البرنس اوف ويلس أبعد اطراف اميركا الشمالية من جهة الغرب بعد ان قطع بوغاز بيرين

ثم طرأت حروب الانقلاب في فرنسا وظهر بونابرت فشغل اوربا عن كل عمل. حتى اذا غلب سنة ١٨١٥ عادت انكلترا الى البحث عن القطب الشمالي ـ استحثها على ذلك السيرجون بارو فاستصدر قراراً سنة ١٨١٨ ان تدفع الحكومة ٢٥,٠٠٠ جنيه لمن يكتشف الطريق الشمالي الغربي و٥٠٠٠ جنيه لمن يصل الى الدرجة ٨٩° من العرض الشمالي فانفذ بارو في تلك السنة بعثتين تسير احداهما بطريق سبتزبرجن والأخرى بطريق خليج بافن فالاولى اضطرت للرجوع خوفاً من جبال الجليد الساحفة عليها والاخرى كانت بقيادة الدكتور روس وادوارد بري ووفقت الى تحقيق اكتشاف بافن وعثرت هناك على مصائد للحيتان . وذهب بري بعد ذلك في بعثة أخرى . ثم خرج راي سميث فاكتشف بوغازاً عرف باسمه (بوغاز سميث) وذهب غيره وغيره مما يطول شرحه ولا يسعه المقام

وتألفت الجمعيات في اهم ممالك أوربا واهتمت بجمع المال لانفاذ البعثات العلمية للاكتشاف واصبح الغرض الرئيسي منها اكتشاف القطب الشمالي نفسه وصار سنة ١٨٨٢ لكل دولة منها نقطة انتهت اليها بالاكتشاف على يد احد رجالها على هذه الصورة

اسم الدولة	محطتها في البحر المتجمد الشمالي
نروج	بوسكوب والتن فيورد
اسوج	جزاير سبتزبرجن
هولندا	مينا دكسن من جهة سيبريا
روسيا	جزيرة ساغستير نوفا زمبلا
اميركا	نقطة بارو في شمالي اميركا
الانكليز	بحيرة العبيد في كندا
الالمان	خليج كمبرلاند جنوبي بوغاز دافس
الدانمارك	كودهاب في غرينلاند
النمسا	جان ماين في الاتلانتيك الشمالي

ولم يقف الناس عند هذا الحد فما زالوا يشكلون الجمعيات ويبعثون البعثات ويرحلون في طلب القطب . وابعد ما وصلوا اليه من تلك الاصقاع الى آخر القرن الماضي ان نانسن الرحالة وصل سنة ١٨٩٥ الى الدرجة ١٤ ° ٨٦ والملازم كاني وصل سنة ١٩٠٠ الى درجة ٣٤ ° ٨٦ وبلغ نحو ذلك ايضاً في تلك السنة دوق بروتزي ابن عم ملك ايطاليا فاصبح على ٢٥٧ كيلو متراً من القطب



كوك بيري

وآخر اهل الرحلة منهم بيري وكوك الاميركيان اللذان اكتشفا القطب بالامس وكل منهما يدعي الفضل لنفسه واليك خبرهما :

بيري مهندس اميركاني له شغف بالطبيعيات ولا سيا طبيعة الارض وشكلها وحركاتها فوجه فكره الى مسألة القطب الشمالي واكتشافه لتحقيق القضايا الطبيعية المتعلقة به . فانبأ المجامع العلمية في اميركا انه قادر على حل هذ المشكلة اذا أعانته في تجهيز ما يلزم للسفر الى تلك الاصقاع . فتشكلت لجنة لهذا الغرض اصطنعت سفينة بخارية خاصة بهذه الاسفار اسمها « النسر » بمساعدة نظارة البحرية الاميركانية فركب سفينته سنة ١٨٨٦ وهو لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره وأخذ يرتاد الاصقاع المتجمدة ثم عاد ورحل اليها ثانية بعد خمس سنوات سنة ١٨٩١ على الباخرة « كايت » من بروكلين وقد صمم ان يجعل وجهته القطب رأساً وأخذ معه امرأته وكانت عوناً كبيراً له في تقوية عزيمته وتجديد آماله بحكمتها وشجاعتها . وبعد تقلبات شتى كسر احدى فخذيه وقاسى بسبب ذلك عذاباً عظيماً حتى وصل سنة ١٨٩٢ الى الدرجة ٨٢° واكتشف محلاً اسمه ملفيل عند رأس كليفلاند وعاد الى اميركا وأخذ في اعداد بعثة ثالثة على الباخرة « فلكون » فسافر مع امرأته في ٢٣ يونيو سنة ١٨٩٣ وهي حامل فوضعت بنتاً في ١٢ سبتمبر على شواطئ غرينلاند الغربية في درجة ٧٧ من العرض الشمالي

وواصل بيري السعي والهمة من سنة ١٨٩٦ – ١٩٠٢ فبلغ الى الدرجة ١٧-٨٤° من ذلك العرض . وفي سنة ١٩٠٦ اكتشف طريقةً الى القطب فخرج على الباخرة « روزفلت » مع ٢١ من الاسكيمو سكان تلك الاصقاع في طريق تجنب بها مجاري الجليد فوصل في افريل سنة ١٩٠٧ الى عرض ٦-٨٧° وآخراً في ٦ افريل سنة ١٩٠٨ وصل الى درجة ٩٠° وهو القطب الشمالي ورفع عليه العلم وقد فرح بذلك فرحاً عظيماً لكنه لم يكد يعود الى العالم المتمدن ليبشره بهذا الاكتشاف حتى قرأ ان الدكتور كوك ارسل تلغرافاً من غرينلاند في اول سبتمبر الماضي سنة ١٩٠٩ عن طريق الدنمارك انه اكتشف القطب في ٢١ افريل من السنة الماضية (١٩٠٨) فانكر بيري عليه ذلك وأخذت الجرائد تبحث وتناقش ولا تزال

أما الدكتور كوك فقد بدأ رحلته لاكتشاف القطب بنفسه في اوغسطس سنة ١٩٠٧ على الباخرة برادلي وجعل طريقه اليه من بوغاز سميث وقد مرَّ من هناك ولم يعلم به أحد وظنه الناس ضاع اومات . واشتهر الدكتور كوك برغبته في اكتشاف القطب

منذ اعوام وكان قد تعين سنة ١٨٩١ - ١٨٩٢ طبيباً في حملة بيري و رافقها في رحلتها تلك واظهر جسارة وثباتاً عظيمين . وهو يقول الآن انه ادرك القطب في ٢١ افريل سنة ١٩٠٨ وستظهر الحقيقة قريباً

٤ - عدد الذين ذهبوا ضحية هذا الاكتشاف

فاكتشاف القطب الشمالي كلف العالم اموالاً طائلة ومشقات جسيمة لا يمكن احصاؤها . وقد احصوا الارواح التي ذهبت ضياعاً في هذا السبيل في اثناء البعثات الكثيرة الى القطب فبلغت ٧٥٣ نفساً من أمم مختلفة . وهذا جدول يتضمن عددالذين ذهبوا ضحية طلب القطب الشمالي من البعثات اوالافراد وكثيراً ما كانت البعثة المؤلفة من خمسين او ستين او مئة او اكثر تفقد دفعة واحدة كما ترى :

سنة	بعثة	عددالوفيات	سنة	بعثة	عدد الوفيات
١٥٥٣	السير ويلوبي	٦٢	١٧٧٣	ملكريف	٣
١٥٥٤	ريشارد كانسلر	٨	١٧٧٦	كبتن كوك	٤
١٥٧٨	فوربشر	٤٠	١٨١٨	بري في رحلتين	٨
١٥٨٥	كبتن دافس	١٤	١٨٢٩	جون روس في رحلتين	٥
١٥٩٤	بارنتس	٣٥	١٨٣٩	بيز وشمشون	٥
١٦٠٧	هنري هدسن ونايت	١٣	١٨٤٥	فرنكلين في ٣ رحلات	١٤١
١٦١٢	توماس بتن	١٤	١٨٤٩	النجم الشمالي	١٥
١٦١٩	جنس مونك	٦٢	١٨٤٩	لوفر وهرالد	٣
١٦٣١	توماس جيمس	١٤	١٨٥٣	راي وكين	٩
١٦٣٤	جان ستارس	١٤	١٨٦٠	هول في ثلاث رحلات	٧
١٦٤٨	دشنف	٧٠	١٨٧٢	بيكتوف وسميث	٤
١٧١٩	جيمس نايت	٥٠	١٨٧٥	بعثة انكليزية	٤
١٧٣٥	لاسينيوس وبرونشستن	٥٥	١٨٧٩	جانت ديلون	٢٣
١٧٣٩	شارلتن لابتير	١٢	١٨٨١	غريلي	٢٠
١٧٤٢	بيرين في رحلتين	٤١	١٨٩٦	اندريا (بالبالون)	٣

صحة العائلة

داء السل

سبب انتشاره في بلادنا

قد انتشر هذا الداء الوبيل في كل اقطار المعمور انتشارًا عظيماً واخذ يفتك بالناس على اختلاف احوالهم في المدنية والغنى فتكاً ذريعاً . ولذلك عدوه العدو الاعظم للجنس البشري واصبحت الامم الراقية في المدنية تخشى على بنيها من فتكه . واخذت تدبر كل الوسائل الممكنة لمقاومته وتخفيف وطاته حفظاً لكيانها . وآخر ما اجرته امم العالم الراقية من هذا القبيل اجتماع موتمر طبي في مدينة واشنطون عاصمة البلاد المتحدة استمر من ٢١ ستمبر لغاية ١٢ اكتوبر سنة ١٩٠٨ اشترك فيه كل دول العالم وارسلوا وفوداً من الاطباء وحضره الحكام والعلماء والمحسنون وكثير من رجال الانسانية والفضل حتى بلغ عدد الحضور نيفاً وخمسة آلاف نفس وتبارى الجميع بالرأي والعمل لاتخاذ افضل الطرق الجارية الآن والتي يمكن اجراؤها في المستقبل لمقاومة هذا الداء فلم يتركوا شاردة ولا واردة حتى كشفوا القناع بابحاثهم عن مزايا هذا الداء واهمية تشخيصه في بدء الاصابة وطرق المعالجة والوقاية منه واليك اهم المواضيع التي تكلموا فيها

(١) وجوب اتخاذ الطرق الفعالة لاجل اطلاع العموم على معرفة حقيقة هذا المرض وانتشار عدواه بالمكروب

(٢) ضرورة ايجاد شرائع للاعتناء بالمصابين

(٣) ضرورة ايجاد مستشفيات خصوصية لاجل معالجة هذا المرض

(٥) و(٦) و (٧) مواضيع تتعلق بطرق المعالجة وزد على هذا كله انهم عرضوا كل الاختراعات والاكتشافات الحديثة للمعالجة ولطرق بناء المستشفيات وللوسائل التي تتخذ لاجل انتشار المعرفة بين العموم للوقاية من المرض . هذه هي أهم المواضيع التي بحث بها المؤتمر واهمها كلها هو البحث عن الطرق التي يجب اتخاذها لاستنارة العموم ليتمكنوا من الوقاية لان المعرفة قوة تدفع الامراض كما تدفع الاعداء واليك الاسباب

التي دعت لانتشار هذا الداء في بلادنا فأقول :

ان هذه الاسباب تقسم الى قسمين مهمين أولا اسباب خارجية وثانياً اسباب داخلية فالاسباب الخارجية هي أولا المهاجرة وثانياً فساد الآداب . وهذا الفساد وان يكن موجوداً بالشرق فقد ازداد أيضاً بالمهاجرة — فالمهاجرة اذاً مطالبة بفساد الآداب ومسببة انتشار السل ولو امعنا بالبحث أيضاً لوجدنا ان فقدان التربية الحقيقية والتهذيب الحقيقي في بلادنا هما أساس بلائنا وسبب فساد ادابنا وانتشار السل بيننا سواء كان ذلك في المهجر أو في بلادنا . فيتضح اذاً ان الاسباب الرئيسية التي دعت لانتشار السل عائدة بالاولى الى الاسباب الداخلية . وعليه نضرب صفحاً عن الاسباب التي تحدث في المهجر ونأتي على ذكر الاسباب الداخلية لاننا احوج الى ذكرها اذ باصلاحها تتم الفائدة

(الاسباب الداخلية) تقسم الى قسمين عظيمين : أسباب عمومية وأسباب خصوصية — فالاسباب العمومية هي أولا الجهل الفاضح المستولي على عقول كثيرين لا يعتقدون بضرورة الوقاية من الامراض المعدية فيخالطون المسلولين و يعصون نصائح الطبيب ولا يعملون الا بموجب اعتقاداتهم وخرافاتهم

ثانياً ان مدارسنا ومنازلنا مفتقرة جداً الى ايجاد دروس خصوصية لاجل تعليم قواعد حفظ الصحة والنظافة في المعيشة . ويا حبذا لو ان مجلاتنا وجرائدنا تساعد على نشر هذا المبدأ فتكتب من وقت الى آخر في المواضيع الصحية كما تفعل جرائد العالم المتمدن لان المواضيع الصحية هي اكثر فائدة من المواضيع الفلسفية التي تنشرها أحياناً

والاسباب الخصوصية ١ الاطباء والدجالون ٢ المصابون بالمرض ٣ الحكومة والاغنياء ٤ طرق المعيشة

١ قد يستغرب الكثيرون من نسبة سبب انتشار السل الى الاطباء والدجالين ولكن هي الحقيقة نقولها واليك الايضاح . لقد كان الطب بالماضي مقصراً عن تشخيص المرض في بدء الاصابة وقد بقي هذا التقصير او العجز معلقاً باذهان البعض فلو دعوا في البداية لتشخيص المرض نسبوا ذلك الى برد او زكام في شعب الرئة وقالوا ان المسألة بسيطة فيعالجون مريضهم بطريقة الاهمال حتى تتحول حالة المريض الى الدرجة الثانية

ويستفحل الامر . ولا تسل عن الاضرار التي تنجم عن هـذا التقصير لان المريض يكون حينئذ مطلق الارادة ولا رادع من الطبيب يردعه فيخالط ويؤاكل من شاء وينقل مكروب مرضه القتال الى الكثيرين . وقد يوجد أيضاً قسم آخر من الاطباء الذين يعتقدون ضرورة اخفاء معرفة المرض عن المريض فيكذبون عليه ويطمئنون خاطره خشية من ان يخاف . والبعض يطلعون أهل المريض على حقيقة المرض ويوصونهم بالوقاية وكلا الحالتين خطأ عظيم لا يغتفر لان كذب هؤلاء وجهل أولئك مضرّان على السواء . ومن الواجب ان يقال الصدق للمريض ذاته بطريقة لطيفة ويبرهن له عن حقيقة المرض واهميته وكيف ان الانسانية والشفاء أيضاً يوجبان عليه وقاية الناس ونفسه من العدوى . ويجب على الطبيب المعالج ان يعطي للمريض ولاهل بيته التعليمات اللازمة للوقاية وان يكتب له طريقة ترتيب معيشته ليسير بموجبها وعليه ان يؤكد للمريض تأكيداً صادقاً انه اذا أطاع هذه الاوامر يكون قابلاً للشفاء وان اهمل فلا امل له بالصحة

٢ المصابون بالمرض : فعلى ما لاحظته على الغالب انهم لا يصدقون الطيب ان مرضهم السل فيحملهم الجهل على تغييره بطبيب يخفي الحقيقة عنهم او ان الحقيقة تخفى على الطبيب فيثقون به ويتعالجون عنده مدة الى ان يستفحل الامر ولعدم الوقاية تنتقل العدوى الى الكثيرين من الاهل والاصدقاء . فالى مثل هؤلاء الدجالين والى مثل هؤلاء المصابين تصرخ الانسانية باعلى صوتها قائلة « اشفقوا على اخوانكم بالانسانية واعتبروا كم من عيال انقرضت بسبب انتشار هذا الداء الوخيم » فعلى الاطباء ان لا يخفوا حقيقة المرض عن المريض وعلى المريض ان لا يعصى اوامر طبيبه

٣ الحكومة والاغنياء : لو نظرنا الى اعمال الرحمة والانسانية التي تصدر على يد حكومة اميركا وأوربا وعلى ايدي الاغنياء والمحسنين في تلك البلاد وقابلناها بما يجري في بلادنا من هذا القبيل لوجب علينا ان نقول انا عبيدٌ بطالون فالبلاد مفتقرة الى جمعيات يتكاتف اعضاؤها على اغاثة الفقراء المصابين بهذا الداء . والامل من حكومتنا الدستورية واغنيائنا ان يشيدوا المستشفيات الخصوصية ليداووا بها المسلولين من

الفقراء مجاناً وان يتخذوا الطرق اللازمة لاجــل تحسين حالة الفقراء

٤ طرق المعيشة : لقد تقدم ان عيالنا في افتقار الى تعلم طرق المعيشة الصحية ولا يتم هذا الا متى استنارت العقول بتعليم المدارس الوطنية وازدياد الثروة بالبلاد من احياء الزراعة والصناعة والتجارة وكل هذه المسائل منوطة بحكمة رجال دولتنا فنسأل الله ان يلهمهم ما فيه نجاح البلاد وخير العباد آمين

(البترون . سوريا) الدكتور جرجي نور

الزواج ورجال العلم

نشرت مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية مقالة للمستر سدني لو في « الزواج ورجال العلم » بحث فيها بحثاً احصائياً تاريخياً عن العلماء الذين تزوجوا وعن حالهم مع نسائهم من حيث الراحة او التعب وكيف حال الذين لم يتزوجوا منهم . وبنى احكامه على احوال ٦٨ من مشاهير كتاب الانكليز . وخلاصة ذلك ان ٢٥ كاتباً من هؤلاء لم يتزوجوا والباقون تزوجوا ولم يتمتع بسعادة الزيجة منهم الا عشرون واما الباقون وهم ٢٣ كاتباً فقد كانوا في اتعس حالات العيش في بيوتهم وجرى على نحو هذه الخطة في البحث عن علاقة الزواج بنساء العلم فوصل الى مثل تلك النتيجة

وهذه اسماء الذين سعدوا بالزواج من علماء الانكليز وكتابهم : بنيــان . دفو . ستيل . فيلدن . سمولت . جونس . شريدان . كراب . وردسوورث . سكوت . لاي هونت . مور . دي كونسي . داروين . فرود . ارنولد . كنسلي . تنيسن . بروننغ . وليم مورس

وهذه اسماء الذين تعسوا بالزواج : شكسبير . ملتن . دريدن . ييبس . سويفت . أديسن . ستيرن . بوسويل . بيرنس . كلوردج . شلي . بيرون . هزلت . لينن . كارليل . رسكن . لاندر . ديكنس . ثكري . روستي . فيتزجرالد

وأما الذين لم يتزوجوا فهم : هوبس . نيوتن . لوك . كسونغريف . اوتوي . بوب . بريور . ريتشاردسن . جيمس طمسن . غراي . هيوم . ادم سميث . غولد سميث . جين بركو . بنتام . كيتس . شارلس لامب . ما كولي . نيومن . جون

طويلاً على يد استاذ ماهر . وهذا ما كان يقعد بالناس عن تحسين خطوطهم . فوفق نجيب بك هواويني الخطاط الشهير الى اختصار صور حروف الرقعة الى أربعة احرف (الالف والباء والغين والنون) ويجمعها قولك « نابغ » اذا تعلم الطالب كتابتها هان عليه ضبط سائر الحروف . فالباء مثلاً اذا قطع آخرها صارت دالاً كما ترى في هذا الشكل | واذا أدير رأسها صارت فاء | واذا نزعت رأس الدال صارت راء | واذا أضيفت مدة الباء الى أول النون صارت سيناً او شيناً وهكذا . وقد وضع لهذه القواعد تمارين في دفاتر للخط سماها « السلاسل الذهبية » يجدر بالمدارس التعويل عليها في تعليم هذا الفن . وقد يتعلم بها من يريد اتقان خطه من غير التلامذة بمدة قصيرة . وجربنا ذلك باحد اولادنا فتحسن خطه تحسناً بيناً بجلسات قليلة فنشكر لهواويني بك على هذا الاختراع ونرجو الانتفاع به

مطبوعات جديدة

١ — الروايات

﴿ ١٧ رمضان ﴾ صدرت الطبعة الثانية من هذه الرواية لمؤلفها منشئ الهلال وهي تاريخية غرامية تتضمن مقتل الامام علي ثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان

﴿ فتاة غسان ﴾ صدرت الطبعة الثالثة من الجزء الثاني لفتاة غسان تأليف منشئ الهلال وهي غرامية تاريخية يتضمن ظهور الاسلام وفتح الشام والعراق وقد ترجمت هذه الرواية الى اللغات الانكليزية والاوردية (الهندستانية) والدراويدية (التاميل) لغة سنغافورا وهي جزءان ثمن الجزء عشرة غروش واجرة البريد غرشان

﴿ غادة كربلاء ﴾ صدرت الطبعة الثانية من هذه الرواية تأليف منشئ الهلال وهي غرامية تاريخية تتضمن مقتل الحسين في كربلاء وقد نقلت الى اللغة الفارسية وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان

﴿ جهاد المحبين ﴾ وصدرت الطبعة الثانية لهذه الرواية لمنشئ الهلال وهي ادبية

غرامية تمثل عواطف المحبين وجهادهم ثمنها ستة غروش والبريد غرش ونصف وجميع هذه الروايات تطلب من مكتبة الهلال بالفجالة ومكتبة التأليف بشارع عبد العزيز

﴿ اسرار الاستانة ﴾ صدرت ثلاثة اجزاء من هذه الرواية تأليف سعادة بك مورلي من ضمن سلسلة الروايات العثمانية وتطلب من صاحبها ومن مكتبتي الهلال والتأليف

﴿ شرلوك هولمز ﴾ صدرت أربع قصص من هذه الروايات في كتاب واحد تعريب نسيب افندي المشعلاني وهي تباع في مكتبة التأليف ومكتبة الهلال وثمن الكتاب أربعة غروش وأجرة البريد غرش

﴿ خاتمة عقد بني سراج ﴾ هي رواية تاريخية جغرافية يتقدمها نقد حياة مؤلفها شاطوبريان ونبذة تاريخية تتعلق ببني سراج . وتشتمل على بسط احوال الاندلس وبلاد المغرب في أواخر دولة العرب تأليف وترجمة محمد افندي المشيرقي المترجم بالحكومة التونسية وتطلب من حضرته بتونس وثمن النسخة فرنك وربع .

﴿ وردة البوبرية ﴾ هي رواية تاريخية تتضمن سياحة في بلاد الزولولاند تأليف اوجين باريس ونقلها الى العربية حبيب افندي سالم بالمحكمة المختلطة بالمنصورة • وتطلب من مكتبتي التأليف والهلال وثمن النسخة ٤ غروش والبريد غرش

﴿ دواوين جديدة ﴾ هي خمسة دواوين لخمسة من نوابغ شعراء الجاهلية وصدر الاسلام ـــ اولاً : ديوان الفرزدق طبعة جديدة منقحة ثمنها ٤ غروش والبريد غرش• ثانياً ديوان النابغة الذبياني عليه شرح البطليوسي ثمن النسخة ٤ غروش والبريد غرش . ثالثاً ديوان علقمة الفحل طبعة جديدة منقحة ثمنها ٣ غروش والبريد نصف غرش• رابعاً حاتم الطائي طبعة جديدة ثمنها ٣ غروش والبريد نصف غرش . خامساً ديوان عروة ابن الورد عليه شرح ابن السكيت طبعة جديدة مصححة ثمن النسخة ٣ غروش والبريد نصف غرش وجميع هذه الدواوين تطلب من مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز بمصر

٢ ـــ مجلات وجرائد

١ ـــ الحسناء : هي المجلة النسائية التي اعلنا قرب ظهورها وقد صدرت الآن وهي علمية ادبية تاريخية اخلاقية لمنشئها جرجي افندي نقولا باز ويساعد في تحريرها نخبة كاتبات سوريا تصدر في بيروت مرة في الشهر وقيمة اشتراكها عشرة فرنكات

في بيروت و١٢ فرنكاً بالخارج ٢ — الكوثر : مجلة علمية فنية سياسية تصدر في بيروت مرة في الشهر لصاحبها ومحررها بشير افندي رمضان بدل اشتراكها مجيديان في بيروت ومجيديان ونصف في الولايات العثمانية و١٥ فرنكاً في الخارج ٣ — النعمة : مجلة دينية علمية اخبارية تصدرها البطريركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق مرتين في الشهر بدل اشتراكها مجيدي ونصف في دمشق ومجيديان في الولايات العثمانية و١٥ فرنكاً بالخارج ٤ — الخواطر : هي جريدة سياسية تصدر في المسكيك مرتين في الاسبوع لمنشئها ورئيس تحريرها يوسف افندي صالح الحلو قيمة اشتراكها عشرة ريالات مكسيكية ٥ — الروضة : هي جريدة سياسية تصدر في بغداد باللغتين العربية والتركية مرة في الاسبوع لصاحبها عبد الحسين افندي الازري بدل اشتراكها في السنة ثلاثون غرشاً في بغداد و٤٠ في الولايات العثمانية وعشرة فرنكات في الخارج ٦ — الحرية : جريدة سياسية ادبية اخبارية لصاحبها ورئيس تحريرها داود افندي مجاعص تصدر في بيروت كل سبت بدل اشتراكها ٥ فرنكات في المملكة العثمانية و٨ في الخارج ٧ — نينوى : جريدة ادبية سياسية تصدر في الموصل كل اسبوع بالعربية والتركية لصاحبها فتح الله افندي سرسم ومديرها فخري زاده محمد امين بدل اشتراكها ٣٥ غرشاً و١٠ فرنكات في الخارج

قائمة مكتبة الهلال

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٠ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

وكلاء الهلال في البرازيل

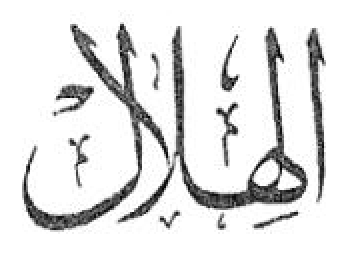
نرجو من مشتركينا الكرام في ريوجنايرو اعتماد الخواجات عقل شديد واخوانه وكلاءنا عن الهلال وان يدفعوا اليهم البدل بوصولات ممضاة من الادارة وهذا عنوانهم:

Rua da alfandega, 358 rio de Janeiro

ونرجو من مشتركينا في ماناوس اعتماد فيليب افندي ضو وكيلاً عنا وعنوانه

Rua das romedias No 1, Caixa Postal 201

وان يسلموا اليه بدلات الاشتراك بوصولات ممضاة من الادارة



الجزء الثاني من السنة الثامنة عشرة

اول نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩٠٩ و ١٨ شوال سنة ١٣٢٧

الاستانة العلية

موقعها ومناظرها وآثارها وقصورها ومتاحفها

وأحوالها الاجتماعية والعلمية والادبية والسياسية

٥ - متاحفها ومعارضها

ليس في الاستانة متاحف تستحق الذكر بالقياس على متاحف العالم المتمدن لحداثة عهدها بالتنقيب عن الآثار والاحتفاظ بها ولكنها تمتاز بآثار فيها لا وجود لها في سواها . وبمخزن في سراي طوب قبو فيه تحف وجواهر لامثيل لها في العالم — وليس هو من قبيل المتاحف المعروضة للناس لكننا وفقنا الى رؤيته فاحببنا نشرهُ للقراء . فاذا عددناه متحفاً كانت المتاحف والمعارض في الاستانة خمسة وهي : ١ المتحف العثماني ٢ متحف چينلي ٣ متحف طوب قبو ٤ معرض السلاح ٥ معرض الانكشارية

١ — المتحف العثماني

واقع في مكان السراي القديمة قرب سوق چشمه انشأوه سنة ١٨٨٥ وزادوا عليه قاعتين فرغوا من بنائهما في العام الماضي . وقد عرضوا فيه ما اجتمع عندهم من الآثار التي عثروا عليها في صيدا وسائر فينيقية والاناطول وغيرها من آثار الحثيين والاشوريين والمصريين واليونانيين وفيها قطع لامثيل لها في العالم اهمها ناووس كبير من الرخام يسمونه

ناووس الاسكندر او قبره . وجدوه في صيدا سنة ١٨٨٥ وحملوه الى الاستانة وعيون العالم شاخصة اليه لما فيه من دقة الصناعة (انظر رسمهُ في صدر هذا الهلال)

يسمونه ناووس الاسكندر لان على ظاهره نقوشاً تمثل معركة الاسكندر الكبير مع داريوس في اربلاء وليس هو قبره لان الاسكندر لم يدفن في صيدا . فلعله مدفن احد قواده او رجال دولته . وقفنا عند هذا الناووس طويلاً وقد اخذ جماله بعقلنا ولو وقفنا اياماً ونحن نتأمل نقشه ما مللنا الوقوف ولا اكتفينا من التأمل. وهو قطعة واحدة من الرخام الابيض طولها نحو ثلاثة امتار فوقها غطاء من الرخام وكلاهما منقوش بدقة ولباقة

وقد ادهشنا فيه على الخصوص النقش الممثل لواقعة اربلاء فان فيه عشرات من الفرسان والافراس لكل منها موقف خاص وهيأة خاصة يراد بها حالة من الاحوال التي يقتضيها النزال من الهجوم والدفاع والغضب. والخوف والرجاء وغيرها . ويمتاز رجال الاسكندر بالبستهم وقيافاتهم عن رجال داريوس . فاليونانيون على رؤوسهم الخوذ والفرس عليهم شبه الخمار والبستهم كالدراعات القصيرة . وانك ليبهرك ما تراه من الملامح الواضحة في كل رجل وفي كل فرس مع صغر تلك الصور . فترى الظافر وقد شهر الحسام بيده وبدت امارات الظفر على وجهه ويكاد الشرر يتطاير من عينيه . وبين يديه المغلوب على امره وقد بان الفشل في سحنته وتجد المصاب بنبل في صدره اوجنبه قد تجعدت اسرته وبانت علامات التألم في جبينه وعينيه . والظفر في مجمل الصورة بجانب الاسكندر فترى بعض رجال داريوس قد وقعوا عن افراسهم وداستهم سنابك الخيل وآخرون طعنوا وهم على خيولهم وقد استفرس اليونان وما فيهم الا من شهر الحسام او اوتر القوس . ويظهر لك وهو يصوب السهم انه يسدده تسديداً واضحاً

ناهيك بمواقف الافراس بين قائم على رجليه وقد انتفخ منخراه وحملقت عيناه حتى لتتوهم انك تسمع صهيله وتخاف ان يزل حافره فيقع فارسه عنه . على انك تتحقق ثبوت ذلك الفارس مما تتوسمه في ساقهِ من الجهد الظاهر بانقباض عضلاتها حتى توترت العروق وبرزت

ورأينا في بعض جوانب الناووس صورة تمثل خروج القوم للصيد وقد اطلقوا كلابهم وفهودهم وارسلوا أفراسهم . فوثب اسدٌ على احد الفرسان حتى انشب براثنه بكتف

الفرس واغرس نابيه بصدره — وقفنا عند هذا المنظر ساعة ونحن نتفرس بما على وجه الفرس من مظاهر الألم والغضب وكأنهُ يحاول النهوض على قدميه لعله يفلت من براثن الاسد . والاسد قد كشر حتى بانت أنيابه وقد انشبت في صدر الفرس فمزقت الجلد و بان اللحم من تحته . وفي وجه الاسد وعينيه ملامح الظافر الكاسر وترى أظافره قد مزقت كتف الجواد . وكانك ترى اللحم يقطر دماً من خلال الجلد الممزق

ورأينا على جانب آخر من الناووس صوراً أخرى بعضها يمثل امرأة حزينة ضاع ابنها او قتل زوجها وتكاد تسمع صوت نحيبها . والظاهر ان تلك النقوش كانت في اول امرها أقرب الى تمثيل الطبيعة بقدرٍ او أسلاك من ذهب او نحوها مثلوا بها ازمة الخيل وأوتار الاقواس وقنا الرماح وقد ذهبت لطول عهدها . ويظهر أيضاً ان بعض تلك الصور كان ملونا بالوان يقربه من الطبيعة كالاحمر يمثل الدم في الجروح ونحو ذلك . و بالجملة ان هذا الناووس اعجوبة من اعاجيب الاتقان الفني ولا نظن الصناعة بلغت الى اتقن من ذلك من اقدم ازمانها الى الآن

وفي المتحف ماعدا ذلك كثير من الآثار البيزنتية والفارسية والفينيقية والرومانية لاباس بها لكنها لا تذكر في جانب ناووس الاسكندر . وهناك تماثيل حثية وجدوها في زنجرلي وناووس من رخام اسود فينيقي عليه كتابة هيروغليفية يقال انه كان فيه جثة مدفونة سنة ٢٠٠٦ ق م . وفي الطبقة العليا من المتحف صور دينية مسيحية مرسومة بالفسيفساء (موزايك) بينها صور قديسين عليها كتابة يونانية . ورأينا في احدى الغرف العليا عالماً أثريا يحل رموز بعض القرميدات الاشورية وعليها كتابة بالحرف المسماري قرأ لنا بعضها فاذا هي صكوك وعقود وقوائم حساب

٢ — متحف چينلي

هو تجاه المتحف العثماني واقدم منه واجهته مغطاة بالفسيفساء الزرقاء وقد كتب عليه ان محمد الفاتح بناه بعد الفتح سنة (٨٦٠ هـ) ثم اصلحه مراد الثالث . ولعله كان مبنياً وادخل الفاتح تغييراً في بنائه . وهو مؤلف من طبقتين ويحتوي على آثار اسلامية أكثرها عثماني في جملتها صورة خير الدين باشا (بربروسا) على حجر . وكثير من اجنحة الابواب الاسلاميـة والسجاد الثمين والادوات التاريخية بينها كرسي كان يجلس عليه

السلطان سليم الثالث كثير الشبه بكراسي هذه الايام الاعتيادية ظهره مكسو بالمخمل الاحمر. وكرسي آخر لمحمد الفاتح اكبر من ذاك مكسو بالمخمل وحول قوائمه شراريب القصب وله ذراعان يستند الجالس عليهما

ورأينا كثيراً من الادوات الفلكية كالاسطرلاب والكرة وفيها كرة من نحاس عليها رسم الارض يقال انها من عهد السلاجقة. وركاب للخيل من الذهب وصورة السلطان سليم الثالث بالزيت. وهي في اعتبارنا اول صورة حقيقية لسلاطين آل عثمان لانهم لم يكونوا يأذنون بتصويرهم من قبل. ومصباح من البلور عليه اشعار منقوشة بالمينا من زمن السلطان محمود الثاني

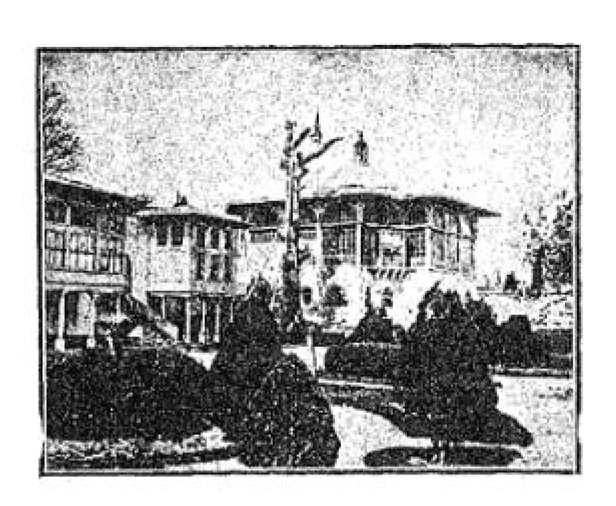
٣ – متحف طوب قبو

ونريد به مستودع التحف والجواهر المخزونة في سراي طوب قبو. وهي عبارة عما بقي من تحف الفرس والعرب والروم والاتراك تجمعت بتوالي الاجيال من الغنائم والهدايا. وكانت هذه التحف محفوظة في صناديق بسراي طوب قبو فامر السلطان عبد العزيز باخراجها وترتيبها فوضعوها في واجهات من زجاج بالبناء الذي كان يقيم فيه امبراطور الروم قبل الفتح العثماني وهو من جملة تلك السراي — حبسوها هناك واقفلوا عليها بالاختام فلا يسمح برؤيتها ولا دخول تلك السراي الا باذن خاص من جلالة السلطان. وقد صدرت لنا الارادة السنية بذلك بناء على التماس رئيس مجلس المبعوثان فتفرغنا لدرسها يوماً مخصوصاً واليك خلاصة ذلك الدرس :

سراي طوب قبو

واقعة بجانب جامع اياصوفيا والضربخانة على الهضبة الاولى من هضاب استامبول وهي عدة ابنية وقصور يتصل اليها من جهات مختلفة ونحن واصفوها كما دخلناها. دخلناها من الباب المواجه لسبيل السلطان احمد واذا أعدت النظر على صورة ذلك السبيل في الهلال الماضي رأيت الباب في طرفها الى اليسار وهو أول ابوابها من هذه الجهة ويقال له «باب همايون». دخلنا فيه الى بقعة مسورة اشبه بطريق خربة فيها اشجار ضخمة من السرو. والى يسار المدخل بلصق السور بضعة قبور حجارتها حمراء بينها قبر قسطنطين الذي غلبه العثمانيون. ووراء ذلك الى اليسار باب متحف السلاح — وسنعود اليه

اجتزنا تلك البقعة وطولها نحو ٤٠٠ متر الى باب آخر هو الاوسط ويسمى «اورته قبو» قد كتب على عتبته العليا «لا اله الا الله محمد رسول الله» وعلى جدرانه



سراي طوب قبو - داخل الباب الثالث

من الداخل اسلحة عثمانية قديمة بينها بلطات وتادو قد نزل فيها الذهب على اشكال مختلفة منها على البلطات «هو الفتاح» - دخلنا هذا الباب الى ساحة أخرى اشبه ببستان مهمل فيه أشجار ضخمة أكثرها من السرو طولها الى الباب الثالث نحو ٣٠٠ متر . في آخرها الى اليسار بناء يممنا نحوه فوجدناه غرفة كبيرة مملوءة بالاوراق المتراكمة هي سجلات الحكومة متروكة بلا نظام تشبه الدفترخانة لكن بدون ترتيب . وقد اصاب الحريق بعض اطرافها . ولا يظهر ان الحكومة تحتاج الى شيء منها . وتأملنا هذه القاعة فاذا هي قبة كبيرة اسمها «قبة التي» كان يجتمع فيها الوزراء . وفي اعلى الحائط المقابل شبه شباك بارز من النحاس كان يجلس السلطان فيه ليشرف على اعمال الوزراء وهم مجتمعون

ومن ادلة احترام هذه القاعة في عهد السلاطين القدماء ان الوزير كان بعد دخوله باب اورته قبو يتجه نحو هذه القبة وقبل الوصول اليها بمئة متر يسجد عند مسطبة مستديرة في وسطها سروة ضخمة سجود الاحترام . ثم يمشي خمسين متراً ويسجد عند مسطبة أخرى مثلها ويسجد المرة الثالثة عند بابها ثم يدخل

وتنتهي هذه الساحة بالباب الثالث واسمه «اقا لر قبو سي» أي باب الخصيان

البيض . وبين يديه منرس العلم في حفرة خاصة بذلك . وهو باب فخيم نقش فوقه « انه من سليمان وانهُ بسم الله الرحمن الرحيم » وفي قفا هذا الباب من الداخل اسماء السلاطين مكتوبة بالذهب وبينها طرتان . ويتصل من هذا الباب الى ابنية كثيرة وقصور جميلة . اولها مما يلي الباب بناية يسمونها «العرض» كان السلطان يجلس في قاعة منها كبيرة لمقابلة من يأتيه لعرض شيء . صعدنا الى تلك القاعة فوجدنا في صدرها مجلساً كالسرير طولهُ نحو اربعة امتار كان يجلس السلطان في صدره على مقعد ثمين ويجلس



قاعة العرض

في سراي طوب قبو

العارضون بين يديه جثوًّا . وفي الحائط بجانب السرير حنفية ينطلق منها الماء بشدة وله خرير قوي فكانوا يطلقونه وهم يجتمعون حتى يمنع من بالباب من الخدم أو غيرهم من سماع المداولة

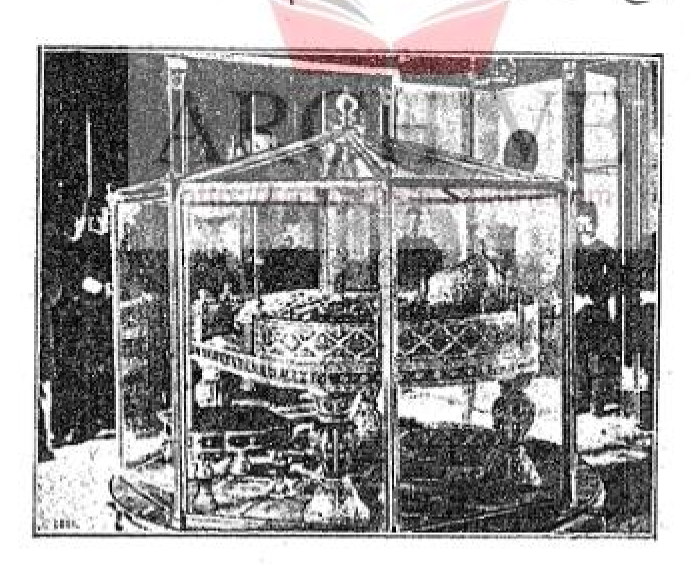
وقد ابدلوا هذه الطريقة من التكتم بعدئذ باحتياط آخر . وذلك انهم استخدموا في امثال هذه الاحوال خدماً صماً

وبالقرب من هذا البناء بناء آخر فيه مكتبة نفيسه كتبها مرتبة في خزائن وكلها خطية ومجلدة تجليداً عربيًّا وعلى كل كتاب اسمه واسم مؤلفه وهي مقسمة حسب الفنون والمواضيع وعدد مجلداتها نحو ٣,٠٠٠ مجلد

تحف آل عثمان

وبعد هـذا البناء نحو اليمين قصر قسطنطين وهو السراي القديمة التي كان امبراطور الروم يسكنها وفيها التحف التي نحن في صددها . فلما اشرفنا عليها تقدم رئيس الخصيان المنوط بهِ امرها ففضَّ ختماً كان على بابها بعد ان تفرَّس فيهِ وتحقق سلامتهُ واذن بدخولنا فاستوقف نظرنا لاول وهلة لمعان الجواهر وبهرنا ما لقيناهُ في ذلك المكان من التحف التي لا مثيل لها في العالم . ولا يسع المقام شرح كل ما حواه ذلك المعرض فنأتي بأهم ما فيهِ كما رأيناه

فالمعرض المذكور مؤلف من ثلاث غرف كبيرة فوقها ثلاث غرف مثلها حول جدرانها وفي وسطها الخزائن والمواقف مسيجة بصفائح الزجاج وفيها التحف متراكمة أو متراصة لكثرتها وضيق المكان عنها . ولو أريد عرضها كما يفعل الافرنج في متاحفهم لاقتضى لها بضع عشرة غرفة مثل هذه — وأهم تلك التحف : —



عرش اسماعيل شاه

١ عرش اسماعيل شاه : انه اول ما استلفت انتباهنا عند دخولنا المعرض وهو كرسيٌّ يتألق بالجواهر قائم في وسط الغرفة الاولى ضمن خزانة من الزجاج كما ترى في الشكل . هو عرش اسماعيل شاه ملك الفرس غنمهُ منه السلطان سليم الفاتح سنه ١٥١٤م وكان قد حمل عليهِ حتى حصره في تبريز ففرَّ منها اسماعيل شاه وغادر معسكره بما فيهِ من

النساء والمجوهرات والتحف والاموال فاستولى عليها السلطان سليم والعرش المذكور في جملتها . واستعاض الفرس بعده بعرش فتح علي شاه ثم عرش الطاووس وكلاهما مرصع بالجواهر الثمينة

وعرش اسماعيل هذا كرسي من الذهب الخالص له اربع قوائم وقد رصع هو وقوائمهُ باللؤلؤ والالماس والزمرد . شكلهُ اهليلجي طوله نحو متر ونصف وعرضه نصف ذلك . وظهره بشكل المثلث في وسطهِ ثم يمتد الى الجانبين ويلتف قليلاً نحو الامام بحيث لا يبقى من المحيط إلا مكان يدخل منه الشاه . وكان يصعد اليهِ فوق كرسي صغير لهُ اربع قوائم محجرة ايضاً (انظر الشكل) فاذا صعد الشاه اليهِ قعد الاربعاء . وهو يسع رجلاً آخر يجلس معه

كنار هذا العرش وقوائمه مصنوعة من الذهب وقد رصعت باللؤلؤ صفوفاً اللؤلؤة بازاء اللؤلؤة في حبال متعددة واللؤلؤة بحجم العدسة الكبيرة لكنها كروية . فاللؤلؤ المذكور مصوغ على الذهب في صفوف مزدوجة الزوج الاول منها عند حافة الكرسي من الاعلى يظهر في الصورة عند التأمل . والزوجان الآخران في الاسفل حول القاعدة . وبين هذين الزوجين صف من الالماس والزمرد والياقوت . وبين القاعدة والحافة العليا مربعات منحرفة من حبال اللؤلؤ او هي شبكة من تلك الحبال . وفي المربعات المذكورة بالوسط والمثلثات على الجانبين حجارة كبيرة من الياقوت والزمرد والالماس . وبين الشبكة المذكورة والصفين حول القاعدة زوج رابع من حبال اللؤلؤ يتصل بالزوج العلوي عند طرف هذا الكنار بالامام . غير ما على الطراحة من التطريز على دائرها . واعتبر ذلك بالقوائم فانها مرصعة بحبال من اللؤلؤ بينها حجارة الالماس والياقوت والزمرد فاذا حسبنا طول هذه الحبال على الكرسيين الكبير والصغير ربما بلغ طولها خمسين متراً او ستين

فاعتبر كم في المتر الواحد من هذا الحب وهو متلاصق الواحدة بازاء الاخرى وكم قيمة اللؤلؤة بحجم العدسة الكبيرة اذا تكورت . واضف الى ذلك الاحجار الاخرى في الاخلية بين اللؤلؤ والذهب المصنوع الكرسي منه يتضح لك قيمة هذا الكرسي المالية فضلاً عن قيمته التاريخية

٢ً الابسطة المرصعة : ذكر المؤرخون في جملة ماغنمه العرب من المدائن بعد فتحها « بساطاً طوله ستون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار ارضها مذهبة وخلال ذلك فصوص كالدر الخ» وذكروا لام الخليفة المستعين بساطاً « عليه صورة كل حيوان من جميع الاجناس كل طائر من ذهب وأعينها يواقيت وجواهر » وكنا اذا قرأنا ذلك وقفنا ننظر في ما يشتمل عليه من المبالغة . فاصبحنا بعد ان شاهدنا أبسطة آل عثمان في سراي طوب قبو لانستغرب شيئاً من هذا القبيل

رأينا ثلاثة أبسطة من الحرير معلقة بالحائط داخل خزائن من الزجاج اثنان منها سكريا اللون والثالث زهريهُ (بمبه) طول كل منها متران وأكبرها عرضه متر ونصف وهي مطرزة باللؤلؤ تطريزًا جميلاً على أشكال هندسية او طبيعية كما تطرز الستائر بالزوايا والمربعات والمثمنات او الدوائر والاقواس . لما وقع نظرنا على هذا التطريز حسبناه لاول وهلة زركشة بالحرير على شكل الاغباني . ولما تفرسناه وجدناه تطريزًا باللؤلؤ الجميل المتناسب بحجم اللؤلؤ على عرش اسماعيل شاه وفي البساط الاكبر عدة صفائح من ذهب بحجم الكف بينها صفائح اصغر منها بشكل الكواكب متفرقة وكل منها مرصع بالزمرد والياقوت والالماس بينها زمردات بحجم اللوزة . وفي وسط البساط الزهري اللون بقعة مستديرة قطرها ٢٥ سنتيمترًا وقد طرزت على شكل جميل بلؤلؤ كبير حجم اللؤلؤة منه نحو البندقة وعدد اللؤلؤ الداخل في هذه البقعة ٦٩ لؤلؤة

٣ً درع مرصعة : هي درع مراد الرابع كاملة بالخوذة والصدرة والزندين والركبتين والكفين والكتفين والساقين . مصنوعة من الفولاذ المذهب صنعاً متقناً وقد رصع كتفاها وكماها وساعداها ومنطقتها بالالمـــاس . وفي وسط المنطقة الماسة كبيرة تختطف البصر . وهناك ادراع كثيرة مرصعة لسلاطين لانعرف اسماءهم

٤ً البسة السلاطين . رأينا في احدى الغرف العليا أثواب السلاطين الرسمية من محمد الفاتح الى السلطان محمود الثاني ملبسة على اعمدة قائمة فتظهر كأنها على السلاطين وفوقها العمائم بدون رؤوس . وعلى كل عمامة ما كان عليها من الحلي والجوهرات التي كان صاحبها يزينها به في حياته يختلف شكلها باختلاف السلاطين . وحول خصر كل سلطان المنطقة التي كان يتمنطق بها وفيها خنجره . فالسلاطين المعروضة ثيابهم هناك ٢٤ سلطاناً هذه اسماؤهم :

محمد الفاتح (الثاني)	محمد الثالث	محمد الرابع	عثمان الثالث
بايزيد	احمد الاول	سليمان الثاني	مصطفى الثالث
سليم الاول	مصطفى الاول	احمد الثاني	عبد الحميد الاول
سليمان الاول	عثمان الثاني	مصطفى الثاني	سليم الثالث
سليم الثاني	مراد الرابع	احمد الثالث	مصطفى الرابع
مراد الثالث	ابراهيم الاول	محمود الاول	محمود الثاني

ولا يخفى ما في عرض اثواب هؤلاء السلاطين على هذه الصورة من الفائدة التاريخية فيخيل للواقف انه يرى جنداً من السلاطين . واذا قابل بين أشكالها ظهرت الفروق التي حدثت بين الملابس بتوالي الاجيال . على ان الفرق كان قليلاً الا في الازمنة الاخيرة . فثوب كل سلطان جبة تحتها فراجية او قفطان من نسيج الاسطوفا وحول الخصر منطقة وعلى الاكتاف فوق الجبة العباءة . وكانت العمامة في أكثر هذه المدة كروية الشكل كما ترى في ثياب السلطان سليمان

وانما يختلف السلاطين بالوان البستهم وبما على عمائمهم او على خناجرهم من الحلي . فالسلطان محمد الثاني اولهم كان ثوبه زهري اللون مخططه بلا فاصل واضح بين الالوان وعلى قبضة خنجره ثلاث زمردات في غاية الصفاء والجمال بيضية الشكل طول الواحدة ٤ سنتيمترات مصفوفة صفاً واحداً على طول القبضة مما يبهر الناظر . وعلى عمامته حلي يشبه الريشة مرصع بالالماس والزمرد وفي جملة ذلك زمردة اكبر من زمردات الخنجر . وعلى عمامة بيازيد طرة محجرة وعلى عمامة السلطان سليم ريشة محجرة

السلطان سليمان القانوني

وكذلك السلطان سليمان كما ترى في الصورة . وبدأ شكل العمامة يتغير من السلطان محمد الرابع . وفي وسط طرة هذا السلطان زمردة كبيرة . وفي طرة سليمان الثاني زمردتان



عبد الحميد الاول

كبيرتان اكبر من زمردات خنجر السلطان محمد وياقوتة حمراء مساحتها ثمانية سنتيمترات في سبعة وفوقها لؤلؤتان كل منهما بقدر اللوزة . واليك صورة عبد الحميد الاول وصورة سليم الثالث وعلى عمامتيهما ما يقرب من ذلك

٥ً تمثالان من اللؤلؤ : رأينا على أحد الرفوف تمثالين صغيرين من الذهب يمثلان ملكاً من ملوك فاس وخادمه طول الواحد نحو ١٢ سنتيمتراً صدر احدهما لؤلؤة واحدة كبيرة وفخذا الآخر لؤلؤتان — واللؤلؤ اذا كبر تضاعفت قيمته كثيراً كما لا يخفى

٦ً تواليت محجرة : التواليت في اصطلاح الافرنج مرآة تتحرك بين ذراعين قائمين على قاعدة لها ادراج . ويضعونها على طاولة لترى المرأة وجهها فيها وهي واقفة . فشاهدنا مثل هذه التواليت بين تحف آل عثمان قطر مرآتها ٤٠ سنتمتراً وطول الطاولة الموضوعة عليها نحو متر . والطاولة بما عليها مرصعة بالالماس في كل اجزائها . على اطار المرآة والقائمتين والقاعدة وفي وجوه الادراج وسطح الطاولة وقوائمها . وكل ما يظهر من هذه التواليت مرصع بالالماس مما يبهر النظر وهي

سليم الثالث

هدية الامبراطورة كاترينة لبلطجي باشا في اثناء حرب الدولة العلية والروس على عهد السلطان أحمد الثالث المتوفى سنة ١٧٠٢

٧َ عرش السلطان احمد الثالث : مصنوع من الباغة وهو مخصوص ليوم عرفة ومرصع بالزمرد والصدف وفي صدره زمردتان كبيرتان بينهما ياقوتة وزمردة فوقها دائرة من ذهب منقوش

٨ ثلاث زمردات : احـداها بحجم الكف وزنها كيلو غرام ونصف ولكنها ليست تامة الصفاء . والزمردة الثانية كروية الشكل اصغر من هذه . والثالثة اهليلجية الشكل وهما كبيرتان ايضاً وليس فيهما صفاء زمردات خنجر محمد الفاتح

٩َ ادوات مختلفة : شاهدنا هناك طشتاً وابريقاً من الذهب منزل فيهما مينا ازرق ومرصعين بالالماس والياقوت والزمرد ومواعين كبيرة (سلطانيات) بعضها مملوء زمرداً والبعض الآخر ياقوتاً . وصحوناً فيها معالق محجرة وأباريق محجرة ولؤلؤة مفردة بقدر البيضة الصغيرة . وشيشة (نرجيلة) مصنوعة صنعاً متقناً بحركة مكانيكية سرية . حول قرصها تحت الرأس صفيحة عليها تماثيل من الذهب والفضة اذا دخن بها مدخن تحركت التماثيل حركات رقص او نحوها . ورأينا مراوح محجرة وسرج فرس ركاباه من الذهب محجران بالالماس والياقوت والسرج نفسه محجر بالزمرد والمرجان . وسرجاً آخر من الذهب مرصعاً وچكمجة (علبة) مصفحة بالكهرباء باجمل صنع . وصورتي السلطان محمود الثاني والسلطان عبد المجيد بالحجم الطبيعي . وسيف السلطان بايزيد وسيف محمد الفاتح مرصعين ومنزلين بالذهب . وعشرات من الصحون الصينية قالوا لنا انها من صحون الدولة العباسية عليها نقوش عربية . وهي من الآثار الثمينة بالنظر الى مادتها فضلاً عن قيمتها التاريخية . واستلفت انتباهنا بنوع خاص امواس وصوان لكل سلطان صينية وموسى هو الموسى الذي اختتن به وكلها من الذهب مرصعة بالالماس . ناهيك بما هنالك من الطاسات المرصعة والمنزلة بالميناء . وكرة من الذهب مرصعة بالالماس . وساعة شمسية جديثة . وشاهدنا سيف قسطنطين صاحب القسطنطينية لم يبق منه الا النصل مجرداً . وعدة مفاتيح مذهبة هي مفاتيح القلاع شكلها جميل

ورأينا بين المعروضات طاسة صغيرة (سلطانية) فيها سبحة السلطان عبد الحميد

التي رددت ذكرها الصحف وقدروها بمبلغ ٧٥,٠٠٠ جنيه وهي من اللؤلؤ النظيف حباتها بحجم بزرة الزيتون لكنها لاتذكر بجانب ما تقدم ذكره من التحف . وشاهدنا عدة ساعات مختلفة الاحجام من آثار عبد الحميد . ونيشان الشفقة من زمن عبد العزيز مرصع ومروحة مرصعة . وطاقم فناجين قهوة من الذهب كسرجفت مرصع بالالماس . وعدداً كبيراً من البنادق المنزلة بالذهب والعاج وأعلاماً من اذناب الخيل كان يمتاز بها الوزراء في القديم . ومن أغرب ما رأيناه هناك صورٌ زيتية يزيد عددها على عشرين صورة بحجم النصف او الى الكتفين فقط ـ قالوا انها صور خلفاء بني العباس وهي مرسومة بالالوان الزيتية ولكنها طبعاً مبنية على الخيال . وهناك أصناف من الصيني لا تعدُّ ولا تحصى . وبين هذه التحف مجموعتان من النقود الذهبية العثمانية مرتبتين في خزانتين منصوبتين في وسط غرفتين . على ان لذلك البناء نفسه قيمة تاريخية خصوصية لانه مسكن امبراطور القسطنطينية ومنه أخذ

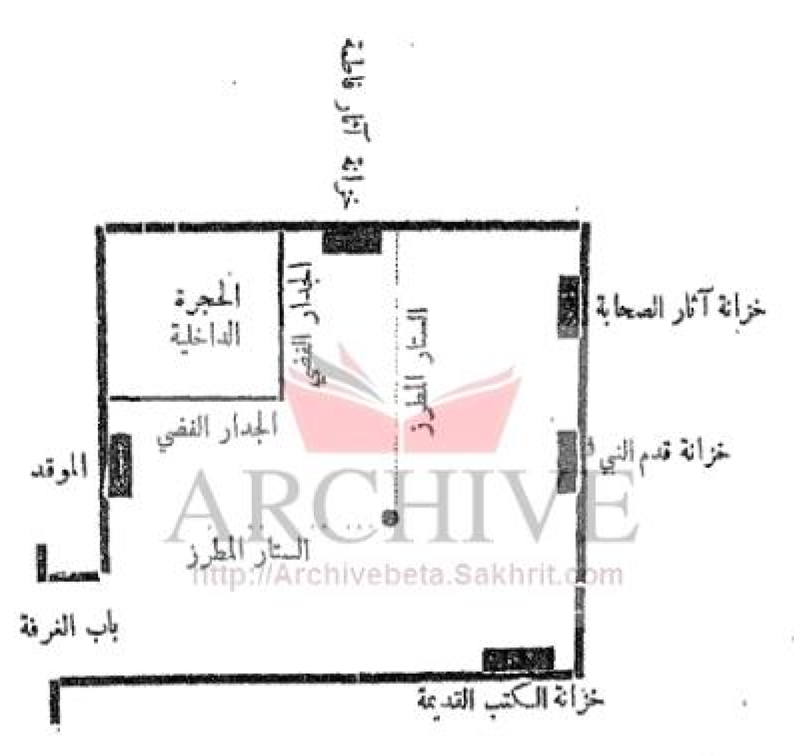
ويقال بالاجمال ان تحف آل عثمان لامثيل لها في دولة من الدول المتمدنة على مانعلم . ولعل الحكومة العثمانية تعنى بترتيبها وعرضها وتجعل لها دليلاً يذكر فيه تفصيل كل قطعة وأصلها وتاريخها ورسمها وتتقاضى على رؤيتها رسماً فتكون الفائدة مزدوجة . وبلغنا انها تهتم بذلك الآن

الآثار النبوية

دلنا الخبراء هناك على مكانين في طوب قبو يحتويان عن الآثار النبوية الشريفة أحدهما بجانب المكتبة التي تقدم ذكرها كان مقفلاً والآخر في قاعة كبيرة يقدسونها كالمساجد ويسمونها « خزنهٔ همايون » يحيط بها رواق مفروش بالحصر . جدارها مبطن من خارج ومن داخل بالقيشاني الثمين وقد علقوا على ظاهرها مئات من البنادق مكسوة بالنسيج الاحمر ومرتبة صفوفاً أفقية بينها مسافات متناسبة . ويقال ان السلطان سليماً حملها الى هناك من حروبه في الآفاق

دخلنا تلك القاعة باحترام وتهيب فرأينا مساحتها تزيد على عشرين متراً في عشرة أمتار أرضها مفروشة بالسجاد وفي أكثر أطرافها مقاعد ثمينة . وفي سقفها مصابيح مذهبة . مشينا الى منتصفها فاومأ الينا القيم ان نتحول نحو اليسار فتحولنا الى باب

عليه ستارتان كثيفتان وبجانبه علم اخضر ملفوف قبّله الجميع . ثم أشار الرجل بهدوء وسكينة ان ندخل فدخلنا من ذلك الباب الى الغرفة التي فيها الآثار النبوية . وهي مربعة الشكل مساحتها نحو عشرة أمتار بعشرة وقد قسمت الى ثلاثة أقسام الواحد داخل الآخر



تصوّر غرفة مربعة بابها في الجزء الجنوبي من جدارها الغربي اذا دخلتها كان الجدار الشرقي امامك والزاوية الغربية الشمالية الى يسارك . فهذه الزاوية قد اغلقت بحائطين من الفضة المخرمة يقابلان جانبيها بحيث يتكون من ذلك حجرة مسقوفة بقبة من الفضة . والحجرة المذكورة مساحتها ثلاثة امتار في مثلها . جداراها الشرقي والجنوبي من الفضة كما تقدم علوها ثلاثة امتار او اكثر . وقد تدلى عليهما من الظاهر ستارتان قصيرتان من الاطلس المطرز لا تحجبان نظر الواقف . وقد طرز على احداهما « شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وكفى بالله شهيداً محمد رسول الله »

وفي هذه الحجرة ثلاث دكك اثنتان ملاصقتان للجدار الغربي طول الواحدة منها متر وبعض المتر وفوق كل منها صندوق مجلل بمخمل اخضر مزركش . في احدهما العلم

النبوي وفي الآخر البردة لا يفتحان الا بحضور جلالة السلطان مرة في السنة والدكة الثالثة ملاصقة لجدار الفضة الجنوبي ليس عليها شيء . وباب الحجرة في جدارها الشرقي اذا وقفت به وقفة الداخل استقبلت الدكتين امامك وعليهما الصندوقان المذكوران . فالسلطان يدخل من هذا الباب للتبرك من ذينك الاثرين . أما باقي الآثار النبوية ففي المكان الذي تقدم ذكره بجوار المكتبة

ويقطع الغرفة وراء الجدارين الفضة وعلى بضعة امتار منهما ستارتان على موازاة ذينك الجدارين . اذا ارخيتا تألف منهما ومن الجدارين حجرة خارجية بشكل الزاوية تشتمل على الحجرة الداخلية المربعة الحاوية للآثار النبوية . والستارتان المشار اليهما من الاطلس الاخضر عليهما طراز من الذهب فيه آيات واحاديث في اجمل ما يكون . وهما تتدليان من عارضتين افقيتين يتكون عند ملتقاهما زاوية مرتكزة على عمود من الفضة . والقسم الباقي من الغرفة الكبرى بين هاتين الستارتين والجدارين الشرقي والجنوبي فراغ بشكل الزاوية . فتكون الغرفة مقسومة على الصورة التي رسمناها في الصفحة المقابلة كما علقت بذهننا

وقد شاهدنا على بعض جدران الغرفة وجدران الحجرة قطعاً من ستارة الكعبة مختلفة الحجم معلقة هنا وهناك وعليها طرازها المعلوم . وفي جدار الغرفة الشمالي بين الستارة والحجرة الداخلية خزانة رأيناها مقفلة وعلى قفلها ختم احمر لا يجوز فضه . واخبرنا حارس الآثار ان في هذه الخزانة مخلفات السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي وفيها مشطها وسواكها ومكحلتها ومرآتها وقد اقفلها السلطان عبد المجيد وختم عليها منذ نصف قرن ولا تزال مقفلة من ذلك الحين

وفي الجدار الشرقي خزانتان فتحوهما لنا . في احداهما مخلفات بعض الصحابة والأئمة موضوعة في علب او صرر على رفوف وكل علبة أو صرة مكسوة بالجوخ الاخضر وفي كل منها أثر من الآثار بينها علبة فيها فراجية أبي حنيفة النعمان وأخرى مخلفات الامام علي او غيره من كبار الصحابة ونصوص اصلية لأهم العقود والعهود الاسلامية

وفي الخزانة الأخرى آثار أخرى شاهدنا بينها رفا عليه علبة من الذهب الخالص يأخذ لمعانها بالبصر مفتوحة وفي داخلها رسم قدم النبي منقوش في رخامة من المرمر بالحجم

الطبيعي . وبين الخزانتين لوحة معلقة على الحائط وقد كتب فيها القرآن على اشكال هندسية بخط دقيق لكنه واضح جميل

وهنالك خزانة أخرى فيها كتب قديمة من رقوق أو جلود في جملتها قرآن اخرجوه لنا باحترام ووقار وهو مكتوب بالكوفية على رقوق قد تهرأت من تقادم عهدها وحجم هذا المصحف نحو ٣٥ سانتمتراً في ٢٥ قلبه لنا الحارس وأرانا صفحاته حتى أتى الى صحيفة عليها اثر الدم فقال « هذا مصحف عثمان الذي كتبه بيده وكان يوم قتل يقرأ في هذه الصحيفة فلما شجوا رأسه سقط الدم عليها كما ترونه » وقال « ان عثمان كتب بيده أربعة مصاحف ثلاثة منها موجودة هنا والرابع ضائع » وهذا الاعتقاد شائع هناك لكنه يفتقر الى اثبات وليس هذا محل تحقيقه

وقرأنا على جدران الغرفة نقوشاً من آيات واحاديث واشعار في جملتها بيت منقوش فوق عتبة الباب هو مطلع البردة :

امن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

ورأينا في الحائط الغربي بجانب الباب بين الستارة والحجرة موقداً تشعل فيه النار للاستدفاء في الشتاء وهو مصنوع من البورسلين المذهب . وفي الزاوية الشرقية الشمالية عمود العلم النبوي مشدود الى الحائط . ومن الآثار الثمينة هناك ميزاب الكعبة من خشب الصندل او العود ومنزل بالذهب . نقله الى هنا السلطان مراد الرابع وجدد ميزاباً سواه وهو الذي بنى هذه الغرفة وما يجاورها

وبجانب هذه الغرفة مكتبة دخلنا اليها من باب قريب فاذا هي صغيرة وفيها كتب في الخزائن على غير نظام . ولكنها مبطنة بالقيشاني مثل سائر ذلك البناء وسطحها قبة مبطنة برقوق الغزلان عليها رسوم ونقوش مذهبة وآيات وقد تهرأ بعضها فتقطع وازيح من مكانه فتحقق لنا انه رق

وأرونا بجانب خزنة همايون عند مدخلها الخارجي غرفة فيها مجالس قالوا انهم يسمونها « سنة اوطه سي » كانوا يختنون فيها اولاد السلاطين . وفي احدى نوافذها شبه مغطس من رخام كانوا يغسلون به الاطفال بعد الختان

قصر بغداد

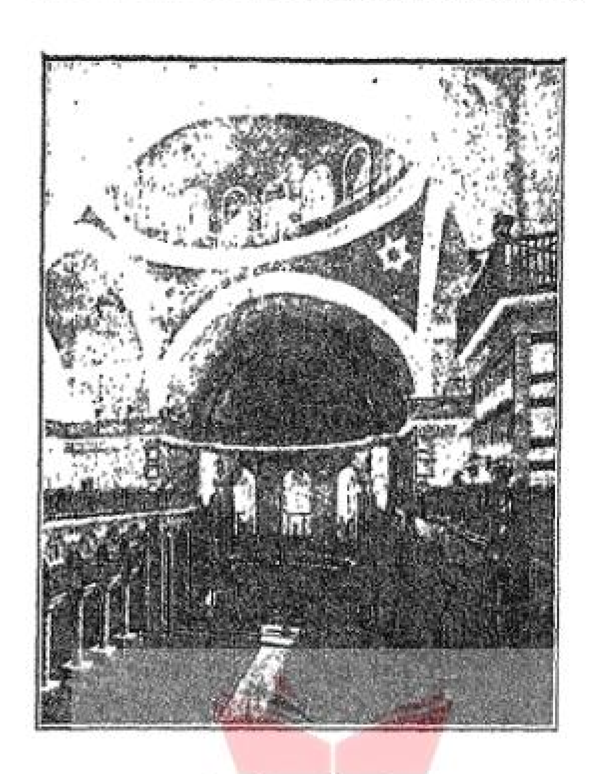
هو اجمل قصور سراي طوب قبو واقربها الى البحر بجانب البناء الذي فيه خزنه همايون . سمّي قصر بغداد لان السلطان مراد نقله من بغداد ـ ولعله نقل اجزاءه او التحف التي زخرفه بها . وانما المتواتر انه نقله برمته بعد النصر الذي اوتيه هناك . وهو بناء جمع بين اتقان الصناعة وجمال الشكل وحسن الموقع . اجمل ما فيه قاعة كبيرة مكسوة بالقيشاني من الظاهر والداخل لها رواق قائم على اساطين مزخرفة والقاعة المذكورة كثيرة النوافذ والمجالس تعلوها قبة مبطنة برقوق الغزلان عليها رسوم مذهبة . وشاهدنا فيها مقعداً قديم العهد يشبه المقاعد الافرنجية عليه كساء من الاطلس المطرز وقد تهرأ من طول المكث . ويقال انه من جملة بقايا امبراطور الروم

وفي هذا القصر كان يجلس السلطان عبد الحميد اذا جاء لزيارة الخرقة الشريفة وربما جلس في الرواق واطل منه على البوسفور ـــ فانه منظر يستوقف الخاطر ويشرح الصدر

٤ ـــ معرض السلاح في كنيسة ايريني

ايريني امبرطورة رومانية تولت عرش القسطنطينية في اواخر القرن الثامن للميلاد واليها تنسب هذه الكنيسة . ويقال ان قسطنطين الكبير بناها قرب القصر الامبراطوري في ذلك الجوار فاحترقت في ايام يوستنيان فاعاد بناءها ثم تهدمت بزلزال في القرن الثامن فاعيد بناؤها . ولما فتح العثمانيون القسطنطينية لم يحولوها الى جامع لكنهم جعلوها مخزناً للسلاح . وهي الان الى يسار الداخل في الباب الخارجي من ابواب سراي طوب قبو

دخلناها من باب كبير الى دهليز منحدر ارضه مرصفة ببلاط ضخم متداخل . طوله نحو خمسين متراً ينتهي الى صحن الكنيسة في اليسار وهي هائلة السعة ربما بلغ طولها مئة متر في خمسين . في صدرها مكان الهيكل بشكل نصف قبة في اعلاه رسم الصليب وفيه مقاعد تتدرج علوًّا من الارض على شكل افيتياتر علقوا عليه الادراع والاتراس . والكنيسة ملأى بالقوائم والمواقف في ارضها وقد وضعوا عليها البنادق وضعاً متناسقاً فضلاً عما علقوه من البنادق والبلطات في جدرانها . وهنالك كثير من الخوذ والادراع على اختلاف الاشكال وقد استلفت انتباهنا في هذه الكنيسة دهليز في صدرها مبني وراء الهيكل بشكل



داخل كنيسة ايريني

نصف دائرة له بابان احدهما الى يمين الهيكل والآخر الى يساره وقد بني بشكل هندسي يسهل به انتقال الصوت وتجمعه . فالواقف في احد هذين البابين اذا تكلم همساً سمعه الواقف بالباب الاخر واضحاً كانه يتكلم في اذنه و بين البابين نحو ٢٥ متراً ويساعد ذلك على مخابرة الكهنة في اثناء خدمة القداس اذا احتاجوا الى شيء بدون ان يستلفتوا سمع الحاضرين . وفي كنيسة القديس بولس في لندن اليوم حيلة مثل هذه

سلسلة قرن الذهب

ووراء صحن الكنيسة غرباً الى يمين المنحدر من الدهليز خلاء الكنيسة الخارجي وفيه بعض الانصاب والقبور واهم ماشاهدناه فيها السلسلة التي نصبها الروم في عرض قرن الذهب عند مدخله ليمنعوا سفن الاعداء من دخوله . وقد ذكرنا خبر هذه السلسلة في تاريخ فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح في الهلال ١٧ و١٨ من السنة السادسة بعد ان فصلنا حصون هذه المدينة براً وبحراً وجهاد العثمانيين في فتحها عبثاً قلنا « ومما زاد المدينة امتناعاً اقفال ميناها عند قرن الذهب بالسلسلة الضخمة مع سهر سفن الروم هناك ليمنعوا دوارع العثمانيين من الدخول فايقن السلطان ان المدينة لا

تؤخذ الا اذا هوجمت من البر والبحر معاً وكاد العثمانيون ييأسون من الفتح . فارتأى السلطان محمد الفاتح رأياً يكاد يعد تنفيذه من المعجزات وذلك انه لما رأى المدينة ممتنعة باسوارها من جهة البر و بدوارعها من جهة البحر وانها لا تؤخذ الا اذا هوجمت من البر والبحر معاً وان دوارعه ممنوعة عن قرن الذهب بالسلسلة الحديدية تخفرها الحامية من السفن القوية عمد الى نقل عمارته من البوسفور الى قرن الذهب عن طريق البر الى غلطة . ولا يخفى ما يحتاج اليه هذا المشروع من الهمة والاقدام لان المسافة بين مرسى سفنهم في البوسفور والمكان الذي عزموا على نقلها اليه في قرن الذهب لا يقل طولها عن ستة اميال على ما رواه همر (وقال جبن عشرة) فضلاً عن وعورة الطريق وفيها المرتفعات والمنخفضات والغابات من الشجر الغض مما لا يتيسر جر السفن عليه والناس يحملونها . فاقتضت همة هذا الرجل العظيم ان يبني في تلك المسافة رصيفاً من الواح الخشب متحاذية يدهن سطحها بالشحم تسهيلاً لانزلاق السفن عليها وشرعوا في العمل في اول الليل فرفعوا السفن الى الشاطىء فوق ذلك الرصيف وجروها فوق الاخشاب على محادل من الخشب اذا تدحرجت بينها و بين الرصيف سهلت انزلاقها فقضوا تلك الليلة في جهاد وهم يحذرون ان تعلم بهم حامية المينا فلم يصبح الصباح الا وقد سبحت العمارة العثمانية في قرن الذهب ورجال الحامية لا يعلمون »

فهذه السلسلة رأيناها في حجرة بجوار كنيسة ايريني وقد تراكمت مثل التل الكبير وهي من الحديد المطرق . حلقاتها مستطيلة اهليلجية الشكل ربما بلغ طول الحلقة منها نصف متر وثخن حديدها مثل زند الشاب النحيف . واثر التطريق ظاهر في الحديد رغم ما يكسوه من الصدإ . وطول هذه السلسلة نحو خمسماية متر فاذا اعتبرنا طول الحلقة ٥٠ سنتيمتراً غير ما يضيع في تداخلها كان عدد الحلقات جميعاً ١,٠٠٠ حلقة . وقد وقفنا عند هذه السلسلة حيناً ونحن نتذكر ونعتبر . وشاهدنا هناك اسلاباً بحرية اكتسبها العثمانيون في حروبهم

واروا في غرفة أخرى طبولاً عثمانية تختلف عن طبول هذه الايام كانت الدولة تستخدمها في ادوارها الاولى والطبل شبه الحلة من النحاس مكسو بالجلد وقد شد

الى فتحته جلد او رق يضرب عليه نحو الطبول السودانية التي استعملها الدراويش في زمن المهدي . رأينا عشرات من هـذه الطبول هناك تختلف احجامها من قدر الحالة الاعتيادية الى ما يبلغ ارتفاعه الى اعلى صدر الرجل ولهذه الاحجام المختلفة معنى في اصطلاحهم . فقد كان لكل قائد طبل يختلف حجمه باختلاف رتبته ومنصبه وكلما علت رتبته كبر طبله

وخارج هذه الكنيسة وبالقرب من بابها بضعة اضرحة عليها رخام احمر قالوا ان أحدها قبر ملك الروم الذي فتحت القسطنطينية في أيامه وقد اشرنا الى ذلك قبلاً . وهو الامبراطور باليولوغس وكانوا قد وجدوا جثته يوم الفتح بـين القتلى وعرفوها من رسم النسر المزركش بالقصب على درع القدم فامر السلطان محمد بدفنها بالاكرام فدفنوها في ذلك الجوار .

وقبل الخروج من سراي طوب قبو تعرفنا الى كبار حفظتهـا من الخصيان وهم طائفتان البيض والسود ويسمون البيض منهم « اقالر » والسود « طواشية » وهم رتب وطبقات منهم البلطجي والزلفلي وغيرهم . وقد وعوا في صدورهم اسرار السلاطين ودخائل القصور . وهم على جانب عظيم من دماثة الخلق ولين الجانب

٥ — معرض الانكشارية

لهُ بناء خاص يطل على اتميدان صعدنا فيه الى قاعة كبيرة هي المعرض كله . وما هو الا اصنام مثلوا بها الانكشارية وغيرهم من رجال الدولة الذين عاصروهم على اختلاف رتبهم واحوالهم من العسكري الصغير الى الآغا الكبير ومن القاضي الى الوزير وغيرهم بملابسهم واشكالهم . فاصطنعوا لهم وجوهاً طلوها بالالوان حتى تشبه اوجه الآدميين والبسوها العمامة او القاووق وزينوها بالشعر على الشاربين او الذقن حسب الاقتضاء . واصطنعوا الايدي ايضاً على هذا الشكل لانها تظهر لايكسوها اللباس . وأما سائر البدن فمكسو بالثياب على اختلاف الانسجة والالوان وفيها الجبة والقفطان والعمامة والسراويل كل واحد حسب رتبته وموقفه

ورتبوا اولئك الاشخاص جماعات تتألف كل منها من بضعة رجال يمثلون جلسة من جلسات الانكشارية أو الوزراء أو القضاة او غيرهم فلايشك الناظر لاول وهلة انه

رى أناساً حقيقيين وربما أجفل من رؤية بعضهم لعظم هيئتهم وضخامتهم . ويقال لاجمال ان تماثيل هؤلاء الناس اكبر من الحجم الطبيعي قليلاً وربما تعمدوا تكبيرها يراها الناظر عن بعد فتبدو بالحجم الطبيعي — والجماعات ١٥ كل منها يمثل مجلساً وهي :

١ : سبعة أشخاص فيهم خادم الحرم وقزم بعمامة المستديرة المضحكة وجماعة من كبار الموظفين

٢ : ضابط ورئيس فرقة وطباخ وسقا

٣ : ناظر البحرية والتشريفاتي والقبطان باشي وبضعة من البحرية على اختلاف الفرق

٤ : آغا الانكشارية ونائبه وصاحب السجل ورئيس الحرس وغيرهم

٥ : ناظر النافعة وكاتب السياسة وسكرتير الباب العالي وساع وقواص وخادم وجاويش

٦ : ناظر الداخلية والباشكاتب وضابط يمشي امام الصدر الاعظم وسائر الوزراء وضابط يتقدم الاحتفال وصاحب البريد

٧ : رئيس العلماء وقاضي الروملي وشيخ الاسلام وقاضي استامبول وقاضي مكة ورئيس المدرسة وكبير الفقهاء والمؤذن ورئيس الفراشين

٨ : الصدر الاعظم وقيم القصر ورئيس حرس القصر ورئيس المنفذين لاوامر الصدر

٩ : ناظر الرسائل السلطانية ومدير الاسطبل ورئيس التشريفات وبعض اتباعهم

١٠ : موظفون مختلفون فيهم صاحب الفلق وكاشف السرقات

١١ : معاون رئيس مخازن الاسلحة وقائد بعض فرق الحرس ودار السلاح وجاويش وملازم

١٢ : مراقب بيت المال وصاحب الاوراق وصاحب دار الضرب وغيرهم

١٣ : ملازم رئيس الحرس ووكيل الخراج وانفار من حملة البنادق

١٤ : قارئ الحكم بالاعدام ورئيس مكتب

١٥ : رئيس بلوك وغيره من الضباط على زمن السلطان سليم الثالث وقد ادخل في ملابسهم بعض التغيير

وجملة الاشخاص الممثلين في ذلك المعرض ٩١ شخصاً على اختلاف الرتب والاحوال وكل واحد منهم بلبسه الخاص برتبته ووظيفته على اختلاف الالوان والانسجة فترى اشكالاً من العمائم والسراويل والنعال والجبب والقواويق والفرو وغيره

٦ — حالتها الاجتماعية

سكانها

زارت لادي وورتلي مونتاغ الاستانة ثم كتبت تصف تعدد الامم فيها فقالت « اني اقيم في بلد كانه برج بابل لكثرة اللغات الشائعة فيه . فان اهل بيرا يتكلمون التركية واليونانية والعبرانية والارمنية والعربية والفارسية والروسية والفلاخية والالمانية والنمساويةوالايطالية والفرنساوية والمجرية والانكليزية . واغرب من ذلك انعشرا من هذه اللغات يتكلمها اهل منزلي لان سياسي عرب وخدمي فرنساويون وانكليز والمان وحاضنتي ارمنية وجواريَّ روسيات و بعض خدمي يونان وخادم مائدتي ايطالي وحرسي اتراك »

ذلك ما قالته لادي مونتاغ منذ قرن وبعض القرن وهو ينطبق على حال الاستانة اليوم ولعلها اكثر طوائف ولغات مما كانت عليه يومئذ لتزايد الموصلات بتعدد وسائل النقل في القرن الماضي . ونحن لا نستغرب هذا الاختلاط كما استغربته الكاتبة المشار اليها لان مصر اكثر امماً واجناساً من سائر البلاد . وقد رأينا اللادي مونتاغ اغفلت ذكر اللغة الاسبانية وهي كثيرة الشيوع اليوم بين اليهود هناك لان اكثرهم نازحون من اسبانيا ويتفاهمون بلغتها فضلاً عن اللغة العبرانية

على ان تعدد الأجناس في الاستانة طبيعي فيها لوقوعها بين قارتين وبحرين يقصدها الناس للارتزاق او السياحة من اقدم ازمانها . فقد كان سكانها القدماء من اليونان ولما دخلت في حوزة الدولة الرومانية وصارت عاصمة احد شطريها نزح اليها الرومان ومن دخل في سلطانهم من الامم في اسيا وافريقيا واوربا . ثم دخلت في حوزة الاتراك فاتوا اليها بمن دخل في جندهم من اصناف الناس ومن كان في حوزتهم من الامم الشرقية وغيرها

فالنظر في سكان الاستانة على اختلاف عناصرهم يضيق عنه المقام فنقتصر على اهمها وهم الاتراك واليونان والارمن واليهود والعرب والالبان والافرنج . وكل امة تختص بعمل من الاعمال ويغلب ان تنفرد بحي من احياء المدينة تتجاور فيه . فالاتراك يقيمون على الغالب في استامبول وهم سواد سكانها . واليونان يقيم اكثرهم في محلة الفنار من

احياء استامبول على قرن الذهب ومنهم جماعات متفرقة في سائر احيائها بجوار الكنائس وفي بيرا . وللارمن حيان خاصان بهم احدهما على بحر مرمرا والآخر على الميناء . وكانوا كثاراً قبل ان يذبحهم عبد الحميد منذ بضع عشرة سنة . واليهود اكثرهم من الاسبان ويسكنون بلاطة وخاص كوي وغيرهما على قرن الذهب . والافرنج ونريد بهم الاوروبيين على الاجمال يقيمون في بيرا ويقيم معهم العرب وغيرهم من الاجانب

واما تعداد هذه الامم بالنسبة بعضها الى بعض فيصعب تحقيقه لانهم لم يحصوا سكان الاستانة من عهد بعيد . ولكن يقال بالاجمال ان خمسي سكانها من الاتراك والخمس الثالث من اليونان والخمس الرابع اكثره من الارمن والباقي من سائر الملل

الاتراك في الاستانة

الاتراك كلهم مسلمون واذا قالوا « تركي » يعنون « مسلم » الا نادراً فكل تركي مسلم ولا يعكس . والاتراك من اهل الاستانة هم اهل الدولة وموظفو الحكومة يوجهون آمالهم الى خدمة الحكومة من نعومة اظفارهم وقلما يشتغلون بعمل آخر من تجارة اوصناعة . فالولد وهو في المدرسة يعدُّ نفسهُ لبعض الوظائف على نسبة اقتداره ووسائطه . وهو يفضل الانتظام في سلك كتاب الديوان بدون راتب على ان يكون كاتباً في محل تجاري براتب حسن . ورواتب صغار الكتاب في الحكومة العثمانية تختلف عن مثلها في مصر فان الكاتب المصري لا يقلُّ راتبه عن اربعة جنيهات ولكنه في الاستانة يبدأ راتبهُ باربعين غرشاً في الشهر . وربما كان طالب هذه الوظيفة من ابناء الاعيان وهم في غنى عن خدمة الحكومة . وتعلق الاتراك بوظائف الحكومة العثمانية يشبه تعلق المصريين بوظائف حكومتهم . وقد تركوا التجارة وسائر الاعمال للنازحين اليهم ولا يزيد الموظفون الاجانب في الحكومة العثمانية عن واحد في المئة

والطبقة الراقية من الاتراك مثل ارقى طبقات الهيأة الاجتماعية في أوربا ومعظمهم من الاحرار وقد تثقفوا في الغالب على الطرز الفرنساوي واكثرهم يحسنون التكلم بالفرنساوية ويعرفون آداب الفرنساويين ويقلدونهم باخلاقهم وآدابهم وعاداتهم . واللغة الفرنساوية اكثر اللغات الاجنبية شيوعاً في الطبقة الراقية هناك على نحو ما نعلمه من احوال تلك الطبقة في سوريا ومصر وخصوصاً قبل الاحتلال الانكليزي

وفي الاستانة طائفة من الاتراك النازحين اليها من الاناطول قد يتعاطون التجارة او الصناعة وفيهم جماعة كبيرة من الشيالين والنوتية وكبار الاتراك اهل ثروة وجاه وترف وتوسع في العيش يقيمون في المنازل الفسيحة ينفقون في رياشها الاموال الطائلة ويكثرون من الخدم والجواري. لان منزل التركي المسلم عبارة عن منزلين احدهما للرجال والآخر للحريم ولكل منهما خدمة خاصة. ومن عادة وجهاء الاتراك ان يتناسل الخدم في منازلهم ويعنون في تربية ابنائهم وان لم يكن لهم نفع منهم. وربما ارتقى الخادم فاتخذ من يخدمه وكلهم في منزل ذلك الوجيه. وهذه العادة من بقايا ازمنة الرخاء الشرقي القديم

سائر العناصر فيها

واليونان (ويسمونهم اروام) يتعاطون كل عمل وخصوصاً التجارة وفيهم التاجر الكبير والبائع الصغير مثل شأنهم في مصر. فمنهم تجار المجوهرات والالبسة ونحوها ومنهم اصحاب البقالة والخمارة والسمانة ولهم القهوات والبارات ولا مطمع لهم بخدمة الحكومة

واليهود يشتغلون في الاستانة مثل اشتغالهم حيثما حلّوا فمنهم الصيارف وباعة الخرداوات قليلها وكثيرها وقلما يتعاطون صناعة

والارمن جمعوا بين اعمال الاروام واليهود. يشبهون الاروام في تنوع اعمالهم ويشبهون اليهود باقتدارهم المالي وهم اهل نشاط وسعي وذكاء ومنهم كبار الصيارف واصحاب البنوك وكبار التجار ويتعاطون سائر التجارات. ومنهم تجار الحنطة ومضمرو الخيل وباعتها. وفيهم اهل الصنائع الدقيقة والمهن العلمية كالصياغة والطبابة والصيدلة والهندسة والنجارة والخبازة والحدادة. وفيهم كثيرون من اهل الصناعات الدنيا. وقد كانت تجارة الاستانة وأموالها في قبضة أيديهم حتى نكبهم عبد الحميد فتضعضعوا ولكنهم عائدون الى ما كانوا عليه

وأما العرب وفيهم السوريون فاكثر اشتغالهم الاتجار بالبضائع السورية وبعضهم يطلبون الخدمة في الحكومة وفيهم جماعة من الكتاب ورجال الصحافة واهل الوجاهة وقد اثرى كثيرون منهم بالتجارة واصبح بعضهم من كبار المتمولين

وأما سائر الاجناس فربما اشتهرت كل أمة بصناعة فالبلغار مثلاً اكثرهم من باعة اللبن والالبانيون بعضهم في خدمة الحكومة ورجال السياسة ومنهم طائفة من باعة الخضار

المرأة التركية

اختلفت اقوال الكتاب في المرأة التركية ولكن لا خلاف في انها من ارقى نساء الشرق . وهي اليوم متعلمة متهذبة تقرأ كتب الادب والجرائد وتجالس الرجال وتبحث معهم وتجادلهم وتستحث قرائحهم وتستنهض هممهم . وللعائلات الراقيه عناية خصوصية في تربية البنات فيأتون اليهن بالمعلمات الافرنجيات يلقنهن العلم والادب . فتشبُّ الفتاة التركية على الشجاعة الادبية فلا تستنكف من مخاطبة الرجال ولا ترى للرجل مزية عليها . والعائلات الراقية من الاتراك يأكل فيها الرجال والنساء معاً على مائدة واحدة وقد يفعلون ذلك ولو كان على المائدة ضيوف من غير اهلهم . وظهر بعد عودة الدستور ان المرأة التركية كان لها دخل كبير في اعادته لما كانت تبثه في الرجل من الحمية وتوحيه اليه من الثبات والصبر . وكثيراً ما كانت تعمل معهُ جنباً لجنب بالمكاتبة أو المراسلة أو الخطابة — وهي تتكلم افصح اللغات التركية

على انها ما زالت تحترم العادات الشرقية التي يعدونها احياناً من قبيل الدين فلا تخرج في الاسواق الاَّ بالحبرة وترسل على وجهها منديلاً اسود او تتقنع باليشمك وهو شاش ابيض مكوي يعصب به الرأس الى اسفل الجبين ثم يدار حول العنق والفم فلا يبقى ظاهراً غير العينين و بعض الانف . اما في البساتين و بين المنازل خارج المدينة فتكتسي فوق اثوابها المنزلية رداء من الحرير كالعباءة اوكالبرنس باكمام وتغطي الرأس بمنديل او خمار وتترك وجهها مكشوفاً . ولا يقلل ذلك شيئاً من المراد بالحجاب لان الطرف يرتد عنها تهيباً لتجافيها عن الخلاعة . والى ذلك اشار شوقي في قصيدته التي يصف بها خروج نساء الاستانة سافرات الوجوه — نعني قولهُ :

فقــل للجانحين الى حجابٍ	أتحجب عن صنيع الله نفس
اذا لم يستر الادب الغواني	فلا يغني الحرير ولا الدمقسُ
تأمل هل ترى الاَّ جلالاً	تحسُّ النفس منه مـا تحسُّ
كأن الخود (مريم) في سفور	ورائيهـا حواريٌّ وقسُّ
تهيبها الرجـال فـلا ضميرٌ	يهمُّ بها ولا عينٌ تجسُّ

ومنازل الاعيان لا يستغنى فيها عن الخصيان لخدمة الحريم فضلاً عن سائر الخدم

وهم عديدون بعضهم للحريم والبعض الاخر للرجال اذ لكل منهما مائدة خاصة في مكان خاص . والخادمات اكثرهن من الجواري المشتريات وكانت لهن سوق رائجة حتى في زمن عبد الحميد فتباع الواحدة بخمسين جنيهاً الى خمسماية جنيه بين ان يراد بها الخدمة او غيرها . وذكروا ان اسماعيل باشا الخديوي اشترى من الاستانة جارية بالف جنيه . واكثر اولئك الجواري من الجركس والقوقاس . واما الخدم فاكثرهم من اهل الاناطول رجالاً ونساء ومعظمهم مسلمون وفيهم بعض الارمن واليونان للخدمة على المائدة او في المطبخ . ولا تخلو بيوت الوجهاء من المعلمات الافرنجيات لتربية الاولاد واكثرهن من الالمانيات والفرنساويات وبعض الانكليزيات . والبوابون والحراس والحمالون من المسلمين

الآداب العمومية

والآداب العمومية اذا نظرنا اليها من حيث اهل الاستانة انفسهم وجدناها من اقرب الهيئات الاجتماعية الحالية الى الحشمة والتعفف . واما في الاحياء الافرنجية فلا تخلو الشوارع العمومية من بنات الهوى نحو ما في القاهرة والاسكندرية . ورأينا للحكومة عناية في المحافظة على الآداب العمومية بالاحياء التركية لم نجد مثلها في مصر مع شدة الحاجة اليها . وذلك انها جعلت حداً لاختلاط الرجال بالنساء في المتنزهات العمومية بالبساتين او على شواطىء البوسفور . فخصصت لكل متنزه يوماً من الاسبوع لا ياتيه غير النساء ولا يؤذن للرجال دخوله في ذلك اليوم . واذا كان المتنزه على شاطىء البحر بجانب الطريق وقف بعض الضابطة يمنع الرجال من الوقوف هناك

وقد لاحظنا ان المسكرات اقل شيوعاً في الاستانة مما في سائر البلاد المتمدنة واهلها ابعد من سواهم عنها . ولا تجد قهوات او بارات تبيع المسكر الاّ في الاحياء الافرنجية . فالقهوات او اماكن النزهة او المطاعم في الاحياء التركية لا يباع فيها المسكر ويسمون تلك القهوات « قراءت خانة » يريدون بذلك خلوها من المسكرات . واكثر قهوات الاستانة الوطنية من هذا النوع

وفي اهل الاستانة على الاجمال تأدبٌ في خطابهم وظرف في عشرتهم ورقةٌ في كلامهم ودماثة في اخلاقهم ولين في طباعهم — سواء في ذلك الباشا والتاجر والصانع والكاتب والشيخ والشاب . حتى الحمّار وسائق المركبة والنوتي والحمال رغم ما عليه

هؤلاء في البلاد الاخرى من جفاء الطبع والخشونة والطمع باهل اليسار فيطلبون اكثر من حقهم ولا ينفكون حتى ينالوه بالصياح والخصام . أما في الاستانة فان هذه الطبقة من العامة لا تقل دماثة ولطفاً عن الخاصة . وقد جربنا ذلك بنفسنا مراراً فالعربجي يقنع منك بالتعريفة ودونها . ولا يحاسب الراكب على وقفة في اثناء الطريق لمخاطبة صديق او ابتياع شيء . واذا طمع به الراكب واعطاه اقل من حقه لا يزيد على ان يستعطفه بلطف وصوت خافت فاذا لم ينل منه شيئاً سكت وانصرف . وهكذا النوتية وهم كثيرون على الخصوص عند جسر غلطة للتعدية الى استامبول . وكذلك الحمالون وغيرهم فانهم على جانب عظيم من دماثة الخلق

٧ - حالتها الادبية والعلمية

لما كانت الاستانة بلداً تركياً ولغتها تركية واكثر اهلها من الاتراك فالبحث في حالتها الادبية والعلمية يتناول بالاكثر البحث في آداب اللغة التركية اليوم ويدخل في ذلك الكلام عن الصحافة والمدارس والمطابع والمكاتب والكتاب والشعراء . وهو موضوع واسع لا يمكن استيفاؤه في هذا المقام فنكتفي بخلاصته . ونقدم الكلام بتاريخ آداب اللغة التركية لزيادة الايضاح

الاتراك امس واليوم

لا بدّ للكاتب عن الاتراك العثمانيين من ان يميزهم عن الاتراك الذين عرفهم العرب في صدر الاسلام وعن سائر معاصريهم من اهل تركستان واذربيجان فانهم يختلفون عنهم اخلاقاً وامزجة وآداباً

كان التركي في عصر العباسيين ممتازاً بقوة البدن والشجاعة والمهارة في رمي النشاب والصبر على الاسفار الشاقة فوق ظهور الخيل والثبات في ساحة الوغى مع قلة العناية بالعلوم ولا سيما الفلسفة والعلم الطبيعي وقلما اشتغل احد منهم بدرسها في ابان التمدن الاسلامي . واشتهر ذلك عنهم حتى اصبحوا اذا سمعوا بتركي يشتغل بالعلم الطبيعي ذكروه مع الاستغراب كما فعل ابن الاثير لما اشار الى معرفة قتلمش علم النجوم فقال « ومن العجب ان هذا قتلمش كان يعلم علم النجوم وقد اتقنه مع انه تركي ويعلم غيره

من علوم القوم » فاتخذ اعداء الاتراك العثمانيين ذلك حجة للطعن في علمهم وانهم غير اهل للتمدن . ولكن هؤلاء الاتراك الآن يختلفون عن اسلافهم اختلافاً بعيداً واليك البيان :

نزح سليمان بك جد العثمانيين بقبيلته من اواسط تركستان في القرن السادس للهجرة وهم بادية رحل يعيشون فوق خيولهم يرمون بالنشاب ويصبرون على الاسفار ويثبتون في ساحة الحرب ولم تكن لهم عناية في العلم ولا كان للغتهم أدب او شعر . فلما تسلطوا على أسيا الصغرى ثم فتحوا الاستانة وتحضروا واحتكوا بالامم الاخرى وخالطوهم بالمزاوجة والمعاشرة تغيرت امزجتهم وتلطفت طباعهم كما اصاب العرب بعد تحضرهم

فالاتراك العثمانيون يمتازون عن الاتراك القدماء بتغيير طرأ على دمائهم بالتزاوج فاصبحت خليطاً من دماء كثيرة بما في أمهاتهم من الامزجة المختلفة باختلاف الاجناس وفيهن الشركسيه والرومية والارمنية والالبانية والفارسية فضلاً عن التركية. واندمج في الاتراك بعض رعاياهم من اصول مختلفة وكثيرون من النازحين الى بلادهم من الامم الاخرى وفيهم الفرنساوي والالماني والعربي والالباني والمجري والفارسي والرومي وغيرهم . وقد تأصل هذا التنويع على الخصوص في اهل الاستانة . فلما احتكوا بالعالم المتمدن اقتبسوا تمدنه وآدابه ونبغ منهم الشعراء والادباء والكتاب والصحافيون وغيرهم كما سيأتي

آداب اللغة التركية قبل هذه النهضة

ليس الاتراك من الامم المستنبطة للعلم والفلسفة ولا في لغتهم آداب قديمة تدل على تمدن قديم كاليونان والفرس . وانما هم مقلدون في آدابهم مقتبسون في علومهم كالرومان والعرب ولكن هاتين الامتين زادتا على ما اقتبستاه فاصبح لكل منهما تمدن عرف بها وله شأن خاص في تاريخ العالم وأما الاتراك فلم يستطيعوا تحسيناً يستحق الذكر

لم يكن للاتراك العثمانيين آداب قبل القرن السابع للهجرة أي قبل تأسيس دولتهم واقدم آدابهم اقتبسوها من الفرس او هي فارسية معنى ومبنى . والسبب في اقتباسهم آداب الفرس دون العرب ان العثمانيين اقاموا دولتهم على انقاض دولة السلاجقة في أسيا الصغرى. وهؤلاء كانوا قد اختلطوا بالفرس في خراسان وتأدبوا بأدابهم واصبحت

اللغة الفارسية لغة العلم والادب عندهم فضلاً عن السياسة وانتقلوا الى اسيا الصغرى وحملوا تلك الآداب معهم. فلما جاء العثمانيون الى تلك الاصقاع وأسسوا دولتهم على انقاض تلك الدولة ورثوا ما خلفوه لهم من الادب والادباء والعلم والعلماء. فانتقل ذلك التمدن من دولة الى دولة وهو سائر في طريقه الطبيعي. فسمّي عثمانيًا بعد ان كان سلجوقيًا

ولا يراد بذلك ان الاتراك لم يتحدوا العرب او لم يأخذوا شيئاً من آدابهم فان العلوم الاسلامية وسائر الاداب الدينية كان المسلمون على اختلاف لغاتهم يتفهمونها بالعربية. ولذلك كثرت الالفاظ العربية في اللغات الاسلامية وخصوصاً الفارسية والتركية. واذا قلنا ان الاتراك اقتبسوا آدابهم من الفرس فقد اقتبسوا معها كثيراً من آثار اللغة العربية وآدابها التي كان الفرس قد اقتبسوها قبلهم — غير الذي اقتبسه الاتراك من اللغة العربية رأساً من الالفاظ والآداب الدينية. ولذلك كانت الالفاظ العربية في اللغة التركية اضعاف الالفاظ الفارسية فيها وانما يقتصر بحثنا في تاريخ آداب اللغة التركية هنا على الادب والشعر وهما مأخوذان عن الفرس

وأقدم الآداب التركية العثمانية الشعر وأقدم ما حفظ منه للشيخ بهاء الدين احمد المعروف بسلطان ولد ابن جلال الدين الرومي صاحب منظومات «المثنوي» الفارسية الشهيرة. وكان هذا الشاعر معاصراً للسلطان عثمان الاول. ثم ظهر شاعر آخر اسمه عاشق باشا نظم قصيدة طويلة تعرف بديوان عاشق باشا. ثم نبغ شعراء آخرون منهم الغازي فاضل وشيخ كرميان وكان معاصراً لمراد الثاني ونظم مثنويًا بناه على القصة المشهورة عند الفرس عن كسرى وشيرين. وعاصر هذا ايضاً شاعر اسمه يازجي اوغلو فنظم السيرة النبوية وسماها «محمدية» ثم ظهرت قصة الاربعين وزيراً لشيخ زاده كل ذلك قبل استيلائهم على القسطنطينية

فلما فتحوها تنبهت القرائح وظهر بعد قليل شاعر تتري اسمه مير علي شيرو يعرف باسمه القلمي «نوايي» نظم شعراً اعظم الاتراك قدره وقلده احمد باشا أحد وزراء محمد الفاتح واشاعه بين قومه فاحدث نهضة في قرائحهم. وتبعه سنان باشا الوزير وكان ناثراً بليغاً حبب النثر الى الاتراك وخلف كتابا له سمّي «التضرعات». وعاصر محمد

الفاتح الشاعران الموسيقيان نجاتي وذاتي والشاعرتان زينب ومهري . وكان محمد الفاتح محبًا للادب مثل اكثر سلاطين آل عثمان فقرب الادباء اليه ونشطهم . ولا يستغرب القارئ رغبة أولئك السلاطين في اهل الادب فقد كانوا هم انفسهم من اهله فعددهم ٣٥ سلطاناً كان فيهم ٢١ شاعراً لكل منهم شعر محفوظ . واشعرهم السلطان سليم الفاتح فانه اضاف الى سبقه في الفتح تقدمه في الشعر والادب . ولكن اكثر منظوماته في اللغة الفارسية ويظهر مما نظمه في التركية انه كان نابغة الشعراء

نبغ في زمن السلطان سليم هذا كمال باشا زاده ويعرف بابن كمال واجاد في النظم والنثر . ومن شعره رواية موضوعها يوسف وزليخة وأخرى اسمها نيكارستان تحدى فيها السعدي الفارسي صاحب « كلستان »

ولما تسنم سليمان الاول بن سليم العرش العثماني حدث في آداب اللغة التركية نهضة أخرى فتلطف اساليبها واشتغل الادباء في انتقاء الالفاظ الفصيحة مع توخي السهولة والرشاقة . وأشعر الشعراء في ايامه « فضولي » أحد أئمة الشعر في العصر التركي القديم واصلهُ من بغداد وكانت لغته خليطاً من التركية العثمانية والاذربيجانية . ولكنه اتخذ لنفسهِ اسلوباً لم يسبقه اليه أحد . ومن آثاره ديوان يعرف باسمه وكتاب في ليلى ومجنونها . وقد عاصره شاعر آخر اسمه « باقي » كان في الاستانة وله قصيدة نفيسة في السلطان سليمان . وعاصرهما آخرون أشهرهم روحي ولمعي ويحيى بك الانكشاري وأبو السعود المفتي وغيرهم

وفي عهد السلطان احمد الاول ظهر كبير شعراء عصره « نفعي الارضرومي » وامتاز باسلوب خاص به كما امتاز فضولي قبله . وتوالى ظهور الشعراء مما يطول وصفه . واشهرهم في ذلك العصر صبري شاكر والنائلي وجوري وفهيم ونابي والسيد وهبي وراغب باشا ورحمي القريمي وكليم وسامي . ومن الكتاب المشاهير في ذلك العصر ثابت وراسخ وطالب لكل منهم اسلوب خاص . ونبغ في عهد السلطان احمد الثالث نديم اشعر شعراء العصر القديم على الاطلاق توفي سنة ١٠٩٢ هـ لم يقلد نديم احداً من أسلافه ولا قلده أحد من خلفائه . ويمتاز شعره بالزهو وهو آخر اصحاب الطريقة القديمة التي بلغت اباتها من تولي السلطان احمد الاول سنة ١٦٠٣ (١٠١١ هـ) الى خلع السلطان

احمد الثالث سنة ١٧٣٠ (١١٤٢ هـ)

ومن ادباء ذلك العهد الذين اشتغلوا بالنثر علي شلبي فانه نقل كتاب انوار سهيلي من الفارسية الى العربية للسلطان سليمان الاول وسماه « همايون نامه » ومنهم سعد الدين احد رجال مراد الثالث كتب تاريخاً نفيساً للدولة العثمانية من اقدم أزمانها الى موت السلطان سليم سماه « تاج التواريخ » ثم جاء بعده نعيما المؤرخ المشهور وتاريخه يمتد من سنة ١٥٩١ الى سنة ١٦٥٩ ونبغ غيرهم من المؤرخين مثل طاش كوبري زاده وعطاء الله وحاجي خليفه صاحب كشف الظنون وغيرهم

وتعدُّ الفترة بين آخر الطريقة القديمة وأول الحديثة اي من خلع السلطان احمد الثالث الى زمن محمود الثاني عصراً قائماً بنفسه ظهر فيه من الشعراء بليغ ونورس وحشمت وسنبلي زاده وهبي وبرتو باشا والشيخ غالب . وهذا الاخير من قهارمة الشعر التركي وله قصيدة سماها « حسن وعشق » ضمنها كثيراً من بدائع الوصف ودقائق الشعور. ومن اشهر الكتبة المنشئين في هذا العصر راشد مؤرخ الدولة . وعاصم مترجم القاموس العربي والبرهان القاطع الفارسي الى اللغة التركية . وكاني الكاتب الظريف وغيرهم

النهضة العلمية الاخيرة

واما النهضة الاخيرة فتبدأ بسلطنة محمود الثاني اذ اخذ الناس بعوامل التمدن الحديث وجعل الكتاب يقتبسون آداب الافرنج وعلومهم ويتعلمون اللغة الفرنساوية ويطالعون آداب الفرنساويين وغيرهم من الافرنج . ويعدُّ الجزء الاول من هذا العصر زمن انتقال حصل فيه نزاع بين الطريقتين القديمة والحديثة وهو زمن جهاد وتنازع . ومن اشهر المجاهدين في هذا السبيل لتمهيد الطريق للاسلوب الحديث الشعراء فاضل بك وواصف وعزت ملا وبرتو باشا وعاكف باشا والشاعرتان فتنت وليلى . وتمتاز اقوال هؤلاء جميعاً بشيء من الطرز الجديد وان كان الاساس فيها الطرز القديم

والفضل الاول في القضاء على الاسلوب القديم بالاجادة في الاسلوب الحديث نظماً ونثراً لشناسي افندي المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ وقد لاقى مشقة ومقاومة قبل فوزه . وأصبح الانشاء التركي بعده سهلاً عدل فيه ارباب القرائح عن الاسلوب القديم المعقد الى الاسلوب الجديد السهل فكثر الكتاب والشعراء ونقلة الافكار الاوربية الى اللغة

التركية في العلم والأدب والشعر • ومن متقدمي هذا العصر ضيا باشا وجودت باشا وسعد الله باشا ونامق كمال بك . ولهذا الاخير شأن خاص في آداب اللغة التركية وقد فصلنا تاريخ حياته في الجزء الثاني من «تراجم مشاهير الشرق»

هذه فذلكة في تاريخ آداب اللغة التركية واسماء الادباء والشعراء الذين توفوا . وقد رأيت ان اكثرهم من أهل المناصب الرفيعة والرتب العالية وفيهم بضع شاعرات يشهدن بذكاء المرأة التركية واقتدارها . ويعدُّ من الادباء أيضاً بعض مشاهير الوزراء مثل مصطفى رشيد باشا وفؤاد باشا وغيرهما

وهذه أسماء أشهر ادباء الاتراك الذين توفوا من آخر القرن التاسع للهجرة الى أوائل القرن الرابع عشر وخلفوا آثاراً مدونة في اللغة التركية :

الاسم	توفي سنة	الاسم	توفي سنة
سنان باشا	٨٩١ هـ	عاكف باشا	١٢٦٤ هـ
فضولي بغدادي	٩١٠ «	مصطفى رشيد باشا	١٢٧٤ «
نعيما المؤرخ	١٠٦٥ «	فؤاد باشا	١٢٨٥ «
نديم	١٠٩٢ «	ادهم برتو باشا	١٢٨٩ «
كاني	١١٢٤ «	شناسي	١٢٨٨ «
حقي باشا	٠٠٠٠ «	ضيا باشا	١٢٩٧ «
قوجه سكبان باشي	١١٥٠ «	سعد الله باشا	٠٠٠٠ «
عاصم المترجم	١١٦٩ «	نامق كمال بك	١٣٠٥ «

شعراء هذا العصر وكتابه

بقي علينا ان نأتي على ذكر الشعراء والكتاب الذين لايزالون على قيد الحياة وهم أصحاب الحركة الفكرية في الاستانة اليوم . ولو شئنا تفصيل اعمالهم لاستغرق ذلك مجلداً ضخماً فنكتفي بكلام اجمالي :

الشعراء

١ : رجائي زاده اكرم المشهور باكرم بك وهو الآن من الاعيان
٢ : عبد الحق حامد بك سفير الدولة العلية في مدريد
٣ : توفيق فكرت بك وهو شاب مدير المدرسة السلطانية في بيره

٤ : اشرف افندي هو هجاء بليغ وقد تولى ولاية اطنه
٥ : مستجابي زاده

المنشئون والمؤلفون

١ : سعيد بك له مؤلفات كثيرة في كل موضوع ويحرر في الجرائد
٢ : ابو الضيا توفيق بك صاحب جريدة بكي تصوير افكار وهو كاتب رشيق
٣ : احمد مدحت افندي مؤلفاته كثيرة في التاريخ والادب
٤ : احمد راسم مؤلف ومحرر جرائد
٥ : حسين جاهد بك صاحب جريدة طنين ومحررها وعضو في مجلس المبعوثان
٦ : عشاقي زاده خالد ضيا بك باشكاتب المابين
٧ : علي كمال بك كاتب ومؤلف اسلوبه سهل ممتنع وهو الآن هارب في باريس
٨ : بابان زاده اسماعيل حقي كاتب ومحرر
٩ : محمود اسعد افندي ناظر الدفتر الخاقاني اكثر مؤلفاته حقوقية
١٠ : سليمان نظيف بك محرر جرائد
١١ : احمد جودت بك صاحب جريدة اقدام
١٢ : عبد الله زهدي بك صاحب بكي غزته
١٣ : محمود صادق بك محرر
١٤ : عبيد الله افندي مبعوث ايدين
١٥ : احمد احسان افندي صاحب ثروت فنون
١٦ : الدكتور عارف عصمت مبعوث بيره
١٧ : سامح بك شاعر ومحرر هو متصرف بيره
١٨ : ديران كليكيان (ارمني) محرر صباح
١٩ : اسماعيل مشتاق باشكاتب مجلس الاعيان
٢٠ : سعيد باشا رئيس مجلس الاعيان هو اكبر الكتاب الاتراك
٢١ : علي شفيق بك محرر وشاعر هجاء هو مفتش المعارف في بتليس
٢٢ : جاويد بك ناظر المالية له مؤلفات هامة في فن الاقتصاد
٢٣ : موسى كاظم افندي من الاعيان كاتب في المواضيع الشرعية
٢٤ : اسماعيل حقي افندي » » » » »
٢٥ : مصطفى عاصم افندي مبعوث استامبول اكثر آثاره دينية

٣٦ : محمود شوكت باشا حامي الدستور له مؤلفات عسكرية
٢٧ : احمد مختار باشا (الغازي) من الاعيان « « «
٢٨ : « « « ناظر المهندسخانة « « «
٢٩ : عثمان ثنائي بك قائمقام « « «
٣٠ : نجيب عاصم بك « « « «
٣١ : احمد رشيد بك يوزباشي « « «
٣٢ : علي رشاد بك مدير مكتب وفا الاعدادي كاتب ومترجم

هؤلاء اشهر ادباء الاتراك المعاصرين . وهناك ادباء من ابناء العرب يحسنون الانشاء التركي نعرف منهم زكي مغامز بك من رؤساء تحرير «صباح» فانه منشئ مجيد في اللغة التركية فضلاً عن العربية . ويلاحظ على الانشاء العصري عند الاتراك ان ابلغهم فيه اكثرهم اطلاعاً على آداب اللسان العربي

الصحافة في الاستانة

الصحافة قديمة في الاستانة واول صحفها جريدة مونيتور دوريان صدرت بالفرنساوية سنة ١٨٣١ ثم ظهرت بالتركية وسميت تقويم وقائع ثم ظهرت جريدة حوادث وغيرها وتكاثرت الصحف في زمن عبد المجيد وعبد العزيز فبلغت ٣٦ صحيفة سنة ١٨٦٦ بالتركية غير الجرائد الافرنجية . وما زالت تتزايد حتى بلغ عددها في آخر حكم عبد العزيز ٤٦ صحيفة فصلناها في الهلال الاول من السنة الماضية . وتكاثرت في زمن عبد الحميد الجرائد الحرة واكثرها ظهر خارج الاستانة فراراً من المراقبة وخوفاً من الظلم مما يطول بنا شرحه وقد ذكرنا تاريخه في الهلال المذكور . انما نقتصر في هذا المقام على الصحف الحية التي تصدر اليوم في الاستانة مع اسماء اصحابها ومناهجها وعدد ما يطبع منها على وجه التقريب . وقد عولنا في ذلك على اعرف الناس بها

١ - الجرائد التركية اليومية

اسم الجريدة	اسم صاحبها	خطتها	عدد النسخ التي تطبع منها
اقدام	احمد جودت	(تعطلت)	٢٠٠٠٠
صباح	مهران افندي	معتدلة	١٥٠٠٠
طنين	حسين جاهد بك	حرة	١٥٠٠٠
يكي تصوير افكار	ابو الضيا توفيق بك	متطرفة	١٠٠٠٠

اتحاد	نسيم مزلياح افندي	معتدلة	١٢ ٠٠٠
ترجمان حقيقت	كانت لمدحت افندي		٣ ٠٠٠
سعادت	احمد فتحي		٣ ٠٠٠
تقويم وقائع	الحكومة	رسمية	٨٠٠
يكي غزته	عبد الله زهدي		١٢ ٠٠٠
مر صاعقه حربية	لجمعية الترقي		٣ ٠٠٠

٢ ـ الجرائد التركية الاسبوعية

ثروت فنون (مصورة)	احمد احسان	ادبية	٤ ٠٠٠
استشارت	تحررها لجنة	حقوقية	١ ٠٠٠
مصور محيط (مصورة)		ادبية	٢ ٥٠٠
صراط مستقيم	تحررها لجنة	دينية	٣ ٠٠٠
بيان الحق		علمية	١ ٠٠٠
شهبال (مصورة)		ادبية	٠ ٠٠٠
مجموعة علوم اقتصادية	كانت لجاويد بك	اقتصادية	٠ ٠٠٠
قلم (مصورة)	صالح جمجوز		١٠ ٠٠٠
قره كوز	فؤاد بك	هزلية شتامة	١٠ ٠٠٠
لقلق (مصورة)		هزلية	٥ ٠٠٠
القاووق »	محمود كنعان	هزلية	٥ ٠٠٠
دواول		هزلية	١ ٠٠٠
عالم (مصورة)		هزلية	٢ ٠٠٠
قادين		نسائية	١ ٠٠٠
محاسن		نسائية	١ ٠٠٠
جريدة عسكرية	للحكومة	رسمية	٠٠٠
جريدة بحرية	»	»	٠٠٠
جريدة التجارة	»	»	٠٠٠
جريدة بيطرية	»	»	٠٠٠
رسملي كتاب (مجلة شهرية)		»	٢ ٠٠٠

٣ ـ الجرائد العربية التي ظهرت بعد الدستور وكلها اسبوعية

الدستور	احمد باشا الزهير	تعطلت
شمس العدالة	السلاوي	«
شمس الحقيقة	«	«
القسطاس		«
المساواة	لمخزومي باشا	«
الاخاء العربي	للجمعية العربية	«
العدل	صفا بك	« ثم ظهرت
كلمة الحق	لابراهيم افندي النجار	لا تزال تصدر

٤ ـ الصحف الاجنبية

اكثر الصحف الاجنبية عدداً في الاستانة اليونانية (او الرومية) أشهرها قونستانتينوبوليس وتاخدرومس وبروذوس. ثم الارمنية فالفرنساوية اشهرها اسطمبول ولاتركي ولفانت هرالد والمونيتور اورينتال وفيها جرائد المانية. اما الانكليزية فلا يصدر منها من الصحف الا اللفانت هرالد مع الفرنساوية. وهناك جرائد حرفها ارمني ولغتها تركية وجرائد رومية حرفها يوناني ولفظها تركي وجرائد اسبانية حرفها عبراني

ويقال على الاجمال ان معول ارباب الصحف في الاستانة على بيع جرائدها في الاسواق نقداً وليس على الاشتراك كما هو الحال عندنا. وقد رأيت عدد مايطبع منها في اليوم اضعاف مايطبع من جرائدنا ولكن يظهر ان الجرائد الافرنجية عندنا اضعاف ما عندهم مما يدل على تغلب العنصر الاجنبي بمصر عما هو في الاستانة

المطابع

الاستانة أسبق مدن الشرق الى استخدام حروف الطباعة العربية. فقد ظهرت فيها الطباعة في اوائل القرن الثامن عشر وكانت حروفها في اول الامر على شكل الحرف الباريسي لان مؤسس المطبعة الاولى في الاستانة محمد سعيد افندي اقتبس الرغبة في انشائها من باريس وكان قد اقام فيها وشاهد مطابعها العربية. ثم عني عبدالرحيم افندي بصب حروف جديدة هي أساس قاعدة الحرف الاسلامبولي المشهور. ثم اتقنت هذه القاعدة نحو سنة ١٨٧٣ وعنها نقلت القاعدة الاسلامبولية الشائعة الآن في سوريا ومصر وهي التي تقرأ بها هذه المقالة. فقابل بينها وبين اقدم حروف الطباعة العربية في هذا الرسم

التعليم الاول وهو فصلا

الفصل الاول من التعليم الاول من الفن الاول من الكتاب
الاول من كتاب القانون في حد الطب
الفصل الثاني في موضوعات الطب

التعليم الثاني فصل واحد

اقدم حروف الطباعة العربية

والطباعة في الاستانة تاريخ طويل لامحل له هنا ويقال بالاجمال انها أرقى من الطباعة عندنامن حيث الاتقان والجمال فانها تقرب من اتقان مطابع أوربا . واشهر مطابع الاستانة الان « المطبعة العثمانية» وانفسها واتقنها «مطبعة ابي الضياء» ثم مطبعة صباح . ومطبعة طاهر صاحب جريدة معلومات المحجوبة وتعرف الان بمطبعة الوطن . ثم مطبعة احمد احسان التي تطبع فيها ثروت فنون ومعظم هـذه المطابع اسلامية وهناك مطابع كثيرة اصحابها من الارمن

وكان للحكومة العثمانية مطبعة اسمها « المطبعة العامرة » كان حرفها من خط التعليق في غاية الجمال وقد اقفلت في عهد عبد الحميد وستفتح قريباً . ومن المطابع الاميرية ايضاً مطبعة للبحرية وأخرى للسر عسكرية تطبع فيها الجريدة العسكرية وجريدة البحرية ومطبعة كانت في المدرسة الحربية لطبع كتب التدريس

المدارس

المدارس في الاستانة اما اميرية تابعة للحكومة او اجنبية . والمدارس الاميرية اما ملكية او عسكرية . والملكية اربع درجات ١ً ابتدائية ٢ً رشدية ٣ً اعدادية ٤ً عالية والمدارس العسكرية اربع درجات ١ً رشدية ٢ً اعدادية ٣ً اعدادية طبية ٤ً عالية . ولـكل من هـذه الدرجات مدرسة او غير مدرسة حسب الاقتضاء . ومن المدارس العالية مدرسة طبية ملكية ومدرسة طبية عسكرية ومدرسة للحقوق لها فروع في بغداد وسلانيك ومدرسة للهندسة (مهندسخانه) ملكية ومدرسة هندسية عسكرية ومدرسة بحرية . ومن قوانين هذه المدارس ان الحكومة مطالبة بتوظيف تلامذة المدارس الملكية العالية والعسكرية والبحرية والطبية الملكية والمهندسخانة

وفي الاستانة دارللمعلمين ودار للمعلمات يتخرج فيهما المعلمون والمعلمات . وهناك مدارس للبنات من درجة الرشدية . ومدرســة صنائع للاولاد اسمها « صبيان صنائع مكتبي » يخرج تلامذتها جنداً . ومدرسة للتجارة وأخرى للبيطرة وأخرى للموسـيقى العسكرية اسمها « موسيقى همايون »

والتعليم في هذه المدارس باللغة التركية اي انها قاعدة التدريس فيها ولكن تعليم اللغتين العربية والفرنساوية اجباري . ويعلمون في المدارس الحربية أيضاً اللغة الالمانية واللغة الروسية . وفي المدرسة الملكية العالية يعلمون الرومية والارمنية . ويعلمون اللغة البلغارية لمن يريد بلا اجبار

وهناك مدارس في الجوامع لتعليم مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن ويلقنون فيه مبادىء اللسان العربي

والتعليم في المملكة العثمانية اجباري بالاسم اقتداء بالامم المتمدنة لكنهم لم يكونوا يجبرون احداً عليه ولعلهم يفعلون ذلك بعد الدستور وقد زادوا ميزانية المعارف واصحاب هذا الانقلاب اعلم الناس بفائدة التعليم وشدة الحاجة اليه في تثبيت الحكومة الدستورية لانه الوسيلة الوحيدة لرفع التعصب الضار

اما المدارس الاجنبية فهي قليلة واكثرها ابتدائي . ولكل امة مدارس ابتدائية لتعليم ابنائها فمنها مدارس ارمنية ورومية وفرنساوية وغيرها . وقد ساعدت فرنسا على انشاء المكتب السلطاني وهو من الدرجة الاعدادية لاتقان اللغة الفرنساوية

اما المدارس الاجنبية العالية فاهمها ثلاث :

اولاً : مدرسة روبرت الاميركية وهي كلية على نمط المدرسة الكلية السورية في بيروت قائمة على ضفة البوسفور بجوار محطة بيك وهي بضع ابنية كبيرة . وكان لها شأن كبير في بث روح الحرية والشجاعة الادبية في ابناء المملكة العثمانية فكانت عوناً على نيل الدستور

ثانياً : مدرسة الثالوث اليونانية في جزيرة خالكي من جزائر الامراء يتخرج فيها تلامذة اللاهوت في العلوم العالية وقد ظهر من تلامذتها عدد كبير

ثالثاً : مدرسة الفنار في حي الفنار باستامبول وهي علمية تجارية

المكاتب

قد تقدم في الكلام عن الجوامع ان عددها نحو ٤٨٠ جامعاً وأكثرها لايخلو من مكتبة فيها بعض الكتب المفيدة ولكن في الاستانة مكاتب عمومية بعضها في الجوامع والبعض الآخر في غيرها وقفها أهل الفضل على المنفعة العامة لكل منها فهرست يستدل الطالب به على مواضيع الكتب فيطلب ماشاء للمطالعة او النسخ . اشهرها واكبرها الكتبخانة العمومية بجانب جامع بايزيد فانها تشبه الكتبخانة الخديوية من حيث ترتيب الكتب في الخزائن ووجود الطاولات للمطالعة او النسخ . واما سائر المكاتب فمع وجود الفهارس لها يصعب الحصول على الكتاب المطلوب لانها مرتبة على نسق قديم ويبلغ عدد المكاتب العامة في الاستانة ٢٩ مكتبة فيها من الكتب نيف وسبعون الف مجلد وهذه اسماء المكاتب وعدد المجلدات فيها:

المكتبة	عدد المجلدات	المكتبة	عدد المجلدات
كتبخانة عمومية	١٣٤٦٤	« قليج علي باشا	١٠٦٣
« لا له لي	٣٧٩٠	« ولي الدين جار الله	٢١٣٢
« محمد الفاتح	٥٤٠٠	« محمد مراد افندي	١٩٢٧
« شهيد علي	٢٨٧٨	« مصطفى افندي بروسوي	٢٦٢
« ايا صوفيا	٥٠٧٢	« يكي جامع	١٥٣٤
« نور عثمانية	٥٠٦٠	« سليمانية	١٠٧٧
« السلطان بايزيد	٣٢٨٥	« داماد ابراهيم باشا	١١٥٢
« محمد باشا كوبريلي	٢٧٧٩	« سليمية	٦٥٥
« عاشر افندي شيخ الاسلام	٢٢٧٩	« توفيق يحيى	٤٦٢
« اسعد افندي نقيب الاشراف	٣٩١٩	« خسرو باشا	١١٧٧
« عاطف افندي	٢٨٦٣	« محمد افندي كتخدا	٢٢٠
« فيض الله افندي	٢١٨٩	« سلطان مرحوم وقاضي زاده	٥٦٦
« حميدية	١٤٨٢	« مهر شاه والدة سلطان	٤٥٤
« حميدية أخرى	٧٦٢	« راغب باشا	١٤٩١
« حكيم اوغلي باشا	٢٠٧٣	(الجملة)	٧١٤٦٧

واذا أحصيت هذه المجلدات بالنظر الى مواضيعها رأيت أكثرها في الفقه ثم اللغة فالحديث فالتفسير فالادب فالتصوف فالتاريخ على هذه الصورة :

اسم المكتبة	كتب التفسير	كتب الحديث	كتب الفقه	كتب التصوف	كتب التاريخ	كتب الادب	كتب اللغة	الفنون الاخرى
عمومية	٤٥٣	٤١٧	٧٨٤	٥٧٠	٤٠٥	٤٥٠	١,٠٠٠	٩,٣٨٥
لاله لي	٢٨٥	٤٢٨	٧٨٤	١٨٨	١٢٣	٢٩٩	٧٦٠	٩٢٣
محمد الفاتح	٥٨٨	٥٧٥	١,٠٥٠	٣٥٠	٣٥١	٥٠٣	٦٣٠	١,٣٥٣
شهيد علي باشا	٢٩٦	٢٦٤	٤٢٢	٣٤٤	١٣٢	٤٣	٣٢٩	١,٠٤٩
ايا صوفيا	٣٧١	٥٢٠	٥٩٢	٥٤٠	٦٠٤	٥٩٤	٢٩٦	١,٥٥٥
نور عثمانية	٥٠٧	٦٨٤	٦٣٥	٤٢٧	٤١٥	٧٥٩	٣٢١	١,٣١٣
سلطان بيازيد	٤٠٩	٤١٥	٥١٨	٢٤٥	٢٢١	١٤١	٤٠٠	٩٣٦
كوبرلي باشا	٢٣٤	٣٠٠	٢٤٠	٢٠٠	٣٠٠	٣٥٠	٤٠٠	٧٥٥
اسعد افندي	١٩٦	٥٦٢	٢٧٠	٥٠٣	٣٩٤	٤٥٨	١٨٣	١,٣٥٣
عاطف افندي	٣١٨	٢٨٤	٤٤٩	١٤٠	١٥٤	٣٠٠	٤٠٠	٩١٨
فيض الله افندي	٢٣٠	٣١١	٥٤٠	٦٦	١٨٧	٢٢٠	٢٥٠	٣٨٥
حميدية	١٨٨	٢٥٥	١١٢	٢٢٥	٢١٠	٣١٠	٢١٠	٦٦٤
حكيم اوغلي	٢٠٤	٢٤٧	٢٦٧	٢٦١	١٧٥	١٨٥	٢٢٠	٥١٤
قيلج	١٤٤	١٠٤	١٩١	٦٣	٤٣	٧٤	١٨٣	٢٦١
ولي الدين	٢٢٨	١٨٢	٤٨٥	١٣٥	٦٣	١١٨	٢٨٥	٦٣٧
محمد مراد	٣٠٢	٢٩٥	٣٤٦	٧٦	٤٩	١٦	٢٤٢	٦٢١
يكي جامع	١٩٩	١٧٧	٣٨٠	٥٧	١٣٢	١٠٥	١٦٠	٣٢٤
السليمانية	١٣٧	١٦٢	٣٠٥	٥٥	٢٩	٣٠	١٤٠	٢١٥
داماد ابراهيم	٢٢٤	١٩٣	٢٤٩	٢٤	٦٤	٤٣	١٨٨	١٦٧
السليمية وتوفيق	٨٨	١٦٠	١٣٦	١٤٤	٩٣	١١٧	١٦٣	٢١٦
خسرو باشا	٢٢	٤٥	٤٧	٥٤	١٤٠	١٧٧	٧٨	٦١٤
كتخدا وسلطان محمد	٩٥	٧٣	١٩١	٣٢	٢٩	٧١	١٢٤	١٧١
مهرشاه	٤٤	٤٥	٦١	٧٠	٢٥	٦٣	٤٣	١٠٣
راغب باشا	٢١٦	٢٩	٢٣٧	٧٦	٨٨	١٥٦	٢٠٠	٤٨٩
عاشر وبروسوي	١٢١	٨٧	١٥٢	٤١	٧٤	٢٠٧	١٣٢	١,٧٢٧
(المجموع)	٦,٠٩٩	٦,٨١٤	٩,٤٣٨	٤,٨٨٦	٤,٧٩٩	٥,٧٨٧	٧,١٠٧	٢٦,٧٤٨

بقي ان ننظر في لغة تلك الكتب فهي اما عربية او تركية او فارسية ويختلف ذلك باختلاف المواضيع . فالمصاحف كلها عربية طبعاً والتفاسير عربية الا خمسة في المئة تركي وخمسة فارسي . والحديث عربي الا عشرة في المئة تركي او فارسي . وكذلك الفقه والفتاوي وغيرها . اما كتب التصوف فثلثها عربي والثلث الآخر تركي والآخر فارسي وكذلك الرياضيات وكتب التاريخ يغلب فيها التركي ثم العربي فالفارسي . والادب اكثره عربي واقله فارسي واكثر الفارسي من الدواوين . وكتب اللغة كلها عربي الا النادر . فترى من ذلك ان معظم الكتب في مكاتب الاستانة عربي

والكتب المذكورة اكثرها خطيّ وربما وجد من الكتاب الواحد عدة نسخ في المكتبة الواحدة فكيف اذا جمعت كتب الموضوع الواحد في سائر المكاتب . فمع كون مجموع مجلدات هذه المكاتب يقارب مجموع مجلدات المكتبة الخديوية فان هذه تحتوي من المواضيع اضعاف ما تحويه تلك . لانها يندر ان يكون فيها من الكتاب اكثر من ثلاث نسخ واما تلك فربما وجد من الكتاب الواحد عشر نسخ او عشرون او اكثر وانما اهمية مكاتب الاستانة بالكتب الخطية القديمة وبينها بعض النسخ النادرة وسنشير الى ذلك في تاريخ آداب اللغة العربية الذي سيصدر ملحقاً لهذه السنة . وفي عزم الحكومة العثمانية ضم هذه المكاتب في مكتبة واحدة ترتب ترتيباً يسهل الانتفاع بها

وسنأتي على بسط حالة الاستانة السياسية في الهلال القادم ان شاء الله

رواية عبد الرحمن الناصر

هو اسم الرواية التي ننشرها ملحقة بهذه السنة من الهلال وهي الحلقة الرابعة عشرة من روايات تاريخ الاسلام تتضمن وصف قرطبة وقصورها وما بلغت اليه دولة الامويين في الاندلس في أبان حضارتها وارقى مدنيتها على عهد الخليفة الناصر لدين الله الاموي في أوائل القرن الرابع للهجرة

الروغي المراكشي

وعبرة التاريخ لاهل السياسة

كثر تحدث الناس منذ بضعة أعوام برجل ظهر في مراكش على زمن مولاي عبدالعزيز يدعو الى نفسه دون سلطانها ويزعم انه مولاي محمد بن الحسن من اصحاب الحق بالسيادة هناك . فالتفت حوله عصابة لم تكن في بادىء الرأي بالامر الهام وسماه الناس « ابا حمارة » . وقد يستغرب القارىء هذا اللقب لصاحب هذه الدعوة ولكن يظهران المغاربة تعودوا تسمية امثاله بهذا الاسم او ما يشبهه قبل الآن ـ من هؤلاء رجل ظهر في أوائل دولة الفاطمية التي تولت مصر نحو مائتي سنة . وكان ظهوره في المغرب قبل انتقال هذه الدولة الى مصر وخليفتها يومئذ عبيدالله المهدي . وكان الناس يهددون الخليفة المذكور بظهور رجل يلقب « صاحب الحمار » وهو ابو زيد النكاري . فبنى المهدي مدينة سماها المهدية وجعل لها أبواباً زنة كل مصراع منها مئة قنطار من الحديد . وبنى المصلى بظاهرها وقال : « الى هنا يصل صاحب الحمار » يعني ابا زيد . وفي سنة ٣٣٣ هـ خرج ابوزيد على القائم بامرالله خليفة المهدي بافريقية واشتدت شوكته وكثرت اتباعه وهزم جيوش القائم بامرالله غير مرة . وكان مذهبه تكفير اهل الملة واراقة دمائهم ديانة . فملك باجة وحرقها وقتل الاطفال وسبى النسوان ثم ملك القيروان فاضطرب القائم وخاف الناس . وقوي امر أبي زيد (صاحب الحمار) حتى نازل المهدية وحصر القائم فيها وكاد يغلب عليها ولكنه لم يكد يبلغ المصلى حتى هزمه اصحاب القائم وقتلوا كثيراً من اصحابه فابتعد عن المهدية وظل على تأهبه وتمرده حتى توفي القائم بأمر الله وخلفه المنصور بنصر الله سنة ٣٣٤ هـ فجد في طلب ابي زيد وحربه حتى ظفر به وحملوه اليه فمات من جراحه سنة ٣٣٦ هـ وانتهى امره

وقد اصاب أبا حمارة في هذا العصر كما اصاب صاحب الحمار في الدولة الفاطمية منذ الف سنة والتاريخ يعيد نفسه . والسبب في استفحال امر ابي حمارة هذا ان الحكومة المراكشية استخفت بدعوته . فارسلت في طلبه جنداً ضعيفاً فهزمه فاشتدّ ساعده وزاد اقبال الناس اليه والاشتراك في نصرته . كما اصاب المتمهدي السوداني منذ بضع وعشرين

سنة فانه ظهر في جزيرة أبا قرب الخرطوم بعصابة قليلة فاستخف به حكمدار الخرطوم فارسل اليه شرذمة غلبها المهدي فعد اصحابه ذلك كرامة له وتفاءلوا خيراً فزاد تجمهرهم حوله فبعثت الحكومة اليه جنداً اكثر من السابق ولكنه اضعف من جند المتمهدي فعاد مهزوماً وزاد المهدي قوة حتى كان من امره ما كان . ولو اهتمت الحكومة بشأنه من اول الامر فباغتته بجند قوي لاستغنت عن سفك الدماء بضعة عشر عاماً

والتاريخ اكبر عبرة لرجال السياسية فكان على صاحب مراكش ان يناهض صاحب هذه الدعوة بالحزم والشدة من اول الامر وهو ضعيف . وهكذا يقال في كل دولة يظهر فيها ادعياء السلطة وهم كثار في هذا العصر باليمن والصومال والسودان وغيرها فما على اصحاب الدولة اذا ارادوا اخماد الثورة الا ان يحملوا على القائم باضعاف قوته و يستعملوا في اذلاله منتهى الشدة فيكفوا الناس شره

واتخذ ابوحمارة في دعوته سياسة أبي مسلم الخراساني فكان يقتل على التهمة كل من شك فيه ولو كان من اقرب اقربائه فقتل اخته وعمه وكثيرين من أصحابه فخافته القبائل والتفت حوله . وكان قيامه في تازا من بلاد مراكش فلما اشتد ساعده بتغلبه على جند الدولة بعث عماله الى القبائل واخذ ينظم أموره كانه السلطان . وجاءته حملة أخرى اقوى من الاولى لكنها أضعف مما صار اليه امره فبددها . وتوالت نصراته وهو يزداد قوة وبطشاً فاهتمت الدولة بشأنه فاوفدت اليه جنداً قويًا بقيادة صدر وزرائها الحاج المهدي المنابهي فاخترق تلك القبائل وغلب عليها ففر ابوحمارة الى نواحي الريف

ثم اصاب حكومة مراكش تغييرات داخلية اهمها التنازع بين سلطانها عبد العزيز واخيه عبد الحفيظ شغلتها عن مناهضة أبي حمارة حيناً فاستفحل امره وصار صاحب الامر والنهي في الارياف . حتى اذا أفضت الدولة الى مولاي عبد الحفيظ واستتب له الامر في فاس اعاد ابو حمارة الكرة وحمل برجاله على فاس نفسها بزعم انه داخلها عنوة . وانما اشتد ساعده الى هذا الحد بمواطأة بعض الغاضبين من التغيير الذي اصاب الدولة لانه اضاع اسباب رزقهم . فاصبحوا يواطئون ايًا كان على استرجاع الحالة القديمة كما اصاب الدولة العثمانية بعد نيل الدستور فان اصحاب السيادة في العصر السابق يريدون خراب الدولة وتمزيقها على حد قول الشاعر « اذا متُّ ظمآناً فلا

نزل القطر » . فوفق ابو حمارة الى مخابرة بعض الناقمين من وجهاء فاس فشجعوه على الهجوم فجاء بجند منظم سلحه بعدة استجلبها من بلاد الروم

على ان المراكشيين حتى القائمين معه لم يكونوا يعرفون حقيقته فقد سموه الروغي ولقبوه ابا حمارة لكنهم اختلفوا في حقيقته فنهم من زعم انه الجلالي الزرهوني وهو مشهور عند اهل المغرب وكان قد قدم طنجة في بعض رحلاته واستقر بها حيناً ثم سافر الى الجزائر وطاف انحاءها وهو يزعم انه من الشرفاء الوزانيين فبذلوا له النقود فجمع مالاً كثيراً — فالحكومة تظن هذا الرجل هو الذي نزل تازا بعد ذلك وادعى انه محمد ابن الحسن وهو ابو حمارة الذي نحن في صدده . اما اتباعه فيعتقدون انه محمد بن الحسن نفسه . على ان جماعة زعموا انه رجل غريب محتال سحار

ويدل ذلك على ضعف الحكومة المراكشية عن استطلاع احوال عدوها ولو كان عندها ادارة مخابرات كما في الدول المنظمة لم تخفها الحقيقة . لان الحكومة المصرية كانت بعد استفحال أمر المتمهدي وخليفته على بينة من أحوال كل منهما بالتدقيق تعرف كل شيء عنه وعن قواده وعدد رجالهم وكل حركة من حركاتهم وكل خاطر يخطر لهم — كانت تستطلع ذلك بواسطة الجواسيس المأجورين وهذا هو شأن الدول المتمدنة في كل مكان . ولا نظن دولتنا العثمانية مع كثرة جواسيسها في الماضي كانت تهتم بالتجسس على أعدائها وانما كان همها التجسس على رعاياها . فعسى ان يهتم رجال الدستور في تنظيم ادارة للمخابرات يستطلع حقيقة أحوال القائمين عليها في اليمن وغيرها فتكون على بينة من امرهم وتعرف كيف تخضعهم

فجعل ابو حمارة يتنقل في القبائل ينهب ويقتل حتى اقترب من فاس فخافته الحكومة فبعثت جنداً لمحاربته فانهزم الجند ووقع الرعب في قلوب الفاسيين . فارسلت الحكومة جنداً آخر فانهزم فاتخذت الحزم هذه المرة فبعثت الى القبائل الموالية له ووعدت رؤساءها بالاموال والرتب فتواطأوا على الخديعة وأظهروا لابي حمارة الولاء واضمروا الغدر فاطمأن باله وزحف برجاله فبعثوا الى رجال السلطان بخطة سيره فهاجموه على غرة فحاربهم بقلب لا يهاب الموت . ثم تكاثروا عليه ففر الى الجبال فتعقبوه حتى قبضوا عليه في اوغسطس الماضي وساقوه الى فاس في قفص على جمل واذاقه

السلطان عبد الحفيظ مرّ العذاب حتى مات في ١٠ سبتمبر الماضي وتشتت رجاله ودالت دولتهُ



ابو حمارة في القفص

اهم المؤلفات العربية في نظر القراء

اقتراح

نرجو من حضرات القراء ان يذكر كل منهم اسماء عشرين كتاباً مما الف في العربية من صدر الاسلام الى الآن اي غير منقول عن لغة أخرى على ان تكون في اعتباره أفيد سائر الكتب العربية والذها ومتى تمت الاجوبة على ذلك نجمع اصوات كل مؤلف وننشر الكتب التي حازت الاكثرية مرتبة بحسب ذلك



الهول ذوات الرأسين (١)

تقسم الهول ذوات الرأسين الى هولٍ لها رأسان فوق جسم ذي جذع واحد . والى هولٍ برأسين فوق جسم ذي جذعين لها ذراعان اوثلاث أو اربع اذرع وساقان فقط ليس الا



ولدت في اسبانيا سنة ١٧٧٥ ابنةٌ لم يكن في جسمها عضوٌ مزدوج سوى الراس فقط فكان لها رأسان مسبوكان معاً نظير ما يمثلون لنا الاله يانوس وكان الفمان اللذان في رأسيها يرضعان كل منهما على حدة ثديا من ثديي الام . وكان يسمع صراخهما وبكاؤهما في وقت واحد . ولما كانت قناة الهضم واحدة في هذه الابنة فقد لاحظت

(١) نقلاً عن « تاريخ الانسان الطبيعي » تعريب الياس افندي الغضبان

الام انه عند ما كانت تكتفي المعدة كان يرفض الفمان الثديين في وقت واحد . هذا وقد كانت خلقة هذه الابنة من اغرب الخلقات التي شاهدوها على وجه الغبراء قضوا جملة سنوات يسيحون بها من مدينة الى سواها ويعرضونها على الناس لقاء بعض دريهمات يتقاضونها من المشاهدين

جاء تاريخ ذي الرأسين الذي نقله لنا العالم بيشانان بمكان من الدهش والاهمية وقد تحقق علماء ذلك العصر امره وتحرير الخبر هو هذا :

ولد في ايكوسيا في ابتداء حكم جاك الرابع مولودٌ برأسين وصدرين واربع ايد وبطن واحد وساقين . وكأن اتحاد صدريه يبدا فوق السرة وقد امر الملك المشار اليه ان يعتنوا بتربيته ويسهروا على ملاحظته ويهتموا بتعليمه وتثقيفه . فتعلم هذا الفتى عدة لغات وكان يحسن التكلم بها بكل طلاقة وفصاحة . اما رأساه فكانت رغائبهما ونواياهما متخالفة متعاكسة حتى كان ذلك سبباً لوجود الخصام والنزاع بينهما . ولما ادركته الوفاة كان قد بلغ من العمر ثمانية وعشرين حولاً . وكان في الامكان ان يدرسوا تركيب جسمه فيزيولوجياً وبسيكولوجياً . الا ان التعصب الديني الذي كان سائداً في ذلك الوقت وضار باً اطنابه على تلك الارجاء لم يسمح لعلماء ذلك العصر ان تعطى لهم الجثث للبحث التشريحي واستقراء تراكيبه

ومن اغرب المخلوقات ذوات الرأسين واعجبها خلقاً الهولة المولود في سردينيا وقد احضروه الى المتحف الباريسي وكانت وفاته في باريس في اواخر سنة ١٨٢٨ فقد كان له رأسان وصدران واربع ايد كل ذلك كان قائماً على ساقين فقط . اما انسباك هذين الجذعين واتحادهما فكان مبدأه في اعلى السرة . وقد لقبوا الجذع الواحد منهما باسم ريتا والثاني باسم كريستيانا لانهما كانتا اثاوين . ولما توفيت احداهما لحقت الاخرى بها على الفور واجرى لهما الاستاذ جوفروى سانت هيلر الكشف التشريحي وقدم عنهما التفصيلات الآتية وهي : قلبان في شغاف واحد وكبد واحدة وامعاء مزدوجة الى المعى المعروف بالاعور وسلسلتان فقاريتان تتحدان عند العصعص

اما الهولة الذي يسمونه تيرابود فهو مخلوقٌ شاذ الخلق ذو اربع ارجل وليس

له الا رأس واحد وصدر وسرة ويدين . بعكس ريتا وكريستيانا المذكورتين اللتين كانتا مزدوجتين في القسم الاعلى من هيكل بدنهما . اما الازدواج فيأخذ مبدأه في جسمه من تحت السرة بحيث يشاهد فيه عضوان للتناسل واربعة سيقان قوية العضل ممتلئة الربالات . وكان يمشي بسهولة فائقة ينقل رجليه اثنين اثنين . وكان مولده في مدينة بال سنة ١٤٧٥ وبلغ السنة الخامسة عشرة من عمره ولم تكن وفاته طبيعية بل تسببت عن حادث فجائي اصابه صدفةً فقضى عليه

فرنسيسكو فرر

والاشتراكية في اسبانيا

قامت قيامة العالم المتمدن على حكومة اسبانيا لانها حكمت بالامس على فرنسيسكو فرر الاشتراكي الشهير بالاعدام حكماً عرفياً مستعجلاً ولم تترك له وقتاً للدفاع عن نفسه مع انها حكومة دستورية فاخذ الناس يتساءلون عن سبب ذلك واليك بيانه

الاشتراكية او الاجتماعية

الاشتراكية قديمة جداً لكنها لم تتكيف وتظهر جلية الا في التمدن الحديث . لانها تتعلق بمصلحة العامة والتمدن القديم لم يكن يبالي بهم . فلما استنار الناس بالعلم وانتشرت الحرية الشخصية في عصر الاصلاح وتعلم العامة كيف يجتمعون وكيف يطالبون وتشكلت الاحزاب الديموقراطية والجمهورية أصبحت مبادىء الاشتراكية مذهبا قائماً بنفسه له أنصار واعداء . ورافق ذلك كثرة الاختراعات الصناعية التي اغنت أصحاب المعامل عن العمال فانحصرت المكاسب في اصحاب الاموال وتضايق الصناع والعمال والناس يومئذ خارجون من استقلال اميركا والانقلاب الفرنساوي وقد تنبهت الاذهان وارتفع شأن العامة وتحررت الاقلام فنبغ غير واحد من كبار المفكرين في انكلترا وفرنسا والمانيا وغيرها ونظروا في التفاوت بين ما يكتسبه العمال وأصحاب الاموال والفوا الكتب والرسائل والصحف ولكنهم اختلفوا في الطرق المؤدية الى ملافاة ذلك الخلل باصلاح النظام الاجتماعي او وضع نظام جديد تتكافأ فيه القوى وتتضامن المصالح بحيث لا يقع

الحيف على طائفة ولا تستأثر بالنفع طبقة دون أخرى

واختلفوا في تبديل هذا النظام فذهب جماعة الى تبديله بالتؤدة والتربية ونشر العلم وترقية الصناعة جرياً على ناموس الارتقاء العام وهم « الاجتماعيون » . وذهب آخرون الى تبديله سريعاً بالقوة وهؤلاء اعداء النمو الافرادي ولا يرون للحكومات فائدة فيشبهون الفوضويين من هذا القبيل لكنهم يذهبون الى اعتزال الحكومات والاقامة في المنازل جماعات كالعائلة الواحدة في بيت كبير او بلد صغير تحت شروط وأحوال اختلفوا في تفصيلها واتفقوا في مجملها وهم « الاشتراكيون »

واقدم من قال بالاشتراكية على هذه الصورة افلاطون وجاء بعده آخرون فوضعوا نظامات مختلفة مرجعها الى قلب النظام الحالي وان اختلفوا في كيفية ذلك القلب . وسبب هذه الرغبة انهم يرون اصحاب الاموال مستأثرين بالمكاسب التجارية والصناعية لانفسهم مع ان العمال وهم علة تلك التجارة لا ينالون ما يستحقونه من ثمارها . وقد زادت نقمة العمال على اصحاب الاعمال بعد ان تضاعفت اموال هؤلاء على اثر الاختراعات الصناعية والاكتشافات المعدنية اذ قلت حاجتهم الى الايدي لاستغنائهم عنها بالآلات البخارية والكهربائية فاصبحت الثروة محصورة في فئة قليلة من افراد الامة . ولا يخفى ان ملوك المال انفذ امراً من ملوك السياسة والانسان اذا ملك ولم يردعه رادع من نفسه طغى وتجبر

وللاشتراكية تاريخ طويل فصلناه في الهلال الخامس من السنة ١٦ فالناظر الى مطالبهم يرى اكثرها بعيد المنال يخالف نواميس الاجتماع ولكن قيامهم على الحكومات يفيد في تنبيه رجال الحكم للوقوف عند حدهم والسعي في انصاف المظلوم من الظالم . ولذلك لا تسمع اصوات الاشتراكيين غالباً الاّ في الدفاع عن مظلمة او الاحتجاج على استبداد او ضعف كما فعلوا بالامس عند مقتل فرنسيسكو فرر باسبانيا

وهو رجل اسباني فطر على الحرية واستقلال الفكر وكان في بادئ امره من اهل الزراعة فغادرها وقد شغف بالمبادئ الجمهورية واهله لا يريدون ذلك . فغادر المنزل وسافر الى فرنسا ثم عاد الى اسبانيا وقد اخذ على عاتقه تعليم اهل وطنه ونشر المبادئ الحرة بين العامة ولكن المال ينقصه . فسافر الى فرنسا واشتغل بالتدريس للقيام باود الحياة



فرنسيسكو فرر

فتعرف الى سيدة غنية اعجبت بفصاحته وحميته ووافق حماسها حماسه فوهبته مالاً ينفقه في نشر تلك المبادىء ومؤداها النقمة على اصحاب السلطة ورجال الا كليروس. فعاد الى اسبانيا وانشأ مدرسة على نمط حديث لبث روح الحرية ومبادىء الاشتراكية فجرت حوادث سياسية منذ ثلاث سنوات قضت عليه بالحبس ثلاثة عشر شهراً تأخرت مدرسته في اثنائها. ثم حكمت الحكومة باقفالها فاراد اعادتها فلم يستطع لان القوة غالبة فانشأ مكاناً لطبع الكتب العلمية والفلسفية والتاريخية وانشأ عشرات من المدارس في اطراف اسبانيا. وقد شهر حرباً قلمية على الدولة انفق فيها نحو ٢,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

وكانت الحكومة لما حكمت عليه للمرة الاولى قد طلبت مصادرة امواله وكان اكثرها مرهوناً في فرنسا على اموال اقترضها للانفاق على نشر الاشتراكية ومبادىء الجمهورية فلم تقدر على مصادرتها فاخذت تتحين الفرص للقضاء عليه والتخلص منه حتى جرت الحوادث الاخيرة في اسبانيا وقام الاشتراكيون على رجال الدين واهل السلطة

وسبب قيامهم ضعف سياسة الحكومة. ابتدأت الثورة في برشلونة من اعمال كتالونيا بمظاهرة قام بها بعض الافراد ضد اعمال الحكومة في حربها بافريقيا. فعظم ذلك على

رجال السيادة وعمدوا الى اسكات الشعب بالعنف ــ وتمتاز اسبانيا عن اكثر ممالك اوربا بسيادة الاكليروس فيها واستبدادهم وذلك من بقايا عهد التفتيش . والحكومة الاسبانية مع انها دستورية فان روح الاستبداد لا تزال متأصلة برجال الحكم فيها . خصوصاً ان قانونها الدستوري يحصر قوة التنفيذ بالملك كما في ايطاليا وهولندا وغيرهما لا تشاركه فيها الوزارة كما في دولتي انكلترا والدنمارك . فلما تظاهر الشعب ضد اعمال الحكومة في افريقيا تعاونت السلطتان السياسية والدينية على اسكات الشعب بالقوة فصدرت الاوامر باقفال الاندية وتعطيل الجرائد الحرة ومنع الخطب العمومية

فزاد هياج الشعب واكثر الهائجين من الفوضويين غلاة الاشتراكية ووافقهم العامة من العمال والصناع وهؤلاء من طبيعتهم اعداء اهل السيادة والثروة . وقد غلب على اعتقادهم ان سبب ذلك الضغط رجال الاكليروس فهجموا على الاديار والكنائس فاحرقوا ٥٤ ديراً او كنيسة وقتلوا ٨٥ نفساً وجرحوا ١٩٨ ويظن بعضهم ان سبب هذه النقمة في اهل كتالونيا ان اسبانيا تنتفع من اعمالهم ولا تنفعهم حتى اصبحوا لها كالبقرة الحلوب يعملون ويتعبون ويدفعون الاموال لحكومة يكرهونها . وهم اقرب الاسبان الى المبادىء الحرة مثل اهل تبريز في ايران لكنهم لم يتفقوا على مبادىء جمهورية واحدة فلذلك لم يقدروا على جمع كلمة الاسبان تحت قيادتهم لقلب الحكومة الملكية . والحكومة من الجهة الثانية لم تظهر الحزم اللازم في مثل هذا الحال ومجلس النواب كثير التردد والملك قليل النفوذ ضعيف السطوة والدستور لم يبق منه غير الاسم وزاد الطين بلة قلة رواتب مستخدمي الحكومة فشاركوا الناس بالنقمة على الدولة

وأما الاكليروس فسبب نقمة الشعب عليهم كثرة الرهبان واستئثارهم بالاديار وريعها فيقال ان عدد الرهبان في أسبانيا بلغ سنة ١٩٠٤ نحو ٦٠٠٠٠ راهب غير من نزح اليها من رهبان فرنسا في الاعوام الاخيرة فلو كان غنى اسبانيا ضعفي ماهو عليه لم يكن كافياً للقيام باود اقوام ينزلون فيها ويعيشون من مالها ولا يعملون عمل اهلها

فلما ثار الاسبانيون واحرقوا الكنائس كما تقدم نسبت الحكومة سببها الى تعاليم فرر او زعمت انهُ حرض على الثورة رأساً فقبضت عليه بهذه التهمة . ويقال انه كان يخشى توجيه هذه التهمة اليه فعزم على تسليم نفسه للحكومة يتبرأ من ذلك جهاراً فالقي عليه

القبض وهو في الطريق . فسجن أياماً ثم حوكم فجأة وحكم عليه بالاعدام ونفذ الحكم سريعاً فهاج الشعب ونسب ذلك الحكم الى دسائس الاكليروس والوزير وضعف الملك واشترك مع الاسبان في شعورهم سائر العالم الاشتراكي في اوربا . فتظاهروا ضد هذا العمل في سائر مملكة اسبانيا وفي فرنسا وايطاليا وانكلترا والارجنتين ومصر . والقى بعضهم قنبلة أمام دار اسقف برشاونه فجرح بها اربعة والقيت عدة قنابل أخرى لم تأت بضرر يذكر لكنها تدل على مبلغ نقمة الناس هناك

واما الحكومة فتعتبر الحكم على فرر عدلاً لاسباب تقول انها تبينتها والشعب لايعرفها . وفي كل حال فانها عمدت الى الفتك بفرر لانه عدوٌّ عامل على مقاومة سلطتها جهاراً . فعملت عمل رجال الحزم في عصر الاستبداد فعمدت الى قطع رأس الحية ولو كان في قطعهِ خروجٌ عن العدل الصريح فانها تعده من حسن السياسة للتخلص من الفتنة « والفتنة أشد من القتل » فقتلت ذلك الزعيم النذير الذي ضحى نفسه في بث روح الاشتراكية ومقاومة السلطة الاستبدادية . واقفلت مدارسه ومطابعه فتخلصت من عدو شديد الوطأة ولن تعدم وسيلة في تخفيف غضب أشياعه مع الزمن الا اذا وفقوا الى رجل مثله ينقطع لهذا العمل . واذا لم يقم من يخلفه عدَّ قتل فرر فشلاً لحزب الاشتراكيين . ولكن الفائدة حصلت بتنبيه الحكومة الى واجباتها فعلمت ان الشعب حي لايحمل الضيم ولا يصبر على الظلم طويلاً فلعلها تعمد الى الاصلاح ريثما تعتدل مطالب الاشتراكيين وتخف مطامع اهل السياسة والدين

كيفية ارسال بدل الاشتراك

ان افضل الطرق لارسال بدلات الاشتراك من البلاد التي ليس لنا وكلاء فيها ان ترسل حوالة على البوسطة وذلك ميسور بكل مدينة في العالم المتمدن

ونرجو ممن يرسل نقوداً الى ادارة الهلال ان يجعل عنوان الارسال الى مكتب بوسطة الفجالة بمصر

يلزم ادارة الهلال

يلزم ادارة الهلال الاعداد ٩ من السنة الرابعة و٥ من السنة ١٧ للهلال بالثمن فمن يعثر عليها او بعضها يتكرم بها وله الفضل

باب السؤال والاقتراح

العباسة اخت الرشيد

﴿ غزه هاشم ﴾ حسني افندي خيال

كنت اقلب صفحات مقدمة ابن خلدون فعثرت على ما قاله من المدافعة عن العباسة مما نسبه اليها بعض المؤرخين من حكايتها مع جعفر وهو يجلّ مقامها عن ارتكاب ما تدنس شرفها ويلوث مجدها . وحاشا ان تصبو لمولى من مواليها اعجام الفرس وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها وابويها وجلالها . وانها بنت عبدالله بن عباس ليس بينها و بينه الا اربعة رجال هم اشراف الدين وعظماء الملة كما قال المؤرخ . وانه يسمو شرفها الرفيع عن تلك التهمة الباطلة . ولقد قال المؤرخ المومى اليه بدحض اقوال المؤرخين الذين تصدوا للخوض في سيرة العباسة وقد ايد قوله بما اتى به من البراهين والادلة الساطعة على صحة دعواه من نفيه تلك المزاعم بشواهد معقولة . ولا بد وان يكون مصيباً في رأيه لعلمنا بما كان يتحراه من الحقائق . ولذلك فقد استغربنا اخذكم باقوال احد المؤرخين وتدوينكم روايتكم المشهورة بالعباسة اخت الرشيد بذلك الموضوع دون ان تعتمدوا ما نقله ابن خلدون بمقدمته صفحة ١٥ فاخذكم بغير ما اعتمده ذلك المؤرخ الجليل لا بد وان يكون لحجة اعتمدتم عليها في روايتكم . فحرصاً على الحقائق وازهاقاً للباطل ارجو التفضل بدواعي المخالفة لما اعتمده ذلك المؤرخ وانتم اولى من يرجى في هذا الباب

﴿ الهلال ﴾ ان حكاية العباسية أخت الرشيد وعلاقتها بجعفر البرمكي يكاد يتفق المؤرخون على وقوعها . فلم يقم مؤرخ ثقة الا ذكرها . وقد يختلفون بالرواية ولكنهم أجمعوا تقريباً على تبادل الحب بين العباسية وجعفر وان ذلك كان من أسباب نكبة البرامكة او سببها الوحيد . فنحن لم نعول في ماذكرناه من خبرها على رواية ضعيفة او

قول نادر كما ظننتم وانما عولنا على ثقات المؤرخين كالطبري والمسعودي وابن الاثير وابن خلكان والفخري وابن الساعي وأبي الفداء وغيرهم. فقد اتفقوا جميعاً على ما خلاصته «ان الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدي وكان يحضرهما اذا جلس للشرب فقال لجعفر ازوجكها ليحل لك النظر اليها ولا تقربها فاني لا اطيق الصبر عنها فاجابه الى ذلك فزوجها منه وكانا يحضران معه ثم يقوم عنهما وهما شابان فجامعها جعفر فحملت منه فولدت غلاماً فخافت الرشيد فسيرته مع حواضن له الى مكة فاعطته الجواهر والنفقات. ثم ان عباسة وقع بينها و بين بعض جواريها شر فانهت الى الرشيد فحج هرون هذه السنة (١٨٧هـ) وبحث عن الامر فعلمه وكان جعفر يصنع للرشيد طعاماً بعسفان اذا حج فصنع ذلك ودعاه فلم يحضر عنده فكان ذلك اول تغير امرهم»

هذه عبارة ابن الاثير حرفياً وهو يذكرها كحقيقة مقررة ولم يصدرها بما يضعفها كقولهم «قيل» او «يقال» بل بدأ كلامه بقوله «وفي هذه السنة قتل جعفر بن يحيى وكان سبب ذلك ان الرشيد الخ» وروى هذه الرواية سائر من تقدم ذكرهم من المؤرخين الثقات مع اختلاف في اللفظ. فضلاً عما جاء من هذا القبيل في كتب الادب وليست هي مما يستخف به في ايراد الحقائق التاريخية وفيها توسع. فالاتليدي اورد هذه الحكاية بتفصيل كثير استغرق بضع صفحات من كتابه أعلام الناس وهو يسمي الفتاة هناك «ميمونة» لكنه يعني بها أخت الرشيد وبنت المهدي فهي صاحبة القصة نفسها. فلما بنينا عليها رواية «العباسية أخت الرشيد» من سلسلة روايات تاريخ الاسلام زدنا توسعاً في القصة على ما يقتضيه المقام — فاذا انكرنا رواية اولئك الثقات فعلى من يكون معولنا في التاريخ الاسلامي؟ وعليهم عوّل ابن خلدون في وضع تاريخه المشهور

اما سبب انكاره قصة العباسة فهو اعتقاده ان صدق هذه القصة يحط من قدر العباسيين فجعل همهُ اجلال العباسة عن هذا المنكر لانها من سلالة العباس عم النبي. كما أراد اجلال العباسيين في صدر دولتهم عن الترف والبذخ واتخاذ آنية الذهب والفضة — مع ان كتب المؤرخين والادباء مشحونة باخبار بذخهم وأسرافهم. ولا ندري كيف يذهب عن هذا الفيلسوف ان بني العباس بشرٌ والعصمة لله وحده. وهو يعلم انه ظهر من هذه الاسرة أناس أخطأوا وسقطوا مما لا يتيسر انكاره. هذه أخبار الامين بن الرشيد أشهر

من ان تذكر وقد عاصر العباسة وهي عمته ناهيك بما اقتضته سياستهم في صدر دولتهم من الغدر والقتل على التهمة ونحو ذلك . والمقام يضيق عن ايراد الادلة . وانما يجوز للمؤرخ الناقد انكار ما يغاير الطبيعة اويخالف أحكام العقل . وهل في حب امرأة لرجل ما يغاير الطبيعة او يخالف أحكام العقل ؟ فكيف ننكره مع اجماع المؤرخين على صحته

على اننا لا نعتقد ان هذه الحادثة وحدها السبب في نكبة البرامكة بل نرى لتلك النكبة أسباباً سياسية أخرى لها المقام الاول في هذا الشأن . ويعتقد ابن خلدون ان سببها « استبداد البرامكة على الدولة واحتجابهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه الخ ... فكثرت سعايات الناس بهم » ولكنه أغفل سبباً هو أهم تلك الاسباب واساسها نعني انحياز جعفر للشيعة وعزمه على نقل الخلافة من العباسيين الى العلويين والرشيد مشهور بكره الشيعة . وقد فصلنا ذلك في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي . ولم نذكر خبر العباسة هناك الاذكراً ضعيفاً . فبعد ان بينا الاسباب السياسية لتلك النكبة وان الرشيد جاء امرأته زبيدة يستشيرها في امر البرامكة لانه خائف اذا تمكن هؤلاء من خراسان ان يخرج الامر من يده قلنا « فحرضته على سرعة الفتك بجعفر ويقال انها ذكرت له أموراً ارتكبها جعفر في بيت الرشيد تتعلق بالعباسة أخته »

فترى من عبارتنا في معرض التحقيق التاريخي هنا اننا نستضعف تلك الرواية — ليس لبعدها عن المألوف اوالمعقول ولكننا رأينا في اقوال بعض الثقات ما يضعفها . من ذلك ما ذكره ياقوت في معجم البلدان « ان العباسة بنت المهدي تزوجها محمد بن سليمان ابن علي فمات عنها ثم تزوجها ابراهيم بن صالح بن المنصور فمات عنها ثم تزوجها محمد ابن علي بن داود فمات عنها ثم اراد ان يخطبها عيسى بن جعفر فسمع شعراً قاله ابو نواس بها تشاءم منه وتحامى الرجال تزويجها حتى ماتت » ولم يذكر صاحب المعجم عمن اخذ هذه الرواية . ومهما يكن من ثقته فانه لاينقض روايات من تقدم من المؤرخين ولكنه يبعث على النظر في سبب هذا التخالف . ولا بد من خطأ تطرق الى احدى الروايتين ويجوز ان يكون الخطأ وقع في تحريف الاسم وان اخت الرشيد التي جرت لها الحادثة مع جعفر كان اسمها ميمونة كما قال الاتليدي . او ان هذه لم يكن اسمها العباسة . أو ان

الرشيد لم يقتل العباسة بعد اطلاعه على أمرها كما ذكر بعضهم فبقيت حية وتزوجت من تقدم ذكرهم وماتوا عنها في أيام الامين وفي ذلك يقول أبو نواس :

الا قل لامين الا ه وابن السادة الساسه
اذا ما خالف سرّ ك ان تفقده رأسه
فلا تقتله بالسيف وزوجه بعباسه

فرواية ياقوت هذه اضعفت حديث العباسة عندنا . فلما ذكرناه في معرض التحقيق التاريخي في تاريخ التمدن الاسلامي دللنا على استضعافنا اياه بقولنا « ويقال » وأما في الرواية فابقيناه على ما ذكره الرواة

ويدلك على ان فيلسوف المؤرخين انما ساقه الى انكار ذلك رغبته في اجلال العباسيين عن الرذائل في صدر دولتهم انه ناقض نفسه في هذا الشأن غير مرة . من ذلك قوله في صدر مقدمته « ولقد كان اولئك القوم كلهم (العباسيون) بمنجاة من ارتكاب السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة البداوة وسذاجة الدين . وان جميع من سلف من خلفاء بني أمية وبني العباس انما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف واللجم والسروج وان أول خليفة احدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم أيضاً في ملابسهم »

فلما جاء الى كلامه عن انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة في تلك المقدمة ذكر ما اهداه المأمون لعروسه بوران مهراً ليلة زفافها فقال « ان المأمون أعطاها في مهرها ليلة زفافها الف حصاة من الياقوت وأوقد شموع العنبر في كل واحدة مائة منّ وهو رطل وثلثان وبسط لها فرشاً كان الحصير منها منسوجا بالذهب مكللاً بالدر والياقوت وقال المأمون حين رآه قاتل الله أبا نواس كانه أبصر هذا حيث يقول في صفة الخمر :

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب »

اليس هذا من السرف في الزينة ؟ والمأمون ثاني الخلفاء بعد الرشيد وليس ثامنهم



الجزء الثالث من السنة الثامنة عشرة

اول دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٩ و ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٧

الاستانة العلية

موقعها ومناظرها وآثارها وقصورها ومتاحفها

وأحوالها الاجتماعية والعلمية والادبية والسياسية

٨ — حالتها السياسية

ان النظر في حال الاستانة السياسية اهم من النظر في سائر احوالها لاننا في اوائل الانقلاب السياسي . وقد اختلفت الاقوال في حقيقة حالها وتضاربت الآراء في مصيرها بين متفائل يرى الامور قد استقرت وان النفوس قد اشربت بالدستور فلا خوف على الدولة من رجعة او ثورة • ومتشائم يرى الخطر محدقاً بها من كل ناحية فيخاف عليها انقسام العناصر وتفرق الاديان ومطامع بقايا العهد الماضي . أو يخشى نقمة الذين قضي عليهم بالعقاب نفياً او عزلاً وغير ذلك من التغييرات التي اقتضاها هـذا الانقلاب . وهناك طائفة توسطوا في آرائهم ومخاوفهم

ونظر محبو الدولة العثمانيـة في الوسائل اللازمة للمحافظة على الدستور وملافاة ما يخشى منه عليه فاختلفوا في وصف الدواء وفي تعاطيه كما اختلفوا في تشخيص العلة وتعيين موضعها . فلما رحلنا الى الاستانة في الصيف الماضي جعلنا همنا البحث في حالتها السياسية لم ندخر وسعاً في التنقيب عن الاسباب والنتائج واستخراج الحقائق من مظانها والسؤال

عن الاختلافات من اصحابها على اختلاف العناصر والاحزاب والمذاهب . وتعرفنا الى خيرة ارباب الحل والعقد ودرسنا اميالهم وتبطنا اغراضهم وحقيقة مقاصدهم ثم نظرنا في ذلك كله نظر الناقد المعتدل فوصلنا الى نتيجة نحن باسطوها في ما يلي :

الحكومة العثمانية وسائر الحكومات

الحكومة العثمانية اليوم دستورية ولكنها تختلف عن سائر الحكومات الدستورية من حيث القوى التي تتنازعها او تدير شؤونها . فالحكومة في الممالك الدستورية على الاجمال يدير شؤونها قوتان نواب الامة والوزراء . واما الدولة العثمانية فيتنازع حكومتها ثلاث قوى النواب والوزراء وجمعية الاتحاد والترقي . وليست مداخلة هذه الجمعية في شؤون الدولة بدعة من بدع الدستور العثماني كما يتبادر الى الاذهان ولكنه طبيعي في اوائل الانقلاب وقد وقع مثله في سائر الدول العظمى عند انقلابها . ولكن جمعية الاتحاد والترقي تمتاز عن سواها من الجمعيات السياسية والانقلابية انها شديدة الميل الى المسالمة وحجب الدماء فقد احدثت هذا الانقلاب وفي عزمها ان تخالف سنة الاجتماع فتبقي على رجال العهد القديم وتحاسنهم

فلما اعلنت الدستور في ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٨ اغمدت السيف واطلقت الحرية . ثم ما لبثت ان ادركت خطأها وان للاجتماع سنة لا تتبدل — بعد ان جرت حادثة ١٣ افريل التي كادت تذهب بالدستور واهله لو لم يتداركه شوكت باشا وجنده فدخلوا الاستانة فاتحين وخلعوا السلطان وبايعوا اخاه . ومع ذلك لم يقتل في هذا السبيل الا الف و بعض الالف . وما من دستور الا كاف اهله الوفا من الانفس في جملتهم الملوك والشرفاء والكهنة وغيرهم بين نزاع وتطهير. ولنا في الانقلاب الفرنساوي اكبر شاهد : اعلن الفرنساويون الدستور او الحرية سنة ١٧٨٩ ولكن السيوف لم تستقر في اغمادها الا بعد بضع سنين وهم يطاردون الاشراف وغيرهم من رجال العهد القديم. وقد صادروهم باموالهم واملاكهم وما زالوا حتى ابادوهم وساقوا الملك نفسه الى الذبح كما تساق الاغنام

فاين ذلك من الانقلاب العثماني السلمي الذي بدأ بالمحبة والتآلف ولو لم يفتر اهل العهد القديم على الاحرار لم يسفك في سبيله دم رجل واحد . والفضل في ذلك لاصحاب

هذا الانقلاب نعني اعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين ادهشوا العالم بتعقلهم وحكمتهم واعترف لهم القريب والبعيد انهم اتوا عملاً لم يسبقهم اليه احد كما بينا ذلك في ما كتبناه في العام الماضي عن تاريخ هذا الانقلاب . وقد ذكرنا هناك تاريخ هذه الجمعية على ما بلغ اليه علمنا يومئذ ونظراً لكثرة تكتمها ما زلنا في شوق للاطلاع على تفاصيلها حتى اتينا الاستانة فاستقصينا اصلها وتاريخها من اعرف الناس بها :

جمعية الاتحاد والترقي

ذكرنا في الهلال الاول من السنة الماضية ان هذه الجمعية تأسست سنة ١٨٩٤ في الاستانة ثم انتقلت الى باريس . وفصلنا كيفية الانتظام في سلكها وتاريخ تفرعها وما مر عليها من الادوار حتى تضعضعت برجوع مراد بك الى الاستانة . ثم نهوضها على يد الداماد محمود باشا وابنه البرنس صباح الدين الى ان تمَّ الانقلاب على يد فرعها في سلانيك ومن اعضائه نيازي وانور . ويؤخذ من مجمل القول هناك ان لجنة سلانيك المشار اليها هي نفس جمعية الاتحاد والترقي التي كان مركزها في باريس . لكننا علمنا بعد البحث الاخير ان لجنة سلانيك التي تمَّ الدستور على يدها نشأت مستقلة في سلانيك نحو سنة ١٩٠٦ لكنها تنظمت على مثال الجمعية الاولى من حيث طرق الدخول والغرض الاساسي واعضاؤها من احرار الاتراك . وان الجمعية الاولى كان اسمها « جمعية الترقي » ولما صارت في باريس سميت « جمعية النظام والترقي » وكان اهم اعضائها أحمد رضا بك وخليل غانم والدكتور ناظم بك

وكأن الاحرار استبطأوا النجاح هناك فنهض جماعة منهم في سلانيك وفيهم طلعت بك ورحمي بك ومدحت بك وكاراسو وميناسي والفوا جمعية على مثال تلك سموها « جمعية الاتحاد والترقي » وهي أول جمعية من جمعيات الاحرار سميت بهذا الاسم واخذت تسعى في طلب الدستور من اقرب الطرق واعجلها على يد الجيش . فانتظم في سلكها صغار الضباط من الملازم فما فوق الى البكباشي وهم قوام الجند واهل القوة . فبلغ خبر هذه الجمعية الى « جمعية النظام والترقي » بباريس ورئيسها أحمد رضا بك فتباحثوا في الاسم . وأرادت لجنة باريس بقاء اسم « النظام والترقي » فلم تقبل جمعية سلانيك

وسعى بعضهم في ضم الجمعيتين . فلم تقبل جمعية سلانيك في عضويتها الا الذين تحققت ثباتهم في الغرض الاصلي ولم تغوهم أموال عبد الحميد ولا مواعيده . وأخذت تعمل بجد واجتهاد حتى فازت بالدستور كما هو مشهور وقبضت على ازمة الامور وهي صاحبة الكلمة النافذة والرأي الاعلى واكثر اعضائها مجهولون . وأما الذين ظهروا من أعضائها وعرفهم الناس فمنهم جماعة من كبار الموظفين فيهم ثلاثة من الوزراء وهم طلعت بك ناظر الداخلية وجاويد بك ناظر المالية ونائل بك ناظر المعارف وهي أهم وزارات الدولة واليك ما عرفناه من احوال اشهر اعضاء هذه الجمعية :

اعضاء جمعية الاتحاد والترقي



طلعت بك ناظر الداخلية

١ ـ طلعت بك ناظر الداخلية : اصله من ادرنه سنه ٣٨ سنة وكان في العصر الماضي من مستخدمي التلغراف . وهو ربعة مع ميل الى السمن جميل الطلعة دمث الاخلاق ذكاؤه يزيد على علمه وفيه اقتدار على الاقناع . اذا جالسه رجل توهم من لطفه ولين عريكته انه طوع ارادته ولكنه لا يلبث ان ينقاد له صاغراً . وهو عازب وفقير

٢ ـ رحمي بك : اصله من سلانيك عمره ٣٩ سنة وهوطويل القامة رقيق العضل اشقر الشعر تزوج وولد له غلام · انتظم في الجمعية وهو غني فبذل ما له في سبيل نصرتها فنسبته الى هذه الجمعية كنسبة ابي بكر الصديق الى الصحابة . وكان مع ذلك يتجسس على جواسيس عبد الحميد . وكان عبد الحميد يستاء من نصرته للاحرار ويعدّه من اهل الفوضى وجرى ذكره مرة بين يديه فقال « ان رحمي الفوضوي حامل علم الفوضوية »

٣ ـ كاراسو : هو يهودي أصله من سلانيك ويحترف مهنة المحاماة · ليس له ثروة لكنه ذكي الفؤاد عمره ٥٣ سنة طويل القامة خفيف العضل اسمر اللون ذو لحية شمطاء ويمتاز عن رفاقه بانه ماسوني وادخل كثيرين من شبان الاتراك في الجمعية الماسونية · وهو الآن مبعوث سلانيك وله إقتدار في فن الاقتصاد وأراد مجاراة جاويد بك في مجلس المبعوثان بالمسائل المالية فلم ينجح فعهدت نظارة المالية الى جاويد

٤ ـ رفيق منا سي بك : هو من اهل الاستانة يحترف المحاماة وكان في جملة المحامين عن مدحت باشا في محاكمته المشهورة فنقم عليه عبد الحميد واخرجه من زمرة المحامين وحرم من المرافعة في محاكم الاستانة فالتجأ الى سلانيك وأخذ في العمل مع الاحرار توفي عن ٥٢ سنة قضى ٣٥ منها في بث روح الحرية سرًّا بين الشبان العثمانيين ممن كان يلتف حوله من الناشئة الادباء · ولما دنا وقت الفوز كان للاحرار من خيرة اصحاب الرأي لما هو عليه من طول الاختبار والتوسع في القوانين وكان أسمر اللون كبير اللحية مربعها نزيهاً نشيطاً وتولى نظارة العدلية

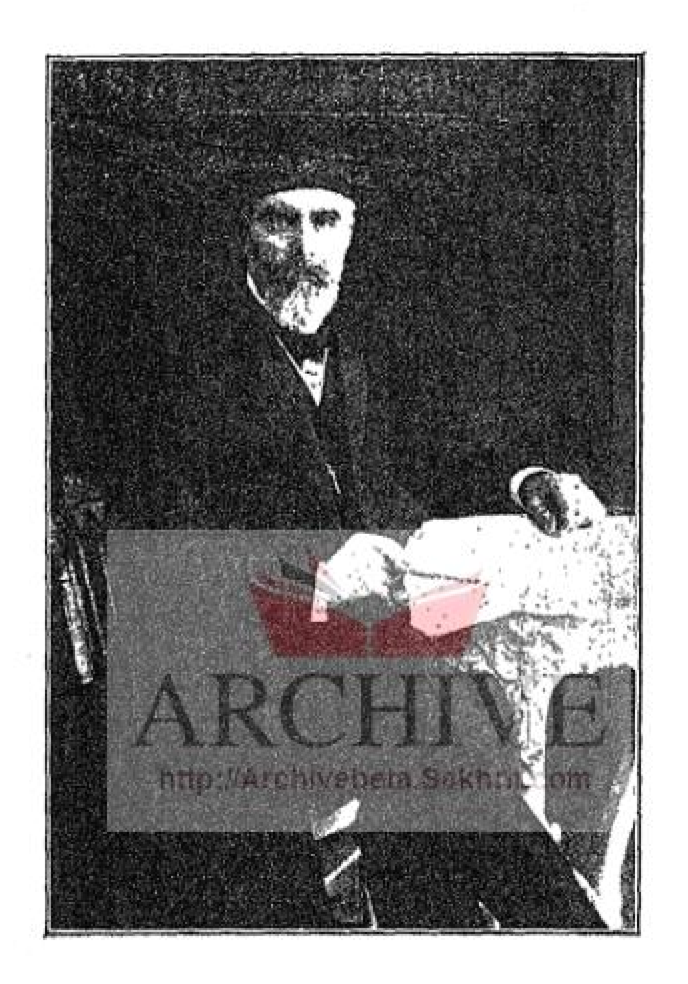
٥ ـ جاويد بك : اصله من سلانيك وقد عرف بالذكاء وحدة الذهن من صباه واشتهر بميله الى العلوم مع الاجتهاد في تحصيلها ·وقد فطر على حب العمل فلا تجده الا مشتغلا ولا يشتغل الا بالمواضيع الجدية · عمره نحو ٣٥ سنة قضى معظمها في الدرس والتدريس واكثر تدريسه في العلوم الاقتصادية واشتغل حيناً بتحرير الجرائد والمجلات وله مؤلفات في الاقتصاد . وهو خطيب مصقع ويعدونه اخطب رجال الدولة العثمانية واعلمهم بفن الاقتصاد شهد له بذلك علماء اوربا وقد تزوج وماتت امرأته ولم تترك له ولداً . وهو ناظر المالية العثمانية الان يرتزق من راتبه وليس له مرتزق سواه . وهو ربع القامة مع ميل الى القصر حليق اللحية لطيف الحديث دمث الخلق



جاويد بك ناظر المالية

٦ ـ الدكتور ناظم بك : من اقدم المجاهدين في سبيل الحرية من عهد لجنة النظام والترقي في باريز مع احمد رضا بك . وهو طبيب اصله من سلانيك تعلم الطب في الاستانة ثم ارسل للتبحر في هذا العلم باوربا فتعرف الى احمد رضا بك في باريس ولازمه وثبت معه في نصرة الحرية الى النهاية خلافاً لكثيرين غيرهما اغراهم عبدالحميد بالمال او الوظائف ورجعوا عن جهادهم . أما الدكتور ناظم فثبت مثل ثبات احمد رضا وخدم جمعية الاتحاد والترقي خدماً ذات بال فتولى كتابتها أي انه كان كاتب سرها والمبشر بمبادئها ورسولها الى الاطراف . فكان يخرج في المهمات الصعاب متنكراً تحت خطر القتل فاظهر في اعماله دهاء وذكاء اعترف له بهما القاصي والداني . فكثيراً ما كان يتنكر بثوب شيخ او قسيس او بائع تبغ او جندي والبوليس يعلم بخروجه ويتفقده فلا يعثر عليه ولا يستطيع كشفه . وكان اكثر تخفيه في الروملي الاناطول وخصوصاً في

ازمير. وهو اسمر اللون قصير القامة ممتلئ الجسم طلق اللسان قوي الحجة يفوق رحمي بك بحرية الفكر. لم يتزوج وسنه الان ٣٥ سنة



احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان

٧ ـ احمد رضا بك : عمره الان نحو ٤٩ سنة وهو رئيس مجلس المبعوثان وكان في شبابه مديراً للمعارف العمومية في ولاية خداوندكار ثم فرَّ منها ومن سائر تركيا على اثر اصلاحات اشار باتخاذها ويمم باريس وتفرغ لدرس الفلسفة واختار تعاليم اوغست كنت (Posivitism) وتعمق فيها واشتدت ثقة اعضاء جمعية الترقي في الاستانة به فولوه نيابتها في اوربا فأنشأ في باريس جريدة سماها « مشورت » ينشئها بالتركية مع ملحق بالفرنساوية ١٨٩٦ فصار للجمعية من ذلك الحين نائبان أحدهما احمد رضا بك صاحب مشورت في باريس والاخر مراد بك صاحب ميزان بمصر. وكان المرحوم خليل غانم

سكرتير لجنة باريس ومن اكبر محرري مشورت الفرنساوية . واشتهر احمد رضا بك على الخصوص بنزاهته وثباته فقد قاسى مر العذاب وهو في باريس يشتغل للتعيش بدون الكفاف واهل المابين يسترضونه بالاموال والرتب وهو يأبى

٨ ـ محمد عارف بك : اصله من الروملي وهو الآن في الرابعة والثلاثين من عمره اسمر اللون ربع القامة ممتلئ الجسم وقد انتخب نائباً عن الروملي في مجلس المبعوثان وكان قبل ذلك يشتغل بالمحاماة ويحرر مجلة قانونية شرعية . وكان من اكثر الساعين في نشر مبادئ الحرية في الروملي وهو فقير عازب

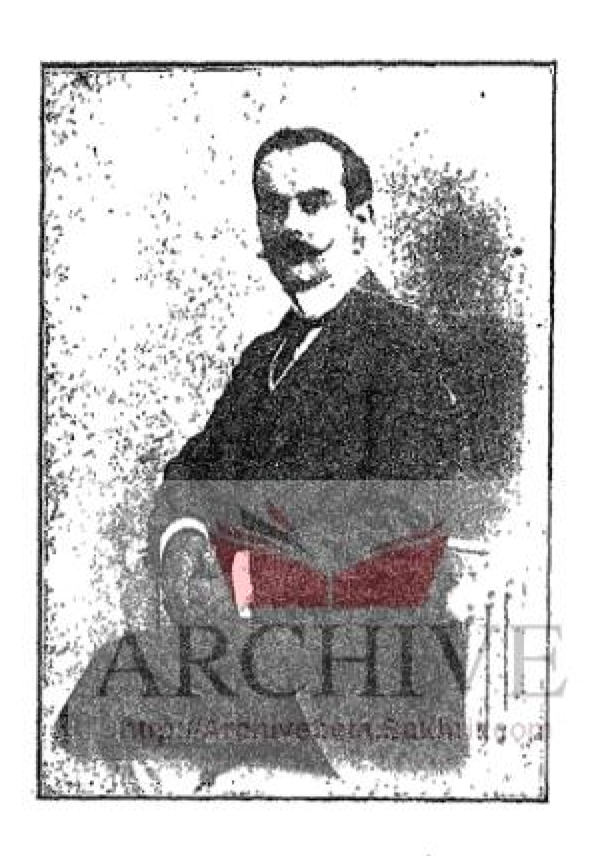
٩ ـ حبيب بك : هو قائم مقام في العسكرية عمره ٤٢ سنة اسمر اللون ربع القامة وكان من المجاهدين في نشر مبادئ الجمعية وتاييدها

١٠ ـ الدكتور بهاء شاكر بك : من اهل الاستانة جميل الصورة ربع القامة اسمر اللون ممتلئ البدن عمره ٣٤ سنة . كان في العصر السابق طبيب البرنس يوسف عز الدين ولي العهد الحالي . فكان البرنس المشار اليه يستخدمه في تنشيط الاحرار وبث افكاره فيهم ويبذل لهم الاموال على يده

١١ ـ اسماعيل جان بلاط : هو شاب في التاسعة والعشرين من عمره واحد ضباط الجيش العثماني برتبة صاغ قول اغاسي رقيق البدن اشقر اللون خفيف الروح ذكي الفؤاد واسع الاطلاع . استخدمته الجمعية في مهمات ذات بال من جملتها مهمة سار بها مع مصطفى نجيب بك للفتك بناظم بك صهر انور بك وكان من كبار الجواسيس في عهد عبد الحميد . وقد اشرنا الى ذلك في كلامنا عن خواطر نيازي بك واصيب برصاصة شفي منها

١٢ ـ حسين جاهد بك : من اهل الاستانة وعمره الآن ٣٢ سنة قضى معظمها في الدرس والتدريس والتحرير والتحبير . وهو من نواب استامبول في مجلس المبعوثان ومحرر جريدة طنين لسان حال جمعية الاتحاد والترقي ويعدّ اكتب رجال الصحافة التركية واقدرهم على استنباط المواضيع وتوليد الافكار واشدهم لهجة . اذا قرأت ما يكتبه في طنين توهمت فيه العنف والجفاء لشدة وطأته وقوة عبارته وما يتخلل ذلك من التهديد والوعيد فاذا خاطبته رأيته يكاد يذوب رقة ولطفاً . وهو جميل الصورة اسمر

اللون حليق اللحية . لا يضارع صديقه جاويداً في الاقتدار على العمل الطويل الا هو مع جسارة وقوة عزيمة واقدام ونشاط . وهو فقير جداً وقد تزوج وله ولدان



حسين جاهد بك محرر طنين

١٣ ـ حافظ حقي بك : قائمقــام في الجندية العثمانية وظيفته ملحق عسكري اركان حرب في سفارة فينا . وهو من اوسع الاتراك علمــاً ومن اكثرهم ذكاء وجرأة عمره ٣٢ سنة قصير القامة اسمر اللون ممتلئ الجسم فصيح اللهجة

١٤ ـ نايل بك : ناظر المعارف العمومية من اوسع الاتراك علماً ومعرفة وهو يرسل لحيته وفيه رغبة في نشر العلم ويعتقد ان العلم الوسيلة المثلى في تأييد الدستور

فترى من مجمل ما تقدم ان اعضاء هذه الجمعية الظاهرين الان اكثرهم من اهل الاستانة وسلانيك وهم أتراك مسلمون الا واحداً . واكثرهم من الادباء والكتاب ورجال الحقوق والاقتصاد وهم طبعاً يحسنون التركية لانها لغتهم ويحسنون ايضاً



نائل بك وزير المعارف

الفرنساوية . ولهم اطلاع على الاداب الاوربية وخصوصاً اداب الفرنساويين واكثرهم يعرف العربية الفصحى . وادباء اللسان التركي لا يستغنون عن معرفتها لترقية الانشاء في لسانهم . ومعظمهم من الشبان تتراوح اعمارهم بين ٣٠ سنة و ٤٠

اما سائر اعضاء الجمعية فانهم منتشرون في المملكة العثمانية واهمهم في سلانيك والاستانة ومركز الجمعية الاكبر في سلانيك . لا يعلم احد اين يجتمعون . وهؤلاء على الاجمال مثل اكثر ادباء الاتراك من الناشئة الجديدة قد تثقفوا على النسق الحديث وتبحروا بالعلوم الحديثة واختلطوا بالامم المتمدنة وتفهموا اسباب الارتقاء والتقهقر فضعفت حاسة التعصب الديني في قلوبهم واصبح مذهبهم الاتحاد . وهم اهل حرية وشجاعة ادبية وصدق طوية لا كذب ولا رياء ولا دعوة باطلة ولا جدال في غير الحق ولا عداء للاجانب . وانما شيمهم التواضع وصدق النية في خدمة الدولة والامة . ولا عجب وفيهم نخبة الادباء والمحامين والاطباء ورجال العلم — واحرِ بامثال هؤلاء ان

ينبذوا التعصب الديني . واذا جالستهم او عاشرتهم لا تجد فرقاً بينهم و بين ارقى اهل اوربا في شيء . ونظراً لتكتم الجمعية في اعمالها وأخفاء أسماء أعضائها قد ادعاها غير أهلها ورأى الناس من بعض فروعها بالاطراف ما يخالف ظنهم بها فانتقدوها. وقد تكون براء من ذلك أو أنها تجيزه لحكمة تراها ولا يراها الناس وأن كانت لا تدعي العصمة عن الخطأ

والجمعية سطوة يخافها الكبير والصغير وكل مجهول مخيف ونصير الحق اعداؤه كثيرون ولذلك فان اعضاءها المعروفين بالاستانة في خطر على حياتهم لا يخرج احدهم الا مسلحاً بالمسدسات تحت اثوابه ولا ينام او يمشي الا على حذر . وهي صاحبة السيطرة الفعلية الآن على الوزارة ومجلس المبعوثان تنفذ آراءها واغراضها بواسطة اعضائها ومنهم جماعة في مجلس المبعوثان . وقد اخذت على ١٦٠ عضواً من اعضاء المجلس عهداً مؤيداً باليمين بصيغة خصوصية ان يوافقوها في مساعيها العائدة على حفظ الدستور وتأييده والتأليف بين العناصر . وقد علمت مما تقدم ان من اعضائها ثلاثة وزراء ومنهم جماعة من اصحاب الوظائف الاخرى ناهيك بمن انتظم في سلكها من ضباط الجيش . وهم ساعدها الاقوى وسيفها القاطع وقضاؤها المبرم . واما ما تناقلته الجرائد بالامس عن كف ايدي الجيش عن المداخلة في السياسة فيراد به ان لا يتصدى الضباط لشؤون الحكومة أو يتعرضوا لاعمال الولاة وغيرهم من موظفيها في اثناء تأدية وظائفهم . لكنهم ما زالوا اعضاء عاملين في الجمعية يحضرون اجتماعاتها و يقولون بقولها و ينصرونها عند الحاجة

على ان هذا ليس وحده سبب ما لها من الرهبة في قلوب رجال الدولة حتى من اعضائها ولكن هناك سبباً آخر لعله اهمها — نعني فتكها بمن يحيد عن الخطة المرسومة لحفظ الدستور وتأييده كما كانت تفتك بمن تخافه على نفسها من رجال عبد الحميد . وقد ذكرنا في مكان آخر فتكها بناظم بك صهر انور بك و بشمسي باشا وغيرهما . وهي تفعل ذلك سرًّا على يد بعض اعضائها الجسورين الذين يعبر عنهم بالفدائيين لانهم يفتدون الدستور بارواحهم . فاذا آنست باحد رجال الدولة او غيرهم انحرافاً وخافت منه على الدستور مع اليأس من اصلاحه او ارجاعه قررت في اجتماعها السرّي قتله لا تبالي كان من اعضائها او غيرهم . فيتبرع احد الفدائيين بقتله على الاسلوب الذي يختاره

مجلس المبعوثان

هو القوة الدستورية الكبرى لانه مؤلف من نواب الامة فهو المسيطر على اعمال الحكومة . ويتألف من ٢٦٠ عضواً يقسمون بالنظر الى الاجناس على هذه الصورة

	عدد	
اتراك	١١٩	عضواً كلهم مسلمون
عرب	٧٢	كلهم مسلمون الا واحداً مسيحياً (البستاني)
يونان	٢٣	كلهم مسيحيون ارثوذكسيون
البانيون	١٥	« مسلمون
ارمن	١٠	« مسيحيون غريغوريون
اكراد	٨	« مسلمون
اسبانيول	٤	« يهود
بلغار	٤	« مسيحيون ارثوذكس
صرب	٣	« « «
فلاخ	٢	« « «
الجملة	٢٦٠	

وأما النسبة من حيث الاديان فعلى هذه الصورة

مسلمون	٢١٤	
مسيحيون	٤٢	كلهم روم ارثوذكس وارمن الا واحداً كاثوليكياً (البستاني)
يهود	٤	

وقد ترددنا اليه مراراً وتعرفنا الى خيرة اعضائه من ابناء العرب وهمنا الوقوف على حقيقته لاعتقادنا انه محط آمال الامة في ما ترجوه من الاصلاح . فرأينا العمل جارياً فيه بنشاط وهمة . يقضي اعضاؤه معظم النهار مجتمعين يتباحثون ويتداولون . ورغم ما اعترضهم من المشاكل في السنة الماضية وهي الاولى من سني الدستور العثماني قد انجزوا أعمالاً لا يتأتى لغيرهم انجازها في مثل هذه الاحوال . ومجلس الامة في الدول الاخرى لا ينتظر منه عملٌ كبير في السنة الاولى لانه لا يكاد يفرغ من تنظيم داخليته . اما مجلسنا

فقد اتم النظر في ٥٣ مشروعاً من ٧٣ أي انه عرض عليه ٧٣ مشروعاً درس ٥٣ منها وقرر اللازم بشأنها واكثرها مشاريع مهمة في جملتها الميزانية وهي وحدها يستغرق النظر فيها بضعة اشهر لانها اول الميزانيات . ويروون عن مجلس المبعوثان الاول في ايام عبدالحميد انهم عرضوا فيه ١٨ مشروعاً لم يقرر منها الا مشروع واحد . ولوراجعت سجلات مجالس الدول الاخرى لما وجدت بينها مجلساً عمل في سنته الاولى مثل عمل مجلسنا

على اننا لا ننكر ما ينتقده الواقف على دخائل الامور من اختلاف القلوب بين النواب باختلاف عناصرهم . والاكثر ناقمون على الاتراك من اعضائه بدعوى انهم مستأثرون بالنفوذ لا يمضون الا ما يريدونه . وقد سمعنا هذه الشكوى من بعض النواب ابناء العرب حتى توسمنا في أحدهم الرغبة في الاستعفاء لانه لا يرى فائدة من وجوده اذا كان صوته لا يسمع . وبعد التحري تبين لنا صدقه من الجهة التي هو ناظر فيها وذلك ان ابن العرب او غيره من نواب العناصر الاخرى قد يقترح اقتراحاً فلا يجد من يعضده أو انه لا يستطيع تأييده بالحجج فيسقط فيغضب . ولكن البحث في هذا المجلس حرٌّ والاقرار لا يكون الا بالاكثرية . والعرب اكثر سائر العناصر بعد الاتراك فاذا اقترح أحدهم اقتراحاً ولم يجد من يعضده من زملائه العرب فالذنب ذنبهم . واذا كان الاقتراح نفسه ضعيفاً فسقوطه طبيعي لان الغرض من أعمال المجلس النظر في مصلحة الامة العثمانية بقطع النظر عن العناصر والمذاهب

لا خلاف في ان النفوذ الحقيقي في مجلس المبعوثان لجمعية الاتحاد والترقي ورأيها هو السائد وارادتها هي النافذة ومنها عدد كبير من أعضاء المجلس تشكلت منهم لجنة تعرف بلجنة الاتحاد والترقي اكثرها من الاتراك . وقد أيدت هذا النفوذ عند افتتاح المجلس بانها استحلفت ١٦٠ عضواً منهم يميناً تقضي بمناصرتها والاخذ بآرائها كما تقدم . فلا عجب اذا كان المجلس طوع ارادتها أو صدى افكارها — ولا ضرر من ذلك لانها أشد العثمانيين غيرة على الدستور وتفانياً في نصرته فاصبح الرأي الغالب في مجلس المبعوثان لهذه الجمعيــة او للاتراك . فاستدلت سائر العناصر من ذلك ان الاتراك انما يفعلون ذلك استئثاراً بالسلطة تعصباً للاتراك على غيرهم . فنشأ سوء التفاهم بين الاتراك وسائر العناصر

والحقيقة ان بعض الاعضاء وخصوصاً ابناء العرب حديثو عهد في النيابة لم يألفوا المناظرات السياسية فاذا اقترحوا اقتراحاً لم يجابوا عليه عدوا ذلك حطة بمقامهم او استبداداً من زملائهم . فيتذمرون وينسبون ذلك الى تعصب الاتراك عليهم . واذا لحظ التركي تذمرهم توهم سوء القصد فيهم . والبعض الاخر توسموا في النيابة جر المغانم لانفسهم فاخذوا منذ توسدهم منصتها يطلبون المناصب لهم او لذويهم فلما لم يجدوا ما أملوا غضبوا وقالوا « ان الحكومة لا تسند الوظائف لابناء العرب تعصباً للجنس » نعم ان العرب لم ينالوا من المناصب ما يستحق الذكر بالنسبة الى عددهم ولكننا لا نعتقد انهم حرموا منها لتعصب الاتراك او جمعية الاتحاد والترقي على العرب. لان هذه الجمعية — على ما ظهر منها الى اليوم — من ابعد الجماعات عن التعصب وانما هي تتعصب للدستور وتحارب كل ما تظنه يقف في سبيله . فلا تختار للوظائف الا الاكفاء لا تراعي في ذلك خليلاً — ولا ينبغي لنا ان نتجاهل عن حقيقة مقدرتنا على الاعمال السياسية بالقياس على الاتراك فان هؤلاء اكثر بلاء لها واوسع اختباراً فيها بعد ان تعودوها اجيالاً متوالية وهم اصحاب الدولة . وقد نسي العرب السياسة لطول التقاعد عنها . فضلاً عن ان اختلاط احرار الاتراك باهل اوربا في اثناء جهادهم كان اكثر من اختلاط احرار العرب

على اننا نعرف بين النواب العرب جماعة من اهل الحكمة والرأي والانصاف لم تفتهم هذه الحقيقة فكانوا وسيلة التقارب بين العنصرين . ولم تنقض السنة الاولى حتى زاد التفاهم بين النواب فتقدم كل من العناصر خطوة نحو صاحبه . والظاهر انهم تقدموا خطوة اخرى في هذا العام بدليل انهم انتخبوا صديقنا سليمان افندي البستاني نائب بيروت وكيلاً لرئيس مجلس المبعوثان . وهو العربي المسيحي الوحيد في ذلك المجلس فدل انتخابه على بعد القوم عن التعصب الجنسي والديني معاً . وصرنا نرجو ان يزول سوء التفاهم بالكلية و يعمل النواب يداً واحدة لغرض واحد هو تايد الدستور . واذا لم يفعلوا فالعاقبة وبيلة لا سمح الله لان حسن التفاهم بين النواب يتوقف عليه الائتلاف بين العناصر في سائر اطراف المملكة . وعلى هذا الائتلاف يتوقف بقاء الدولة وعلى الانقسام يتوقف خرابها — وليس بين الحالين وسط . لان الدولة العثمانية اذا حافظت

على الدستور عاشت وضارعت ارقى الدول المتمدنة واذا عجزت عن حفظه تمزقت وذهبت نهباً مقسماً . فليتكاتف النواب على ازالة العقبات القائمة في طريق الدستور ولا بد من تبادل حسن الظن فيما بينهم ولو بالاغضاء عما يظهر على غير المرام — فان اتهامك صاحبك بسيئة يريدها بك يهوّن عليه ارتكاب تلك السيئة — ولا يتفق اثنان الاّ كان احدهما مغلوباً و يغلب ان يكون اعقلهما

فنحن في حاجة الى نبذ التنافس والانقسام حتى في الاحزاب السياسية مع كثرتها في بارلمانات اوربا وهم يجدون فيها فائدة لهم في تمحيص الاراء . واما نحن فالاحزاب المذكورة لا تفيدنا الان وقد تضرنا لانها تشغلنا عن الاتفاق في الامور الاساسية اللازمة لتأييد دستورنا . دعونا من البحث في المركزية واللامركزية ان امامنا عقبات لم تكن لدساتير الامم الاخرى لان احوالنا تختلف عن احوالهم فطريقنا في تأييده غير طريقهم . واذا جاز لنا ابداء رأينا في حالنا الحاضرة تقدم الكلام في العقبات التي نخافها على الدستور والوسائل المثلى لملافاتها فنقول :

العقبات في طريق الدستور

١ – اختلاف العناصر

ليس في الممالك المعاصرة في مشرق الارض ومغربها مملكة تحوي من العناصر المختلفة ما تحويه المملكة العثمانية . فهي تتألف من بضعة عشر عنصرًا يختلفون في لغاتهم وعاداتهم وآدابهم واديانهم . واهم هذه العناصر الاتراك والعرب واليونان والالبان والارمن والاكراد والبلغار والسرب والفلاخ . واكثرهم اهل تاريخ ومجد قديم وفيهم نزوع الى الاستقلال بتذكر سابق سؤددهم . ويغلب في بقايا الدول الكبرى التفاخر باسلافها اكثر من تفاخر اسلافها بمجدهم — كابناء الاسر الكبرى لا يفتخر بشرف الاسرة منهم الا الضعيف الذي ليس له من عمله ما يفتخر به

واكثر الامم العثمانية افتخاراً بسالف المجد العرب فانهم ابناء امة نشرت الاسلام وقلبت التاريخ وانشأت تمدناً غير وجه البسيطة . وهم مع ذلك اكثر العثمانيين عدداً وفي اهل الجزيرة منهم جنوحٌ الى الخيال الشعري قد يرون الامور خلاف

ما هي ويتوهمون في انفسهم المقدرة على كل شيء وربما تذكروا سابق مجدهم يوم التفاخر بالنسب اذ كانوا يسمون غير العرب موالي . وان الاتراك حكموهم ظلماً في الدور السابق وقد آن وقت الاستقلال . فيدلون بعروبتهم واسلامهم ويطلبون فوق ما يحق لهم وربما اغراهم البعض على التحدث بالخلافة وهل تجوز لغير العربي او لا تجوز . واذا لم يتحدثوا فهم متهمون بالجنوح الى الاستقلال كما اشاعت الصحف بالامس عن أحد ملوك جزيرة العرب انهُ كاتب زملاءه رؤساء القبائل بالاتحاد للاستقلال ولم يفلح . فهذه الاشاعة وان كانت كاذبة فانها تبعث على الحذر وسوء الظن وتشوش على الدولة اعمالها

واعتبر ذلك باليونان فانهم من بقايا دولة الروم اصحاب القسطنطينية ويفاخرون العالم بفلاسفتهم وعلمائهم وخطبائهم فقد انشأوا تمدناً خاصًا بهم منذ ثلاثين قرناً وسنوا لاهل الاجيال التالية سنة مشوا عليها وعنهم اخذ الرومان والفرس والعرب عوامل المدنية والعلم والفلسفة . فهؤلاء ما زالوا منذ غلبهم الاتراك وهم يجنحون الى الاستقلال فلما نالوه اخذوا يتطاولون باعناقهم نحو القسطنطينية يرجون استرجاعها بما اصاب الدولة العثمانية في القرون الاخيرة من الضعف حتى كادت تنحل او تتطاير شعاعاً او تتفتت قطعاً ينال كل دولة من جيرانها قطعة . فكانت ابصارهم شاخصة الى الاستانة بلد قسطنطين وكانوا يجاهرون بذلك على منابرهم . ومن لطيف ما يروى من هذا القبيل ان ولي عهد اليونان سئل في حفلة الامتحان الكبرى بالمدرسة التي كان يتخرج فيها عن حدود مملكة اليونان فذكر حدودها من الشرق والغرب والجنوب ولم يذكر حدودها الشمالية . فسأله الاستاذ عن سبب اغفاله الحد الشمالي فقال « لانه غير معروف » يشير الى الامل في امتداده الى الاستانة او ما وراءها . فالروم الداخلون في رعاية الدولة العثمانية هم من اولئك اليونان اصحاب هذا المجد القديم وحكمهم من حيث جسم المملكة العثمانية مثل حكم العرب

والالبان اهل تاريخ وفيهم نزوع الى الاستقلال ونبغ منهم قواد اشتهروا بالشجاعة والنجدة . دخلوا في حوزة الدولة العثمانية سنة ١٤٧٨ قهرا وما زالوا من ذلك الحين يتذمرون ويتمردون فيكلفونها تجنيد الجند لقمع عصيانهم حتى لقد كان خيرًا لها

لو تخلت عنهم . على انهم تمكنوا من الاستقلال مدة في اول القرن التاسع عشر على يد قائدهم الشهير علي باشا تبه‌دلنلي ثم عادوا الى حكم الدولة صاغرين وفي قلوبهم رغبة في الاستقلال وقد جاهروا به بعد ظهور الدستور

والارمن اذا لم يفاخروا بمجدهم القديم اذ لم يكن لهم دولة كبرى ولا تمدن خاص فهم يفاخرون اهل الدستور بانهم اول من سفكت دماؤهم في سبيله وانشأوا جمعياتهم السرية جمعوا فيها الاموال لمحاربة الدور الماضي قبل انشاء جمعية الاتحاد والترقي وقد ذبح منهم في هذا السبيل مئات الالوف

واعتبر ذلك في السرب والبلغار والفلاخ ولكل منهم دولة جديدة حية فما ايسر عليهم من الدخول في سلطان ابناء جنسهم ولغتهم ودينهم — فالخوف على الدستور العثماني ليس من تعدد العناصر في المملكة العثمانية فان في مملكة النمسا اجناساً كثيرة وانما الخوف من اختلاف اغراضها ومن التحدث بسابق مجدها فيصعب اذلالها بالقوة او جمع كلمتها بالحسنى . فهي لا يهمها اذا انحل عقد الدولة اذ ربما عاد ذلك الى استقلالها او دخولها في سلطة دولة من مذهبها او لسانها

فاكثر الامم العثمانية رغبة في بقاء هذه الدولة الاتراك لانهم يشعرون انها دولتهم وفي بقائها بقاء مجدهم . فهم حريصون على الاحتفاظ بها جهد طاقتهم ولذلك رأيناهم شديدي الغيرة على الدستور وربما اغضبوا سائر العناصر ضناً به ورغبة في استبقائه لان في بقائه بقاءهم

وقد جرأ العناصر الاخرى على التطلع الى الاستقلال ما صرح به البرنس صباح الدين جهاراً من ميله الى الاستقلال الاداري « اللامركزية » بين الولايات وهو رأي فطير كان ينبغي حفظه في طي الكتمان حتى ترسخ قدم الدولة في الحكم الدستوري وتتفرغ من مشاكلها الخارجية والداخليـة — لا ان يقوله والدولة لا تزال ناهضة من تحت اثقال الاستبداد اجيالاً متوالية وقد نخر الفساد عظمها وليس فيها عضو سليم يستطيع البقـاء منفرداً وانما هي تتساند في سيرها وتتعاون في قيامها وقعودها . فكيف تتفرق تلك الاعضاء وتعيش مستقلة ؟ فهي الى التعاون والتكاتف احوج ريثما يشتد ساعدها . فاذا رأت بعد ذلك ان تتفرع بالاستقلال الاداري فهي وشأنها

٢ ـ اختلاف المذاهب الدينية

في المملكة العثمانية مذاهب متعددة فمن رعاياها المسلم السني والشيعي والوهابي ثم المسيحي على اختلاف الطوائف من الارثوذكسي والنسطوري والماروني والكاثوليكي واللاتيني واليعقوبي والانجيلي . غير اهل الاديان الاخرى كاليهود والدروز والنصيرية وغيرهم — ولكن اختلاف المذاهب لم يكن ليخشى منه لو لم يفرق عبد الحميد بين القلوب بسياسة التقسيم كما بينا ذلك في ترجمة حاله بالسنة الماضية . فان سياسته الخرقاء اقتضت التفريق بين المذاهب وخصوصاً بين المسلمين والمسيحيين فاصبحت كل طائفة تنظر الى اهل الطائفة الاخرى نظر العدو الى عدوه . وكانت الحكومة تنتصر للمسلمين فاضطر النصارى الى الاحتماء بالدول الاخرى وانقسموا بالحماية فرقاً دينية حسب مذاهب الدول التي تحميهم واصبح لكل فرقة من النصارى دولة تدافع عن حقوقها فالكاثوليك والموارنة تحميهم فرنسا والروم الارثوذكس تحميهم روسيا والبروتستانت تحميهم انكلترا او اميركا عند مسيس الحاجة . وقد دخل بعضهم في رعوية تلك الدول فصاروا يعدون من رعاياها

فتحوّلت قلوب المسيحيين بذلك عن دولتهم . واصبحوا يعدّون انفسهم غرباء فيها ويودون التخلص منها والدخول في حوزة سواها من الدول النصرانية . وقد جاءهم الدستور العثماني وهم لم يتعودوا الاجتماع فيما بينهم فكيف يجتمعون مع الطوائف الاخرى . وزد على ذلك ان بعضهم لم يشعروا حتى الآن ان الدولة دولتهم وانهم مطالبون بالدفاع عنها والسعي في استبقائها . واذا اصيبت الدولة بسوء قلما يشعرون بالاصابة واذا شعروا بها فكاللطمة على الجلد . وأما التركي فيشعر بها في قلبه . وربما توهم بعض غلاة التعصب من المسيحيين ان ذهاب الدولة لا يهمهم فيلتجئون الى إحدى الدول النصرانية . وهذا سبب نفورهم حتى الآن من الجندية . وسمعنا أحد كبار النصارى الذين يحبون الدستور وقد شبّ على الحرية من صغره لما وثب الارتجاعيون باهل الدستور في ١٣ افريل الماضي يقول « ان بقاء الدولة العثمانية بعد الدستور اصبح يهمنا لكن اذا غلب الارتجاعيون فلا يضرنا ذلك ونحن خارجها » لانهُ يقيم بمصر ولو لم يكن فيها فانه يلجأُ اليها أو الى غيرها

وهو قول يدلُّ على ما تأصل في عروق بعض المسيحيين من الاحتماء بالاجانب واعتبار انفسهم غرباء عن الدولة العثمانية . فهؤلاء لم يدركوا معنى الجامعة العثمانية أو لم يصدقوا ان المسلمين نزعوا الضغائن من قلوبهم كما لم يصدق العرب المسلمون اخلاص الاتراك في تنازلهم عن امتيازهم . فما زالوا يخافونهم على الاستئثار بالسيادة ويتهمونهم بالتعصب لجنسهم . فاعتبر اسباب التفريق بين العناصر والمذاهب فانها من اكبر العقبات في طريق الدستور العثماني

٣ - بقايا الدور الماضي

لم يخلع عبد الحميد عن العرش العثماني الا بعد ان افسد اخلاق الامة العثمانية بسوء سياسته لان الناس معرضون للرذيلة بضعف طبيعتهم فكيف اذا شجعهم عليها ملكهم أو امامهم وجعل الثروة والجاه جزاء للخيانة والغدر . جعل الجاسوسية من اوسع ابواب الرزق وحمل الناس على قتل الناس اغراء بالمال أو الجاه . ففسدت احكام الدولة وتصدر فيها أهل التملق . وأسندت المناصب الى الذين ينفذون ارادته . وفيهم جماعة كبيرة من المغلوبين على أمرهم ساروا مع التيار التماساً للرزق — غير الذين شجعوا عبد الحميد على التوسع في الشر

قبض الدستوريون على أزمة الدولة وهم لا يريدون باحدٍ سوءًا لكنهم اضطروا بعد ١٣ افريل الى اعلان الحكم العرفي ومحاكمة الجانين فقتلوا جماعة ونفوا آخرين . وفي جملة المحكوم عليهم جماعة من كبار رجال الدولة في الدور الماضي كانوا اصحاب الحول والطول فيها . يهابهم الناس ويتزلفون اليهم طمعاً في خدمةٍ أو رزق أو يتملقونهم فراراً من الاذى فاصبحوا بعد الحكم العرفي مبعدين اذلاء . فهؤلاء مهما احسنا الظن بهم وتخيلنا التعقل وحسن النية فيهم لا نشك في انهم اذا لم يستطيعوا سعياً في افساد أمر الدستور فانهم يعينون على افساده أو يفرحون بسقوطهِ . وهم جماعة كبيرة ولكل منهم اعوان واتباع ذهب رزقهم بذهاب الدولة فهم يتمنون رجوعها من صميم افئدتهم . فوجود هؤلاء غاضبين من جملة العقبات في سبيل الدستور . وخصوصاً اذا بالغ رجاله في إحسان الظن ولم يدققوا المراقبة

ويدخل في بقايا الدور الماضي بعض أعيان البلاد الذين كانوا يستفيدون من

فساد الاحكام ويستبدون بالضعفاء من الفلاحين وغيرهم وقد وضعوا ايديهم على أطيان ليست لهم وشاركوا ولاة السوء بابتزاز الاموال وسلب الحقوق . فلما جاء الدستور بالحرية والمساواة والعدالة ذهب نفوذهم وأصبحوا في خطر على أموالهم وأطيانهم بين يدي القضاء . فهم طبعاً ناقمون على الدستور

٤ ـ المعزولون

كان في الدولة العثمانية كثير من المناصب التي أوجدتها سياسة عبد الحميد وليس لاصحابها عمل غير الاستيلاء على رواتبهم والبقاء في الاستانة إما حذراً من شرهم أو أملاً في استخدامهم في اهوئه . وألف لذلك دوائر خاصة تظهر لاول وهلة من أهم الدوائر كدائرة شورى الدولة ومجلس المعارف والجمعية الرسومية ومجلس البلدية . غير من رقاهم في الرتب العسكرية كالمشيرين والفرقاء والياوران ورجال المابين وغيرهم . وما هم بالحقيقية الا خدمة اغراضه فبمجرد خلعه اصبح هؤلاء لاعمل لهم . فعزلوا وهم يعدون بالمئات وفيهم جماعة من الاذكياء أهل المطامع . وقد تعودوا الدسائس والمفاسد من اسلوب الحكم الماضي

ولما اهتمت الحكومة في وضع الميزانية الجديدة وجدت انها في غنى عن الوف من مستخدميها في الاستانة والولايات غير الذين تريد ابدالهم لانهم من بقايا الدور الماضي — لانعلم عدد الذين سيعزلون ولكنهم كثيرون . فقد قال لنا جاويد بك ناظر المالية نفسه ان الذين تستغني عنهم نظارة المالية وحدها يزيد عددهم على سبعمائة . فقس عليها سائر النظارات والولايات في الاطراف فربما بلغ عدد المعزولين عشرة آلاف نفس واكثر هؤلاء لارزق لهم من غير الخدمة . وقد ظهر لنا مما دار بيننا و بين جاويد بك بهذا الشأن ان الحكومة عازمة على بذل الجهد في تخفيف وطأة الضيق عن المعزولين بقدر الامكان . ولا نظنها تقدر أن تخفف عنهم كثيراً . فهذه الالوف من الناس انما نكبوا من الدستور فلا غرو اذا نقموا على اصحابه

وقد انقطعت ارزاق عائلات كثيرة كانت تتعيش من المابين واهله وهم من العامة كانت تحمل اليهم اطباق الطعام مجاناً أو يشترونها باثمان بخسة . ولما ضيق على المابين وانحصرت مطابخه وموائده . جاع كثيرون ممن لا يفهمون معنى الدستور

٥ ــ الضباط الذين انحطت رتبهم

لما أخذت الحكومة العثمانية تنظر في تنظيم شؤونها وجدت كثيرين من ضباط الجيش ترقوا بغير استحقاق وانما رقاهم عبد الحميد لاغراض له بقطع النظر عن قواعد الترقي المسنونة في النظام العسكري . فقررت تنزيل رتب كثيرين منهم طبقاً لذلك النظام بعد ملاحظة مدة خدمة كل منهم وسنه . فاصاب ذلك التعديل جماعة من كبار الضباط وفيهم من كان مشيراً فاصبح أميرالاي أو كان فريقاً فرجع لواء وهكذا

وتنزيل الرتبة العسكرية يقتضي تنزيل راتبها فالفريق الذي كان راتبه عشرة الاف غرش في الشهر لما صار اميرالاي صار ٢٫٥٠٠ غرش فبعد ان كان ينفق على اقتناء المركبات والفرش الثمين اصبح مضطرًا الى الاقتصار على الضروري . وقد رقوا كثيرين من الضباط الصغار لانهم حرموا من الترقي في زمن عبد الحميد وهم يستحقونه

وفي الرتب العسكرية اعتبارات كثيرة يثقل بها هذا التغيير كالتفاوت بين أصحاب الرتب بالعلامات والتقدم في المسير أو السلام أو غير ذلك . وكلها توغر الصدور وتثير النقمة — فهي من جملة العقبات

٦ ــ الجهل

الجهل اكبر ادوائنا بل هو علة العلل في تقهقرنا . لأن الامة العثمانية على اجمالها لم تتهيأ للدستور ولكنها نالته بفضل طائفة الاحرار وهم طبقة العلماء والادباء والعقلاء الذين تثقفوا بالتمدن الحديث وفهموا حقائق الامور فنبذوا التعصب الديني والجنسي والتفتوا الى المصلحة العامة وايدهم أهل المدن المرتقية . واما الامة على اجمالها فلا تزال غارقة في الجهل وهو علة ما شكوناه من تعصبها الجنسي والديني — ولا نعني بالعلم مجرد حفظ العلوم والاداب كالشعر والنحو والحساب وانما نريد به ترقية شعور الناس بالتربية الصحيحة التي تعلم الانسان ما له وما عليه . وهي ضعيفة في بلادنا وخصوصاً في الداخلية فان الجهل هناك هو علة المذابح التي تتألم منها الانسانية . أيقدم الانسان على قتل أخيه بمجرد كونه يعبد الله على اسلوب غير اسلوبه الاَّ وهو جاهل أعمى ؟

فالجهل علة انقسامنا والباعث الاكبر على تشتت شملنا . اعتبر ذلك في ماظهر من الفرق في استقبال الدستور بين البلاد العثمانية . فقد رأينا اكثر البلاد تعلماً اكثرها فرحاً بالدستور وأثبتها قدماً فيه . هذه الاستانة وسلانيك وبيروت فانها اكثر المدائن

العثمانية تعلقاً بالدستور ودفاعاً عنه لانها ارقاها بالعلم والتربية . واعتبر حال أهل القرى فان اكثرهم لم يفهموا معنى الحرية أو الدستور وفيهم من يعتقد هذا النوع من الحكومة مخالفاً للدين . وان كان لايفهم معنى ذلك أولا يقدر ان يبرهنهُ ولكنه يقوله انصياعاً لبعض المفسدين الناقمين ممن تقدمت الاشارة اليهم أذ يأتيه من حيث يشعر ويتأثر وهو الدين فيغريه على أهل الدستور بالكذب والحيلة . فاذا كان مسلماً أكد له أن الدستور يساوي المسيحي واليهودي بالمسلم وهذا يخالف الشرع الاسلامي . واذا كان مسيحيًا ضرب لها على وتر الجنس فاذا كان عربيًا قال لهُ لا أن أصحاب هذا الدستور أتراك وهم يظهرون التوحيد بين العناصر ريثما تتمكن قدمهم في الدولة فيستأثرون بالسيادة لانفسهم . أو يقول له أن هذا الدستور حركة أسلامية يراد بها تأييد الجامعة الاسلامية وهي ضد النصرانية وقس على ذلك . فيصدق العامة هذه الاقوال ويداخل قلوبهم غلٌّ على الدستور وأهله وهل من سبب لذلك غير الجهل ؟ نعوذ بالله منه

٧ — فقر الدولة بالمال والرجال

ظهرت الميزانية الاولى بالامس وقد نقص دخلها عن خرجها نحو اربعة ملايين جنيه ستستدينها الدولة وسيتوالى هذا النقص عدة أعوام ريثما تنتظم شؤُونها وتظهر ثمار الاصلاح فيها — أن بلاد الدولة غنية وفيها موارد كثيرة وأنما تحتاج الى من يستدرُّها وقد تهافت أصحاب الاموال على الباب العالي منذ أعلان الدستور يطلبون الرخص لانشاء المشاريع الصناعية أو الزراعية أو الاقتصادية ـــ و بلغت الرخص التي اعطتها الحكومة الى الآن لاجل استخراج المعادن من باطن الارض نحو ٣٠ رخصة . غير الرخص لمد السكك الحديدية أو التلفون أو الري أو غير ذلك مما لا تزال المخابرة جارية فيه . ولا بد من أتمامه عاجلاً أو آجلاً فتزيد الحركة المالية في المملكة العثمانية وتتألف الشركات وترتفع أثمان الارضين وتحدث نهضة مالية مثل التي حدثت بمصر منذ بضع سنين

لكن هذه الاثمار المرجوة لا يتيسر الوصول اليها الاَّ بعد نشر الاصلاح واستتباب الامن وتوفر الحقوق لاصحابها بحيث يأمن كل انسان على ماله وأهله ونفسه وهي العقبة الكؤُود في طريق ناظر الداخلية (طلعت بك) فقد علمنا أنهُ حالما عهدت النظارة اليه وهو راجع من مهمته في لندن كان أول فكر خطر له أن يعهد بحكومة الولايات الى ولاة

ومتصرفين اكفاء ينظمون شؤونها وينشرون العدل بين أهلها ويبثون روح الاصلاح فيها لكنه ما لبث أن عزم على أخراج ذلك الى حيز العمل حتى تبينت له الصعوبة الكبرى في الوصول الى المطلوب الا بمرور السنين والصبر الطويل — وذلك أنه لم يجد بين يديه الرجال الاكفاء من الاحرار ليبدلهم من العمال السابقين

ان الولاة ومن يلحقهم من الحكام في أطراف المملكة يعدون بالالوف وكلهم كانوا في مراكزهم من زمن عبد الحميد واكثرهم من الطرز القديم الذين أفسدهم رجال العهد الماضي . فاذا ارادت الحكومة أبدالهم لاتجد بين الشبان الاحرار عدداً يكفي للقيام بذلك العمل . والموجودون يندر فيهم أهل الكفاءة للحكومة لقلة الاختبار أو اذا وجد الكفء استقل الراتب بالنسبة الى حاجياته . فالدولة فقيرة بالمال والرجال معاً ولا بدَّ لها من استبقاء بعض رجال العهد الماضي ريثما تنشأ طبقة من الاحرار الاكفاء . ويقال نحو ذلك في سائر الوظائف من الوزارة فما دون . فهي تشترط في العمال المطلوبين ان تكون فيهم النزاهة والاخلاص للدستور فضلاً عن الكفاءة وهؤلاء قليلون أو انها لم توفق الى معرفة الاكفاء منهم وهي تبحث وتنتقي واذا وجدت الكفء وتأكدت صدق نيته عهدت اليه بالمنصب لا تبالي ان يكون تركياً او عربياً او البانياً او كردياً وقد ردَّت كثيرين من طلاب المناصب لعدم لياقتهم أو لانها لم تتفق معهم على الشروط وكان بينهم جماعة من غير الاتراك فاتخذت العناصر الاخرى ذلك ذريعة للطعن في الاتراك (اصحاب الحل والعقد) واتهامهم بالتعصب لجنسهم على سائر الاجناس

٩ — سوء التفاهم بين الترك والعرب

خصصنا العرب في هذا البحث دون سواهم من العناصر الأخرى لان الامر يعنينا اكثر مما يعني سوانا . ولان الاختلاف بين هذين العنصرين أهم من الاختلاف بين سائر العناصر واذا تفاهم الترك والعرب وتعاونوا لا يبالون بمن خالفهم من الامم الأخرى . على ان هذه العناصر اذا تحققت اتحاد العرب والترك لا تجسر على الخلاف . فسوء التفاهم بين هذين العنصرين من اكبر العقبات في طريق الدولة العثمانية وقد اختلف الناس في سببه واسبابه كثيرة ترجع الى التباعد والاصغاء الى المفسدين

فالاتراك هم أهل الدولة ورجال الحكومة من عهد عثمان الاول ولا يزالون الى الان لا يرتزقون بغير الخدمة الاميرية — مضى عليهم عدة اجيال وهم اهل السيادة

يخافهم العربي والارمني والرومي والالباني ولا يذعن الرعايا للحاكم العثماني الا اذا كان تركياً لقوة بطشه وشدة وطأته حتى أصبح لفظ تركي في بعض البلاد مرادفاً للفظ الحاكم فالسودانيون يريدون بالاتراك اهل الوجاهة والسيادة . ولما رأوا الانكليز لاول مرة وحاربوهم سموهم الاتراك

ما زال ذلك شأن الاتراك مع سواهم حتى أخذت الدولة في التسوية بين رعاياها في أواسط القرن الماضي فنشر السلطان عبد المجيد خط كلخانة القاضي بالتسوية بين المذاهب والعناصر ولكن العادة تغلبت فلا المسلمون أو الاتراك اذعنوا لتلك التسوية ولا رعاياهم أدركوا حقهم فيها ولا طالبوا بها لتغلب الجهل والجبن على طباعهم. وكان الشرق قد هب من رقدته وأخذ في اقتباس عوامل التمدن الحديث فنبغ الادباء والشعراء ورجال السياسة والحكمة من الاتراك واكثرهم اطلعوا على آداب الافرنج وخالطوهم في بلادهم وعلموا اسباب تقدمهم ورأوا دولتهم آخذة في التقهقر وعلموا انها لا تنهض الا بنقلها من الحكم الاستبدادي الى الدستوري والتسوية بين الرعايا في الحقوق والواجبات وجمع كلمة العناصر المختلفة باسم العثمانيين . فاخذوا يبثون هذه الروح في الامة فلم تختمر الا في آخر حكم عبد العزيز فخلعوه وولوا مراداً وهو دستوري فلم يطل حكمه فولوا عبدالحميد مكانهُ على أن يؤيد الدستور فلم يفعل لناهضهم وحاربهم بالتفريق والتجسس والفتك على ما فصلناه في ترجمة حاله

وكانت نقمته موجهة الى الاتراك بنوع خاص فكان في جملة مساعيه ضدهم انه استعان عليهم بالعرب واختلق الجامعة العربية وقرب اليه جماعة من العرب جعل الحل والعقد اليهم فاوغر صدور الاتراك عليهم . ثم حولها الى الجامعة الاسلامية فسعى في جمع كلمة المسلمين تحت خلافته الى الهند والصين وآل ذلك الى التباغض بين المسلمين وغيرهم في المملكة العثمانية . والاتراك الاحرار يجاهدون في طلب الدستور ينفقون في سبيله الاموال والارواح وأخذ يناصرهم جماعة من أدباء العرب . فلما تأتى لهم نيله في أواسط العام الماضي نادوا بالوحدة العثمانية وجاهروا بالتنازل عن امتيازاتهم لاعتقادهم انهم لا يفلحون الا بذلك . وتقربوا على الخصوص الى العرب وقد غضوا عمن أخذتهم يد عبد الحميد لعلمهم ان آخرين منهم نصروهم في جهادهم على الحكومة الظالمة

أعلن الدستور وتصافح العربي والتركي والارمني والرومي وغيرهم وتعانق الشيخ والقسيس وعمَّ الفرح كل عثماني الا انصار العهد الماضي لان الدستور اسقطهم واضاع نفوذهم واصبحوا في خطر على حياتهم — والانسان يضحي كل شيء في سبيل حياته أو كرامته . فاخذوا يسعون في التفريق بين العناصر والمذاهب يغرون كل قوم أو عنصر على تشكيل الجمعيات القومية . وربما كان العرب أسبق الجميع الى الاغترار فانشأوا جمعية الاخاء العربي وقام عربي في باريس دعا السوريين الى الاستقلال الاداري عملاً برأي صباح الدين ولا تزال جريدة نهضة العرب تصدر في باريس تطالب بحقوق العرب وتبين فضل العرب على سواهم

وجعل الساعون من الجهة الأخرى يعظمون هذا الامر على الاتراك ويوغرون صدورهم على العرب فتغيرت القلوب وأصبحت كل طائفة تفسر اعمال الطائفة الاخرى بسوء القصد . وساء الاتراك الظن في العرب لما رأوه من تباعدهم وظهر ذلك في بعض اجراآت الحكومة وأصبحت تصدق الوشاية بهم وتصغي الى الدسيسة فغضب العرب لذلك لانهم يعتقدون اخلاصهم للدستور وأكثرهم مخلصون له ولكنهم تعجلوا الانتفاع به ولم يصبروا

فلما اجتمع النواب من اطراف المملكة في العام الماضي كان سوء التفاهم قد بدأ بين العرب والترك وكل منهما عاتبٌ على صاحبه على تفاوت في الاعتقاد . فكان نواب العرب في ذلك ثلاث درجات بعضهم سيء الظن بالاتراك يعتقد انهم يظهرون المساواة ويضمرون الاستئثار . والبعض الآخر يعتقد سوء التفاهم متبادلاً ولكنهُ يرى الاتراك اولى بازالته وعليهم أن يبدأوا هم بالتقرب والمحاسنة والبعض الاخر وهم الاقلية كانوا يعتقدون الخطأ بجانب العرب ويحسنون الظن في الاتراك فتقربوا منهم وكانوا واسطة الاتصال بين الطائفتين

والواقع ان الامة العربية وسائر العناصر العثمانية اذا كانت غير راضية عن الاتراك فلانها لم تتحقق صدق نيتهم في تنازلهم عن امتيازهم ولا يلبثون ان يتحققوه حتى يصيروا اكثر تعلقاً بالدستور واشد تمسكاً به من الاتراك انفسهم لانه رفع شأنهم وحفظ حقوقهم وأمنهم على ارواحهم واموالهم . ولو فرضنا المستحيل وأن الاتراك يريدون الاستئثار بالسيادة دون سواهم فيكفينا الخروج من الظلم الى العدل

☀ **مسالة الخلافة العربية** ☀ ومما اوغر صدور الاتراك على العرب اتهامهم بالسعي في انشاء خلافة عربية وهي اضحوكة قديمة العهد احياها بعض المرتزقين بالدسائس في زمن عبد الحميد لاستدرار امواله وكانوا يصنعون المنشورات السرية باسم الاحرار العثمانيين او تركيا الفتاة بلا توقيع يطعنون فيها على خلافة آل عثمان ويدعون المسلمين الى خلافة عربية • ويبعثون بنسخ من تلك المنشورات مع تقارير يرفعونها الى المابين ويزعمون انهم اكتشفوا على جمعية سرية تسعى في هذا السبيل • فيرسل اليهم المابين الاموال للمكافأة او لمواصلة السعي وكانت تأتينا منشورات اولئك الدساسين فنضرب بها عرض الحائط لعلمنا باغراض اصحابها • ولكن بعض الجرائد كانت تذكرها على سبيل الاستغراب

ولما ذهب الاستبداد وأخرج اهله من ديارهم هاربين أو مطرودين اصبح همهم الانتقام من أهل الدستور فاخذوا يختلقون الاشاعات للتفريق بين العرب والترك لعلهم انهم اذا استطاعوا ذلك فقد عرقلوا مساعي الدولة و بينوا للملأ ان حكومتهم كانت أفضل من هذه • أو انهم أقدر على العمل من هؤلاء الشبان المتهورين • وكان في جملة مساعيهم التحدث بالخلافة العربية فاشاعوا عنها الاشاعات الكاذبة • وأغرب تلك الاشاعات ما تداولته الجرائد بالامس من ان في نية ابن صباح صاحب الكويت وابن فيصل أمير الوهابين وغيرهم من أمراء العرب ان يزوروا مكة والمدينة في هذا الحج ويقابلوا هناك سمو الخديوي ويتآمرون على نزع الخلافة من الاتراك وارجاعها الى العرب!

وهي اشاعة كذبها ظاهر لاول وهلة لان أولئك الامراء اذا فرضنا اتحادهم لمبايعة خليفة عربي انما تكون حجتهم انكار الخلافة على غير العرب اعتماداً على الحديث المشهور « الامامة في قريش » فلمن يعترفون بالقرشية ليبايعوه وهل يتنازلون لاحدهم بهذا الشرف العظيم ويخضعون له وهم مشهورون بالانقسام والتنافس واذا قيل انهم يبايعون سمو الخديوي لانهُ اوسع ملكاً وارفع منزلة فهو غير عربي واذا فرضنا انه اكتسب العروبة بالتوليد فما هو قرشي — ناهيك بما يكذب هذه الاشاعة من الاعتبارات السياسية الاخرى فضلاً عن ان حكمة سمو الامير تقتضي رفضها بتاتاً — لا نزعم استحالة من يقول بالخلافة العربية من العرب فان الناس لا يخلون من ضعاف الرأي ولكننا على يقين انهم اذا قالوا بها فلا يلقون ملبياً

بهذه الاشاعات وامثالها يسعى أهل الدسائس في التفريق وايغار الصدور بين الترك والعرب فاصبح كل من الفريقين يسيء الظن بصاحبه فاذا نقلت الحكومة بعض الضباط العرب مثلا من الشام أو العراق الى الاستانة قالوا انها فعلت ذلك خوفاً من العرب واذا ارسلت وفداً من التلامذة للدرس في اوربا وكان اكثرهم من الاتراك قالوا انها تفضل الاتراك على العرب . وعند التحري لا نجد لها ذنباً . والذي علمناه بالاختبار ان الاتراك الاحرار يعلمون علم اليقين ان الدولة لا تقوم الا بتوحيد عناصرها وهذا ما نادوا به في سرهم وجهرهم ولا يزالون يفعلون ذلك . واذا تباطأوا في اسناد الوظائف الى بعض العرب فليس لانهم عرب ولكن لاسباب أخرى يراد من ورائها المصلحة العامة

والا فالاتراك اصحاب هذه الدولة يعدون العرب اخوانهم ويعولون عليهم في تأييد دولتهم ولم نجد في اعمالهم عند التحقيق ما يخالف ذلك بل نراهم يهتمون بالعرب ومصالحهم ويعدونهم اهم العناصر العثمانية . ولما اجتمعنا بفخامة الصدر الاعظم في الصيف الماضي كان معظم حديثه معنا عن العثمانيين بمصر والسوريين في اميركا وأظهر لنا رغبته في رجوع السوريين من ديار هجرتهم الى بلادهم وأثنى على نشاطهم وذكائهم

فسوء ظننا في الاتراك في غير محله فعلى نوابنا العقلاء بيان الحقيقة حتى لا يقف هذا وامثاله في سبيل التآلف للعمل معاً في مصلحة الدستور . وينتظر من رجال الدستور الاحرار ان يفتحوا صدورهم للعرب ويراعوا جانبهم فانهم اقوى ساعد لهم في عملهم المجيد — فالتباعد بين العرب والترك من أعظم عقبات الدستور

كيف نحفظ الدستور

لنا في حكمة رجال الحل والعقد ودهائهم ما يغني عن الارشاد أو النصيحة في الوسائل المؤدية الى حفظ الدستور ولكننا نقول كلمة على سبيل الذكرى — تقسم تلك الوسائل الى اجراآت وقتية مستعجلة يجب المبادرة اليها حالاً والى قواعد ثابتة ينبغي الجري عليها دائماً :

الوسائل المستعجلة

اول هذه الوسائل ان يسعى النواب في ازالة سوء التفاهم بين العناصر والمذاهب أي ان يتفاهموا فيما بينهم ويتفقوا بالحسنى والبرهان وعلى اتفاقهم يتوقف اتفاق الذين

انا بوهم وهم رعايا الدولة العثمانية كافة على اختلاف عناصرهم ومذاهبهم . فعلى مجلس المبعوثان واجب مقدس هو اهم واجباتهم لانه اساسي في تأييد الدستور للاسباب التي قدمناها . فاذا فعلوا ذلك وهم فاعلون ان شاء الله يبقى على الحكومة تتمة العمل واهم الوسائل المستعجلة على ما نرى هي :

اولا – الحكم العرفي

لما اعلن الدستور في ٢٤ يوليو في السنة الماضية اعلنت معه الحرية الشخصية واطلقت حرية الصحافة والخطابة والكتابة . وصفح اصحابه عما مضى واضربوا عما قاسوه في جهادهم من المحن والشدائد كالقتل والنفي وتشبهوا بالفلاسفة فعذروا ضعف الطبيعة البشرية فلم ينتقموا ولا فتكوا ولا ارادوا باحد سوءا ولكن ناموس الاجتماع غلب على ما ارادوه فتمكن اهل الاستبداد من الوثوب باهل الدستور ثم رجعوا خاسرين. فعلم الدستوريون انهم ارادوا عملاً يخالف قواعد الاجتماع وان الدولة لا بدّ لها في اول الانقلاب من الشدة في تطهير الامة من زعماء العهد الماضي فاعلنوا الحكم العرفي واخذوا في محاكمة المتهمين وقيدوا المطبوعات بقانون يوقف الكتاب عند حدهم

وقد رأينا بعض ارباب الاقلام ينتقدون الحكم العرفي او يستطيلون بقاءه وفيهم من يبني انتقاده على القواعد الفلسفية النظرية كقولهم « الحرية والسيف لا يتفقان او الدستور والاستبداد لا يجتمعان » اي كيف تكون الحكومة دستورية ويكون حكمها عرفيًا — وهو اعتراض وجيه في نظر الفلاسفة وعلماء الكلام وأما في نظر اهل السياسة وعلماء الاجتماع فهو سفسطة او مغالطة — لان السيف لا بد منه لحفظ الدستور وتقييد الاقلام ضروري في اول الامر وفي دولة مثل دولتنا تولى عامتها الجهل وتضاربت فيها الاغراض لاختلاف العناصر والمذاهب . فلا يوقف الناس عند حدهم غير الخوف من السيف — وشأننا في دولتنا ودستورنا شأن محموم استشار طبيباً فنظر الى ظاهر المرض وعمل بالتقاليد الطبية فوصف الكينا لانها تقاوم الحمى فلم تفده لان الحمى في هذا المريض عرض ولا بد من معالجة السبب الاصلي فاستشار طبيباً اخر فحص المريض فوجد سبب الحمى خراجاً في الاحشاء فحكم بشقه فذهبت الحمى وشفي المريض

ولو تأتى لك ان تطلع على ما يجول في خواطر اصحاب الاغراض من دعاة

التفريق الذين ذهب الدستور بنفوذهم فسعوا في الناس فساداً حتى أوغروا صدور العرب على الاتراك وهاجوا غضب الاتراك على العرب وغيرهم — لو اطلعت على ما يخطر في اذهانهم لتحققت ان الحكم العرفي لا يستغنى عنه في حفظ هذا الدستور لان اسباب الفساد كالدمل يجب استئصالها بالسلاح

كيف ترفع السيف وتطلق الحرية و بين العثمانيين من يجاهر على صفحات الجرائد انه لا يعرف غير عبد الحميد خليفة وانت تعلم ان بيعة السلطان محمد الخامس قانونية شرعية . كيف تطلق حرية القول لهؤلاء وقد رأينا نتيجة ذلك الاطلاق في أول الدستور اذ لم تمض بضعة اشهر حتى وثب الجهال باهله . كيف يطل الحكم العرفي من بلاد لا يزال فيها من يسمي أحرار الاتراك خوارج وان عبد الحميد كان باذلاً جهده في ترقية شؤون الدولة وهم شوشوا عمله بتمردهم وخروجهم — نحن نعتقد يقيناً ان الدستور لم يبق الى اليوم الا بالحكم العرفي ولولاه لتمزقت المملكة العثمانية ارباً وتفرقت ايدي سبا — ان الامة الجاهلة اذا بليت باهل الدسائس لا يحفظ دستورها بغير الارهاب . فاذا كنا مع سطوة الحكومة بالحكم العرفي ورهبة جمعية الاتحاد والترقي فوقها لا نزال نرى في العثمانيين من يحاول هدم الدستور في ظل الدستور بالمغالطة والسفسطة وفيهم من يجسر على انكار بيعة السلطان الدستوري فكيف لو أطلقت الحرية والقي الحبل على الغارب ؟

فالحكم العرفي لا بد منه في حفظ الدستور العثماني حتى يرسخ وتتمكن قواعده ويذهب بقايا اهل الفساد وتتألف القلوب . وفي اعتقادنا ان الدستور العثماني ينبغي ان يختلف عن دساتير الدول الاخرى ما اختلفت أحوالنا عن احوالهم — ينبغي ان يكيف بحيث يتغلب على تفرق العناصر والمذاهب والمشارب بان يمازجه شيء من الرهبة او نحوها حسب الاحوال — أما الدستور الحر المطلق كما نراهُ في الدول المرتقية فلا نستحقهُ الاَّ بعد زوال الأسباب التي قدمناها

ثانياً — مراقبة حركات الارتجاعيين

من أهم شروط الانقلاب السياسي ان تتطهر الدولة من نصرا العهد السابق بالقتل أو النفي أو الحجر او بوسائل أخرى تتكفل بغل أيديهم عن الاذى . لان تلك البقية المغلوبة على أمرها يندر ان تخلص النية في الطاعة فتتربص للوثوب او تسعى في القاء

الفتن . وقد جرى اهل الدستور العثماني بعد ١٣ افريل الماضي على هذه القاعدة بواسطة الحكم العرفي وجعلت معوّلها على النفي . وكان النفي في الزمن القديم كالقتل لضعف المواصلات وقلة وسائل المخابرة . أما الآن فالنفي لا يمنع أصحابه من مخابرة أحزابهم ونشر مبادئهم ودس الدسائس بالمخابرات البريدية أو على صفحات الجرائد وانشاء الجمعيات السرية للوثوب عند الحاجة . وقد أصبح الاجتماع السري داء من ادواء الشرق . لاسيا بعد ان نجحت جمعية الاتحاد والترقي في عملها فكثرت الجمعيات السرية ولا مراقب عليها بحجة الحرية الشخصية ولكننا نخاف ان يتخذها بعضهم وسيلة فيبثون دسائسهم في العساكر وهم سيف الدولة لكنهم من العامة يغويهم التحريض باسم الدين أو الجنس كما حصل في حادثة ١٣ افريل . فعلى الحكومة العاقلة مراقبة حركات أولئك الارتجاعيين . وقد يعترض بعض أصحاب الاوهام الفلسفية كما اعترضوا على الحكم العرفي فيعدون هذه المراقبة تجسساً فيقولون « التجسس من بقايا زمن عبد الحميد فكيف يتفق مع الحرية والدستور » والجواب اننا انما نتجسس على الذين نشأوا في الجاسوسية خوفاً من دسائسهم . واذا فعل أهل الدستور العثماني ذلك فما هم أول من فعله وهو من القواعد المتبعة في أوائل الانقلاب . فالفرنساويون الاحرار مع امعانهم بالفتك والقتل على التهمة في اثناء انقلابهم الفوا جمعية سموها « لجنة النجاة أو الامان » لمراقبة بقايا العهد الماضي لكنهم تطرفوا في الاتهام وساؤوا الاستعمال وركبوا في عملهم شططاً لا يجوز للعثمانيين ركوبه . وانما نريد ان لا يغلب على حكومتنا حسن الظن بالقوم فتتركهم ريثما يدبرن ما يدبرونه . وقد يكون حسن ظنها في محله لكن الحذر واجب قبل فوات الوقت وضياع الفرصة . والضرر اذا وقع هذه المرة كان فيه القضاء على الدولة واهلها لا يستفيد منه الارتجاعيون ولا الاحرار

الوسائل الدائمة

أما الوسائل الدائمة لحفظ الدستور فهي كثيرة يعرفها ارباب الدستور في كل أمة وأحرارنا اعلم الناس بذلك لكننا نذكر بعض الوسائل التي يقتضيها حال الامة العثمانية مما بيناه في ماتقدم من حيث اختلاف العناصر والمذاهب وهو الفرق الاكبر بيننا وبين سائر الامم — فالوسائل الفعالة لملافاة ذلك :

اولا — توحيد اللغة الرسمية

لا يخفى ان اللغة عنوان الامة فاذا قلنا الامة الفرنساوية فاننا نتصور امة تتكلم لغة واحدة هي اللغة الفرنساوية واذا قلنا الامة الانكليزية نعني امة تجمعها اللغة الانكليزية فاللغة اول جوامع الامة فاذا قلنا الامة العثمانية وجب ان يكون المراد الامة التي تتكلم اللغة العثمانية . ولو حتمت الدولة العثمانية في ابان سطوتها ان تعمم لغتها بين رعاياها لكنا اليوم اتراكاً وذهب الباعث على التفريق الجنسي . لان العناصر التي تتألف منها الامة العثمانية انما نسبت الى هذا العنصر او ذاك باعتبار لغتها . فالعرب سموا عربا لان العربية لسانهم وقس عليهم سائر العناصر . على ان العرب مثلاً ليسو جميعاً من نسل العرب الاصليين وفيهم المولدون من اصول سريانية وتركية ورومية وقبطية وغيرها ولكنهم تكلموا اللغة العربية

فلو عمم الاتراك لسانهم في ابان دولتهم كما فعل العرب بلسانهم لكنا في غنى عن هذا التعب في جمع كلمة العناصر ولكنهم لم يفعلوا لانهم لم يكونوا يهتمون لرعاياهم بل كانوا يترفعون عنهم ويملكونهم بالقوة ويعدون من لا يعرف التركية لا يخاف الله . ولا يبالون بامر الجامعة العثمانية ولا التسوية بين الرعايا . بل كانوا يجعلون اللغة التركية فاصلاً بين الحاكم والمحكوم او هي شعار السيادة . فلما اعلن الدستور كان من مقتضيات القانون الاساسي توحيد العناصر العثمانية ليكون العثمانيون امة واحدة تشارك الحكومة في اعمالها واللغة اكبر وسائل التوحيد . فقررت الحكومة جعل اللغة التركية رسمية لا تقبل المخاطبة الا بها لان اللغة تجمع الطوائف والعناصر وتحسن التفاهم بينهم فيزول سوء الظن

فصادف هذا الاقرار استحسان الشعوب العثمانية لان اكثر هذه الشعوب تتكلم اللغة التركية فضلاً عن لغتها الا العرب فان عارفي اللسان التركي بينهم قليلون فشق هذا الاقرار على بعضهم لانهم توهموا فيه ضياع اللغة العربية قياساً على ضياع اللغات التي كانت في الشام ومصر والعراق قبل الاسلام وهي القبطية والسريانية والعبرانية والرومية وذهبت جنسيات اهلها فصاروا عرباً يتكلمون العربية

وهو اعتراض جدير بالاعتبار ويحق للعرب ان يضنوا بلغتهم دون سائر الامم لانها لغة المسلمين في اربعة اقطار المسكونة وما من موحد الا وهو يعرف اللغة العربية . ناهيك بما فيها من العلوم والاداب والفنون فانها بحر واسع وخصوصاً في العلوم الاسلامية كالفقه

والحديث والتفسير وغيرها مما لا يستغني عنه مسلم — هذه مكاتب الاستانة بلغ عدد ما فيها من الكتب نيفاً وسبعين الف مجلد وجدنا نحو ثمانين في المئة منها كتباً عربية . ولذلك فالدول الاسلامية التي ظهرت في اثناء التمدن الاسلامي كانت تجعل اللغة العربية لغتها الرسمية . هكذا فعل السلاجقة الاتراك والايوبيون الاكراد والسلاطين المماليك الاتراك والشراكسة فانهم كانوا يصدرون اوامرهم ويتخاطبون ويحاكمون باللغة العربية وكانت أيضاً لغة العلم في المدارس ولغة الصلاة في المساجد

ولذلك اقترح بعضهم ان يقتدي العثمانيون بالدول التركية التي تقدمتهم فيجعلون اللسان العربي لسان الدولة الرسمي — يا حبذا ذلك ولكن اذا جاز لنا هذا الاقتراح فهو يجوز لسوانا من اهل اللغات الاخرى كالارمن والروم والالبان والبلغار وغيرهم ولا يحتج بان اللغة العربية لغة الدين الاسلامي فان القانون الاساسي لا يميز ديناً عن سواه

بقي النظر في هل جعل اللغة التركية رسمية يضيع اللغات الاخرى من المملكة العثمانية والجواب على ذلك ان شيوعها بتوالي الاجيال قد يضيع كل اللغات المتداولة في هذه المملكة الا العربية لانها لغة الدين والعلم الاسلامي فهي باقية ما بقي الاسلام . حتى لغات المسلمين (غير العربية) في الممالك الاخرى قد تضيع بمقتضيات السياسة وتبقى اللغة العربية وحدها . فاللغة الاوردية (الهندستانية) مثلاً وهي لغة مسلمي الهند قد يخطر لانكلترا اماتتها بجعل اللغة الانكليزية لغة العلم والسياسة هناك فتضيع اللغة الاوردية بتوالي الادهار وتبقى اللغة العربية عندهم كما هي الآن وقس على ذلك سائر الامم

فاللغة العربية لا يخشى عليها الموت من تعميم اللغة التركية وخصوصاً لان التركية نفسها اكثر الفاظها عربية — ولكن بقاء اللغة العربية « غير مائتة » لا يرضي ابناءها فهم يريدون بقاءها « حية » وحياتها الان قائمة بكونها لغة التكلم ولغة العلم ولغة الدين . اما السياسة اي المخاطبات الرسمية فالمقرر في نظام الحكومة العثمانية قبل الآن ان تكون في اللغة التركية . فاذا اقتصر قرارها على ذلك اي اذا انحصر تعميم اللغة التركية في المخاطبات الرسمية فاللغة العربية تبقى حية بالعلم والدين والتكلم . وتحصل الفائدة المطلوبة من تعميم اللسان التركي . واما اذا تجاوزت الى ما وراء ذلك فالمسألة فيها نظر

نحن نوافق الحكومة على تعميم اللغة التركية وان يكون تعليمها اجبارياً في المدارس

بحيث لا يعطى التلامذة شهادة العلم ما لم يحسنوا هذه اللغة جيداً كما يحسنون لغتهم وكما يتعلمون اللغات الاجنبية اليوم . فاذا اقتصرت على ذلك نالت مرادها ولم تصب العرب بلسانهم . لكنها اذا قررت ان تكون اللغة التركية لغة العلم في المدارس اي ان يتلقى التلامذة العلوم بها كان ذلك ضربة قوية على اللسان العربي . وتكون عاقبته مثل عاقبة سائر اللغات الدينية القديمة التي لم تبق الا في الكنائس او على السنة بعض العامة . وهناك خطوة اخرى تقضي على اللغة قضاء مبرماً نعني جعلها لغة القضاء مع اجبار العامة على التكلم بها اذا دعوا الى المحاكمة او تأدية الشهادة — فقل عند ذلك على العرب والعربية السلام

فالمرجو من احرارنا الذين لا نشك في حسن قصدهم ان يلتفتوا الى هذه المسألة بعين الانصاف . فنحن نرى تعميم اللغة التركية واجباً لتوحيد الامة العثمانية ولكن يكفي من القلادة ما يحيط بالعنق فاذا جعلوا تعليم اللغة التركية وآدابها اجبارياً في المدارس بحيث لا ينال الشهادة الا من اتقنها تعلماً وانشاء وتركوا لكل امة ان تتلقى العلوم والاداب في لغتها حسب استحسانها كان عملهم هذا اقرب الى ما يرجى منهم وادعى الى حفظ كرامة الاخرين ولم يفتهم ما ارادوه من تعميم لسانهم . واذا فعلوا ذلك فقد فعله النمساويون من قبلهم والشعب النمساوي مؤلف من تسع امم لكل منها لسان خاص ولهم نواب في البرلمان فراعت الدولة حقوق هذه الامم واجازت المداولة بثمانية من تلك الالسنة في برلمانها لمن لا يعرف النمساوية واغفلت التاسع لان اصحابه جهلاء . واذا كان غرضهم توحيد اللغة والجنس معاً بحيث يصير العثمانيون عنصراً واحداً فليس من الحكمة الشروع بذلك الا ن

ثانياً — تعميم التعليم

لا نريد تعداد فوائد العلم في ترقية شؤون الامة فان ذلك من قبيل تحصيل الحاصل وقد أخذت الحكومة الدستورية في تنشيط العلم . ولكننا ننظر فيه من حيث حال المملكة العثمانية على الخصوص وما تمتاز به عن سواها من بواعث التفريق . فالمطلوب جمع هذه العناصر وتوحيدها وأول ما يكون ذلك في المدارس . فاذا شب التركي والعربي والمسلم والمسيحي في مدرسة واحدة وصف واحد يقرأون كتابا واحداً ويتلقنون أدباً واحداً يأتلفون ويتحدون . ويجب ترقية التعليم وتعميمه : اما ترقيته فلكي يفهم الشبان حقيقة الوجود وتتسع صدورهم ويذهب التعصب الديني من قلوبهم فيبثون ذلك بين

أهلهم وذويهم — ولا يذهب التعصب الا بتوسيع المعرفة وترقية الافكار وكسر قيود التقاليد . بدليل انك تجد أقل العثمانيين تباغضاً اكثرهم ارتقاء في أفكارهم وتصوراتهم

وأما تعميم التعليم فواجب لاستنارة الشعب فيتعود العامة قراءة الصحف والكتب ويطلعون على شيء من احوال الامم فيذهب كره الاديان الاخرى أو الامم الاخرى من قلوبهم . وترق عواطفهم ويستنكرون ذبح جيرانهم او رفقائهم اذا كانوا من دين آخر أو جنس آخر كما حصل في أماكن مختلفة من المملكة العثمانية وأقربها عهداً منا حوادث اطنه

ثالثاً – تجنيد غير المسلمين

مهما قيل في صعوبة التجنيد على المسيحيين اليوم فهو في محله لكنهم بوغتوا بالدستور وشروطه وهم لم يألفوا الجندية وهي في بلادنا ثقيلة حتى على المسلمين الذين الفوها وسبب ثقلها على الناس ما اشتهر من فساد الحكم السابق وضعف حال الحكومة عن رفع شأن الجندي وا كفائه بما يحتاج اليه من الكساء والطعام ونحو ذلك . وهذا لا بد من تغييره في ظل الدستور ولا يمضي كثير حتى يهون التجند على المسيحيين وللحكومة الرأي في الانتظار ريثما يألف المسيحيون ذلك أو تباشره الآن . وانما المراد ان تجنيد غير المسلمين في الجندية العثمانية لامندوحة عنه لتوحيد الامة العثمانية اذ يجتمع المسلم والمسيحي واليهودي وغيرهم في فرقة واحدة يتعاشرون ويتمازجون ويتعاونون على السراء والضراء فتتقارب قلوبهم ويشعر كل منهم ان الدولة دولته والحكومة حكومته . له سيف في جندها كما له صوت في مجلس نوابها فيشق عليه ان يلحقها أذى فيحارب عنها ويناضل عن حقوقها

أما ما يهون التجنيد على المسيحيين فهو اختلاطهم في المدارس مع المسلمين وخصوصاً في المدارس الحربية فانهم يتآلفون وتتحد قلوبهم — وعشرة المدرسة من اقوى روابط الصداقة ، فعلى زعماء النصرانية تهوين التجنيد على الشبان وعلى الحكومة تسهيل ذلك بما تبديه من حسن المعاملة

الخلاصة : وخلاصة القول ان في طريق الدستور العثماني عقبات وعرة اذا تمكن الاحرار من التغلب عليها وتأييد الحكومة الدستورية عددنا ذلك من قبيل المعجزات . لان كل عقبة منها تكفي وحدها للوقوف في سبيل العمل فكيف باجتماعها جميعاً ؟ وا كبر تلك العقبات التنافر بين العناصر فاذا اتحدت تغلبت على كل عقبة

فالقوة الغالبة الآن في أيدي الاتراك وهم يقولون لنا انهم اخواننا وهذا القانون الاساسي يؤكد لنا المساواة بيننا وبينهم . وانما نخطئ بتعجل تلك المساواة في كل شيء نطلب ان يولونا الوزارة والولاية والقضاء وغيرها ولو فرضنا استعدادنا الكافي لهذه المناصب فلم يئن لنا ان نستبطئ حصولنا عليها . ورجال الدستور في شاغل عن تفريق المناصب بتأييد الحكومة ولو أردنا اكراههم على شيء نريده لم نجد سبيلا الى ذلك لانهم القابضون على ازمة الامور فما علينا الا التخلية بينهم وبين العمل . ومتى استقرت الدولة وتوطدت دعائم الدستور فالقانون الاساسي ينيل كل عنصر حقه فاذا ظهر لنا احجاف حق لنا المطالبة كما يحق لكل فرد من افراد العثمانيين . واما سوء الظن اليوم وتغيير القلوب فانه يبعث على ابطاء النجاح ان لم يدع الى انحلال الدولة والعياذ بالله

قناة السويس

كثر تحدث الناس في اثناء الشهر الماضي عن قناة السويس لان المستشار المالي رفع مذكرة يعرض بها مد أجل امتيازها اربعين سنة أخرى . وافاضت الجرائد في هذا الموضوع بين مستحسن ومستقبح وطلب المصريون الى الجناب العالي عرض ذلك على الجمعية العمومية فامر باجتماعها لهذه الغاية فاخذت تدرس المشروع لتبدي حكمها فيه فكتب الينا غير واحد يسألوننا عن تاريخ هذه الترعة وسائر أحوالها واليك هي :

الوصل بين البحر الاحمر والبحر المتوسط

لا يخفى ان الفاصل بين هذين البحرين برزخ السويس وما برح ملوك مصر من عهد الفراعنة يسعون في الوصل بينهما لتسهيل طرق التجارة بين الشرق والغرب ولم يكن الناس اكتشفوا رأس الرجاء الصالح فكان برزخ السويس فاصلا بين الشرق والغرب فاهتم رجال السياسة من الملوك وغيرهم في الوصل بينهما بحيث تجري السفن من الواحد الى الآخر ولو بقناة صغيرة . ولكن القدماء كانوا يعتقدون ان البحر الاحمر أعلى من البحر المتوسط فخافوا اذا فتحوا ما بينهما ان تطوف المياه وتغرق البلاد فوجهوا عنايتهم الى الوصل بين البحرين بطرق أخرى . ويقال بالاجمال ان مساعيهم كانت

ترمي الى احدى ثلاث طرق وهي (١) الوصل بينهما بواسطة النيل والصحراء (٢) بواسطة النيل وفروعه (٣) بواسطة ترعة مالحة — واليك خلاصة السعي في كل منها :

١ — الوصل بين البحرين بالنيل والصحراء

هذه اقدم طرق الايصال بينهمـــا واول من شرع بها مريرع احد ملوك العائلة السادسة الفرعونية في القرن السابع والثلاثين قبل الميلاد واتمه حنو من العائلة الحادية عشرة • وبعض المؤرخين يذهب الى ان بطليموس فيلاذلفوس هو اول من أوجد هذا الاتصال في القرن الثالث قبل الميلاد ولعل الصواب انهُ اعاده بعد إهماله

وكان الاتصال المذكور يتم بطريق الصحراء بين برنيس على البحر الاحمر وقفط على النيل بقرب قوص بمصر العليا • فكانت المنقولات تحمل على الجمال اونحوها من برنيس الى قفط ومن هناك تنقل على مراكب نيلية الى البحر المتوسط عن طريق دمياط اورشيد • وما زالت هذه الطريق عظيمة الاهمية حتى اكتشفوا رأس الرجاء الصالح جنوبي افريقيا سنة ١٤٩٧ م فانحطت اهميتها • ولما فتح خليج السويس كادت تهمل بالكلية لكنها لا تزال تستعمل في بعض الاحوال • وقد اصبح الاتصال الا ن بين القصير على البحر الاحمر وقنا على النيل عوضاً من برنيس وقفط وقد يكون الى قفط ولا تستعمل الا اذا كان المقصود المواصلة بين البحر الاحمر ومصر العليا رأساً

٢ — الوصل بواسطة النيل فقط

لا بد قبل الـكلام في ذلك من كلمة نقولها في تاريخ فروع النيل لانها الا ن غير ما كانت عليه في عصر الفراعنة والبطالسة والرومان . فالنيل الان ينقسم بقرب القاهرة الى فرعيه الكبير بن فيسيران شمالاً يمرُّ الشرقي منها ببنها فميت غمر فسمنود فالمنصورة وينتهي الى البحر المتوسط بالقرب من دمياط . والغربي يمرُّ بمنوف فكفر الزيات فدسوق الى ان يصب في ذلك البحر بالقرب من رشيد • وهذان الفرعان هما الفرعان الوحيدان للنيل الان وقلما يتفرع منهما غير الترع الاصطناعية

أما في الازمنة الخالية فكانت لها فروع اخرى كبيرة اكبرها متشعب من الفرع الشرقي . وكيفية ذلك ان هذا الفرع بعد ان يصل الى قرب بنها يسير منه فرع غربي ينقسم الى عدة فروع تنتهي الى البحر المتوسط بثلاثة تصب عند بحيرتي المنزلة والبرلس

أهمها فرع كبير شرقيٌّ يقال له فرع بلوسيوم كان يخرج من الفرع الشرقي قرب بنها ويسير نحو الشمال الشرقي فيمرُّ ببوباستس (تل بسطة) فالصالحية فدفنة الى ان يصب في البحر المتوسط بالقرب من بلوسيوم (طينة) شمالي الفرما اما بحر القلزم او البحر الاحمر فكان متصلاً بالبحيرة المرة الكبرى بمضيق صالح لسير السفن وكانت هذه البحيرة خليجاً يدعى خليج هيروبوليس نسبة الى مدينة كانت قائمة على مسافة قصيرة من رأسه بالقرب من فيثوم (تل المسخوطة)

والوصل بين البحرين بواسطة النيل يتم بحفر ترعة موصلة بين النيل والبحر الاحمر أما البحر المتوسط فان النيل يصب فيه • وأول من فكر في ذلك سيتي الاول من ملوك العائلة التاسعة عشرة فاراد ان يصل النيل بالبحيرة المرة بترعة • و يظن ارستوتل وسترابو وبلينيوس ان سيزوستريس (رعمسيس الثاني أو الاكبر) هو أول من فعل ذلك في الجيل الرابع عشر قبل الميلاد • وربما كان ظنهم هذا مبنيًا على ان هذا الملك هو الذي أسس مدينة فيثوم المتقدم ذكرها فرجحوا انه احتفر اليها ترعة من النيل لريها • وهذه الترعة توصل بين النيل وخليج هيروبوليس فيتم الاتصال المطلوب . أما المعول عليه بالاسناد الى المصادر التاريخية الوثيقة ان أول من اخراج ذلك الى حيز الفعل انما هو الملك نخاو الثاني من العائلة السادسة والعشرين (سنة ٦١٠ ق م) فاحتفر ترعة تنشأ من فرع بلوسيوم عند بوباستس بالقرب من الزقازيق وتسير فيما يدعى الآن وادي القنال حتى هيروبوليس ويقال ان امتداد هذه الترعة كان ٦٢ ميلاً من الاميال الرومانية (نحو ٥٧ ميلاً انكليزيًا)

فلما استولى الفرس على مصر اتمها الملك داريوس (دارا) بن هستاسبس سنة ٥٢٠ ق م وكان المضيق بين هيروبوليس والبحر الاحمر كاد يمتلئ من الرواسب فامر بجرفه وتوسيعه وكان طوله نحو عشرة أميال • ولا تزال آثاره باقية الى هذا العهد بالقرب من شالوف عند الطرف الجنوبي للبحيرة الكبرى وترعة الاسماعيلية • ويشاهد هناك بعض الآثار الفارسية الدالة على صحة ذلك . وكان المعروف اذ ذاك ان البحر الاحمر أعلى من النيل فلم يجسر نخاو ولا داريوس على ايصال ترعتهما هذه الى الخليج تماماً خشية ان يختلط الماءان أو يطوف المالح على العذب • فتمت المواصلة اذ ذاك على

هذه الصورة : تسير السفن من البحر المتوسط في فرع بلوسيوم الى بو باستس ومنها في تلك الترعة الى هيرو بوليس، ومن هذه كانوا ينقلون المحمولات الى مراكب البحر الاحمر على الدواب أو غيرها فكانوا يقاسون في ذلك بعض المشقة . فلما تولى بطليموس فيلاذلفوس وجه اهتمامه الى اصلاح ذلك الخلل سنة ٢٨٥ ق م فاحتفر ترعة موصلة بين هيرو بوليس ورأس البحر الاحمر وترعة اخرى من هيرو بوليس الى خليج هيرو بوليس ووسع المضيق . فاصبح هناك ترعتان كلتاهما متصلة بالبحر الاحمر واتخذ حواجز واحتياطات اخرى لمنع طغو المياه المالحة على العذبة بحيث يمكن للسفن ان تمر الى الخليج والى البحر الاحمر مع توقي الطغيان . وابتنى عند مصب الخليج في البحر الاحمر مدينة دعاها ارسينوا جعلها محطة بحرية تنتهي اليها المراكب القادمة عن طريق النيل وتقلع منها السائرة في البحر الاحمر

ثم اخذ ماء النيل يتحول عن فرع بلوسيوم شيئاً فشيئاً حتى جف ماؤه فبطلت تلك الترعة . حتى اذا كان الاسلام وفتحت مصر على يد عمرو بن العاص امره الخليفة بانشاء ترعة يسهل نقل المؤن عليها الى الحجاز فاحتفر قناة دعاها خليج امير المؤمنين فابتدأ بها عند مصر القديمة حيث يبتدئ خليج مصر اليوم فسار بها في ظاهر الفسطاط حتى القاهرة اليوم ومنها الى المطرية ومنها الى بوباستس حيث تبتدئ الترعة القديمة ومن بوباستس الى البحر الاحمر . وما زالت تسير السفن في خليج امير المؤمنين من الفسطاط واليها مدة ١٣٤ سنة حتى ايام الخليفة المنصور ابي جعفر ثاني الخلفاء العباسيين ومؤسس مدينة بغداد فامر بردمه منعاً لامداد العلويين الذين ثاروا في المدينة . وما زال مردوماً الى الان . ويقال ان الملك الحاكم بامر الله الفاطمي أمر بحفره سنة ١٠٠٠ للميلاد لتسير فيه السفن الصغيرة ثم اهمل فطمرتهُ الرمال . وظل من اثاره الى عهد غير بعيد الخليج الذي كان يقطع القاهرة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي وهو المعروف بخليج مصر . كان ينشا من فم الخليج عند مصر القديمة ويسير نحو الشمال الشرقي وقبل ان يبلغ نظارة المالية يعطف نحو الشرق الجنوبي حتى جامع السيدة زينب فيعود الى سيره نحو الشمال الشرقي فيمر بجانب بركة الفيل ثم سراي درب الجماميز فتكية الحبانية ثم يقطع شارع محمد علي فيمر بجانب سراي منصور باشا الى ان يقطع السكة

الجديدة قرب اتصالها بشارع الموسكي فيمر تاركاً كنيسة اللاتينيين وكنيسة السريان الى يساره وكنيسة الارمن وكنيسة القبط الى يمينه الى ان يصل الى بداية سكة مرجوش فيتركها الى يمينه ثم يقطع سور القاهرة عندباب الشعرية ويسير خارج القاهرة الى شارع الظاهر فيمر تاركاً جامع الظاهر الى يمينه حتى يلتقي بترعة الاسماعيلية وهناك ينتهي

وكانت فائدة هذا الخليج قاصرة على ري المدينة وبعض ضواحيها وكانوا يحتفلون بفتحه سنوياً عند وفاء النيل فلما توزعت المياه في القاهرة بالانابيب الى المنازل لم تبق له فائدة فاذنت الحكومة لشركة ترمواي القاهرة بردمه ومد خط الترامواي فوقه وهو الفرع المعروف بترامواي الخليج الآن

٣ ــ الوصل بينهما بقناة مالحة

وهي الباقية الى الآن نعني قناة السويس . وقد فكر في حفرها الفراعنة ولكنهم خافوا طغيان الماء كما تقدم . وفكر فيه أيضاً المسلمون منذ فتحوا مصر ــ فذكروا ان عمرو بن العاص اراد حفر قناة توصل بين البحرين فمنعه عمر بن الخطاب لئلا يتخذها الروم طريقاً الى الحجاز . واراد ذلك الرشيد بعده على ان يحفر ترعة مما يلي بلاد الفرما نحو بلاد تنيس على ان يكون مصب البحر الاحمر في البحر المتوسط كما هو حاله اليوم فشاور وزيره يحيي بن خالد فقال له « اذاً يخطف الروم الناس من المسجد الحرام والطواف وذلك ان مراكبهم تنتهي من بحر القلزم (الاحمر) الى بحر الحجاز فتطرح سراياها مما يلي جدة فيخطف الناس من المسجد الحرام ومكة والمدينة » فامتنع عن ذلك وربما فكر فيه غيره من ملوك المسلمين ولم يخرجوه الى حيز الفعل

ثم ذهبت دولة العرب واخذ الافرنج يهبون من سباتهم وسعوا في اكتشاف الطرق التجارية ــــ وكانت التجارة بين اوربا والمشرق في الاجيال الاخيرة محصورة على نوع ما في فينسيا (البندقية) وكان الفينيسيون ابرع الناس فيها واكثرهم اشتغالاً بالاسفار بين البحرين عن طريق مصر . فلما اكتشف رأس الرجاء الصالح تحولت تلك التجارة الى يد البرتغاليين فشق ذلك على الفينيسيين فاهتموا في امر انشاء ترعة توصل بين البحرين فخابروا سلطان مصر اذ ذاك (قنسو الغوري) وما زالت المخابرات بهذا الشأن دائرة حتى الفتوح العثماني سنة ١٥١٧ م فبطلت وأهمل المشروع . فلما كانت الحملة

الفرنساوية اهتم نابوليون بونابرت بذلك الاتصال بواسطة برزخ السويس فاستكشف البرزخ ومعه المهندس الشهير موسيو لابير سنة ١٢١٣ ﻫ او ١٧٩٨ م وتفحصاه تفحصاً مدققاً فزعم لابير ان البحر الاحمر يعلو المتوسط ٣٠ قدماً فعدل عن فتح ترعة موصلة بين البحرين رأساً وقدم التقرير الآتي وهو يتضمن افضل ما رآه من الطرق :

(١) الاتصال بواسطة النيل وفروعه وذلك بترعة من الاسكندرية الى الرحمانية على فرع رشيد . وفي النيل من هناك الى القاهرة وبخليج امير المؤمنين من القاهرة الى البحيرة المرة حيث يقام حواجز . ومن هناك الى السويس بترعة مالحة

(٢) الوصل بين البحرين رأساً بان تحفر ترعة بين السويس والبحيرة المرة وترعة اخرى بين البحيرة المرة وبلوسيوم . الا ان هذا التقرير لم يباشر تنفيذه قبل ان قضي على تلك الحملة بالانسحاب من مصر

وفي سنة ١٢٥٥ ﻫ او ١٨٣٧ م أنشأت شركة البواخر الشرقية خطاً تجارياً بين الهند وانكلترا عن طريق برزخ السويس بان تأتي المنقولات في البحر المتوسط الى اول البرزخ فتنقل في البر الى السويس ومنها في البحر الاحمر الى الهند وغيرها

وفي سنة ١٢٦٤ ﻫ او ١٨٤٦ م تعينت لجنة مختلطة للنظر في تقرير لابير فقررت ان الفرق بالارتفاع بين البحرين لا يعبأ به الا انها انحلت ولم تصل الى نتيجة وتركت ذلك الى احد اعضائها المسيو تالابوت فكان من رأيه تتبع الترعة القديمة من السويس الى تل بسطة (قرب الزقازيق) رأساً واحتفار ترعة من هناك الى رأس الدلتا حيث القناطر الخيرية الآن فتقام لها قناطر تسير عليها مياه تلك الترعة الى البر الغربي ومن هناك تتم الترعة الى الاسكندرية . فكانهُ يريد ايصال البحرين بترعة تمر بين السويس والاسكندرية وتقطع الدلتا عند رأسه فلم يصادف مشروعه استحساناً لما كان يحول دون ذلك من المشاق . ثم قدم الخواجات باروك تقريراً من مقتضاه ان يوصل البحر الاحمر ببحيرة المنزلة الى دمياط ثم يقطع النيل وتتم الترعة الى رشيد فيقطع فرع رشيد ايضاً وتوصل الترعة الى الاسكندرية فلم يصادف هذا نجاحاً ايضاً لمشابهته مشروع تالابوت

وفي سنة ١٢٧١ ﻫ أو ١٨٥٥ م اهتم لينان بك وموجل بك تحت ادارة المسيو

دلسبس في امر هذه المواصلة بعد ان حصل هذا الاخير على البراءة في ذلك من سعيد باشا والي مصر اذ ذاك فاقروا على وجوب فتح ترعة في خط مستقيم بين السويس و بلوسيوم مارة في البحيرات المرة فبحيرة التمساح فالمنزلة . وان تتصل هذه الترعة من طرفيها بحواجز عند التقائها بالبحرين . واقرّوا ايضاً على احتفار ترعة عذبة من بولاق مصر الى منتصف البرزخ ومن هناك الى السويس لاجل حمل المياه للشرب والري وترعة توصل المياه الى بلوسيوم . فعمل المسيو دلسبس تقريراً في ذلك وعرضه سنة ١٢٧٢هـ او ١٨٥٦ م على لجنة دولية مؤلفة من نواب دول اوستريا وانكلترا وفرنسا وايطاليا وهولندا وبروسيا واسبانيا فادخلت فيه تعديلات من مقتضاها ان تنتهي تلك الترعة من طرفها الشمالي في نقطة على مسافة ١٧ ميلاً ونصف الى الغرب من بلوسيوم حيث بورت سعيد الآن وسبب ذلك ان مياه البحر المتوسط هناك عمقها بين ٢٥ و٣٠ قدماً على مسافة ميلين من الشاطئ أما عند بلوسيوم فلا تبلغ هذا العمق الا على مسافة خمسة اميال . وان تقفل الحواجز عند طرفي الترعة

وتمَّ الاتفاق على ذلك وأخذوا في العمل وانتهى حفرها في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ في زمن الخديوي اسماعيل فاحتفل بفتحها احتفالاً عظيماً حضره ملوك أوروبا او مندوبوهم كلف مصر نحو مليون جنيه

القناة والحكومة المصرية

تمَّ أنشأ هذه القناة بعقود مبرمة بين الحكومة المصرية والشركة التي انشأتها . فاول عقد أبرم في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ بين سعيد باشا والي مصر وبين فردينان دلسبس صاحب المشروع اذن له بمصادقة السلطان عبد المجيد بتشكيل شركة من متمولي العالم لجمع المال اللازم لحفر القناة الموصلة بين البحرين ويكون لها حق الانتفاع بريعها ٩٩ سنة من يوم فتحها . وانه بعد انقضاء المدة المذكورة تحلُّ الحكومة محل الشركة فيأول اليها جميع حقوقها وتصير الترعة وما يتبعها من الابنية ملكاً لها الا الادوات والاثاث فانها تدفع اثمانها . وتعهد سعيد باشا في ذلك العقد ان يساعد الشركة هو وحكومته لاخراج هذا المشروع لحيز الوجود . وتعهد في لائحة صدرت بعد سنتين ان يكون اربعة اخماس الفعلة الذين يشتغلون في حفر القناة من المصريين واشترطت اشياء أخرى لمصلحة الشركة

وتعهدت الشركة من الجهة الاخرى ان تنجز العمل في ست سنوات وأن تتكفل هي بالنفقات اللازمة وان القناة تكون طريقاً حرًّا لكل طارق بلا تفريق بين الدول أو الامم وان يكون للحكومة المصرية ١٥ في المئة من صافي الربح ولها أن تشتري من اسهم الشركة المقدار الذي تريده

واضطرت الحكومة سنة ١٨٦٦ الى عقد وفاق ثالث مع الشركة يقضي على الحكومة بغرامة — وذلك ان السلطان عبد العزيز اعترض على تعهد سعيد باشا بتشغيل المصريين في القناة رغم ارادتهم واعتبر ذلك من قبيل السخرة الجبرية لانها تخالف الحرية الشخصية فاضطر اسماعيل باشا وهو الخديوي يومئذ ان يدفع للشركة غرامة مقدارها مليون ونصف من الجنيهات

ابتدأت الشركة بالحفر سنة ١٨٥٩ واعلنت الاكتتاب باسهمها فاشترت الحكومة المصرية (على عهد سعيد باشا) ١٧٧,٦٤٢ سهماً وذلك يعدل نحو ٤٤ في المئة من رأس مال الشركة واشترت فرنسا ٢٠٧,١٦٠ سهماً أي نحو ٥٢ في المئة ولم تشتر انكلترا الا ٨٥ سهماً

فتحت القناة للملاحة سنة ١٨٦٩ وبيد الحكومة المصرية ٤٤ في المئة من أسهمها ثم كان ما هو مشهور من تهور اسماعيل في النفقات على البلاد وعلى نفسه واضطر للاموال فجعل يبدد ما في يديه من الاسهم. واحتاج أخيراً الى مبلغ كبير وكان لا يزال عنده من الاسهم ٠٠٠ ١٧٦ فتقدمت فرنسا لابتياعها فانتبهت انكلترا لما يترتب على ذلك من تغلب نفوذ فرنسا في ذلك الطريق. فما زالت تسعى حتى ابتاعت تلك الاسهم بمبلغ ٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وهي لو بقيت الى اليوم لبيعت بثلاثين مليوناً أو اكثر

وتورط اسماعيل في السخاء فاحتاج الى مال آخر فاقترض مليون جنيه من شركة السنديكات الكبرى ورهن عندها حصة مصر من أرباح القناة أي ١٥ في المئة. فلما اقتضى اسرافه تداخل أوربا في الشؤون المالية المصرية ظهر الموجلين بالبحث والتفتيش ثقل ما تحملته مصر من الديون فوضعوا قانون التصفية وعجزت مصر عن دفع المليون المذكور فتنازلت عن الرهن وتألفت شركة فرنساوية دفعت الدين وقامت مقام مصر في الاستيلاء على حصتها المشار اليها. ويقدرون جملة ما وصلها من ذلك بار بعين مليون جنيه!

وكان اسماعيل قبل بيع أسهم القناة قد باع أرباحها لعشرين سنة فلما باع الاسهم لانكلترا سوّت مسألة تلك الارباح بان تسددها الحكومة المصرية باقساط مقدارها ٢٠٠,٠٠٠ جنيه كل سنة الى سنة ١٨٩٦

فاعتبر مبلغ ماخسرته مصر بسبب قناة السويس انه يقدر بعشرات الملايين من الجنيهات . وقد مضى من مدة الامتياز الآن نحو أربعين سنة ولا يزال للشركة نحو ستين سنة تصبح القناة بعد انقضائها ملكاً للحكومة المصرية . ولكن المستشار المالي وضع مشروعاً لاطالة مدة الامتياز اربعين سنة أخرى خلاصته : ان تزيد الحكومة مدة امتياز الشركة ٤٠ سنة فضلاً عن الستين الباقية بحيث يصير آخرها سنة ٢٠٠٨ وتقبض مصر في مقابل ذلك أربعة ملايين جنيه تستولي عليها في أثناء اربع سنوات (من سنة ١٩١٠ — ١٩١٣) ويكون لها من سنة ١٩٢١ حصة من الربح تبدأ باربعة في المئة وتزداد الى ستة فثمانية فعشرة فاثني عشر في المائة الى سنة ١٩٦٩ وهي نهاية مدة الامتياز الاصلية . ومتى دخلت مدة الامتياز الجديد تستولي الحكومة المصرية فيه على خمسين في المئة من أرباح الشركة الصافية . ومتى انتهت هذه المدة سنة ٢٠٠٨ تصير القناة وابنيتها ملكاً لها الا الادوات والأثاث فتدفع قيمتها

ولما نشر المستشار مشروعه طلب الاهالي عقد الجمعية العمومية لاخذ رأيها فيه . والرأي العام مائل الى رفضه والبقاء على الشروط القديمة وهو ما يخطر بالبال لاول وهلة وحجة القائلين بتجديد الامتياز حاجة الحكومة الى نقود . والمعارضون لا يرون الحكومة في حاجة الى المال وعندها المال الاحتياطي واذا لم يكن عندها مال وكان لابد من الانفاق فلا يعجزها الاقتراض بالفوائد القانونية . وقد دارت المناقشة في الصحف على أي الوجهين افضل ولكن الرأي يرجع طبعاً الى الجمعية العمومية والحكومة المصرية وشركة القناة وسنرى ما يكون

باب السؤال والاقتراح

الحج في الاسلام

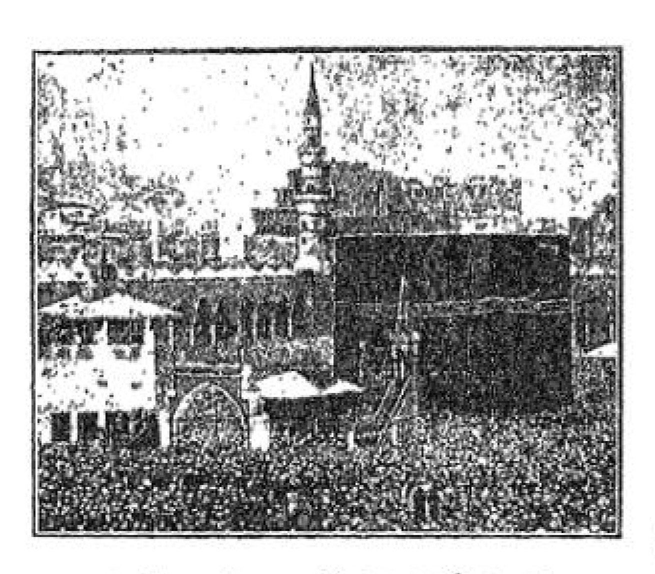
﴿ القاهرة ﴾ محمد سعيد افندي الحسيني

نظراً لعزم مولانا الامير على تأدية فريضة الحج في هذا العام نرجو ان تذكروا لنا تاريخ الحج وشروطه في الاسلام وقبله على عادتكم في مثل هذه الاحوال

﴿ الهلال ﴾ كتبنا في الحج وتاريخه مقالات متسلسلة في السنة العاشرة من الهلال أتينا فيها على اصل الحج وتاريخه وأصل لفظ « حج » في اللغات السامية . واقدم من حج من الامم المصريون القدماء (ليس للكعبة) والاشوريون والفينيقيون واليونان والرومان والهنود واليهود . وفصلنا ذلك الى الحج العربي قبل الاسلام وما كان عند العرب وخصوصاً حج الكعبة وأتينا على تاريخها وتاريخ المسجد الحرام الى الآن وصورناه ووصفنا أجزاءه والمحمل والكسوة والحجر الاسود وكيف يحجون ويطوفون مما يطول بنا نقله فنقتطف منه ما يناسب المقام

الكعبة

الكعبة : هي بناء مربع الشكل تقريباً واقع في وسط المسجد . طولها اثنا عشر متراً في عشرة امتار وعشرة سنتيمترات . وارتفاعها خمسة عشر متراً وجدرانها غير تامة الاتجاه الى الجهات الاربع . فان الجدار الذي فيه الباب (وهو الظاهر في الرسم) يقابل الشرق مع ميل قليل نحو الشمال وطوله ١٢ متراً يقابله من البلاد ممالك العجم وافغانستان والهند . يليه نحو الجدار الذي يقابله الحجر (حجر اسماعيل) وفي أعلاه الميزاب . والجدار المذكور متجه نحو الشمال مع ميل نحو الغرب وطوله عشرة أمتار وهو يقابل من البلاد المدينة والشام . أي ان اهل هذين البلدين اذا ولوا وجوههم المسجد الحرام قابلهم منه هذا الجدار وقس على ذلك اتجاه الجدارين الباقيين . وللكعبة


(ش ١) الكعبة عليها الكسوة والناس حولها يطوفون

اربعة اركان هي اقرب الى الجهات الاربع من الجدران ويسمونها غالباً بالنسبة الى البلاد التي تقابلها . فالركن المؤلف من ملتقى جدار الباب بجدار الميزاب (الى يمين الواقف تجاه باب الكعبة يستقبلها بوجهه) هو الركن الشامي ويسمى العراقي او ركن حجر اسماعيل ويواجهه من البلاد الجزء الاكبر من الحجاز وفارس وتركستان والعراق وشمال الهند والسند . والى يسار مستقبل باب الكعبة ركن الحجر الاسود وهو بين الشرق والشرق الجنوبي ويقابل الجزء الجنوبي من الحجاز الى عدن ومدغسكر واوستراليا وجنوب الهند والصين وسومطرا . ومن صلى في هذه البلاد كانت قبلته الحجر الاسود . فالذي يستقبل باب الكعبة بوجهه يكون ركن الحجر الاسود الى يساره والركن الشامي الى يمينه . ويلي الركن الشامي الركن الغربي وهو واقع بين الغرب والغرب الشمالي ويواجه روسيا وسائر اوربا وبلاد المغرب في شمالي افريقيا ومصر الى الشلال الثاني فاذا صلى اهل مصر كانت قبلتهم الركن المذكور . والركن الرابع الذي يلي ركن الحجر الاسود يقال له الركن اليميني بين الجنوب والجنوب الغربي وهو يواجه اليمن وافريقيا الجنوبية . والكعبة مبنية من حجارة كبيرة صماء زرقاء اللون ويحيط بها من الاسفل درجة يسمونها الشاذروان

باب الكعبة : هو في جدارها الشرقي الشمالي وعلوه عن الارض متران وعتبته من الفضة وكذلك قفله . مصراعاه من الساج المصفح بالفضة المذهبة صفحه السلطان سليمان القانوني سنة ٩٥٩ للهجرة . وللباب ستارة كبيرة خاصة به وهي مزركشة في غاية الاتقان ترسل من مصر في جملة الكسوة ولا يمكن الصعود الى باب الكعبة

الا بسلم . وسلمه من خشب مصفح بالفضة يصعد عليه الحاجون الى باب الكعبة

داخل الكعبة وسطحها : وفي داخل الكعبة ثلاثة اعمدة من العود الماوردي قطر الواحد منها خمسة وعشرون سنتمتراً وهي منصوبة صفاً واحداً في وسط البيت من الشمال والجنوب . وفي سقف الكعبة تحفٌ من ألجواهر الثمينة ونحوها مما كان يهديه الخلفاء والسلاطين وهي معلقة في السقف . وجدران الكعبة مكسوة من الداخل باطلس أحمر عليه مربعات من الحرير الابيض مكتوب عليها «الله جل جلاله» وهي هدية من السلطان عبد العزيز . وفي الزاوية التي تلي حُجر اسماعيل الى يمين الداخل شطرة فيها باب يصعد منه على درج الى اعلى الكعبة هو باب التوبة . وسطح الكعبة مرصف بالواح المرمر وعلى حوافيه الاربع حلق لربط الكسوة من الخارج حتى تكون منسدلة على الجهات الاربع بانتظام

الكسوة

هي كساء للكعبة كان العرب في الجاهلية يكسونها به . ويقال ان اول من كساها ابو كرب سعد ملك حمير من ملوك اليمن وكانوا يكسونها بالجلد او القباطي او نحوهما. ثم كساها عبد الملك بن مروان في اواخر القرن الاول للهجرة بالديباج وهو اول من فعل ذلك من الخلفاء . ولم يكونوا يجددونها الا عند الحاجة لا يتقيدون بزمن اومیقات حتى جاء الخليفة المأمون فجعل تجديدها فرضاً في كل عام من الابرسم الاسود . وفي سنة ٧٥٠ للهجرة على عهد السلاطين المماليك بمصر اشترى السلطان الملك الصالح بن الناصر بن قلاون ثلاث قرى من القليوبية اوقف ايرادها على صنع الكسوة واشترط في الوقفية ان تصنع من الحرير الاسود سنوياً وترسل من مصر . ثم خربت هذه القرى ولم يعد ايرادها يفي بالنفقة اللازمة فاشترى السلطان سليمان القانوني في اواسط القرن العاشر للهجرة سبع قرى في الشرقية واوقفها لتلك الغاية . ولا تزال هذه الكسوة تصنع في مصر وترسل الى الكعبة في المحمل بزمن الحج . وبلغ ما ينفق كل سنة على اصطناع هذه الكسوة ٤٥٠٠ جنيه مصري ثمن الاقمشة والمخيشات واجرت شغلها فقط

والكسوة عبارة عن ثماني قطع من نسيج الحرير الاسود طول كل منها بعلو الكعبة وكل قطعتين بعرض جدار من جدرانها فاذا أسدلت على الجهات الاربع لحق

كل جدار قطعتان . وفي عرض كل قطعة طراز مزركش عرضه سبعون سنتيمترًا عليه آيات قرآنية موسومة بالمخيش فاذا اسدلت الكسوة حول الكعبة كان ذلك الطرز كالنطاق حولها في ارتفاع ثلثي الكعبة . ومن توابع الكسوة ايضاً ستارة كبيرة من الاطلس الاخضر المزركش لباب الكعبة وستر لمقام ابراهيم الخليل وستارة لباب هذا المقام . وقد جرت العادة ان الكسوة تترك في آخر العام للشيخ الشيبي فاتح البيت الا الاشياء المزركشة فيأخذها شريف مكة وقد تحمل الى مولانا السلطان

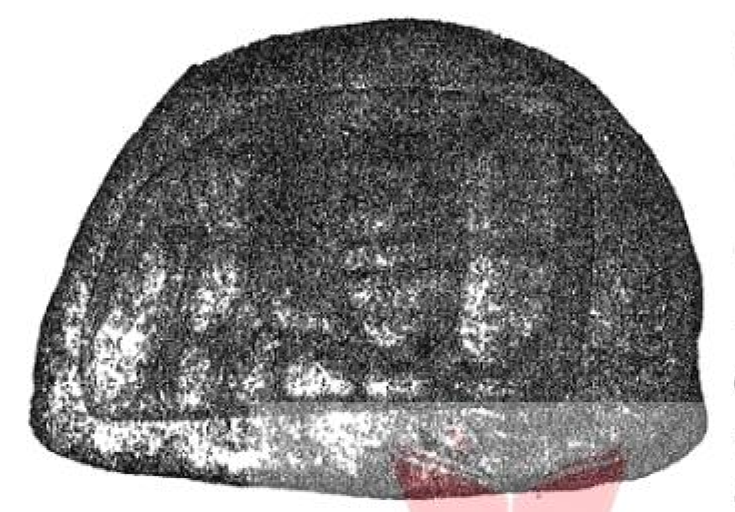
﴿ المحمل ﴾ يراد بالمحمل الهودج أو المحفة غير التي توضع بها الكسوة وتحمل على جمل خاص بها . والمحمل مربع الشكل فوقه قبة على اربعة اضلاع عليه كساء من الاطلس الاحمر مزركشة بالقصب في غاية الاتقان وعليه كتابة بالمخيش هي آيات من القرآن وعلى اركانه الاربعة كرات من الفضة

ويقال ان اول من استخدم المحمل شجرة الدر ام الملك المعظم احد سلاطين مصر المماليك — وذلك انها ارادت الحج سنة ٦٤٠ هـ فصنعوا لها هودجاً مربعاً عليه قبة لجملها فمشى هودجها وقافلة الحج تتبعه فسمي بالمحمل

الحجر الاسود

هو حجر اسود موضوع في ركن الكعبة الى يسار الداخل في بابها وهو الركن الشرقي الجنوبي . ولهذا الحجر تاريخ طويل — من اهم حوادثه ان قريشاً لما ارادوا بناء الكعبة قبيل الاسلام ووصلوا بالجدران الى علو مكان اختلفوا في من يرفع ذلك الحجر الى مكانه لان كل قبيلة ارادت أن ترفعه هي . ثم اتفقوا على ان يحكموا اول داخل الى الحرم . وكان حضرة صاحب الشريعة الاسلامية يومئذ في الخامسة والثلاثين من عمره اي قبل مبعثه بخمس سنوات . فاتفق انه كان اول من دخل الحرم بعد ذلك الاشتراط فحكموه وكانوا يسمونه الامين فامرهم ان يضعوا الحجر في ثوب وان تمسك كل قبيلة بطرف من اطراف الثوب وان يرفعوه الى موضعه ففعلوا ذلك . فلما ارتفع الحجر اخذه هو بيده ووضعه في موضعه ثم اتموا بناء الكعبة . ومن اهم حوادث الحجر ايضاً ان القرامطة الذين ظهروا في اوائل القرن الرابع للهجرة وحاربوا الخلفاء العباسيين سطوا سنة ٣١٧ هـ على مكة ورئيسهم ابو طاهر القرمطي ونهبوا اموال الحجاج وقلعوا

الحجر الاسود وحملوه الى هجر بالبحرين ليحولوا الناس عن الكعبة . وخلعوا باب الكعبة ايضاً واخذا كسوتها وارتكبوا كل منكر . وما زال الحجر عندهم في هجر الى سنة ٣٣٩ هـ فاعادوه بعد ان ضعف امرهم وقد حبسوه عن مكة ٢٢ سنة



الحجر الاسود

والحجر الاسود موضوع في الركن الشرقي الجنوبي كما تقدم . ارتفاعه عن الارض ستة اشبار ونصف فالطويل من الناس يتطامن لتقبيله والقصير يتطاول اليه وهو ملصق بالركن المذكور في صندوق من الفضة فيه فتحة مستديرة يبدو الحجر منها للخارج . قطر الفتحة ٢٧ سنتيمتراً أي نحو شبر وثلثي الشبر . وسطح الحجر مقعر مثل الكاس وفيه شقوق كان فيه صدوعاً . ويقال أنه اصيب بدبوس على عهد القرامطة فتشقق

الاحرام

يعدون مكة وما يجاورها حرماً وعلى القادم ان يغير ثيابه ويغتسل قبل دخوله في ذلك الحرم وهو ما يعبرون عنه بالاحرام . وحدود هذا الحرم تعين باعتبار طرق الحج . فالقادم من المدينة يحرم في « ذي الحليفة » وهو مكان يسميه العامة آبار علي . والقادمون من العراق وفارس يحرمون في « ذات عرق » . وأهل اليمن والهند في « يلملم » واهل الشام ومصر في « جحفة » او « رابغ » واهل تهامة ونجد في « قرن »

والاحرام ان يحلق الحاج شعره ويقلم اظافره ويغتسل ويأتزر بفوطة بيضاء كبيرة ويرتدي باخرى يدخل طرفها في الازر ويديرها على جسمه بحيث تستر ظهره وصدره وكتفه الى العنق ويترك طرفها الاخر مسدولا ويترك رأسه مكشوفا ويلبس برجليه نعلين

لا يستران الا نصف الاصابع كما ترى في الشكل



ثم يقول « اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله مني » ثم يلبي فيقول « اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » يكررها ثلاث مرات . ومنهم من يتلو صلوات اخرى ودعاء آخر . وبعد نية الاحرام لا يجوز الحلاقة ولا تقليم الاظافر ولا حك الجسم بها ولا ستر الرأس الا بنحو شمسية او غطاء محفة ولا التدهن أو التعطر ولا قتل الصيد ولا الاشارة الى صيده ولا الاشارة الى من يقتله ولا الجماع ولا الجدال مع احد . واذا كان المحرم امرأة فانها تلبس ثيابها الاعتيادية بشرط ان تكون نظيفة . والاصل في احرامها أن تكشف وجهها ولكن لمنع الافتتان تستره بقطعة مجدولة من الخوص كالمروحة فيها خروق

حاج بلباس الاحرام

تنظر منها . ومتى احرم المسلمون صاروا جميعاً على هيأة واحدة الكبير كالصغير والامير كالحقير وقد تجردوا من زخارف الدنيا ولبسوا لباس الاحرام وهو رمز عن الزهد

الطواف والسعي وعرفة ورمي الجمار

حالما يقبل الزائر على مكة يغتسل او يتوضأ ثم يدخل من كداء ويمر بالحجون حتى يهبط مقبرة مكة فيزور بعض الاضرحة ثم يدخل المسجد من باب السلام وحالما يشاهد الحرم يقول « اللهم ان هذا حرمك وحرم رسولك فحرم لحمي ودمي على النار اللهم آمني من عذابك يوم تبعث عبادك » ثم يدخل برجله اليمنى ويقول « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد اللهم اغفر ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك »

ومتى وقع بصره على الكعبة يقول « باسم الله والله اكبر لا اله الا الله اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً ومهابة وتكريماً » ثم يتجه الى باب بني شيبه وهو عبارة

عن عمودين تعلوهما قنطرة امام مقام ابراهيم فيمر منه وهو يدعو دعاء خاصاً . ويتوجه الى جنوبي الكعبة ويقف ما بين الركن اليماني والحجر الاسود وينوي طواف القدوم وهو التحية سبعة اشواط . فيتوجه اولا الى الركن الذي فيه الحجر الاسود ومنه يبدا الطواف فيستلم الحجر ويقبله . وكيفية ذلك ان يضع يده عليه مكبراً فان لم يمكن الاقتراب منه للازدحام وقف محاذيا له واستقبله برهة ورفع يديه وكبر . ثم يطوف حول البيت (الكعبة) من شرقيه فيمر بالباب ويستمر بالطواف وهو مضجع رداءه اي انه يجعله تحت ابطه الايمن ويلقيه على كتفه الايسر ويكون الطواف وراء الحطيم داخل المطاف حتى يعود الى الحجر الاسود فيقف الطائف برهة ويفعل كما فعل في المرة الاولى ويكرر ذلك سبع مرات وبعد الطواف يزور مقام ابراهيم ثم يمر بزمزم ويخرج للسعي

﴿ السعي بين الصفا والمروة ﴾ ومتى فرغ الحاج من طوافه يخرج من المسجد من الباب المسمى باب الصفا الى الشارع ومنه الى الصفا بالجهة الاخرى من الشارع وهو مكان شبيه بالمصلى يصعد اليه ويستقبل الحرم ويكبر ويدعو ثم ينوي السعي سبعة اشواط ثم يسير منه الى المروة في شارع المسعى وطول المسافة اربعماية وخمسة امتار حتى يصل المروة فيصعد اليها ثم يعود الى الصفا وهكذا الى آخر الاشواط السبعة

﴿ عرفة ﴾ هي بقعة من الارض في شرقي مكة سطحها مستو مساحته كيلو متر مربع تحيط به الجبال وفيه تنصب خيام الحجاج زمن الحج . وفي غربيه جامع كبير اسمه جامع نمرة وبين هذه الجبال جبل صغير يسمى جبل الرحمة وهو الذي يسميه العامـة جبل عرفات طوله ثلاثمائـة متر وارتفاعه ثلاثون متراً يصعد اليه على حجر مدرج كالسلم . واعلى هـذا الجبل سطح مبلط بالحجر مساحته عشرون متراً مربعاً في وسطه مصطبة طولها سبعة امتار في سبعة وارتفاعها متر ونصف وفي ركنها الغربي عمود مربع ارتفاعه اربعة امتار وعرضه متران وفي اسفل الجبل قناة عين زبيدة يشرب منها الحجاج

وفي الطريق من مكة الى عرفة « منى » وهي بلدة مستطيلة فيها نحو ٢٠٠ منزل لا تسكن الا في ايام العيد . وعلى يسار الداخل الى منى ركن يسمى جمرة العقبة يرجمونه بعد النزول من عرفة . ويليه بعد ١٥٠ متراً بناء اخر اسمه الجمرة الثانية ثم الجمرة الثالثة . وبعد منى « المزدلفة » وهي ارض متسعة تحتوي على محل فيه جداران

بينهما ستون متراً وارتفاعهما أربعة امتار ويسمى هذا المكان المشعر الحرام ومنه تؤخذ الحصى لرمي الجمار عند العودة . فيذهب الحجاج الى عرفة فيصلونها في التاسع من ذي الحجة فيقفون عند اسفل جبل الرحمة في مكان معد لذلك فيخطب الامام خطبتين ويصلي الظهر والعصر . وبعد الدعاء والتلبية ينزل الناس من عرفة بعد الغروب نحو مكة

﴿ رمي الجمار ﴾ فيمرون اولا بالمزدلفة فيبيتون فيها وفي الفجر يصلون في المشعر الحرام ويلتقط كل واحد ٤٩ حصاة قدر الواحدة نحو الحمصة او الفولة ويغسلها سبع مرات ويحفظها عنده . ويتنقلون بعد طلوع الشمس الى منى فينزلون ويذهب كل واحد من الحجاج الى العقبة الاولى ويرمي سبع حصى وهي الجمرة الاولى ويكبر هو ويرميها ثم يعود الى مخيمه ويحلق ويفك احرامه ويلبس ثيابه ويضحي . ويحتفل الحجاج بعيد الاضحى رسمياً ويهنئون بعضهم بعضاً . وتتراكم الاضاحي في ذلك اليوم وما يليه فتكثر العفونات وتتخذ الحكومة بعض الاحتياطات لتخفيف ذلك . ويعود الحجاج الى مكة ثالث يوم العيد فراراً من الرائحة الكريهة فيطوف الحاج حول الكعبة طوف الزيارة (الطواف الاول يسمونه طواف القدوم) ثم يعود الى منى فيرمي الجمار الثلاث في اليوم الثاني بعد الزوال ويفعل في اليوم الثالث كذلك ثم يعود الى مكة . واذا اراد الخروج من مكة طاف سبعة اشواط اخرى بلا سعي ثم يستقي من زمزم ويشرب . ثم يأتي باب الكعبة ويقبل العتبة ويضع صدره وبطنه وخده الايمن على الملتزم وهو ما بين الباب والحجر الاسود ويتشبث بالاستار ساعة ويدعو مجتهداً ويبكي ويرجع القهقري حتى يخرج من المسجد

السوريون والجنس الاصفر

﴿ ايرن موتتن متشكان باميركا ﴾ بولس افندي اسحق الخوري

قامت قيامة صحفنا على حكومة اميركا لانها تهمّ ان تعتبر السوريين من الجنس الاصفر المغولي او لانه من آسيا فتحرمه من حق التجنس بالجنسية الاميركية حسب قانونهم فهل يحق لها ذلك وما هو الفرق بين الاجناس وكيف تمتاز بعضها عن بعض

﴿ الهلال ﴾ نظر علماء الانسان في سكان الارض من حيث اشكالهم والوانهم وارادوا ترتيبهم في طبقات او اجناس يجمع كل طبقة او جنس صفة مشتركة فقسموهم اولاً باعتبار الالوان الى اربعة اجناس وهي الابيض والاسود والاصفر والنحاسي . ثم وجدوا اللون لا يعدُّ حدًّا فاصلاً بين اصناف البشر فقسموهم بالنظر الى اشكال رؤوسهم واعضائهم وملامح وجوههم الى اربعة اصناف وهي : الاوسترالي والزنجي والمغولي والابيض واليك مميزات كل منها :

الاستراليون : هم سمر البشرة (بلون الشكولاته) سمر العيون او سودها مع اسوداد الشعر وتجعده وضيق الجمجمة وبروز الحاجبين والفك وكبر الاسنان وثخن الشفتين وعرض الانف . وهذا الصنف يمثل اهل اوستراليا و بعضاً من سكان جبال الهند و يظن ان المصريين القدماء منه ايضاً

الزنوج : يختلف لون بشرة هؤلاء بين السمرة والسواد الشديد وعيونهم سمراء او سوداء وشعورهم قصيرة معروفة وجماجمهم ضيقة وحواجبهم متقاعسة وشفاهم ثخينة وانوفهم فطساء . وهذا الصنف يشمل اكثر سكان افريقيا الوسطى والبشمان في جنوبيها والهوتنتوت وسكان جزائر اندمان وملقا وفيلبين وبابوار وكالدونيا الجديدة وتسمانيا . وهؤلاء اي الهوتنتوت الخ ضروب من الخلاسيين (من ابوين مختلفين) وليسو من الزنوج تماماً

المغول : وهم اهل اسيا الوسطى والشرقية والشمالية . مميزاتهم قصر القامة ولهم بشرة صفراء تضرب الى السمرة وشعور سوداء مسترسلة وعيون سوداء منحرفة واناف صغيرة منبسطة . واهل الصين واليابان منهم . وهم طوال الرؤوس وليس في اهل بولينسيا شيء من انحراف العيون او استرسال الشعر

البيض : قسم هكسلي هؤلاء الى قسمين الاول من اشتد بياضه والثاني من ضرب بياضه الى السمرة . اما الاول فيمتاز بطول القامة وببشرة لا يشوبها شيء من اللون عيونهم زرقاء او ضاربة الى الزرقة شعورهم خفيفة يختلف لونها بين الاصفر والكستائي جماجمهم طويلة او

مستديرة وهم سكان أوروبا الشمالية وأوروبا الوسطى

اما الثاني فيختلف قليلاً عن الاول ويشتمل على الايرلنديين واهل وايلس والبريطان الاصليين والاسبان والايطاليان واليونان والعرب والارمن والهنود الاريين . وقد اختلط هذا الصنف من البشر بالاوسترالي فكان ولدهما اشد سمرة من الهنود الاريين وهو يشمل عامة سكان الهند



تباينات اصناف البشر في اسيا .

(١) الهندي (٢) الافغاني (٣) البورمي (٤) السيامي (٥) الصيني (٦) التبتي
(٧) الياباني (٨) الكوري (٩) الملقي (١٠) الفارسي (١١) العربي (١٢) الارمني

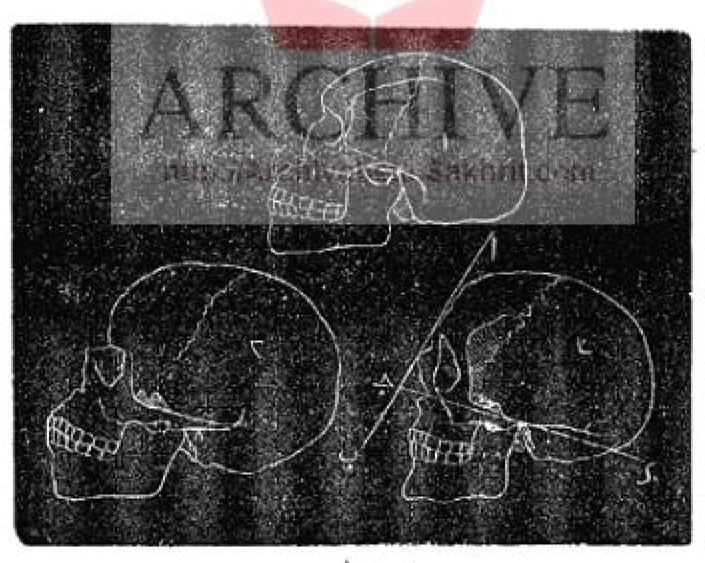
وتحت كل صنف من هذه الاصناف تباينات تختلف باختلاف الاصقاع والمناطق والاقاليم لا يقع تحت الحصر . وترى في هذا الشكل بضعة عشر تبايناً في اسيا وحدها بعضها من الصنف الابيض وبعضها من المغول والبعض الآخر من الاوسترالي او من الزنجي .

ولعلماء الانسان تقاسيم أخرى غير هذه لا فائدة من ايرادها

وقسمهم آخرون باعتبار اخلاقهم ومراتبهم الى اربعة اقسام : القوقاسي والمغولي والاميركاني (الاصلي) والزنجي . فيختلف هذا التقسيم عما تقدم بالقوقاسي والاميركاني واليك مميزاتهما :

القوقاسي : وهو ارقى اصناف الناس واكثرهم تمدناً ومنهم امم اوربا ومن نزح منهم الى اميركا وغيرها وسكان غربي آسيا الى نهر الكنج . وسكان شمالي افريقيا على سواحل بحر الروم . ناهيك بمن تمدن من اهل العالم القديم كالفينيقيين والبابليين واليونان والرومان وغيرهم .

ويسمى القوقاسيون ايضاً الجنس الابيض لان اكثرهم بيض . على ان منهم شعوباً سمراء كالمصريين والمراكشيين والهنود . وتختلف شعورهم من الاسود الحالك الى الاحمر والاشقر والابيض ولكنها تشترك في ميلها الى الطول والسبوطة . وقد تكون جعدة جعودة قليلة بعيدة عن جعودة شعر الزنوج



زاوية الوجه

وقد يميز علماء الانسان بين اصناف البشر بشكل جماجمهم وزوايا وجوههم . فزاوية وجه القوقاسي اكثر انفراجاً من زوايا سائر الوجوه لان لزاوية الوجه علاقة كبيرة باخلاق الناس . وهي عبارة عن خط مستقيم يمتد عرضاً من طرف الانف الى اسفل الاذن وخط يصعد من طرف الانف الى اعلى الجبهة . والزاوية الحادثة من التقاء هذين الخطين عند طرف الانف هي زاوية الوجه . وهم يقيسون ارتقاء الامم بانفراج تلك

الزاوية . فهي حادة في الزنوج ثم تنفرج في الامم المرتقية حتى تبلغ معظم انفراجها في الجنس القوقاسي ومنه كل الامم المتمدنة . وفي الشكل المتقدم جماجم اهم اصناف الناس — فالجمجمة العليا (١) زنجية والتي الى اليسار (٢) اوسترالية . والاخيرة (٣) قوقاسية . وعلى هذه الاخيرة زاوية (ج) عند التقاء الخطين (اب) و (ج ك) لو رسمت مثلها في الجمجمتين الأخريين لكانت هي اوسعهما ثم (٢) ثم (١)

ويمتاز راس القوقاسي باستدارته وانتظامه وتناسبه وتكامل جبهته وضيق وجنتيه واطمئنانهما واستواء الوجه وميله الى الشكل البيضي مع ظهور الملامح وبروز الانف وصغر المناخر وصغر الفم وامتلاء الذقن وبروزه . وتختلف الوان العيون فيهم اختلافاً عظيماً . ولما كان القوقاسي ارقى اصناف البشر فهو اكثرها تفرعاً وتنوعاً

الاميركاني : ويراد به سكان اميركا الاصليون ما عدا الاسكيمو . وتمتاز جماجمهم بالاستدارة من جهة الوجه مع عرض الوجنات حتى يظهر الوجه عريضاً جداً بين الاذنين . جباههم عريضة وبارزة من اسفلها ثم تتقهقر ولا تعلو كثيراً . انوفهم تشبه الانف الاسرائيلي عيونهم قاتمة اللون افواههم مستقيمة الشكل والاسنان عمودية . شعورهم خفيفة جداً ويندر ان ينبت الشعر في وجوههم . الوانهم سمراء مع ميل الى اللون النحاسي . صدورهم عريضة وابدانهم عضلية . ومن اخلاقهم النشاط والشجاعة والغضب والثبات والحذر والحيلة والقسوة وحب الانتقام . قوة الفهم حسنة بهم واما الحكم والتجريد فانهما ضعيفان وعقولهم محصورة جداً

وقد تقدم الكلام عن الزنجي والمغولي . ويهمنا من هذا البحث أن السوريين من الجنس القوقاسي ولا خلاف في ذلك . واما حرمانهم من الجنسية الاميركانية فقد كان المظنون قبلاً ان سببه حسبانهم من المغول او الجنس الاصفر ثم ظهر ان السبب انما هو كونهم من قارة اسيا لان قوانين الولايات المتحدة تحرم جنسيتها على الاسيويين وتحصرها بالبيض الاحرار (Free white Persons) ويعنون بهم سكان اوربا خاصة . وقد وضع هذا القانون قبل تحقيق البحث في السلالات البشرية . وما من اديب اميركي الا وهو يعترف بخطأ تلك القاعدة لان الاجناس لا تتميز بمساكنها — فليس كل سكان اسيا من جنس واحد ولا سكان اوربا او غيرها كذلك . فقد رايت في ما تقدم ان قارة اسيا فيها سلالات مختلفة من القوقاسي والمغولي تتفاوت ذكاء وعقلاً وقوة وارتقاء . فليس من العدل ولا العلم ان تعامل كالجنس الواحد — والا فالحرمان المذكور يجب ان يشمل اهل اوربا كافة لانهم نزحوا في الاصل من اواسط اسيا . والمعوَّل عليه اليوم ان الآريين ومنهم

الرومان واليونان والجرمان اصول شعوب اوربا المتمدنة اليوم نزحوا في الاصل من اعالي الهند فيكون الاوربيون اسيويين مثل السوريين والاتراك وغيرهم من اهل هذه القارة

واذا جعلوا عمدتهم في تفضيل الاوربيين شرف البقعة او سالف المجد فسوريا وما بين النهرين في اعتبار النصارى والاسرائيليين اشرف بقاع الارض لان فيها وجد الانسان الأول ومنها ظهر مؤسس النصرانية ورسله واكثر الانبياء . وفيها نشأت دول كان لها شأن عظيم في التاريخ القديم كالفينيقيين والاشوريين والبابليين والكلدانيين والحثيين وغيرهم . يكفي من مجد الفينيقيين وحدهم وهم سكان سوريا خاصة انهم اول من سلك البحار واخترعوا أحرف الهجاء وعنهم اخذتها سائر الامم قبل الميلاد ببضعة عشر قرناً يوم لم يكن لاوربا ذكر وكان اهلها غارقين في غياهب الهمجية

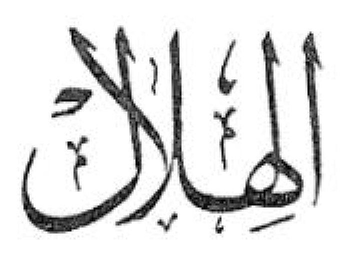
واذا كان المراد تمييز الاوربيين عن سواهم لارتقائهم عن سائر البيض في عوامل المدنية فما هم ارقى من السوريين في شيء من حيث استعدادهم للتمدن . والسوريون حيثما حلوا كانوا من اهل المقدمة بالعلم او التجارة او غيرهما . حتى في ارقى مدائن أوربا واميركا اذا سوبقوا سبقوا في كل فن ومنهم فلاسفة طبيعيون في اكبر مدائن العالم (لندن) بينهم من يعدُّ من نخبة فلاسفة العصر هناك وله رأي يعوَّل عليه في الابحاث الحديثة . فضلاً عن النوابغ في البلاد الأخرى . ناهيك باصحاب التجارات الواسعة والمشاريع الكبرى في انكلترا وفرنسا وسائر اوربا وفي اميركا . غير المشهورين في الشرق بالعلم والتجارة وغيرهما

ولا ريب عندنا ان الاميركان اذا نحوا الانصاف وجب ان يعدلوا قانون التجنيس الى ما يوافق العلم الحديث وخصوصاً من حيث اهل سوريا . لان السوريين اسرع النازحين اندماجاً في الامم التي ينزلون بينها . فالسوري في اميركا يتخذ عادات الاميركان وآدابهم واخلاقهم حتى تحسبه منهم وكذلك في سائر الممالك

فليس من العدل منع السوري من التجنس لانهُ اسيوي ولا لانحطاط جنسه وخصوصاً لان حكومة اميركا تجيز تجنس الزنوج وهم من ادنى السلالات البشرية . ولكنها لما وضعت قانونها خصصت بالتجنس الشعوب الاوربية التي كانت تنزح الى اميركا عند اول تعميرها بدون التفات الى درجة الارتقاء في سائر البشر . ولذلك قلنا انهم اذا اعادوا النظر فيه اليوم عدلوه تعديلاً كبيراً

المرجو من القراء

يلزم لادارة الهلال الاعداد ٢ من السنة ١٥ و٦ من السنة ١٦ و١ من السنة ١٧ فمن يتبرع على احد هذه الاعداد او كلها يخابر الادارة وله الفضل



الجزء الرابع من السنة الثامنة عشرة

اول يناير (ك ٢) سنة ١٩١٠ و ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٢٧

تاريخ السلطة النيابية

في الحكومة المصرية

ليس في مصر الآن مجلس نواب مثل مجالس الدول الدستورية. ولكن للامة صوتاً يصل الى الحكومة على يد الجمعية العمومية أو مجلس شورى القوانين على انها غير مضطرة للعمل بمقتضى ذلك الصوت وانما تتخذه على سبيل النصيحة او المشورة. ومع ذلك فالحكومة المصرية تعدُّ من الحكومات الدستورية لان اميرها غير مطلق التصرف في احكامها. بل هي تجري على أيدي الوزراء وهم المسئولون فيها. وهو ما يعبر عنه بالحكومة الشوروية. والسلطة النيابية او الحكومة الدستورية اهم شروطها ان يكون فيها مجلس نظار ومجلس نواب. وقد احرزت مصر هاتين القوتين ولكل منهما تاريخ نحن باسطون خلاصته في ما يلي:

اشتراك الامة المصرية في اعمال الحكومة

العامة في العهد القديم

لم يكن للامة المصرية ولا لغيرها من الامم قبل هذا التمدن شأن في الحكومة فكانوا يعبرون عن جمهور الامة بالعامة وهي عندهم ادنى طبقات الاجتماع. وقد قال الامام

علي في وصفهم « همج رعاع اتباع كل ناعق » وقال الفضل بن يحيي « الناس اربع طبقات ملوك قدّمهم الاستحقاق و وزراء فضلتهم الفطنة والرأي وعلية انهضهم اليسار واوساط الحقهم بهم التأدب والناس بعدهم زبد جفاء وسيل غثاء لكع لـكاع وربيطة اتضاع همُّ احدهم طعامه ونومه »

والعامة عبارة عن الصناع والفلاحين والتجار والباعة والخدمة ومن جرى مجراهم من الرعاع والفقراء والمتسولين وهم جمهور الامة او سوادها . ولكن سياسة الحكم المطلق كانت تقضي باذلالهم واهمالهم مع انهم كانوا مصدر ثروة الدولة وعلة سيادتها ولا حياة لها الا بهم لان منهم تجمع الاموال بالجباية لتنفق على الملك ورجاله وجنده

على ان الملوك اوغيرهم من الحكام كانوا يقربون اليهم من ينبغ من العامة في السياسة او الادب او العلم او الصناعة فيجعلونه من مصاف الخاصة للانتفاع بمواهبه

وهناك طبقة من الامة كان الملوك في كل جيل من تلك العصور يقربونها للاستعانة بها في تأييد سلطانهم على الشعب نعني طبقة رجال الدين وهم في الاسلام الفقهاء فكان الخلفاء يقربونهم ويستعينون بفتاويهم واقوالهم على تأييد سلطانهم وقد بينا ذلك مفصلاً في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي

وكان شأن مصر في هذه الاحوال مثل شأن سائر المملكة الاسلامية ليس للعامة فيها سلطة ولا لهم صوت . وانما يستدني الخليفة او الامير رجالاً منهم يختصهم بقربه ويستشيرهم في بعض اموره على غير نظام — واما العامة على الاجمال فكانوا في كل حال كالصفر الى اليسار او كالانعام يساقون للحرث او الخدمة او الحرب او غير ذلك كما يريد حاكمهم . وقد الفوا الذل فلا يعترضون ولا يتذمرون

وضعف حال العامة بمصر خصوصاً في عهد الامراء المماليك فانك لا تجد لهم ذكراً في تاريخها على عهدهم . وانما كان التنازع على السلطة يقوم بين الامراء المماليك ورجالهم وهم من الترك او الجركس اومن دخل في خدمتهم من الامم الاخرى . والمصريون مشتغلون عن السياسة بحرث الارض و بناء الجسور او العمل في بعض الحرف او المهن ونحوها الا افراداً من الكتاب او الدهاة تقربوا من رجال الحكومة لمواهب خاصة بهم — حتى هؤلاء كانوا يتقلبون مع الاهواء يصعد احدهم اليوم حتى يصير اليه النفوذ

والامر والنهي ولا يزال كذلك طالما كان الامير راضياً عنه فاذا غضب عليه صار الى الهوان او القتل

الخطوة الاولى نحو السلطة النيابية

وفي كل حال ان اولئك المتنفذين من المصريين سواء كانوا من الاقباط او المسلمين لم يكن نفوذهم يتخطى الى غيرهم ولا كانوا ينوبون عن الامة بصفة رسمية او غير رسمية فان ذكر الامة او سلطتها كان يومئذ من قبيل اللغو الذي لا معنى له. وظل ذلك شأن مصر الى اخر القرن الثامن عشر يوم حمل عليها بونابرت واخرج المماليك منها واراد ان يجعلها في سلطانه. والفرنساويون يومئذ خارجون من الانقلاب العظيم الذي تغلب فيه العامة على الحكومة بالقوة فارادوا ان يكون لمصر حظ من ذلك

وكانت حكومة مصر مؤلفة من ثلاث طبقات (١) الوالي يأتي من الاستانة (٢) ٢٤ اميراً من المماليك يعرفون بالبكوات يتولى بعضهم المناصب الادارية الكبرى ومنهم الكخيا (الباشكاتب) والدفتردار (ناظر المالية) وامير الخزنة وامير الحج وثلاثة قباطين لقيادة الثغور والقاضي وامير دار الضرب والمحتسب. ومنهم حكام الاقاليم ويعرفون بالكشاف وهم مثل مديري هذه الايام (٣) الجند وهم الوجاقات

وكان للوالي مجلس يتألف من البكوات (امراء المماليك) للنظر في الامور العامة يسمونه «الديوان» فلما دخل الفرنساويون مصر اخرجوا المماليك منها وفي جملتهم اعضاء ذلك الديوان وشكلوا حكومة رؤساؤها من الفرنساويين. واحبوا التودد الى الوطنيين ليزيدوهم كرهاً للمماليك فعمدوا الى التعويض عن الديوان المذكور بديوان ألفوه من خاصة الوطنيين وهم العلماء والمشائخ

الديوان الوطني

وذلك ان اهل القاهرة لما علموا بتغلب الفرنساويين على المماليك بواقعة امبابه (صفر ١٢١٣) ذعروا فاجتمع المشائخ والعلماء في الازهر وتشاوروا في ما يفعلونه واقروا على مخابرة الفرنساوية للتفاهم في ما يأول اليه أمرهم. فبعثوا وفداً ينوب عنهم في ذلك فاغتنم بونابرت تلك الفرصة واجابهم بخطاب فحواه «انا ما حضرنا الا بقصد ازالة المماليك الذين يعاملون الفرنساوية بالذل والاحتقار وأخذ مال التجار ومال السلطان. ولما حضرنا الى

البر الغربي خرجوا الينا فقابلناهم بما يستحقونه وقتلنا بعضهم وأسرنا آخرين ونحن في طلبهم حتى لا يبقى احد منهم بالقطر المصري . وأما المشائخ والعلماء وأصحاب المراتب والرعية فيكونون مطمئنين في مساكنهم »

ثم قال « فليأت الينا المشائخ لنؤلف لهم ديواناً ننتخبه من عشرة اشخاص عقلاء يدبرون الامور »

فلما عاد الوفد الى المشائخ وبلغوهم ما قاله بونابرت اطمأنوا وركب جماعة منهم الى معسكر بونابرت في الجيزة فتلقاهم بالترحاب وطمأنهم وطلب اليهم ان يستدعوا كبارهم ليؤلف منهم ديواناً . ثم دخل بونابرت القاهرة وجمع المشائخ وطلب اليهم ان ينتخبوا منهم عشرة اشخاص فوقع الانتخاب على الاسماء الآتية :

الشيخ عبد الله الشرقاوي	الشيخ موسى السرسي
« خليل البكري	« مصطفى الدمنهوري
« مصطفى الصاوي	« احمد العريشي
« سليمان الفيومي	« يوسف الشبرخيتي
« محمد المهدي الكبير	« محمد الدواخلي

هؤلاء العشرة اعضاء الديوان الوطني . وبعد ان تم انتخابهم انتخبوا عليهم رئيساً منهم بالقرعة فوقع الانتخاب على الشيخ عبد الله الشرقاوي

واحتفل بونابرت بافتتاح الديوان وبالغ في اكرام اعضائه وأمر بعض المصورين فصوروهم كل واحد على حدة ولا تزال هذه الصور محفوظة في معرض فرسايل . وترى في ما يلي نسخاً من بعضها . وهو اول ديوان وطني تألف بمصر — لم ينتخبه الشعب لان الشعب لم يكن له ذكر ولكن العلماء انتخبوه وهم نواب الشعب بحكم العرف

واعضاء هذا المجلس هم خيرة علماء مصر في ذلك العصر : فالشيخ عبد الله الشرقاوي ابن ابراهيم الشافعي الازهري الشهير بالشرقاوي ولد سنة ١١٥٠ هـ وتربى بالقرين ثم نقل الى الازهر وقرأ على اعلم مشائخ عصره في الازهر وغيره وله مؤلفات اسلامية مفيدة منها الحاشية على التحرير ومتن العقائد وشرحها وشروح ومختصرات كثيرة في الفقه واللغة والتاريخ . وكان في صباه في قلة من العيش ثم اتسعت حاله بالهدايا التي كانت تأتيه من بعض التجار . ولما مات الشيخ العروسي تولى بعده مشيخة الجامع الازهر ووقع



الشيخ عبد الله الشرقاوي

بينه وبين والي مصر اختلاف وتغاضبا حيناً ثم تصالحا بشرط ان يلزم الشرقاوي داره فلما جاء بونابرت الى مصر سنة ١٢١٣ هـ وألف الديوان الذي نحن في صدده جعله رئيساً عليه . واكتسب في ايام الفرنساوية مالاً كثيراً فاتسعت عليه الدنيا فاشترى الابنية والقصور والحمامات والحوانيت حتى توفي سنة ١٢٢٧ هـ



السيد خليل البكري

والسيد خليل البكري من سلالة ابي بكر الصديق وتولى نقابة الاشراف بمصر ومشيخة السجادة . وتأيد منصبه بها بعد مجيء بونابرت فاستولى على اوقافها وانتخبوه من جملة اعضاء الديوان كما رأيت . وكان وافر الحرمة مقبول الشفاعة عندهم فكان أمراء المماليك الهاربون يوسطونه لدى الفرنساوية في العفو عنهم . ولما خرج الفرنساويون عادت نقابة الاشراف الى السيد عمر مكرم . وتوفي سنة ١٢٢٣ هـ

والشيخ المهدي الكبير يختلف في نسبه عن سائر اولئك العلماء فقد ولد قبطيًا وابوه اسمه ابيفانيوس فضل الله . ولما ولد سمي هبة الله وكان ابوه كاتباً في بيت سليمان كاشف او مباشراً لاموره ولما ترعرع هبة الله اعجب به الكاشف واحب ان يجعله من ضمن



الشيخ محمد المهدي الكبير

مماليكه ولم يكن له ميل الى العسكرية فادخله في مصاف طلبة الازهر ولم يكن يقبل فيه غير المسلمين فاعتنق الاسلام وسمي محمد المهدي وكان زكياً فما زال يرتقي حتى صار من كبار العلماء والفقهاء ودرّس في الازهر والف كتباً كثيرة ونال حظًا من الوجهاء واتسعت حاله ونال الاقطاعات والهدايا من الكشاف وغيرهم فبنى الدور واقتنى الخدم وشارك في التجارات حتى اصبح من اهل الثروة ولما دخلت الفرنساوية مصر قربوه وسايرهم في اغراضهم ووثقوا بقوله فكان موضع ثقتهم والواسطة العظمى بينهم وبين الناس

حتى لقبوه كاتم السر ولما رتبوا الديوان انتخب من اعضائه وصار اليه النفوذ الاكبر وله تاريخ طويل لا محل له هنا



الشيخ سليمان الفيومي

والشيخ سليمان الفيومي اصله من الفيوم . اتى مصر وهو رقيق الحال وتلقى العلم في الازهر وتقرب من الامراء المماليك لحسن انشاده وقراءة الاعشار . وتقرب من بعض الامراء البرقوقية وتعرف الى الاغوات وتوسط بهم الى التوكل بالقضايا والدعاوي واكتسب الاموال الطائلة وتحسنت حاله فتجمل بالملابس وركب البغال . وتعين استاذاً في الازهر برواق الفيمة وكان للامراء المماليك ثقة فيه فانفذوه بمهمة خصوصية الى الاستانة . ولما عاد الى مصر توالت عليه الهدايا من الامراء والاعيان وغيرهم فاتسعت حاله وصار منزله ملجأ للناس على اختلاف الطبقات . ولما دخلت الفرنساوية مصر وهرب الامراء جاءت نساؤهم الى دار الشيخ الفيومي ووسطوه فدافع عنهن لدى الفرنساوية وتوسط في العفو عن بعض رجالهن وكان في جملة من تعينوا في الديوان

الخطوة الثانية نحو السلطة النيابية

انتخاب الديوان الخصوصي

على ان الفرنساويين شعروا ان هذا الديوان لا يمثل كل عناصر الامة وطبقاتها فعمدوا الى تشكيل مجلس عام يؤلف من الطوائف القاطنة في مصر على اختلاف

عناصرها وطبقاتها ومذاهبها . ومتى اجتمعوا ينتخبون من بينهم ديواناً يسمى الديوان الخصوصي اوالديوان الديمومي أي يشتغل دائماً والديوان الآخر يجتمع عند الاقتضاء . فنشروا منشوراً على اهل القطر طلبوا فيه الى اعيان البلاد من المشائخ والتجار واهل الوجاهة من كل الطوائف والملل ان يحضروا الى دار الحكومة . فجاء كثيرون وانتخبوا منهم ستين شخصاً ممن ثبتت لهم صفة تميزهم عن العامة بالعلم أو الثروة او غيرهما وهذه اسماؤهم باعتبار طوائفهم :

مشايخ وعلماء : السيد البكري • الدمرداشي • السيد حسين رفاعي • الشيخ عبد الله الشرقاوي . الشيخ محمد المهدي . الشيخ مصطفى الصاوي . الشيخ موسى السرسي . الشيخ محمد الامير . الشيخ سليمان الفيومي • الشيخ احمد العريشي . الشيخ ابراهيم بن المفتي . الشيخ صالح الحنبلي . الشيخ محمد الدواخلي . الشيخ مصطفى الدمنهوري

وجاقلية : محمد اغا شربجي فلاح • علي كخيا الجدلي . خليل اغا شربجي فلاح . احمد ذو الفقار اوطه باشي فلاح

انكشارية : يوسف شربجي باش جاويش توزنكجيان . يوسف شربجي باش جاويش جمليان • مصطفى افندي شراكسة . امير سليم شرابجي

عرب : مصطفى افندي عاصي • مصطفى كخيا باش اختيار . حسن شربجي بركاوي

تجار الغورية : الحاج محمد الاشوبي شيخ الغورية • الحاج محمد ابو النصر • الحاج السيد شيخ المغاربة

تجار البحار : الحاج احمد محرم • الحاج احمد المحروقي • ابراهيم افندي • قاضي البهار الحاج حسين جار ابراهيم • المعلم ميخائيل كحيل • المعلم يوسف فرحات • الحاج احمد حسين

تجار البضايع التركية : السيد احمد العقاد المحروقي • الحاج مصطفى شيخ العقادين • الحاج احمد القازانجي

تجار العطور : السيد محمد شيخ العطارين

تجار السكر : درويش عبد القادر البغدادلي • ابراهيم قرموط • محمد همشري

تجار النحاس : السيد مصطفى مصباح . الحاج حسين النحاس

صياغ وجوهرجية : الحاج سالم الجوهرجي ، محمد البغدادلي

تجار ورق : علي بن الحاج خليل الوراق

تجار اقمشة : الحاج ابراهيم المصري • علي الصلاتجي شيخ القماحين

تجار صابون : السيد احمد زرو • سيد يوسف فخر الدين

تجار دخان واقمشة سورية : احمد نظام

مشائخ الاقسام : شيخ جزاري الحسينية . شيخ العطوف

الاقباط : المعلم لطف الله المصري . المعلم ابراهيم جر العايط . المعلم ابراهيم مقار . ابراهيم كاتب الصرة

الفرنساويون : دمار . وكاف . وبوديف

هؤلاء اعضاء المجلس العام أو الديوان العام وهو منتخب من اعيان البلاد . وقد اصدروا بتعيينه امراً رسمياً مؤرخاً في رجب سنة ١٢١٣ھ واشترطوا في ذلك الامر ان يكون في الديوان المذكور مندوب فرنساوي اسمه جلوتيه ومندوب مسلم اسمه ذو الفقار كخيا وان يجتمعوا في يوم عينه في الامر المومأ اليه لينتخبوا منهم ديواناً مؤلفاً من ١٤ عضواً يسمى « الديوان الخصوصي » ويكون الانتخاب بالقرعة وبالاكثرية المطلقة . وعين لاجتماع الديوان الكبير ثلاثة ايام متوالية ثم لا يجتمع الا عند الحاجة . ومتى تم انتخاب الديوان الخصوصي يصادق عليه السرعسكر (بونابرت) . ثم ينتخب له رئيس يوالي اجتماعاته كل يوم لمساعدة الحكومة في النظر في مصلحة الوطنيين . ويعين له كاتب وترجمان ومحضر وعشرة حجاب يقومون بخدمته . وختم الامر بتعيين رواتب اعضاء المجلس الخصوصي واتباعهم وهي مائة ريال في الشهر للرئيس وثمانون ريالاً لكل عضو . والمحضر ٦٠ بارة في اليوم والحاجب ٤٠ بارة

فاجتمع الديوان العام المشار اليه وانتخب من اعضائه ١٤ عضواً يتألف منهم الديوان الخصوصي وهو غير الذي تقدم ذكره . فان هذا لم يكن فيه من المشائخ الا الشرقاوي والمهدي والصاوي والبكري والفيومي . وباقي الاعضاء من سائر الطوائف على هذه الصورة : من التجار المحروقي واحمد محرم ومن النصارى القبط لطف الله المصري ومن السوريين يوسف فرحات ومخائيل كحيل ومن الانكليز «رواحة» ومن الفرنساويين بودني وموس . فهو مجلس وطني مختلط تشكل من نواب يمثلون اهم العناصر التي تتألف منها الامة المصرية — بعضهم من الوطنيين الاصليين المسلمين والاقباط والبعض الاخر من الجالية السورية والافرنجية . فهو كثير الشبه بالمجلس النيابي الذي اشار اللورد كرومر بتشكيله من العناصر التي تتألف منها الامة المصرية الآن وجعل ذلك شرطاً لاستقلالها ونجاحها

ولما تم تأليف المجلس الخصوصي على هذه الصورة كتب بونابرت بذلك منشورات علقوها في الاسواق ضمنها التهديد المشوب بالتزلف مثل سائر منشوراته بمصر . وقد صوروا هذا الديوان في احدى جلساته وفيه بونابرت قاعدًا على دكة والعلم الفرنساوي بجانبه وقد قعد الاعضاء بين يديه وفيهم الكاتب والترجمان والمحضر وبعض الحجاب كما ترى رسمه في صدر هذا الهلال

واخذ الديوان المذكور يوالي اجتماعاته ولا يبرم بونابرت امراً مهمًّا بمصر الا شاوره واخذ رأيه فيه وانما كان شغله بالأكثر النظر في المسائل الوطنية . فالديوان الخصوصي هذا خطوة أخرى نحو السلطة النيـابية في مصر لانه منتخب من وجهاء البلاد من كل الطوائف واذا لم تشترك العامة في انتخابه فالانتخاب حتى في الحكومات الدستورية اليوم يتم بالحقيقة على ايدي الوجهاء والخاصة الذين تنتخبهم العامة

وشكل الفرنساوية مجلساً آخر او ديواناً سموه « محكمة القضايا » مؤلفاً من ١٢ عضواً ستة من الاقباط وستة من التجار المسلمين وجعلوا قاضيه الاكبر او رئيسه المعلم ملطي القبطي وفوضوا اليه النظر في القضايا التي تقع بين التجار او العامة وفي المواريث ونحوها فهو شبيه بمحكمة اهلية مختلطة . وكانت تلك القضايا تنظر الى ذلك الحين في المحاكم الشرعية — فكأن بونابرت اول من اسس المحاكم النظامية بمصر

العائلة الخديوية

فلما ارتدَّ الفرنساويون عن مصر وعادت الى حوزة الدولة العثمانية (سنة ١٨٠١) ابطلت هذه الدواوين كما ابطل غيرها من عوامل التمدن الحديث كالمطبعة والجريدة وغيرهما . حتى اذا تسنم عرشها محمد علي باشا دخلت في طور جديد . واقتبس محمد علي كثيراً من معدات التمدن الحديث كالمعامل والمدارس والمطابع والري وغيرها — الا الحكومة فبقيت طوع ارادته وكان هو وحده ينظر في كليات الامور وجزئياتها . ثم انشأ الديوان العالي واليه ترجع الحكومة في شؤونها وله رئيس يسمى كتخدا وهو من الطرز الاستبدادي القديم

وكان محمد علي يدرس السياسة ويتطلع الى الاصلاح فعلم بطول المزاولة ان النظام القديم فاسد فسنَّ للحكومة نظاماً جديداً سماه « قانون سياستنامه » وهو يحصر السلطة

في سبعة دواوين : الديوان العالي وديوان الايرادات وديوان الجهادية وديوان البحرية وديوان المدارس وديوان الامور الاجنبية وديوان الفابريقات . ولكن مرجع الامر والنهي فيها الى محمد علي — فما هي من الشورى في شيء . وشكل مجلساً للمشورة يؤلف من مديري الدواوين السبعة ومن بعض العلماء والوجهاء للنظر في المسائل الكبرى على ان يعرض للوالي (محمد علي) قراراته بما يراه ولا يشترط عليه العمل بها

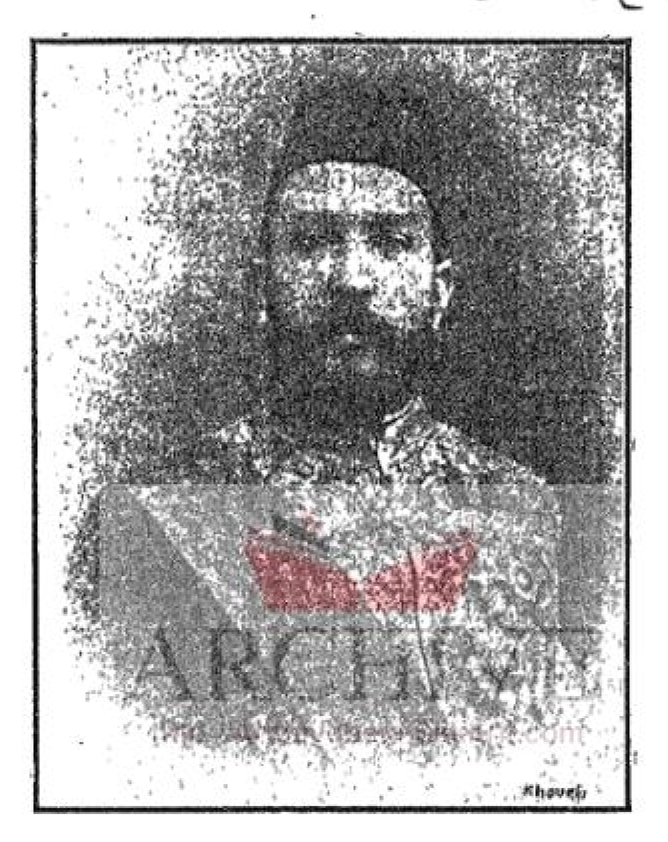
على انه كان يستعين بالامة في بعض المسائل الوطنية . والامة في عرفهم يومئذ عمد البلاد ووجهاؤها . فكان محمد علي يستقدمهم مرتين في السنة يعقد منهم مجلساً يجتمع في سراي الغوري او في سراي القلعة للمداولة في المسائل الزراعية التي تهم البلاد فيباحثهم و يستشيرهم في ما يقتضي اجراؤه في الزراعة وما يستحسن غرسه من المزروعات حسب الفصول ونوع التربة وكيفية الري وينشر ذلك في الوقائع المصرية . فكأن محمد علي اشرك عمد البلاد في الابحاث الزراعية وهم الامة في اعتباره

مجلس شورى النواب

كل ما تقدم من ضروب الدواوين والمجالس ليس من قبيل النيابة الحقيقية ولا فيه شيء من سلطة الامة الحقيقية . واول من افتتح مسألة مجلس النواب على ان تنتخبه الامة المصرية بالتصويت العمومي اسماعيل باشا الخديوي الاسبق . فانه امر سنة ١٨٦٦ (١٢٨٣ هـ) بانشاء مجلس سماه « مجلس شورى النواب » يتألف من ٧٥ عضواً ينتخبون من الاقاليم والمحافظات للمداولة في المنافع الداخلية وعرض ما يقرّ عليه الرأي للخديوي — اذ لم يكن للحكومة المصرية مجلس نظار كما هو عليه الان — وقد جاء في الخطاب الذي القاه اسماعيل يوم افتتاحه في ١٠ رجب سنة ١٢٨٣ هـ قوله « كثيراً ما كان يخطر ببالي ايجاد مجلس شورى النواب لان من القضايا المسلمة التي لا ينكر نفعها ومزاياها ان يكون الامر شورى بين الراعي والرعية كما هو مرعي في اكثر الجهات ويكفينا كون الشارع حث بقوله تعالى « وشاورهم في الامر » وبقوله تعالى « وامرهم شورى بينهم » فلذلك استنسبت افتتاح ذلك المجلس بمصر لتتذاكر فيه ... الخ »

ووضعوا لائحة لتأسيس هذا المجلس وانتخاب اعضائه مؤلفة من ١٨ مادة ولائحة لنظاماته مؤلفة من ١٦ مادة فحواها « ان المجلس لا ينظر الا في الامور التي ترى الحكومة انها من خصائصه فيدرسها ويبدي رأيه فيها للحضرة الخديوية فينظر فيها المجلس

الخصوصي وتتذاكر فيه الاقلام والقومسيونات . ثم يعاد الى مجلس الشورى ويرجع اخيراً الى الجناب الخديوي وهو صاحب الامر فيه . وله ان يعين رئيس المجلس ونائبه »على ان هذا القانون مع كونه لا يجعل للنواب سلطة فقد ظل في زوايا الاهمال سائر ايام اسماعيل



توفيق باشا — اول من شكل مجلس النواب بمصر

حتى اذا تولى المغفور له توفيق باشا حدث في وادي النيل نهضة وطنية وتحدث الناس بالحرية والشورى وكانت الحكومة قد تقيدت بالوزارة كما سيأتي وانتشرت حرية القول بين الخاصة ورجال العمل. فسعى العقلاء منهم في حمل الحكومة على تشكيل مجلس نيابي له سلطة المجالس النيابية الاوربية . ونهض جماعة من اهل الوجاهة والنفوذ رفعوا الى الوزارة عرائض عليها ١,٦٠٠ توقيع من وجهاء البلاد . وقد انابوا عنهم في تقديمها سلطان باشا وسليمان باشا اباظه ومنشاوي بك (ثم صار باشا) والشيخ علي الليثي وعبد السلام بك (باشا) المويلحي وامين بك (باشا) الشمسي والشيخ الصباحي والشيخ احمد محمود وابراهيم افندي الوكيل . وهذا نصها :

« لما كان لا ينتظم نظام العالم ولا يقوم قوام الهيئة الاجتماعية الا بالعدل والحرية

حتى يكون كل انسان آمناً على نفسه وماله حرًّا في افكاره واعماله مما فيه سعادته وحسن حاله . وهذا لا يتأتى الا بايجاد حكومة شوروية عادلة لا تشوبها شوائب الاستبداد ولا تتطرق اليها طوارق الفساد اتخذت الممالك المتمدنة العادلة مجالس ملية من نبهاء اممها ينوبون عنها في حفظ حقوقها تجاه هيأة حكوماتها ويكونون الواسطة الحقيقية في تنفيذ ما تصدره الحكومات من الاحكام العادلة . وعلى هذه القواعد ولاجل هذه المقاصد كان قد اتخذ لحكومتنا مجلس نواب في العهد السابق وبما ان مقاصد خديوينا المعظم جميعها خيرية ونياته سليمة فطلباً لحفظ بلادنا من بوائق الدهر تجاسرنا بعرض هذا راجين من المراحم الداورية صدور الامر الكريم بتشكيل مجلس نواب لامتنا المصرية يكون له ما لمجالس الامم الاوربية المتمدنة من الحقوق الشرعية ازاء هيأة الحكومة وبذلك تكون الحضرة الفخيمة الخديوية قد خولتنا نعمة لا تعادلها نعم وتصير حكومتنا العادلة انموذجاً شريفاً يبرهن عن حسن نتائج العدل والحرية امام العالم . واننا على يقين من قبول التماسنا هذا وفقاً لارادة ولي النعم ادام الله اجلاله » اه (التواقيع)

فرفعت الوزارة (مجلس النظار) برئاسة شريف باشا الى الخديوي في ١١ ذي القعدة سنة ١٢٩٨ (٤ اكتوبر سنة ١٨٨١) التماساً تطالب فيه العمل بلائحة مجلس شورى النواب الصادرة سنة ١٢٨٣ هـ بعد تنقيحها بحيث تلائم حاجة البلاد ومطالب الاهالي

مجلس النواب الحقيقي

فوافق الخديوي على ذلك وصدرت اللائحة منقحة في ٥٢ مادة وسمي المجلس من ذلك الحين «مجلس النواب» واعطيت له سلطة سائر المجالس النيابية في البلاد المتمدنة ومن جملة نصوص لائحته «ان النواب مطلقو الحرية في اجراء وظائفهم لا يتقيدون باوامر او تعليمات تخل باستقلال آرائهم ولا بوعد او وعيد يوجه اليهم . وان المشاريع والقوانين يجب ان تعرض على المجلس للنظر فيها وانتقادها ولا تكون قانونية ويصح العمل بها ما لم تتلَ في مجلس النواب مادة مادة وتقرر حكماً حكماً ثم يصدق عليها الجناب الخديوي . وان النظار مسئولون لدى النواب فيما يقررونه . وانه لا يجوز ربط اموال جديدة او رسوم او ضرائب في الحكومة المصرية الا بمقتضى قانون يصدق عليه مجلس النواب » ويدخل في ذلك الميزانية العمومية وغيرها ووضعوا لائحة للعمل ولائحة للانتخاب . ففرح الناس بذلك واخذوا في الانتخاب وبعد تمامه بلغ عدد اعضائه ٨٢ عضواً هذه أسماؤهم :

مصر

محمود بك العطار

عبد السلام بك المويلحي

السيد احمد السيوفي

الاسكندرية

السيد سعيد الغرياني

عبد المجيد افندي البطاش

دمياط

عبد السلام بك خفاجي

القليوبية

محمد بك الشواربي

الشيخ سليمان منصور

مصطفى افندي علام

ابراهيم اغا ابو حشيش

الدقهلية

هلال بك

يوسف افندي صالح

علي بك القريعي

الشيخ احمد علي سعده

الشيخ حسين سويلم

الشيخ العدل

الشيخ جاد مصطفى

البحيرة

محمد بك الصيرفي

الشيخ احمد الصوفاني

الشيخ احمد علي محمود

ابراهيم افندي الوكيل

بسيوني افندي ابو الفضل

محمد افندي عوض

محمد افندي دبوس

السيد احمد الحناوي

المنوفية

محمد افندي الجندي

احمد بك مصطفى

علي بك شعير

السيد افندي الفقي

احمد افندي عبد الغفار

حسين افندي حسين

الغربية

احمد بك المنشاوي

احمد بك الشريف

مصطفى افندي ابو الفرعة

السيد محمد ابو النظر شتا

الشيخ احمد الصباحي

الشيخ رزق نوير

الشيخ ابراهيم سعيد

محمد افندي الشاذلي

الشيخ ابراهيم يونس

الشرقية

سليمان باشا اباظه

الشيخ عبد الوهاب العفيفي

احمد بك اباظه

محمد افندي عبد الله

امين بك الشمسي

احمد افندي نصير

الشيخ زيد جمعه

علي افندي مكاوي

الجيزة

عباس افندي الزمر

السيد احمد عفيفي

مراد افندي السعودي

السيد خليل ابو زيد

الفيوم

السيد طلبه حزين

السيد معتوق

خليفه الهواري

بني سويف

السيد احمد سالم الربدي

علي افندي كساب

السيد محمد ابو المكارم

المنيا

سلطان باشا

علي افندي حسن شعراوي

حسن باشا الشريعي

يوسف افندي عبد الشهيد

محمد افندي جلال

محمد افندي مصطفى

اسيوط

محمود بك سليمان

السيد عبد الحق عبد الله

عثمان افندي غزالي

محفوظ افندي رشوان

جبر افندي محمد

حسين افندي جمعه

مهنى افندي ابو يوسف

جرجا		
جرجا	السيد سرور شهاب الدين	قنا
	عبد الشهيد افندي بطرس	محمد افندي سحلي
احمد اغا الدقيشي	اسنا	علي اغا ابراهم
السيد رضوان عطيه	احمد بك علي الغريسي	السيد احمد محمد
السيد رشوان حمادي	عبد الرحيم محمد سليمان	السيد طايع سلامه

وتعين سلطان باشا رئيساً للمجلس المذكور وعبدالله باشا فكري الشاعر المشهور رئيساً للكتبة والمرحوم أديب اسحق كاتباً ثانياً . وافتتح في ٢٦ دسمبر سنة ١٨٨١ باحتفال عظيم حضره الخديوي ولفظ فيه مقاله الافتتاحي وهذا نصه :

« أبدي لحضرات النواب سروري من اجتماعهم لاجل ان ينوبوا عن الاهالي في الامور العائدة عليهم بالنفع . وفي علم الجميع اني من وقت ما استلمت زمام الحكومة عزمت بنية خالصة على فتح مجلس النواب ولكن تأخر للان بسبب المشكلات التي كانت محيطة بالحكومة . اما الآن فنحمد الله تعالى على ما يسر لنا من دفع المشكلات المالية بمساعدة الدول المتحابة ومن تخفيف أحمال الاهالي على قدر الامكان فلم يبق مانع من المبادرة الى ما أنا متشوق لحصوله وهو مجلس النواب الذي أنا فاتحه في هذا اليوم باجتماعكم . وأنتم تحيطون علماً ان جل مقاصدي ومساعي حكومتي هو راحة الاهالي ورفاهيتهم وانتظام أمورهم بتعميم العدالة بينهم وتأمين سكان القطر على اختلاف أجناسهم وهذا منهجي مستقيم واضح وعليه سيري منذ توليت أمركم محبا للتربية ونشر العلوم والمعارف فعلى المجلس ان يكون مساعداً للحكومة في هذه الامور كلها خالصاً مخلصاً في خدمة الوطن منحصرة أفكاره ومذاكراته في المنافع العمومية مع مراعاة قرار لجنة التصفية وسائر تعهدات الحكومة مع الدول . سالكاً المسلك المعتدل والمنهج القويم الذي هو أهم شيء في هذا الوقت الذي هو عصر الترقي والتمدن . فالواجب علينا الاعتدال والتأني وحسن التبصر وان نكون يداً واحدة في تمام الاعمال النافعة متوسلين بعناية الله تعالى وامداد رسوله الكريم ومتمسكين بقوة ارتباطنا بالحضرة الشاهانية والدولة العلية أدامها الله ونسأل الله النجاح انه ولي التوفيق » اه

فاجابه رئيس المجلس حسب الاقتضاء . وكان اول اشتغال مجلس النواب في اللائحة وتعديلها او تثبيتها فوقع الخلاف بينهم وبين النظار في تعديل بعض البنود المتعلقة بالميزانية

واصر النواب انهم لايقبلون تعديلاً على الاطلاق واستحكم الخلاف بين المجلسين حتى آل الى سقوط وزارة شريف باشا . وأقيمت وزارة محمود باشا سامي . ووافق ذلك ظهور الحوادث العرابية وتولت البلاد ثورة وطنية تطرف فيها أصحابها حتى آلت الى الاحتلال الانكليزي وكانت مناقشات مجلس النواب والوزارة من جملة أسباب الخلاف. وتوقفت في أثناء ذلك كل حركات الاصلاح وأقفل مجلس النواب بعد افتتاحه بخمسة أشهر

مجلس شورى القوانين

لما دخل الانكليز مصر بعد الحوادث العرابية سنة ١٨٨٢ واستتب الامن رفع اللورد دفرين تقريره عما يلزم من الاصلاح بمصر فكان في جملة ما اشار به تشكيل مجالس للمديريات ومجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ومجلس شورى الحكومة . فصدر بذلك امران عاليان في اول مايو سنة ١٨٨٣ سمي الاول القانون النظامي والثاني قانون الانتخاب . فتشكل « مجلس شورى القوانين » من ٣٠ عضواً اربعة عشر منهم دائمون و١٦ ينتخبون بالقرعة من اعضاء مجالس المديريات . ومن اختصاصه ابداء الرأي في ما تعرضه عليه الحكومة من القوانين واللوائح والميزانيات وهي غير مقيدة برائه لكن عليها ان تعلنه بالاسباب التي تمنعها من العمل بها . ولا يترتب على اعلانه بهذه الاسباب جواز المناقشة فيها . وتشكل مجلس أعم من مجلس شورى القوانين سمي « الجمعية العمومية » وهي تتألف من أعضاء مجلس شورى القوانين و٤٦ مندوباً من أعيان ووجوه المديريات والمحافظات ويكون رئيس الجمعية هو ذات رئيس مجلس شورى القوانين . وتعقد هذه الجمعية مرة على الاقل كل سنتين ولها اختصاصات مبينة في القانون النظامي أهمها من حيث ما نحن فيه من سلطة الامة المادتان الآتيتان :

« المادة ٣٤ — لايجوز ربط أموال جديدة او رسوم على منقولات او عقارات أو عوائد شخصية في القطر المصري الا بعد مباحثة الجمعية العمومية في ذلك واقرارها عليه

المادة ٣٥ — تستشار الجمعية العمومية عما يأتي (أولاً) عن كل سلفة عمومية (ثانياً) عن انشاء او ابطال أي ترعة أو أي خط من خطوط السكة الحديد مارًّا أيهما في جملة مديريات . (ثالثاً) عن فرز عموم أطيان القطر بتقدير درجات أموالها . وعلى الحكومة ان تخطر الجمعية العمومية بالاسباب التي دعتها لعدم التعويل على ما أبدته من الآراء

ولكن لايترتب على تبليغ هذه الاسباب لها جواز المناقشة فيها »

فترى مما تقدم ان مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية لا يختلفان كثيراً عن الديوان الخصوصي الذي أنشأه بونابرت بمصر منذ مئة سنة وعشر سنوات . فنظام الحكومة الدستوري في مصر انما يقوم بمجلس النظار . ولكن الحكومة آخذة في توسيع اختصاصات مجلس شورى القوانين شيئاً فشيئاً

مجلس النظار



نوبار باشا اول رؤساء مجلس النظار

ما زالت الحكومة المصرية استبدادية يجري الحكم فيها بارادة اميرها من أول عهد التاريخ الى أواخر أيام اسماعيل باشا . وهو أول من شكل وزارة مسئولة بمصر وان كان قد فعل ذلك مكرهاً بايعاز الدول صاحبة المصالح بمصر بعد ان ظهر لها التلاعب في

ماليتها . وقد رأيت في ماتقدم ان محمد علي أنشأ عدة دواوين لادارة شوءُون الحكومة ذكرنا اسماءها . وفي جملتها مجلس للمشورة موءلف من روءساء الدواوين فهو شبيه بمجلس النظار لكنه مقيد بارادة الوالي . فاعضاوءه لا يسألون عما يقع من الخطأ

و يمتاز مجلس النظار المطلوب انه صاحب الحل والعقد وانما يصادق الخديوي على اعماله . واول من انشأه اسماعيل باشا الخديوي فاصدر امره في ذلك الى نوبار باشا في ٢٨ اوغسطس سنة١٨٧٨ واهم فقرات ذلك الامر قوله « اريد عوضاً عن الانفراد بالامر المتخذ الآن قاعدة في الحكومة المصرية سلطة تكون لها ادارة عامة على المصالح تعادلها قوة موازنة مجلس النظار بمعنى اني اروم القيام بالامر من الا ن فصاعداً باستعانة مجلس النظار والمشاركة معه . وعلى هذا الترتيب ارى ان اجراء الاصلاحات المطلوبة يستلزم ان يكون اعضاء مجلس النظار بعضهم لبعض كفيلاً . ويجب على مجلس النظار ان يتفاوض في جميع الامور المهمة المتعلقة بالقطر و يرجح رأي الاغلبية من اعضائه على رأي الاقلية وتصدر اقراراته حسب الاغلبية . وبتصديقي عليها اقرر الرأي الذي تكون عليه الاغلبية » . وتشكلت الحكومة حينئذ من سبع نظارات . هي الداخلية . والخارجية . والمالية . والجهادية . والاوقاف والمعارف العمومية . والحقانية والاشغال العمومية . وصدرت الاوامر العالية باختصاص كل منها

فتشكل مجلس النظار برئاسة نوبار وهو أول روءسائه وكان في هذا المجلس ناظران أجنبيان أحدهما انكليزي هو المستر ولسن للمالية والآخر فرنساوي هو المسيو بلينير للاشغال العمومية . فرأى مجلس النظار ان يقتصد شيئاً من نفقات الجند فرفت جانباً منهم فثار المرفوتون وجاءجماعة منهم وفيهم ٤٠٠ ضابط الى نظارة المالية وأمسكوا بنو بار باشا والمستر ولسن وطلبوا اليهما دفع ما تأخر لهم من رواتبهم وخاطبوهم بعنف وشدة حتى علت الضوضاء وكادت تأول الى ثورة لولا ان أقبل اسماعيل باشا وخاطب الجند ووعدهم وأمر بانصرافهم. اما هم فحالما رأوه ذعروا وكأنه جاءهم برقية اوسحر فانكفأوا راجعين

ثم استقال الوزيران نوبار ورياض تخلصاً من عبء التبعة لما آنسوه في أعمال الخديوي من الخطر . فكل مجلساً آخر برئاسة ابنه توفيق باشا (الخديوي السابق) على ان ذلك لم يقلل شيئاً من القلاقل لان الداء لم يكن في المجلس ولكنه كان في مقاصد

اسماعيل لانه استعظم اغلال يديه بمجلس فيه ناظران اجنبيان فقلب هيئة ذلك المجلس في ٧ افريل عام ١٨٧٩ وأخرج الناظرين الاجنبيين وعهد برئاسة المجلس الى المرحوم شريف باشا فعظم ذلك على دولتي انكلترا وفرنسا لانهما اعتبرتا تلك المعاملة اهانة لهما فعمدتا الى الانتقام فسعتا في ذلك لدى الباب العالي سرًّا وجهراً . وفي ٢٥ يونيو عام ١٨٧٩ صدر الامر الشاهاني باقالته وتولية المغفور له توفيق باشا

وعاد مجلس النظار الى الاجتماع في عهد الخديوي توفيق ولا يزال يجتمع الى اليوم وهو صاحب الحل والعقد رسمياً وللمحتلين حق النصيحة والمشورة

الحوَل وعلاجهُ

ليس الغرض من مقالتنا هذه البحث في داء الحول بحد ذاته وذكر اسبابه وانواعه فان ذلك يستغرق شرحاً طويلاً لا فائدة منه للقراء وتتكفل بتفصيله كتب الطب البصري . وانما الغرض البحث في علاج هذه العاهة على اختلاف انواعها

ان الحول يصيب العين في خلال السنين الاولى من الحياة اي بين الاولى والعاشرة . وكثيراً ماتستقيم العين المصابة بغير علاج ولا سيما متى قرب الاحول من سن البلوغ

ولذلك ترى اطباء البصر لا يلجأون الى العملية الجراحية لتقويم العين الحولاء الا بعد السنة الحادية عشرة من عمر المصاب بهذه العلة . ولكن امكان شفاء الحول بغير علاج لا يجب ان يكون مانعاً من استعمال الوسائط البسيطة الاولية حالما تظهر العلة في الطفل . لان هذه الوسائط تساعد على الشفاء وقد تغني عن العملية الجراحية اما اذا ادرك الأحول الحادية عشرة ولم يشف من تلقاء نفسه ولا بالوسائط الاولية البسيطة فلا مندوحة عن الالتجاء الى العملية الجراحية

العلاج البسيط للحول

والوسائط البسيطة التي دعوناها اولية هي ابطال عمل العين السليمة بطريقة من الطرق بحيث يضطر المريض الى استعمال عينه الحولاء وهذا الاستعمال الاضطراري يقوّم اعوجاجها ويقوي فيها حاسة البصر . لان العين الحولاء تكون دائماً ضعيفة البصر وهذا الضعف هو السبب في اعوجاجها

ولابطال عمل العين الصحيحة طريقتان : الطريقة الاولى ان يوضع عليها حجاب كثيف من رباط ونحوه او ان يلبس الأحول نظارة تبدل زجاجتها من جهة العين

الصحيحة بقطعة من معدن او خشب اسود يحجب بصرها . أو غير ذلك بشرط ان يبقى هذا الحجاب على العين طول النهار فيضطر الاحول الى استعمال العين الحولاء . ولا بد من المثابرة على هذه الطريقة زمناً طويلاً حتى تستقيم العين وتشتد باصرتها

والطريقة الثانية ان يوضع في العين الصحيحة شيء من محلول الاتروبين فتتمدد الحدقة وتشلّ العضلة المكيفة وتضعف قوة البصر ضعفاً شديداً حتى لا يعود الاحول يرى شيئاً بهذه العين فيضطر الى استعمال العين الحولاء . وتفضل هذه الطريقة في الاطفال الذين لا يصبرون على بقاء الحجاب فوق العين الصحيحة

وهناك آلات مصنوعة لتقويم العين الحولاء فيها صور ينظر اليها الاحول من خلال زجاجات موشورية يضطر معها الى استعمال العين الحولاء . ولا سبيل الى اطالة البحث في هذه الآلات لضيق المقام . هذه هي الوسائط البسيطة ولا بدّ كما ذكرنا انفاً من المثابرة عليها زمناً طويلاً حتى تأتي بالنتيجة المطلوبة . ولكن اذا ادرك الاحول الحادية عشرة ولم تقو تلك الوسائط على تقويم العين المعوجة فلا بد للطبيب من استعمال الوسائط الجراحية وهي انواع يمكن تفهمها من الاستعانة بالرسم في الصفحة المقابلة

ما هو الحول

وليعلم القارىء اولاً ان الحول على نوعين : الانسي والوحشي . فالحول الانسي هو الذي تكون فيه العين منحرفة نحو الجهة الانسية اي نحو الانف كما في الشكل (٢) وارى الانسب ان يدعى حولاً انفياً نسبةً للانف المتجه نحوه

والحول الوحشي هو الذي تكون العين فيه منحرفة الى الجهة الوحشية من الجسم او الصدغ كما ترى في شكل (٣) والانسب ان يدعى حولاً صدغيا

وترى في الشكل (١) رسم عينين سليمتين يمنى (ع . ي) ويسرى (ع . ش) شاخصتين الى الشبح (ش) فلكي ترسم صورة هذا الشبح على شبكية العينين لابد من تقاطع الخطين البصريين (خ . ب . ي) و (خ . ب . ش) عند الشبح (ش) كما ترى ولا يتم ذلك الاّ اذا كانت حركة العينين متساوية وبعبارة أخرى متى كانت قوة العضلة المستقيمة الانسية (ع . م . ا) في العينين تعادل قوة العضلة المستقيمة الوحشية (ع . م . و)

وترى في الشكل (٢) عيني أحول احداهما اليمنى (ع . ي) سليمة مستقيمة والاخرى اليسرى (ع . ش) مصابة بحول انفي اي انها متجهة نحو الانف . فالمصاب بهذا الحول اذا اراد النظر الى الشبح (ش) تتجه عينه اليمنى السليمة نحو ذلك الشبح على خط مستقيم (خ . ب . ي) فترسم صورة الشبح على الشبكية فتبصره العين

أما العين اليسرى المنحرفة نحو الانف فلا يمكنها ان ترى ذلك الشبح لانك لو مددت منها خطاً بصرياً وهمياً (خ . ب . ش) فلا يصل الى الشبح

ولكن اذا كان الانحراف اقل مما هو في الرسم فترسم صورة الشبح على نقطة من شبكية العين الحولاء بعيدة عن النقطة التي ترسم فيها نفس الصورة في شبكية العين السليمة فينتج عن ذلك ازدواج الصورة فيرى الاحول الشبح شبحين

ش ٣ ش ٢ ش ١

فاذا تأملت الشكل (٢) رأيت العضلة المستقيمة الانسية في العين الشمال (ع . م ١٠) متقلصة متوترة وتقلصها هذا هو السبب في انحراف العين لجهة الأنف . وترى ان العضلة المستقيمة الوحشية في العين نفسها متمددة وتمددها هذا دليل على ضعفها

وترى في الشكل (٣) عينين اليسرى منهما (ع . ش) مصابة بحول وحشي او صدغي . فتجد العضلة المستقيمة الانسية متمددة والعضلة المستقيمة الوحشية متقلصة عكس ما رايته في الشكل (٢)

وفي هذا النوع من الحول لا ترى العين المنحرفة الاشباح اذا كان انحرافها شديداً . واذا كان انحرافها قليلاً ينتج عنه ازدواج الاشباح في نظر الاحول كما ذكرنا في شرح الشكل (٢) ولاطباء العيون في اصلاح الحول سواء كان انفياً او صدغياً ثلاث طرق

العلاج الجراحي للحول

الطريقة الاولى : قطع وتر العضلة المتوترة وبالتالي تأخير نقطة ارتكازها فينتج عن

ذلك بعض الضعف في قوتها فتصبح العضلة الممددة المقابلة قادرة على مقاومتها وشد العين الحولاء الى جهتها فتستقيم . الطريقة الثانية : — تقديم نقطة ارتكاز العضلة الممددة الضعيفة لكي يقوى عملها فتتجه العين الحولاء نحوها و تستقيم . الطريقة الثالثة : — مؤلفة من الطريقتين الاولى والثانية اعني قطع وتر العضلة المتقلصة لتتراجع نقطة ارتكازها الى الخلف وتقديم نقطة ارتكاز العضلة الممددة الضعيفة

والاطباء البصريون مختلفو الاراء في افضلية احدى هذه الطرق . فمنهم جماعة يفضلون الطريقة الاولى وزعيمهم الاكبر الدكتور باناس الطبيب البصري الشهير وهو يرى قطع وتر العضلة المتقلصة يفي بالغرض المقصود . ويقول انه اذا كان الحول شديداً فلا يصلح اصلاحاً تاماً الا اذا قطع في العين السليمة وتر العضلة المقابلة للعضلة المتقلصة في العين الحولاء . أي انه اذا كانت العين اليسرى مثلاً مصابة بحول انفي شديد كما في الشكل (٢) لا يكفي قطع وتر العضلة الانسية (ع . م .١) لتلك العين بل يجب ايضاً قطع وتر العضلة المستقيمة الانسية في العين اليمنى السليمة . ومنهم جماعة يفضلون الطريقة الثانية اي تقديم مركز العضلة الضعيفة الممددة (ع . م . و) شكل (٢) وزعيمهم الدكتور لندولت . وفريق منهم يعمدون الى الطريقة الثالثة المزدوجة اي قطع وتر العضلة المتقلصة وتقديم نقطة ارتكاز العضلة الممددة . وامامهم البارون دي فيكر الطبيب الشهير

ولكن ثبت بعد طول التجارب ان الطريقة الثانية هي الافضل . وقد بين ذلك الدكتور لندولت في مقالات عديدة نشرها في مجلات الطب البصري بعد اختبار سنين عديدة ان افضل الطرق هي تقديم نقطة ارتكاز العضلة الممددة الضعيفة لانه بذلك تقوى هذه العضلة وتجذب العين الحولاء الى جهتها لتقومها بدون ان ينال العضلة المتقلصة ضعف . والسبب في تفضيله التقديم على القطع هو ان المصاب بحول انفي مثلاً اذا عولج بقطع وتر العضلة الانسية في العين الحولاء (ع . م .١) شكل (٢) لا يعود يستطيع النظر عن قريب فتتعذر عليه اذ ذاك القراءة والكتابة وكل الاشغال الدقيقة . لان العضلة المستقيمة الانسية (ع . م .١) شكل (٢) متى ضعفت لا تعود تقوى على استمالة العين الى الجهة الانفية الامر الذي لا بد منه للنظر عن قرب فيستنتج مما تقدم ان طريقة الدكتور لندولت هي التي يجب ان يعول عليها في اصلاح الحول وقد شاهدناها في رحلتنا الاخيرة الى باريس

(مصر) الدكتور ابراهيم شدودي

طبيب العيون

آثار العرب في اسبانيا

عثرنا على رسالة نفيسة في سياحة بعض ادباء المغرب الى بلاد الاسبان منذ عهد غير بعيد وقد جاء فيها على تفاصيل جميلة لاهم آثار الاندلس الموجودة هناك مما شاهده بعينه . وهي تدل على ما كان لدولة العرب من الرفعة والحضارة فيجدر بنا ان نلمّ بطرف من اخبارها قياماً بخدمة التمدن الاسلامي وهي :

جامع قرطبة

ظلت قرطبة دار الخلافة الاموية الاسلامية وتخت الحكومة الاندلسية نحو خمسة قرون فكانت مجمع العلماء العاملين والحكماء الاساطين والمجاهدين الاولين . وهي اليوم ليس فيها ديار منهم ولا رواية عنهم اذا جاءها المحمدي لبته الآثار وشاركته الاطلال بلسان الاندثار سنة الله في خلقه



داخل جامع قرطبة

واهم ما يستحق الذكر من اثارها الباقية جامعها الشهير الواقع على طرف قنطرة الوادي الكبير . وهو مسجد عظيم هائل يحيط به سور جسيم ارتفاعه ثمانية امتار مبني بالاحجار الصلدة والصخور الضخمة وله ابواب متعددة . ودوائر الصحن مسقوفة معقودة السواري على عمد من المرمر الملون باجمل الالوان . وهي ساحة متسعة جداً تبلغ سعتها عشرة الاف متر مربع . والارض كلها مرصوفة بالرخام الابيض الصافي . والجامع

الشريف في غربي ذلك الصحن . وارتفاع الجامع كذلك لا يتجاوز ثمانية امتار وله اثنا عشر باباً وحيطانه من الحجر وطوله مائة وثمانية وستون متراً في عرض مائة وخمسة وعشرين متراً . فتكون مساحته من الداخل واحداً وعشرين الف متر تقريباً . وسقفه مرفوع على اقواس مزخرفة بالقيشاني معقودة على عمد من المرمر الملون الباهر . وطول كل عامود منها اربعة امتار وعدد الاعمدة في نفس الجامع تسعمائة . وفي الساحة الخارجية عمد عددها مائتان . وارض المسجد مرصوفة بانواع اللبن الملون المحكم . والمحراب والمنبر من المرمر الصافي منقوشان بالنقوش البديعة المعربة عن سر الاتقان الصناعي . وفي المحراب مكتوب بالخط الكوفي نقشاً بارزاً محلى بالذهب هذه الاية « بسم الله الرحمن الرحيم حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » ثم تحت ذلك منقوش بالصفة المذكورة ايضاً « الامام الحكم امير المؤمنين »

ومما يجب ان يذكر ان الاسبان لما استولوا على البلاد طلب رؤساء الديانة مدة القيصر شرلكان ان يرخص لهم في اتخاذ كنيسة بوسط الجامع فاذن لهم ففصلوا في وسطه مقدار ستين عموداً وجعلوها معبداً لهم وهي باقية الى الان

قنطرة الوادي الكبير عند قرطبة

ومن الآثار الباقية القنطرة التي على الوادي الكبير وهي مبنية بالاحجار الضخمة بناء محكماً طولها اكثر من خمسمائة خطوة وعرضها نحو عشرين خطوة . وعليها حواجز حجرية بين ما بقي في المدينة وبين ما اذهبته الايام . فانك اذا تجاوزت القنطرة الى الجانب الاخر تجد بقعة خالية تشهد انها كانت من العمارة بمكان

واما قصر الزهراء الذي سارت بذكره الركبان وكان اعجوبة الدنيا والقصر الذي بناه الخليفة عبد الرحمن الداخل فليس لهما من اثر يذكر الا اطلال بالية

حمراء غرناطة

كانت غرناطة مهد الحضارة والعمارة في عهد التمدن الاسلامي ومقر ملوك بني الاحمر وكانت زاهرة بآدابها باهرة بجمالها وقد درست الان معالمها وعفت رسومها

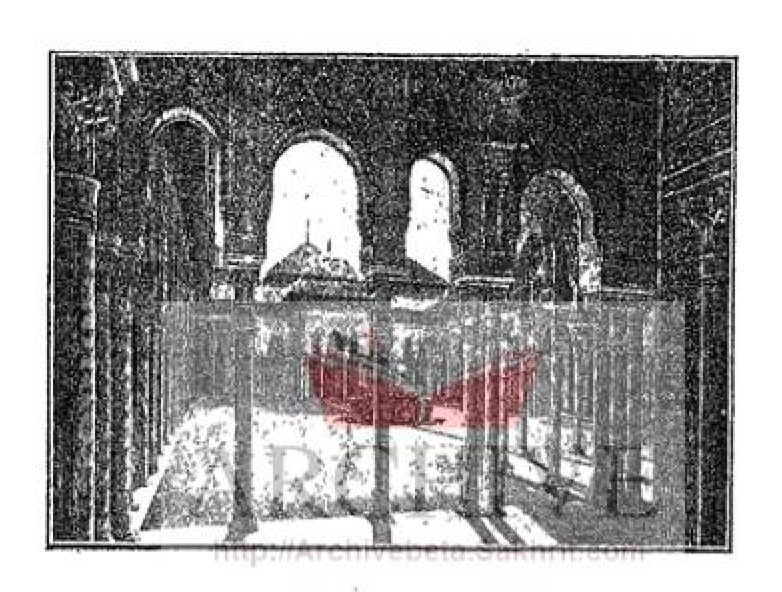
واعظم اثر باقٍ بها حتى الان يشهد بما كان لاصحابها من الاقتدار الصناعي العظيم نعني قصرها الشهير بالحمراء وهو قصر فخيم من أبدع ما صنعته يد الانسان . وله

باب من خشب الصنوبر وهو مصراعان ضخمان منقوشان بالنقوش الجيدة التي تحير الفكر . ودائرته من انواع المرمر الصافي المزخرفة باحسن النقوش . وعلى الباب المذكور لوح من المرمر منقوش فيه بالخط الكوفي نقشا بارزا « هذا الباب المسمى بباب الشريعة أمر ببنائه ابو عبدالله محمد بن يوسف بن الحجاج الخزرجي » واذا دخلت من هذا الباب استقبلك دهليز ساحته مرصوفة بالمرمر المحكم وحيطانه بضروب اللبن الجيد. وفي جانبيه اماكن السيوف والرماح المعدة للحرس الملوكي الخاص • ثم تنتهي من هذا الدهليز الى حديقة ذات ظل واشجار ورياحين وأثمار وبها قصر الحمراء . والى القصر الذي بناه الملك شرلكان وهو قصر عظيم مبني بالاحجار الضخمة وفيه كثير من النقوش على الطرز العربي الاسباني . وقد بناه ليضارع به الحمراء ثم توقف عن اتمامه . وفوق ذلك فان الفرق في اتقان الصناعة وزخرفة البناء بعيد

ثم اذا دخلت من الحديقة المذكورة وقصر شرلكان استقبلت باباً عظيماً عادي الطول والعرض مزخرف بانواع المرمر الملون . وفي اعلاه لوح من المرمر قد نقش فيه بالخط الكوفي البارز « هذا باب السلاطين » ثم تدخل منه الى باحة في كل جانب منها قصيدة بالخط المذكور . وارضها مفروشة بانواع الحصباء . ثم تجد على يمينك قصر الحرم وهو في غاية الضخامة وفيه عدة غرف وقاعاته مختلفة الاشكال وعلى غاية الزخرف وجمال المنظر وعليه سور فاصل . والى يسارك قصر السفراء وله سور فاصل أيضاً وكان ملوك الاندلس يستقبلون فيه سفراء الدول . وهو قصر بهيج يحير الناظر أرضه مرصوفة باللبن المطلي الملون . وجدرانه من المرمر الابيض المعرق بالاصفر . وسقفه قبة شاهقة في العلو منقوشة بالنقوش البديعة . وفي صدر القصر مجلس مرتفع عن الارض نحو الذراعين في غاية الاتقان . وبين منتهى الحيطان ومبتدأ انحناآت القبة طاقات منتشرة على أشكال النجوم مزينة بالبلور الصافي

وكل الحيطان و باطن القبة مزين بالنقوش البارزة ذات الاشكال العجيبة الدالة على ما كان لعرب الاندلس من الذوق الصناعي الغريب . وقد كتب في كثير من جهات القصر بالخط الكوفي البارز هذه العبارات « لا إله الا الله ولا غالب الا الله والغبطة المتصلة والنصر والتمكين والفتح المبين لمولانا امير المؤمنين » وهذه العبارات مكررة

في جدران القصر . وهناك فقرات أخرى تدل على انها حكم وأمثال مموهة بالذهب . ولكن الدهر أثر على الطلا. فاباد الكثير وابقى القليل . ثم تقابل سوراً آخر في غاية الاتقان وبين السورين أعني سور قصر الحرم وسور قصر السفراء حوض من خالص المرمر الازرق طوله نحو عشرين ذراعاً وعرضه نحو ثمانية أذرع في عمق ذراعين والماء ينصب اليه بانابيب من الحديد



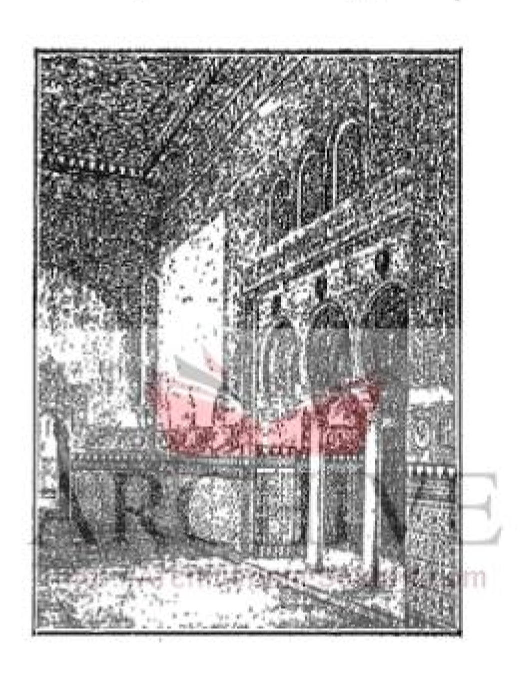
حول بركة الأسود في قصر الحمراء

فاذا خرجت من قصر السفراء تنتهي الى فسحة مربعة الشكل على أربعة صفوف من عمد المرمر الابيض طول كل منها نحو عشرة أذرع وهي فسحة محكمة البناء وأرضها مرصوفة بالحصباء . فاذا تجاوزت الفسحة المذكورة استقبلك حوض من خالص المرمر الابيض مربع الشكل عمقه نحو ذراع محمول على اثني عشر اسداً من المرمر قائمة على أقدامها والماء يجري من أفواهها في دائرة حاجرة فيصرف منها الى مجار أخرى . وفي وسط الحوض عمود من المرمر الابيض يتدفق منه الماء فيصب في الحوض حتى يمتلئ وما زاد عنه ينصب من أفواه الاسود . وجميع الحوض والعامود والاسود قطعة واحدة من المرمر . ومن بديع الصنع فيه انك لا ترى المنافذ التي تاتي ما يفيض من الحوض الى الاسود مهما أمعنت النظر . وفي محيط هذه الفسحة قناطر وعقود منقوشة قائمة على اساطين مزخرفة تؤدي الى حجرات وقاعات مختلفة المساحات طولا وعرضا وارتفاعاً .

وكلها من أحسن القباب لكنها مختلفة الاشكال والنقوش · وبالقرب من الحمراء دار في غاية الاتقان كانت لاحد قواد الجيوش الاسلامية ولا تزال على حالها الى الآن ·

قصر اشبيلية

وهو قصر ضخم في اشبيلية وبابه من خشب الصنوبر ومنظره بهيج جداً نزهة للناظرين وعبرة للمتفكرين قائم في وسط بستان عظيم يشتمل على أنواع الاشجار ذات



قاعة الملوك في قصر اشبيلية

الظل والثمار وفيه برك وغدران متعددة على أحسن ما يكون من النظام . وعليها مقاعد ومجالس ملوك أشبيلية · ساحته مرصوفة باللبن وهو مرفوع على عمد من المرمر وفيه عدة حجرات وقاعات جميلة · وجميع السقوف والحيطان والابواب والشبابيك مزينة بالنقوش المحكمة البديعة والمطلية بالذهب وقد أباد الدهر أكثره — انتهى

تونس ح · س ·

يلزم لادارة الهلال

يلزم لادارة الهلال الاعداد الآتية من الهلال وهي ٦ من السنة ١٥ و٦ من السنة ١٦ و١ و٥ و٨ و ٩ من السنة ١٧ فمن وجدت عنده هذه الاعداد واراد بيعها فليخابرنا بشأنها



الدكتور جورج بوست

استاذ الجراحة في المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت

ولد سنة ١٨٣٨ وتوفي سنة ١٩٠٩

الدكتور بوست ثالث ثلاثة هم مؤسسو القسم الطبي من المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت . توفي اولهم الدكتور فانديك سنة ١٨٩٥ وتوفي ثانيهم الدكتور ورتبات في العام الماضي . وهذا ثالثهم الدكتور بوست نعي الينا في ٢٩ سبتمبر الماضي وهو من أكبر أركان النهضة الطبية في سوريا وأشهر جراحيها على الاطلاق

ترجمة حاله

ولد في نيويورك سنة ١٨٣٨ وكان ابوه الدكتور الفريد بوست من مشاهير الجراحين وعضواً في اللجنة المركزية التي أنشأت المدرسة الكلية الاميركانية باموالها ومساعيها. انتظم في سلك هذه اللجنة في نيويورك من سنة ١٨٧٣ — ١٨٨٦ واشترك في عملها بمال وقفه لتنشيط القسم الطبي من هذه المدرسة بما ينتج من ريعه . فكان ينفق من هذا الريع حسب الحاجة في سبيل المدرسة الطبية وما زاد منه يحفظ . وبلغ ما اجتمع من

ذلك الريع ولم ينفق نحو ٧٠,٠٠٠ ريال أميركاني (١٤,٠٠٠ جنيه) وهي مرصودة لعمل الخير في سبيل الطب وعهد بانفاقها بهذا السبيل الى ابنه صاحب الترجمة ولعلها تصير الان الى حفيده

تلقى الدكتور جورج بوست العلم في كلية نيويورك وتعلم الطب في جامعتها وكان أبوه من أساتذتها فنال شهادتها سنة ١٨٦٠ ثم تعلم اللاهوت فصار من المبشرين الاطباء وقضى مدة في خدمة الامة الاميركانية أثناء الحرب الاهلية . وفي سنة ١٨٦٣ قدم الى سوريا للتبشير والتطبيب فقطن طرابلس وأخذ في اتقان اللغة العربية ليسهل عليه مخالطة الناس وتبشيرهم او معالجتهم فنال منها حظاً وافراً . وكان يستعين على حفظ المفردات العربية بقوائم من الفاظها يعلقها على جدران غرفته بحيث يراها كيفما اتجه . وما زالت لهجته عند التكلم كثيرة الشبه بلهجة الطرابلسيين الى آخر أيامه

وكان المبشرون الاميركان في سوريا لا يزالون مضطهدين يخافون على حياتهم من القتل لان روساء النصرانية هناك كانوا يسيئون الظن بهم ويعدونهم غرماء ينافسونهم على السيادة . فكثيراً ما اصاب المتقدمين من مبشري الاميركان اذى او لحق بهم اهانة في سبيل التبشير . ومن هذا القبيل ان الدكتور بوست خرج يوماً الى دوما للوعظ بدلاً من الدكتور جسبب لانه كان مريضاً . فحضر الوعظ رجال من بسكنتا صاحوا به وهموا بقتله فضر به احدهم بالعصا على كتفه واطلق آخر الرصاص عليه فاخطأه فاسرع بعض الاصدقاء وحملوه الى البيت وقد تعطلت كتفه

وبعد بضع سنوات عاد الى نيويورك سنة ١٨٦٧ وكان المرحومان الدكتور فانديك والدكتور ورتبات قد باشرا تأسيس المدرسة الطبية واخذا في العمل فعينت اللجنة المركزية الدكتور بوست استاذاً للنبات والمواد الطبية والجراحة فيها .

فعاد الى سوريا وأخذ في العمل مع رفيقيه المذكورين وقد جعلوا تعليم الطب في اللغة العربية ولم يكن فيها كتب تلائم التدريس فاخذوا يشغلون ساعات الفراغ بالتأليف ويلقنون التلامذة مايؤلفونه فينسخونه في دفاترهم ويدرسونه في منازلهم . ولذلك كان تلامذة مدرسة الطب في السنين الاولى من انشاء هذه المدرسة ينسخون الكتب بايديهم لايجدون في ذلك مشقة لان أساتذتهم كانوا قدوة لهم بالنشاط والهمة والمواظبة

وما زال الدكتور بوست يعلم في هذه المدرسة ويطبب في المستشفى البروسياني ويعالج في المنازل ويخطب على المنابر ويؤلف الكتب الى السنة قبل الماضية (١٩٠٨) فالتمس اقالته فاقيل وعينوا ابنه الدكتور الفريد مكانه ففاجأه المرض ولم يجد حيلة في دفعه فمات مأسوفاً عليهِ

اعماله وآثاره

قضى ٤١ سنة وهو يعلم الجراحة وغيرها في المدرسة ويعالج المرضى في المستشفى بالجراحة وهو الفرع الذي خصص نفسه له واشتهر به بين الخاصة والعامة حتى أصبح لفظ «بوست» في عرف البعض مرادفاً للفظ «جراح» لانه اول من اشتهر بينهم بهذا الفن في اثناء هذه النهضة. ولم يكن عمله قاصراً على التعليم والتطبيب والتأليف فقد كان يشتغل بعلوم اخرى يساق اليها شغفاً بالعلم ورغبة في العمل كاشتغاله بالنبات وكان مولعاً به وله فيه وفي علم الحيوان آراء واكتشافات مهمة وخصوصاً في النبات. فانه أكتشف كثيراً من انواعه في سياحاته بسوريا وفلسطين ومصر وسينا والاناطول وقدسي بعضها باسمه «بوست» والف على أثر ذلك كتابه في نبات فلسطين وسوريا واصبح ثقة بجغرافية فلسطين الطبيعية

وقد جمع بتوالي الاعوام معرضاً نباتياً بالمدرسة الكلية يعدُّ من المعارض الثمينة وكان رحمه الله يقضي أكثر ساعات الفراغ فيه وقد أعانه في جمعه تلامذته في النبات لانه كان يفرض على كل منهم ان يجمع أمثلة من النبات ويجففها ويقدمها له فيختار هو ما يستحسنه منها ويضيفه الى معرضه. فهو بهذا الفن وحده يستحق لقب العالم العامل ويعد من كبار علماء النبات. وقد عرف فضله علماء اوربا واميركا فادخلوه في جمعياتهم الطبية والعلمية. فهو عضوٌ في جمعية لينيوس في لندن وعضو في نادي النباتيين وعضو في اكاذيمية الطب في نيويورك. ونال النيشان العثماني من الدولة العثمانية ونيشان آل دوكان السكسوني والنسر الاحمر من حكومة المانيا ولقب فارس من جمعية فرسان اورشليم الالمانية جزاء خدمته في المستشفى البروسياني في بيروت

وكان له في المدرسة فضلاً عن معرض النبات معارض للمواد الطبية والمستحضرات الجراحية وفيها آثار ما اجراه من العمليات الجراحية كالحصى المثانية والاورام والعظام

وكان مع ذلك يجد فراغاً يشتغل فيه بهندسة أبنية المدرسة فقد رسم بعضها بيده وكثيراً ما كان يتعهد بناءها وينتقدهُ وخصوصا قاعة العلم فانه تتبع بناءها بنفسه. ولم يكن

يضيع فرصة لا يفيد بها تلامذته حيثما التقى بهم من شرح عملية في المستشفى او تفسير حادثة على الطريق او في المنزل . وكان رابط الجأش وهو يعمل العمليات فكثيراً ما سمعناه يتحدث في السياسة او الادب او الاجتماع ويداه غائصتان في الدم لا يظهر عليه الارتباك مهما يكن من خطر العملية التي يشتغل بها فضلاً عن خفة يده في العمل

وكان يرحل الى اميركا سعياً في جمع الاموال للمدرسة وخصوصاً للقسم الطبي . ومن ثمار سعيه في هذا السبيل انشاء قاعة العلم التي جعلوها داراً للمعارض العلمية وقد سميت باسمه G. E. Post Science Hall ومن آثاره الادبية في خدمة هذه المدرسة انه انشأ لتلامذة الطب جمعية سماها الجمعية الكلية يتباحث فيها التلامذة في المواضيع المفيدة . وقد تولى رئاستها مدة طويلة ووضع لها نظامات كانت مثالاً لكثير من الجمعيات التي نشأت في سوريا بعد ذلك . أما آثاره القلمية فأهمها في الطب وفروعه و بعضها في سبيل الكتاب المقدس وهي :

١ : مبادىء التشريح والهيجين والفسيولوجيا

٢ : علم الحيوان في جزئين : الأول في نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات والثاني في الطيور

٣ : مبادىء علم النبات ويتضمن شرح بنيته ووظائفه ووصف الفصائل الطبيعية

٤ : نبات سوريا وفلسطين الذي الفه بعد رحلته التي تقدم ذكرها وهو من اهم مؤلفاته وقد خدم فيه علم النبات خدماً جزيلة

٥ : كتاب الاقرباذين او المواد الطبية

٦ : المصباح الوضاح في صناعة الجراح وهو مطول في الجراحة العملية

٧ : مجلة الطبيب انشأها وحررها هو بنفسه بضع سنين . ثم حررها المرحومان الشيخ ابراهيم اليازجي والدكتور زلزل والدكتور خليل سعادة سنة واحدة ثم تولى رئاسة تحريرها الدكتور اسكندر بك البارودي ولا تزال تصدر في بيروت الى الآن

٨ : فهرس الكتاب المقدس وهو فهرس ابجدي مطول لكل الالفاظ الواردة في التوراة والانجيل والزبور ٩ : قاموس الكتاب المقدس في مجلدين كبيرين

غير ما كان يتلوه من الخطب او ينشئه من المقالات مما نشر في المجلات العلمية وغيرها

اخلاقه ومناقبه

قد رأيت مما تقدم انه كان مثالاً في النشاط والهمة والثبات والمواظبة على العمل مع المحافظة على الوقت وكان يعد التقصير في ذلك رذيلة . ويغضبه الاخلال في الوقت لاي سبب من الاسباب . ذكروا من امثلة ذلك انه كان في سفر بعيد فلما رجع ذهب اصدقاؤه لملاقاته ولم يذهب معهم ولده لاشتغاله بدرس كان عليه في تلك الساعة فسألوه عن سبب تخلفه فقال « لان والدي لا يرضى ان اترك درسي في هذا السبيل »

وكان مدققاً في سائر معاملاته لا يقصر في ما عليه للآخرين ولا يحتمل تقصير الآخرين في حقه . وهذا هو السبب في ما اشيع عنه من التدقيق في اقتضاء حقه من مرضاه . فلم يكن يتجاوز عن شيء من اجرة العيادة او العملية . وربما نقص المبلغ المطلوب غرشاً او بعض الغرش فلا يتحول ما لم يقبضه ولو كان المريض فقيراً معوزاً فعدوا ذلك بخلاً منه . وظهر هذا البخل مجسماً بالمقابلة مع اريحية زميله الدكتور فانديك وسخائه فقد كان رحمه الله كثير التساهل مع مرضاه يعين بعضهم بثمن الدواء والطعام فضلاً عن اجرة العيادة . فظهر تدقيق صاحب الترجمة بخلاً قبيحاً وتحدث الناس به . والحقيقة انه انما كان يفعل ذلك جرياً على طبعه في دقة المعاملة كما تقدم بدليل ما علمناه عن ثقة انه كان اذا دعي لاعانة في مشروع خيري تبرع باضعاف ما يتبرع به سواه والتمس ان لا يذكر اسمه في قائمة المتبرعين

وكان عصبي المزاج حاد الطبع يتسرع الى سوء الظن ربما بعثه على ذلك بالاكثر صمم كان في احدى اذنيه فاذا رأى اثنين يتخاطبان قد يسبق الى ذهنه انهما يتكلمان عنه فيحكم بالظن وقد يعاقب على الشبهة . وكثيراً ما جرَّ ذلك الى التنافر بينه وبين تلامذته حتى آل الى التقاضي لدى عمدة المدرسة . وتجسم الخلاف مرة حتى اشتكاه طلبة الطب كافة الى لجنة المبشرين الكبرى في سوريا على اثر الخلاف الذي وقع بين الطلبة وعمدة المدرسة سنة ١٨٨٢ وكنا من اولئك الطلبة . فاجتمعت تلك اللجنة من انحاء سوريا للنظر في ذلك الخلاف لكنها لم تحسن السياسة في حكمها فخرج معظم طلبة الطب من المدرسة . واستعفى الدكتور فانديك انتصاراً لهم في حديث طويل لا محل له هنا — والكمال لله وحده

باب التقريظ والانتقاد

المعلوم والمجهول

لولي الدين بك يكن

ولي الدين بك يكن الكاتب الشاعر المعروف كان من الاحرار وقاسى ما قاسوه من الاضطهاد والابعاد فقضى زهرة شبابه منفياً في سيواس. ولما افرج عن المظلومين واطلق سراح الاحرار دوّن ما علمهُ او عاناه من المحنة التي اصابت الدولة في العهد السابق بكتاب سماه المعلوم والمجهول واخذ في نشره . فظهر الجزء الاول منهُ وفيه ابحاث سياسية واجتماعية عن مصر والاستانة ترجع كلها الى الموضوع الاصلي . منها مقالات في الصحافة المصرية والسياسة الانكليزية من سنة ١٨٩٢ وحزب تركيا الفتاة ومذابح شهداء الحرية من الارمن وفرار مراد الطاغستاني الى مصر وحال الاحرار وجمعيتهم بعد هربه ووقع ما كتبهُ الاحرار على دوائر الظلم في الاستانة وكلام في ابي الهدى واللورد كروم واحرار العثمانيين حتى بلغ الى الكلام عن نفسهِ في حزب الاحرار . وأتى على ما مرَّ به من المحن والتجارب في الاستانة ومصر وما بينهما ولم يبلغ القول الى منفاه في هذا الجزء

وفي الكتاب حقائق ذات بال لا يعثر عليها في سواه فضلاً عما أوتيه ولي الدين بك من طلاوة الاسلوب واتساع الخيال فانهُ تفنن في وصف بعض الفظائع تفنناً يستفز الخواطر ويستبكي العيون بما نعبر عنه بالشعر المنثور ومن امثلتهِ قوله في مقدمة كلامه عن وصف مذابح شهداء الحرية من الارمن :

« السلف اخطأ الحكمة ولم يحسن السياسة . كذا قال التاريخ ولا بد من تصديق التاريخ . هم احبوا الانبياء وشاؤوا ان يكونوا كالانبياء ألسناً لا قلوباً وحالاً لا ذاتاً . فما اختاروا من قصة موسى الا عبادة العجل ولا من تاريخ عيسى الا الصلب ولا من وقائع المدناني الا حال ابي لهب . تشاغلهم بانفسهم لم يدعهم يرون غيرهم وضجاتهم منعتهم عن سماع اصوات الامم . حتى اذا تضاءلت شمس الشرق ولم يكف شعاعها لانارة ربوعها وطلعت بآفاق الغرب شموس كثيرة وقفوا وقفة المجهود ينظرون بعضهم الى بعض فاذا بهم دامية اظفارهم دامية

انيابهم دامية لهواتهم بادية أجسامهم تعلوها اطمار بالية رثة . حسبوها بقايا ثياب فاذا هي قطع اكفان !!! »

وقد افاض في الثناء عَلَى البرنس مصطفى فاضل باشا قائد كتاب الاحرار وبين فضله عَلَى هذه النهضة . ومما ذكره من محامده « انه تولى نظارة المعارف ثم نظارة المالية لا ينقاضى راتباً ولا يراقب كسباً . بل جاد بقناطير من الذهب ورثها من ابيه . فأهدى المعرض الأول الذي أقيم بالاستانة العلية خمساً وعشرين الف ليرة وأهدى السلطان مراداً الخامس خمساً وسبعين ألف ليرة . وهاجر من عاصمة الملك يوم بلاد الغرب حتى استقرَّ بهِ النوى في باريس سنة ١٨٦٥ . وكان استصحب معه الشاعرين الكاتبين الشهيرين كمال بك وضيا باشا . فجاهد بماله ورأيهِ وجاهد صاحباه بقلبيهما و يراعيهما . فهزّا قصور الظلم هزّاً »

ثم اورد اللائحة التي رفعها الامير المذكور الى السلطان المخلوع وهو في ابان سطوتهِ واستبدادهِ قال فيها :

« أصعب ما يدخل قصور الملوك الحق . والذين يحيطون بهم يخفون الحق حتى عن انفسهم . لان هؤلاء لما عاشوا في مركز الحكومة وبين لذاتها ، حسبوا المشقه التي تكابدها الرعية هي من فتورها . وهم يزعمون ان وقوع الدول في الضعف من حوادث الكون التي لا حيلة في درئها . »

ثم اتى البرنس عَلَى بيان العلل الصحيحة لفساد الاحوال فقال يخاطب السلطان السابق :

« مولاي صاحب الشوكة ، ان ما يقوم بهِ رعاياك المسيحيون من اعمال الفوضى في دولتك انما هي من أعمال اعدائنا في الخارج . عَلَى ان الادارة الحاضرة ايضاً لها من ذلك نصيبها الأوفر . لان اعمالاً لم يكن بها بأس فيما سلف من الازمان ، تلوح اليوم وكأنها ظلم وجور عَلَى الرعايا من كل جنس . والأوروبيون يحسبون المظلومين والممتهنين والمحتقرين كل التحقير في تركستان هم من الامة المسيحية المحكومة . وليس الأمر كذلك : ان المسلمين ولا تحميهم دولة من الدول الغربية ، سحقوا ومحقوا اكثر من الملل غير المسلمة . المسلمون كابدوا هذا الكرب الى الآن بما اتصفوا بهِ من النخوة في الصبر والانتظار . اما الأوروبيون فلا يعلمون ذلك . علي ان المسلمين ، لما كانوا من دم ذاتك الشاهانية التي بيدها زمام حكومتهم ، يعدون محبتهم وطاعتهم لعرش سلطنتك من الاوامر القرآنية . ولكن ائذن لي يا مولاي صاحب الشوكة ، ان اقول لك : انهُ لم يبقَ للملة الاسلامية جلد عَلَى الاخلاص ولا عَلَى احتمال الكرب . ان اصوات السخط وان عولجت بالاسكات ما عولجت اخذت ترن من كل صوب . فانزالهم اذن الى هذه الدركة من الياس مضر بنسلك وبهم ... الخ »

واعجبنا من المؤلف شجاعته الادبية في تقرير الحقائق واعترافه بالحق حتى على نفسهِ . فلما بلغ الى الكلام عن سعي الجواسيس في استرضائهِ وهو في مصر ليذهب الى الاستانة اعترف انه أخذ بحيلتهم فوافقهم اعتماداً على الوعد بالاصلاح وقال هناك :

« ولقد رأيت كثيراً من رجال الحرية وانصارها الذين لبوا دعوة عبد الحميد وتسابقوا اليهِ يرجون ثوابه يحاولون اليوم نكار ما كان من عودتهم . ليقول الناس انهم كانوا معذورين ومنهم من يقول انا كنت آخر الراجعين ومنهم من يقول انا لم ارجع . وكل هذا تضليل وبهتان . بلى هو اعظم من التضليل والبهتان . و ياخجلة المرء عند نفسهِ ان يكون منافقاً وان يكون جباناً »

والكتاب كثير الفوائد جدير بالمطالعة

روح الاجتماع

هو كتاب في فلسفة الاجتماع للدكتور جوستاف لوبون الفرنساوي وقد نقله الى العربية فتحي زغلول باشا وكيل نظارة الحقانية وهو من جملة آثاره الجليلة في خدمة آداب اللغة العربية وقد بعث الينا سامي افندي جريديني المحامي المشهور رسالة في نقد الكتاب المذكور نكتفي بنشرها وهي قال :

للدكتور غوستاف لوبون الفرنساوي مؤلفات عديدة تبحث في اخلاق الامم بحثاً علمياً فلسفياً بعضها في اصل الشعوب وتأثير الاصل او الوراثة الطبيعية في اخلاقه والبعض الآخر في نشوء الجنس وارتقائه . والف كتاباً كان له اعظم تأثير في فرنسا حين ظهوره انتقد فيه نظام التعليم الفرنساوي وفضل عليه النظام الالماني والانكليزي . وكتب عن نشوء الاشتراكية وارتقائها ومصيرها تحدى في ذلك طريقته المشهورة في التحري العلمي والدرس الاخلاقي . فترى مؤلفاته كلها معنونة بعنوان « الاخلاق » او « الفلسفة العقلية » مضافاً الى موضوع البحث فيقول درس فلسفة التعليم درس فلسفة اصل الامم درس فلسفة الاشتراكية وهكذا

وربما كان اكثر مؤلفاته تداولاً هذا الكتاب الذي نقله الى العربية سعادة فتحي باشا زغلول ودعاه « روح الاجتماع » ولو قال « اخلاق الجماعات » لكان اقرب الى الاسم الفرنساوي الاصلي والمباحث التي في الكتاب . فان الاسم الفرنساوي هو « Psychologie des peuples » قلت انهُ اكثر مؤلفاته تداولاً لان الموضوع حديث العهد لم تتناوله اقلام المؤلفين في فرنسا قبل غوستاف لوبون ولم يسبقه احد الى درس اخلاق الجماعات درساً علمياً بمؤلف على حدة اللهم الا بعض كتاب كانوا يشيرون الى الموضوع اشارة و يقولون قول

غوستاف لوبون ضمناً في بعض ما يقولون او يكتبون . من هؤلاء سبنسر الانكليزي وتين الفرنساوي على ما اعلم

اما كون هذا الكتاب اكثر كتب مؤلفه فائدة فمسالة فيها نظر وخصوصاً في القطر المصري لان للدكتور لوبون مؤلفات كلها فوائد عملية تعلمية نتيجة مباحث جدية ككتابه في التربية مثلاً فانه مع كونه خاصاً بالتعليم الفرنساوي فهو ينطبق كل الانطباق على التربية الشرقية عموماً والمصرية والسورية خصوصاً

واما الكتاب الذي نحن بصدده فمعظمه استنتاجات من ملاحظات واقعية بدون ان يشير الكاتب الى اصلاح ما يراه خطاء في الموضوع الذي يقول بوجود الخطإ فيه . فضلاً عن ان هذه الاستنتاجات وان يكن معظمها حقيقياً مشاهداً يشعر القارىء بصحة استنتاجها عند ما يلفت نظره اليها لكنها تنطبق على بلاد للجماعات فيها القول الفصل في سير الحكومة وعلى بلاد نمت فيها روح تأليف العصابات والنقابات وما اشبه من الجماعات . فصار سهلاً درسها خلافاً لما هو عليه الحال في البلدان الشرقية على العموم

خلاصة الكتاب الذي نحن بصدده « ان ادراك الجماعات احط من ادراك الافراد » وان « قيمة ادراك الجماعات الفلسفية العقلية (او البسيكولوجية) تقل كلما زاد عدد المجتمعين « وان الحكماء او الاذكياء اذا اجتمعوا قل مجموع ذكائهم عن ذكاء الفرد الواحد منهم »

وهي قضايا اقام المولف الدليل عليها في كل جماعة من الجماعات سواء في ذلك جماعات الشوارع والازقة وجماعات المحاكم وجماعات مجالس النواب وايد ادلته بالامثال والشواهد التاريخية وخصوصاً ما حدث منها في ابان الثورة الفرنساوية . على ان اهم ما يستولي على القارىء وهو يطالع هذا الكتاب شعوره بنقص لا يعلم ماديته . فبينا يقول له المؤلف « ان الجماعات لا يحكمون بموجب العقل ولا يتدبرون الامور بالحكمة المتوفرة في الافراد » تراه يفضل النظام الذي للجماعات فيه القول الفصل على النظام الفردي كمحاكم بلا محلفين او حكومة بلا مجلس نواب . فيحار القارىء ولا يعرف كيف يهتدي . ولا يخفى ان من اكبر مزايا كبار العلماء ان يشرحوا الداء ويصفوا الدواء كما فعل المؤلف نفسه في كتبه الاخرى واخصها كتاب « روح التربية » لا ان يترك قارئه معلقاً بين الارض والسماء

على ان ما استنتجه غوستاف لوبون عن الجماعات وما وضعه من الاوليات وان يكن صحيحاً في معظم الاحيان فلا يجب في اعتقادي ان يتخذ قاعدة مجردة عن اعتبارات اخرى تتصل به . لان الجماعات اذا كان بهم نقص في امور كثيرة من اعمالهم فلهم فضائل تجتمع مع تلك النقائص فيكون المجموع واحداً هو اصلح واوفق ما يجب السير عليه . وليس

من الضروري لنظام الهيئة الاجتماعية وتقدمها ان يوجد افراد نوابغ يسيرونها كما يشاؤون وليس من الانسب ان يسير القوم على راي فرد ذكي عاقل اذا كانت مصلحة الجماعة لا تقتضي ذلك . ومن اعلم الناس بمصلحته مثل صاحب الشان نفسه ؟ فقد يستحب الذكاء والعقل الخارق ويعجب به ولكنه لا يكون مناسباً او نافعاً في كثير من الاحيان

والحقيقة انهم يطلقون باوربا كلمة متفائل Optimiste وكلمة متشائم Pessimiste على أفئتين من الكتاب يكاد كل كاتب يدخل في احداهما . ولا مشاحة ان معظم الكتاب الفرنساويين من المتشائمين . وغوستاف لو بون واحد من هؤلاء ينظر الى الامور جميعها نظرة سوداء وخصوصاً الى الامور الاجتماعية الفرنساويه وهذا الامر ظاهر في كل مؤلفاته . وقد يكون مصيباً في معظم ما يتشاءم به ولكنه لا يلم بالوجه الاخر المشرق . وبدون النظر الى الوجهين معاً لا يكون قياس صحيح عادل

قلت ان المؤلف لا يصف لنا الدواء في كتابه هذا بعد ان يكون قد اشبعنا من تشخيص العلة . وهذا عيب من عيوب هؤلاء الفلاسفة العمرانيين . والغريب ان هذا العيب الذي وقع فيه غوستاف لو بون هو نفس العيب الذي رمى به الاشتراكيين اذ قال انهم يهدمون آمال الجماعات الدينية واحلامهم السياسية ولا يعطونهم شيئاً عوضاً عنها على ان الواقع ان الاشتراكيين يملؤون مشبعي مذهبهم بآمال واصلاحات اجتماعية يطمعونهم بنيلها في هذه الحياة الدنيا — وهذا سر نجاحهم وتفوقهم على رجال الدين الذين يحصرون السعادة في الحياة الاخرى . والانسان على العموم يرى ان عصفوراً واحداً يستطيع ان يقبض عليه خير له من عشرة طائرة في الهواء

والكتاب الذي نحن بصدده جدير بمطالعة جميع ارباب الفكر والقلم لما حواه من الحقائق المستنتجة من الاختبار التاريخي والملاحظات العملية الحقيقية . قراءته لذيذة اذا ابتدأت به لا تتركه قبل ان تاتي على اخره وقد تقرأه مرتين او اكثر كما حدث لكاتب هذه السطور

مصر سامي الجريديني
المحامي

حكمة

قال الامام الشافعي :

احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس

حج الجناب العالي

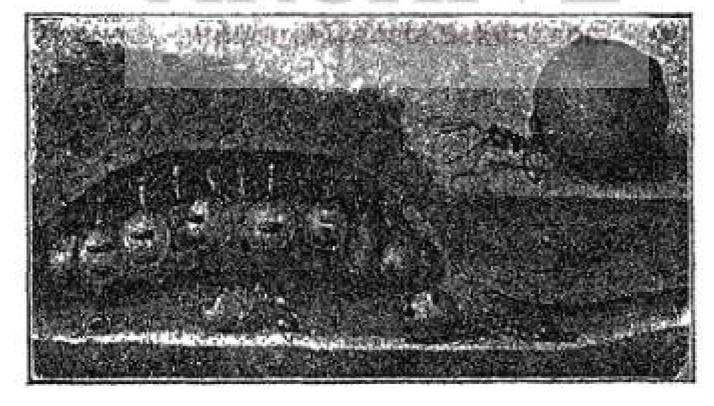
سافر سمو الامير اعزه الله الى الحرمين لاداء فريضة الحج هذا العام . فبرح القاهرة في ١٢ دسمبر الماضي رافقته السلامة في الحل والاقامة . فنظم شوقي بك شاعر المعية في ذلك قصيدة سماها بهجة الماس في حجة العباس وهي :

الى (عرفات) الله يابن محمد ... عليك سلام الله في عرفات
ويوم تولى وجهة البيت ناضراً ... وسيم مجال البشر والقسمات
على كل أفق في الحجاز ملائك ... تزف تحايا الله والبركات
اذا حديت عيس الملوك فانهم ... لعيسك في البيداء خير حداة
لدى (الباب) جبريل الامين براحه ... رسائل رحمانية النفحات
وفي (الكعبة) الغراء (ركن) مرحب ... بكعبة قصاد وركن عفاة
وما سكب (الميزاب) ماء وانما ... أفاض عليك الاجر والرحمات
و(زمزم) تجري بين عينيك اعيناً ... من (الكوثر) المعسول منفجرات
ويرمون ابليس الرجيم فيصطلي ... وشانيك نيراناً من (الجمرات)
يحييك (طه) في مضاجع طهره ... ويعلم ما عالجت من عقبات
ويثني عليك (الراشدون) بصالح ... ورب ثناء من لسان رفات
لك الدين يارب الحجيج جمعتهم ... (لبيت) طهور الساح والعرصات
ارى الناس اصنافاً ومن كل بقعة ... اليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الانساب فيها تفاوت ... لديك ولا الاقدار مختلفات
عنت لك في الترب المقدس جبهة ... يدين لها العاتي من الجبهات
منورة كالبدر شماء كالسهى ... وتخفض في حق وعند صلاة
دعاني اليك الصالح (ابن محمد) ... فكان جوابي : صالح الدعوات
وخيرني في سابح او نجيبة ... اليك فلم اختر سوى العبرات
وقدمت اعذاري وذلي وخشيتي ... وجئت بضعفي شافعاً وشكاتي
ركائب (عباس) العلى كسروية ... ولكن لذي سيف ورب قناة
وفي راحتي ماض اذا ما هززته ... تركت عدو الله في السكرات
اتيت به يارب نوراً وحكمة ... ونزهته عن ريبة واذاة
ويارب لو سخرت ناقة (صالح) ... لعبدك ما كانت من السلسات
ويارب هل (سيارة) او (مطارة) ... فيدنو بعيد البيد والفلوات

ويارب هل تغني عن العبد حجةٌ وفي العمر ما فيه من الهفوات
وتشهد ما آذيت نفساً ولم أضر ولم أبغ في جهري ولا خطراتي
ولا غلبتني شقوة او سعادة على حكمة آتيتني وأناة
ولا جال الا الخير بين سرائري لدى (سدة) خيرية الرغبات
ولا بتُّ الا (كابن مريم) مشفقاً على حسدي مستغفراً لعداتي
ولا حملت نفسٌ هوى لبلادها كنفسيَ في فعلي وفي نفثاتي
واني ولا منٌّ عليك بطاعة أجلُّ واغلي في الفروض زكاتي
أبالغ فيها وهي عدل ورحمة ويتركها النساك في الخلوات
وانت وليُّ العفو فامح بناصع من الصفح ماسودت من صفحاتي
ومن تضحك الدنيا اليه فيغترر يمتْ كقتيل الغيد بالبسمات
وركب كاقبال الزمان محجل كريم الحواشي كابر الخطوات
يسير بارض أخرجت خير أمة وتحت سماء الوحي والسورات
يفيض عليها اليمن في غدواته ويضفي عليها الامن في الروحات
مشى الاروع (العباس) فيه تحفهُ خميسان من جند ومن سروات
تكاد تضيء الارض تحت ظلاله وتخرج عقبانا مكان نبات
ومن يمش في ارض الامام (محمد) يسر بين اقيال وبين ولاة
وامَّ (امير النيل) في الركب هالةٌ من العز في اترابها الخفرات
اقلت علاها في خباء من القنا هوادج كالايوان ذي الشرفات
تحلُّ نساء المؤمنين ثناءها ويبسطن راح الحمد مبتهلات
اخذن بتقواها وسرن بهديها ومنها علمن البر والصدقات
مواكب لم تعهد لغير (زبيدة) (ببغداد) في الاعياد والجمعات
اعادت حديث (الخيزران) وعزها وما اغدقت من انعم وهبات
تريك القرى آثار جدّيك عندها وما اسلفا من حجة وغزاة
هما امنا (البيت الحرام) وانقذا ربوع الهدى من مفسدين عصاة
تدول احاديث الرجال وتنقضي ويبقى حديث الفضل والحسنات
وجادا (لطه) بالاساطيل دمرت وما بخلا بالجيش ذي الهبوات
ومن عجب التاريخ ترقى اليهما اقاويل قوم بالنميم مشاة
وسيان عندي من احب ومن قلى اذا أخذ الاحباب بالشبهات

« اذا زرت يا مولاي قبر محمد وقبلت مثوى الاعظم العطرات »
« وفاضت من الدمع العيون مهابة (لاحمد) بين الستر والحجرات »
« واشرق نور تحت كل ثنية وضاع اريج تحت كل حصاة »
« لمظهر دين الله فوق تنوفة وباني صروح المجد فوق فلاة »
« فقل لرسول الله يا خير مرسل ابثك ما تدري من الحسرات »
« شعوبك في شرق البلاد وغربها كاصحاب كهف في عميق سبات »
« بايمانهم نوران : (ذكر) وسنة فما بالهم في حالك الظلمات »
« وذلك ماضي مجدهم وفخارهم فما ضرهم لو يعملون لآتي »
« وهذا زمان ارضه وسماؤه مجال لمقدام كبير حياة »
« مشى فيه قوم في السماء وانشأوا (بوارج) في الابراج ممتنعات »
« فقل رب وفق للعظائم امتي وزين لها الافعال والعزمات »

عجائب المخلوقات



النمل المرضع او الحاضن

ما زال النمل من غرائب الخلق ياتينا البحث عنه كل يوم بشيء جديد يؤيد ميله الى الاجتماع والتعاون وتضحية الفرد في سبيل المجموع . فقد وجدوا بينه طائفة تقوم مقام الحواضن او المراضع في البشر . تعود النملة الحاضن الى الوكر وقد ملأت احشاءها غذاء حتى انتفخت كالكرة فتتعلق في سقف الوكر كالغذاء المخزون لوقت الحاجة فياتي النمل لامتصاص ذلك الغذاء من احشائها وقد تذهب ضحية تلك الخدمة « الوطنية »

الجامعة المصرية

واللغة العربية وتعليم المرأة

من يطلع عَلَى بروغرام التدريس في الجامعة المصرية لهذا العام ويقابله ببروغرامها للعام الماضي يتحقق انها خطت خطوة كبرى نحو الغرض المرجو منها في خدمة اللغة العربية وترقية الناشئة المصرية . ولذلك فنحن نرجو منها مواصلة التقدم عاماً فعاماً حتى تأتي بالثمار التي نتوقع الحصول عليها في هذا السبيل . فان هذه اللغة كانت قد اخذت بالنهوض في القرن الماضي بما انشأته الاسرة الخديوية من المدارس العربية ونشرته من الكتب العربية وبمن تخرج في المدارس من كتاب العرب والصحافيين والخطباء والمعلمين . وبما افادته الارساليات الدينية في سوريا ولا سيما الاميركان اصحاب الكلية اذ جعلوا اللغة العربية قاعدة التدريس فيها فنبغ منها الكتاب والخطباء والاطباء

حتى اذا كادت هذه اللغة تستعيد مجدها نكبها الدهر عَلَى ايدي اصحاب ذلك الفضل فجعلت المدرسة الكلية قاعدة التدريس اللغة الانكليزية منذ نيف وعشرين عاماً وفعلت الحكومة المصرية نحو ذلك . ولولا ما دبَّ في بعض النفوس من الحمية في نصرة هذا اللغة بانشاء الجرائد والمجلات وتاليف الكتب مع ما اقتضته النهضة العامة من التقدم لكنا في حالة يرثى لها . فلما نهض الفضلاء لانشاء الجامعة المصرية واعلنوا انها ستجعل قاعدة التدريس اللغة العربية علقت الآمال باحياء هذه اللغة . وخصوصاً بعد ان راينا ناظر المعارف في مقدمة العاملين عَلَى احيائها في المدارس الاميرية حتى جعلها قاعدة التعليم في كثير من العلوم ولا تلبث ان تكون عامة في سائرها

عَلَى ان الآمال متجهة بالاكثر الى الجامعة المصرية لانها ارقى تعليماً من سائر المدارس فيكون تاثيرها شديداً في ترقية النفوس وتهذيب الشبيبة . ونحن احوج اليهما مما الى سواهما . وقد ظهر لنا من الخطوة التي خطتها في التحسين هذه السنة مع ما نرجو من تعويلها في التعليم عَلَى اللغة العربية ومواصلة التحسين انها ستكون اكبر نصير لترقية آداب هذا اللسان

ومما يزيدنا ثقة بذلك التفاتها من تلقاء نفسها الى تعليم المرأة ففتحت ابوابها لحضور السيدات يسمعن محاضرات خاصة بهنَّ لا يحضرها الرجال . وظهر من فاتحة هذا العمل ان الاقبال سيكون عظيماً و يكون فضلها في رفع شان المرأة اضعاف فضلها في تعليم الرجال . لان المرأة الشرقية قضي عليها بالانزواء في خبايا الاهمال قروناً متطاولة فلما اشرق التمدن الحديث كان اكثرهن في غفلة عنه . ومن اصابت فيه حظاً خالط ما اصابته من العلم والادب كثيرٌ

من شوائب هذا التمدن وربما اقتبسن من سيئاته اكثر مما استفدنه من حسناته

على ان كثيرات من نسائنا اقتصرن في اقتباسهنَّ على العادات الضارة فلم ياخذن عن الافرنج غير معدات الترف والبذخ والانفاق في سبيل الملاهي والاشتغال بذلك عن ادارة المنازل وتربية البنين . وتولى اكثرهن الخمول فساءت صحتهن وكثرت امراضهن حتى خالفن الطبيعة بما فرضته عليهن من العمل اليدوي والاهتمام بشؤون المنزل والاشتغال بواجبات العائلة فاصبحن كانهن من جملة ادوات الزينة في الصالونات . واصبح همهن الظهور بمظهر الجمال والبذخ واغفلن ما خلا ذلك فزاد العقم فيهن او تعسرت الولادة على الاقل — كما يصيب الاشجار والرياحين التي يربيها البستاني للزينة او للتمتع بحلاوة ثمرها فينمو فيها ما يلذ طعمه او يحلو منظره وتقل البزور التي عليها المعول في التوليد

فنلتمس من لجنة ادارة الجامعة ان تستلفت انظار الاساتذة الى هذه النقطة وان المراد ترقية نفس المرأة بحيث تدرك ان منزلتها بين اقرانها لا تكون بما تلبسه من الانسجة او تتحلى به من الاحجار الكريمة . ولا بما يظهر من زيها او جمالها وانما هي تسمو منزلتها بسمو آدابها والعكوف على واجباتها في منزلها مثل شقيقتها الافرنجية التي لم تكتف من التمدن بالقشور ومثل بعض ربات المنازل بيننا اللواتي اقتبسن حسنات هذا التمدن ونبذن سيئاته وهن نوادر

ان المراة هي الامة لان الامة تكون كما تريد هي . وقد قلنا في غير هذا المكان ان « الامة نسيج الامهات » هل رايت امة نهضت نهضة ثابتة وظهرت ثمار اعمالها فعلا الا وكان للمراة دخل كبير فيها ؟ هي الام وهي الزوجة وهي الاخت فالامُّ والزوجة والاخت قابضات على زمام العمران اما ان يرفعنه الى اوج السعادة واما ان يهبطن به الى حضيض الشقاء . يفعلن ذلك خفية واعتباطاً لا يشعر بهن احد . ولا غرابة في ذلك والرجل مهما اوتي من المواهب او بلغ من المناصب لا يخلو ان يكون زوجاً او ابناً او اخاً وقد يكون كل ذلك معاً . فهو ربيب امراة وعشير امرأة ورفيق امراة وقد اطاعها في طفوليته وحداثته مكرهاً وانقاد اليها في شبابه محباً واكرمها في كهولته شاكراً حامداً . وقضى تسعة اعشار حياته بين يديها وقلبه طوع ما بين شفتيها . وقد ربي كما تريد وشبَّ كما تشاء . واذا رأيته يكدُّ في طلب العلى او يجدُّ في التماس العلم او الفضيلة فاعلم انه انما يلتمس جهاراً ما اوحت به اليه سرًّا ويسعى قصداً وعمداً في طلب ما غرستهُ في نفسه اعتباطاً . فالقاضي يحكم في الجلسات العلنية وفي خلال حكمه اظلال انطبعت على مخيلته من انفاس والدته او زوجته . والتاجر يبيعك السلعة وفي خلال حديثه او مساومته رقة او خشونة ولين او فظاظة مما اكتسبه من عشيرة حياته وهو لا يعلم

وقد تكرر بحثنا في المرأة وبيناً حاجتها الى التعليم والتربية في اماكن كثيرة من الهلال . وانما عدنا الى ذلك الآن لنلتمسهُ من مظانه . ونستحث اهل الفضل الراغبين في ترقية الامة ان يصرفوا عنايتهم الى تربية المراة وتعليمها فانك لا تجد امة راقية رقياً صحيحاً الاَّ والمراة عنوان ذلك الرقي

باب السؤال والاقتراح

الامتيازات الاجنبية

(قبيلة اولاد علي . الشرقية) شيخ العرب ابو هاشم علي قريط

ما هو اصل الامتيازات الاجنبية وتاريخها

(الهلال) ان التنازع بين الشرق والغرب قديم واقدم ما وصل الينا من اخبار تنازعها الحروب بين الفرس واليونان القدماء منذ بضعة وعشرين قرناً . ثم حمل الاسكندر على فارس ودوخها — وهو تغلب الغرب على الشرق . ثم قام النزاع بين الفرس والرومان وتوالت الحروب بينهما سجالاً . فلما ظهر الاسلام تغلب الشرق على الغرب بالفتوح الباهرة واستحكمت العداوة بين الجانبين حتى كانت الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر وما بعده وحمل الافرنج على بيت المقدس ففتحوه وظلوا فيه نحو قرن حتى اخرجهم منه صلاح الدين الايوبي وعادوا الى بلادهم ولم يعودوا الى مثلها من ذلك الحين

وانما كانوا يفدون على الشرق للاتجار او الحج الى بيت المقدس وهم في خوف على ارواحهم واموالهم من اهله فلم يكونوا يجسرون على المرور او الاقامة الا بمعاهدات تجارية بين ملوكهم وحكام الشرق . فلما ظهرت الدولة العثمانية وخفقت اعلام العثمانيين في الشرق والغرب بعد ان ابادوا دولة الروم في القسطنطينية أصبحت دول اوربا تهابهم وتتذرع الى التقرب منهم واستنجادهم على منافسها من ابناء جلدتها . وكان العثمانيون يسهلون لاهل المغرب دخول بلاد المشرق بالمعاهدات او الاوامر للاتجار او الحج ولم يكن اهل اوربا يستطيعون ذلك الا بالمعاهدات وكانت تصدر لكل دولة على حدة حسب مقتضيات السياسة



المشير ادهم باشا

القائد العثماني الشهير — بطل تساليا

ولد سنة ١٢٦٠ هـ وتوفي سنة ١٣٢٧ هـ

نكب الجيش العثماني بقائد من اكبر قواده صاحب علم النصر في حرب اليونان الاخيرة توفي بمصر في ١٧ دسمبر الماضي (٤ ذي الحجة) وكان قد جاءها للاستشفاء من داء الم بصدره فلم يمهله القضاء طويلاً ففاضت روحه في نزل كونتنتال فنقلت جثته الى قصر العيني بعد الظهر حيث حنطت ونقلت في صباح اليوم التالي الى القومسيرية العثمانية . ومنها شيعت نحو الساعة العاشرة باحتفال حربي الى محطة السكة الحديدية ومنها الى الاسكندرية حيث نقلت على الباخرة الروسية الى الاستانة . وكان الاحتفال بتشييعها في القاهرة مهيباً مشى فيه عطوفة قائمقام خديوي والامراء اصحاب الدولة محمد علي باشا وحسين كامل باشا وفؤاد باشا وابراهيم حليم باشا وحضرات النظار ودولتلو رياض باشا ورؤساء المعية زكي باشا سر تشريفاتي ورمزي باشا قومندان الركائب ووطسن باشا الياور الاول وشكري باشا مربي ولي العهد . والمستر غراهم سكرتير الوكالة البريطانية . ورجال القومسيرية العثمانية وقاضي مصر وشيخ الازهر وقائد جيش الاحتلال وغيرهم من

الوجهاء والاعيان الوطنيين والاجانب وكل ما في القاهرة من الجند المصري . وحمل نعشه على عربة مدفعية يشتمله العلم العثماني واطلقت المدافع من القلعة . واشترك في الاسف عليه كل الطبقات والاحزاب ورثاه الشعراء والكتاب

ترجمة حاله

هو ابراهيم ادهم باشا ولد في الاستانة سنة ١٢٦٠ هـ وكان ابوه جركسي الاصل وقبل البانيٌ اسمه فرهاد افندي ووالدته جركسية . تلقى صاحب الترجمة الفنون الحربية في المكتب الحربي بالاستانة واتم دروسه وهو في الثامنة عشرة فعين ياورًا بمعية المشير صفوت باشا والي الحجاز فنال معه رتبة يوزباشي سنة ١٢٨٢ وعاد الى الاستانة فرقي في السنة التالية الى رتبة بكباشي ثم الى قائمقام سنة ١٢٩٣ هـ وانتشبت الحرب بين الدولة العلية والصرب فاستبسل أدهم في ساحة الحرب واظهر مهارة وحنكة رقي بهما الى رتبة أمير ألاي

ولما انتشبت الحرب الروسية العثمانية كان أدهم في جملة قوادها فاظهر ثباتاً عظيماً وخصوصاً في حصار بلافنا وكانت تلك الحملة بقيادة المرحوم عثمان باشا الغازي فلما حكم القضاء بالتسليم لدولة الروس كان ادهم باشا آخر من سلم نفسه لهم بعد ان اصيب بقطعة من قنبلة في رأسه جرحته جرحاً بليغاً ما زال أثره باقياً الى اخر ايامه . وعرفت الدولة قدره فرقته الى رتبة اللواء وتعين في الاستانة قومنداناً لجندهـا ثم رقي الى رتبة فريق وتعين قائداً لجهة بشكطاش ولم يكن راضياً عن تصرف المابين ولا كان يستطيع التكتم فوشوا به الى السلطان السابق فنفاه الى مناستير في منصب كما نفي زميله مختار باشا لمثل ذلك السبب الى مصر

واشتغل وهو في مناستير بدرس احوال مكدونية فرفع بها تقارير بين فيها حقيقة حالها . فلم يرض اهل المابين عن ارائه في اصلاحها فنقل الى حلب ومنها الى ارمينيا واتفق في اثناء ذلك ظهور الفتنة الارمنية سنة ١٨٩٦ فانفذت الدولة جنداً لاخمادها ارادت ان تجعله بقيادة بحري باشا فاعترضت سفراء الدول والحت ان يكون أدهم قائدها لوثوقها بنزاهته ودرايته . فجعلته قائد تلك الحملة فابدى من الحزم وحسن السياسة ما اطلق اقلام السفراء بالثناء عليه واوعزوا الى الباب العالي بما كان من فضله فرقاه الى رتبة

المشيرية وعينه مفتشاً عاماً لفرق اطنه وحلب وديار بكر . وعسكر في زيتون واصيب هناك بالعلة التي رافقتهُ الى آخر ايامه • ونقل من ارمينيا الى الاستانة اقام بها ريثما صدرت الارادة بتعيينه قائداً لجند مكدونيا سنة ١٨٩٧ واتفق وهو هناك نهوض اليونان للحرب فانتدب لحربهم والناس يتوقعون النصر لهم لما كانت عليه الدولة من الاختلال وفساد النيات • لكنه احرز نصراً رفع شأنها وجعل للجند العثماني هيبة في قلوب الناس فدخل في عداد كبار القواد من ذلك الحين

حرب الدولة العلية واليونان سنة ١٨٩٧

ما زال اليونان منذ خرجوا من سيادة الدولة العلية سنة ١٨٢٧ وهم طامعون باسترجاع سابق مجدهم . وغرَّهم تضعضع الدولة في القرن الماضي فجعلوا يتحينون الفرص للوثوب بها وكان من جملة مساعيهم في هذا السبيل انهم اغتنموا غضب الدول على تركيا بسبب الحوادث الارمنية واخذوا يحرشون بكريت وهي تحت سيطرتها وهموا بضمها اليهم كما فعلوا بالامس فدارت المخابرات السياسية بين الدولتين حتى احتدم الجدال ولم يجدِ نفعاً وتوسطت الدول في اقناع اليونان بالاقلاع عن عزمهم فلم يصغوا فاخذت الدولة العثمانية تتأهب للحرب وامرت ادهم باشا في افريل سنة ١٨٩٧ وهو في مكدونية ان يحمل على اليونان من جهة البر . فسار حتى عسكر في ايلاسونا على حدود مكدونية ويقدرون جنده بتسعين الف مقاتل في ايلاسونا و٣٠ الفاً في جهات ابيروس وغيرها ويقدرون مدافعها بثلاثمئة مدفع . واجتمعت الجنود اليونانية تحت قيادة ولي عهد اليونان في لاريسا عاصمة تساليا ولكن فرقاً من الجنود اليونانية كانت تحارب في جهات ابيروس براً وبحراً وأخرى ابحرت الى خليج سالونيك (راجع الخارطة) ويقدر عددها كلها بسبعين الفاً و١٦٨ مدفعاً . والتزمت الجنود العثمانية في بادىء الرأي خطة الدفاع حتى لا تكون هي البادئة بالحرب فحدثت مناوشات بين الجيشين على الحدود — بدا ذلك في الغرب الجنوبي بخليج ارتا بين الاسطول اليوناني الراسي هناك وحامية بريفيزا فارسلت الدولة العلية بلاغاً نهائياً الى اليونان هذا نصه :

« ان سفير الدولة العلية يتشرف ان يعلم حكومة اليونان انه بناء على الاعتداء الذي ابتدأت به حكومة اليونان على حكومة السلطان العثمانية قطعت العلائق بين الحكومتين فكاتف سفير جلالة ملك اليونان في الاستانة وقناصل اليونان في جميع انحاء السلطنة ان يعودوا من حيث اتوا وامرت السفارة العثمانية في اثينا وجميع القناصل العثمانيين في

اليونان ان يعودوا الى الاستانة . ويجب على التجار اليونانيين الذين في تركيا ان يرحلوا عن الاملاك العثمانية في برهة خمسة عشر يوماً . وطلب من الرعايا العثمانيين الذين في اليونان ان يخرجوا من الاملاك اليونانية في برهة خمسة عشر يوماً ايضاً من تاريخ هذا النهار . وفوّضت حماية المصالح العثمانية في اليونان الى سفارة جلالة امبراطور المانيا » اه

فاجابتها حكومة اليونان تنكر انها البادئة في العدوان وتلقي تبعة ذلك على الدولة العثمانية وانها غير مسئولة عن عواقب الحرب . وعلى اثر هذه المفاوضات بدات الحرب بين الدولتين فزحف ادهم باشا قاصداً الحدود اليونانية وكان جنده مقسوماً الى ست فرق فرقتين منها معسكرتين في لفتوكارية وفرقة في دومنيك وفرقة في سكمبيا وفرقة في دسكانة وهي قرى صغيرة بجوار ايلاسونا فارسل كل فرقة من جهة ليلتقي بعضها في الطريق المؤدي الى لاريسا من مضيق ملونة ثم ترناو . وبعضها في مضايق أخرى ولا سبيل للدخول الى تساليا الا من هذه المضايق . والمضيق عبارة عن واد بين جبلين — فلا يخفى ما في اجتيازها من الخطر

وكانت الاخبار التي وردت عند بداية الحرب تدل على انتصار اليونان ورجوع العثمانيين عن تلك المضايق وان اليونان اجتازوا الحدود العثمانية واحتلوا قرية هناك اسمها دماسي . ثم تحقق النصر للعثمانيين فانهم ما زالوا يهاجمون اليونان ٦ ايام حتى فتحوا ماتي ثم ترناو وهي حصن منيع على الحدود اليونانية ليس بينه وبين لاريسا الاّ السهول . فراى اليونان من الحكمة اخلاء لاريسا والالتجاء الى المضايق والجبال فاخلوها في ٢٥ افريل وانسحبوا بانتظام الى فرسالا (راجع الخارطة) اما الجنود العثمانية فواصلت سيرها حتى دخلت لاريسا في ٢٦ منهُ

وكان لهذه الانتصارات دويٌ في اوربا وهاج اليونان في كل انحاء العالم وجعلوا يتقاطرون الى أثينا للالتحاق بالخدمة العسكرية دفاعاً عن وطنهم وبذل اغنياؤهم الاموال في اعانة دولتهم وعقدت حكومتهم قرضاً لتنفق على الحرب . وارادوا ان يشاغلوا العثمانيين من جهات اخرى فهاجموا خليج سالونيك وجماعات أخرى هاجمت سواحل ابيروس لكن ذلك لم يغنهم شيئاً فانهم خسروا قاعدة تساليا . واصبحت بولوس (فولو) في خطر لان الوصول اليها اصبح سهلاً بواسطة السكة الحديدية فاخذ اليونان في تحصينها . اما ادهم باشا فارسل فرقاً من جنده شرقاً وغرباً فسارت فرقة نحو تريكالا فمرت بطريقها على زركوس ففتحتها ثم سارت حتى احتلت تريكالا في ٢٨ افريل . وسارت فرقة اخرى الى فولو واخرى الى فرسالا



الحدود بين تركيا واليونان عند الحرب الاخيرة مبينة بخط منقط — فما كان وراءهُ نحو الشمال والغرب للعثمانيين وما كان في جنوبيه لليونان

ثم احتل العثمانيون فلستينو وساروا منها الى فولو فوجدوا اهلها قد اخلوها . اما من جهة ابيروس فتقهقر اليونان الى حدود وارنا . واما من جهة فرسالا فما زال الجند العثماني زاحفاً محارباً حتى هاجمها فاخلاها اليونان والتجأوا الى دوموكو وقد استبسلوا وعزموا على الدفاع الاخير . فابدوا من البسالة والثبات ما تعجز عن وصفه الاقلام ومع ذلك فلم يطل ثباتهم امام الجنود العثمانية فانهم ابلوا فيهم بلاء حسناً وكانوا يتسلقون مواقع دوموكو الحصينة تحت مطر المدافع . ونظر الاتراك في صباح اليوم الثاني فاذا دوموكو خالية الا من الجرحى والقتلى وبعض المدافع لان اليونان تخلوا عنها لما رأوه من وفرة الجنود العثمانية وعدم امكانهم مقاومتهم . فاستولى العثمانيون على دوموكو ثم على قمم اوترس ايضاً وحينئذ صدر الامر بالكف عن القتال . وقد لانت عصا اليونان واصبحوا يرضون بالصلح فتوسطت الدول فيه وانتهى بعقد معاهدة تقضي بانسحاب الجنود العثمانية عن تسالا بشروط وتسليم اسرى الحرب وان تدفع اليونان غرامة حربية مقدارها اربعة ملايين ليرة عثمانية وغير ذلك

فكان لفوز الدولة العثمانية في هذه الحرب تأثير ادبي على العالم المتمدن وزاد العثمانيون ثقة في دولتهم . واما القائد فقيد الامس فانه استرجع الى الاستانة ووضع تحت المراقبة في يلدز باسم الترقية او التقريب من السلطان . وما هو الا سجن طالما ضمَّ الاحرار الى المنافقين . فقلَّ تحدث الناس بأدهم وغيره من كبار القواد حتى اذا جاء انذار الاحرار من مناستير بطلب الدستور كان ادهم من جملة الذين اشاروا به ثم عين عضواً في مجلس الاعيان . وكان عوناً لجند شوكت في الاستيلاء على يلدز بعد حادثة ١٣ افريل وهو زيرٌ للحرية وشهد له شوكت بالاخلاص والبسالة . ويؤيد ذلك انه رغم ما حصل من تعديل الرتب العسكرية لم يمس رتبه تعديل فظل مكرماً معززاً حتى اشتدت به علة الصدر فجاء مصر للاستشفاء فلقيه حكم القضاء

وقد رثاه شوقي بك شاعر المعية بقصيدة اشار فيها الى قصيدة كان قد مدحه فيها على اثر فوزه في حرب اليونان . وهذه قصيدة الرثاء :

مصاب بني الدنيا عظيم (بأدهم)	وأعظم منه حيرة الشعر في فمي
أأنطق والانباء تترى بطيب	واسكت والانباء تترى بمؤلم
اتيتُ بغالٍ في الثناء منضد	فمن لي بغالٍ في الرثاء منظم
عسى الشعر ان يجزي جريئاً لفقده	بكى (الترك واليونان) بالدمع والدم
وكم من شجاع في العداة مكرم	وكم من جبان في الهداة مذمم

وهل نافع جري القوافي لغاية   وقد فتكت دهم المنايا (بأدهم)
رمت فأصابت خير رامٍ بها العدى   وما السهم الا للقضاء المحتم
فتى كان سيف الهند في صورة امرئ   وكان فتى الفتيان في مسك ضيغم
لحاه على الاقدام حساد مجده   وما خلق الاقبال الا لمقدم
مزعزع اجبال وغاشي معاقل   وقائد جرار ومزجي عرمرم
سلوا عنه (ميلونا) وما في شعابه   وفي ذروتيه من نسور واعظم
ليالي بات الدين في غير قبضة   وزلزل في ايمانه كل مسلم
وقال أناس اخر العهد بالملا   وهمت ظنون (بالتراث) المقسم
فاطلع للاسلام والملك كوكباً   من النصر في داج من الشك مظلم
ورحنا نباهي الشرق والغرب عزة   وكنا حديث الشامت المترحم
مفاخر للتاريخ تحصى (لادهم)   ومن يقرض التاريخ يربح ويغنم

الا ايها (الناعون) هل لبس (الصفا)   سواداً وهل غص الورود (بزمزم)
وهل اقبل الركبان ينعون (خالداً)   الى كل رامٍ (بالجمار) و (محرم)
وهل (مسجد) تتلون فيه رثاءه   فكم قد تلوتم مدحه بالترنم
افي (نزل) يودى وبين عقيلة   لعوب — ولاه في الرجال منعم
وكان اذا خاض الاسنة والظبي   تنحت الى ان يعبر الفارس الكمي
ومن يعط في هذي المنية فسحة   يعمر وان لاقى الحروب ويسلم
(علي) ابو الزهراء داهية الوغى   دهاه بباب الدار سيف (ابن ملجم)
فروق اضحكي وابكي فخاراً ولوعة   وقومي الى نعش الفقيد المعظم
كأم شهيد قد اتاها نعيه   تخفت له بين البكا والتبسم
وخطي له بين السلاطين مضجعاً   وقبراً بجنب الفاتح المتقدم
بخلت عليه في الحياة بموكب   فتوبي اليه في الممات بمأتم
ويا داء ما انصفت اذ رعت صدره   وقد كان فيه الملك ان ريع يحتمي
ويا ايها الماشون حول سريره   احطتم بتاريخ فصيح التكلم
ويا مصر من شيعت أعلى همامة   واثبت قلباً من رواسي المقطم
ويا قوم هذا من يقام لمثله   مثال لباغي قدوة متعلم
ويا بحر تدري قدر من انت حامل   ويا ارض صونيه ويا ربي ارحم

«شوقي»



الجزء الخامس من السنة الثامنة عشرة

اول فبراير (شباط) سنة ١٩١٠ و ١٩ محرم سنة ١٣٢٨



ملك البلجيك

(ولد سنة ١٨٣٥ وتولى سنة ١٨٦٥ وتوفي سنة ١٩٠٩)

نعي الملك ليوبولد الثاني ملك البلجيك في ١٧ دسمبر الماضي عن ٧٥ سنة قضى ٤٥ منها على كرسي الملك فرأينا ان نترجمه بعد ان نلم بشيء من احوال مملكته على جاري عادتنا في مثل هذه الحال

بلجيكا والبلجيكيون

فذلكة تاريخية

بلجيكا او مملكة البلجيك مثلثة الشكل واقعة في شمالي اوربا الغربي بين هولندا في الشمال والمانيا في الشرق وفرنسا في الغرب الجنوبي مساحتها ١١٣٧٣ ميلاً مربعاً اكثر

اراضيها سهلة خصبة تتخللها في بعض البقاع آكام جميلة وغابات غضة هواؤها معتدل جاف . وقد عمرت قديماً كما عمرت سواها من ممالك اوربا بأم لا يعرف عنها الأ القليل ثم سكنها السلت وفتحها يوليوس قيصر سنة ٥١ ق م ثم اكتسحها الجرمان فالافرنج فالاسبان وغنم الفرنساويون بعض ولاياتها . ثم دخلت في القرن الثامن عشر تحت سيطرة النمسا ثم ضمت الى الجمهورية الفرنساوية في اواخر القرن المذكور ثم الى هولندا في اوائل القرن التاسع عشر ولبثت كذلك حتى استقلت سنة ١٨٣٠

واقتدى البلجيكيون بالهولانديين في خوض البحار لكنهم قصروا عنهم في الاستعمار وجعلوا اعتمادهم على الصناعة والزراعة وقد نجحوا في الثانية نجاحاً عظيماً فصارت بلادهم جنة اوربا . وتكثر فيها مناجم الفحم والحديد وهي اس نجاحهم الصناعي حتى انهم يبارون الانكليز في مصنوعاتهم الحديدية فضلاً عن براعتهم في نسج الكتان والقطن والصوف فاصبحت مدنهم مراكز للتجارة والصناعة . ويغلب في البلجيكيين الكد والاجتهاد والمهارة في الزراعة والاعتداد بالنفس وتطرقت الاشتراكية الى بلادهم ولها اتباع وانصار كثيرون في المدن

وقد مرّ ببلجيكا عصور شقيت فيها مدنها وسعدت كما تشقى البلاد وتسعد . فقد كانت بروج من اعظم مدن اوربا زارها فيلب ملك برغنديا وقرينته سنة ١٣٠٠ فلما طافا فيها قالت الملكة «كنت اخالني وحدي الملكة فاذا في هذه المدينة مئات من السيدات يفضلنني حسن ملابس ووفرة غنى»

ومن اشهر مدنها الآن لِيج تصنع فيها الاسلحة والبنادق والآلات البخارية وبقربها مناجم الحديد والفحم ومنها انتورب او انفرس تقلبت بين الرخاء والعسر ادهاراً فكانت محط رحال التجار البلجيكيين والاجانب ثم انتابتها الملمات فغادرها العز والغنى حتى عادت في اواخر القرن التاسع عشر فازهرت ونمت وهي الآن في مصاف موانئ اوربا الاولى ومن امنع حصونها

وللبلجيكيين مهارة في فن البناء وبلادهم مملوءة بالمباني الفخيمة والقصور الشاهقة ومنازل الحكومة فيها على غاية من البهاء . وقد نبغ فيها كثيرون من المصورين كروبنس وفانديك وغيرهما . واخذ البلجيكيون مؤخراً يهتمون بالاستعمار والاتجار في الاصقاع النائية فلهم مستعمرة الكونغو الحرة في غربي افريقيا وهي بلاد واسعة غنية بالسهول والغابات والمعادن وسنعود الى ذكرها

عدد سكان بلجيكا الآن نحو ٧٠٠٠٠٠٠ نفس وهم اخلاط من اصول فرنساوية واصول هولندية (فلمنك) واصول جرمانية واللغات الشائعة فيها ثلاث الفرنساوية

والهولندية والجرمانية على هذه النسبة : اذا اخرجنا الاطفال الذين لا يتجاوزون السنة الثانية من العمر كان عدد الذين يتفاهمون بالفرنساوية فقط ٢ ٥٧٤ ٨١٥ نفساً يليهم ٢ ٨٢٢ ٠٠٠ نفس يتكلمون الهولندية و ٢٨ ١٣٤ يتكلمون الجرمانية غير ٨٠١ ٥٨٧ نفساً يحسنون الفرنساوية والهولندية و ٦٦ ٤٤٧ نفساً يتكلمون الفرنساوية والجرمانية و٧ ٢٣٨ يتكلمون الهولندية والجرمانية و٤٢ ٨٨٩ نفساً يتكلمون اللغات الثلاث على السواء

والمذهب الكاثوليكي سائد في بلجيكا يكاد يدين كل اهلها به وليس بينهم الا ١٠ ٠٠٠ نفس من الانجيليين ونحو ٤ ٠٠٠ من اليهود

التعليم فيها

والتعليم راق في مملكة البلجيك وفيها اربع جامعات بينها ثلاث تحتوي كل منها على اربع كليات والرابعة فيها اربع كليات كبرى . يتخرج فيها كل عام بضعة آلاف من الطلبة وفي ايديهم الشهادات او الدبلومات في الطب او الحقوق او الفلسفة او العلم او اللاهوت . ويلحق بالجامعات المذكورة عدة مدارس كبرى للهندسة والتعدين وغيرهما غير مدارس التجارة والصناعة . وفيها اكاديمية للفنون الجميلة في انفرس طلابها الف وزيادة وفيها ٨٤ مدرسة للرسم عدد تلامذتها ١٥ ٠٠٠ وفي المراصد ومدارس الموسيقى بضعة عشر الف طالب

اما المدارس الاخرى المستقلة من ابتدائية وغيرها فانها كثيرة يتجاوز عدد تلامذتها مليون وبعض المليون منها ٨٠ كلية و٦٥ مدرسة وسطى للصبيان و١٥٠ مدرسة للبنات غير المدارس الصغرى للاطفال وتبلغ الاموال التي تنفقها الحكومة على المدارس الابتدائية فقط نحو ٢ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه

ماليتها وحكومتها

اما ميزانية الحكومة على الاجمال فمجموعها نحو ٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه من الدخل ومثلها من الخرج . اكثر دخلها من السكك الحديدية فقد بلغ دخل هذه السكك لسنة ١٩٠٧ عشرة ملايين جنيه تليها اثمان الرخص ومجموعها لتلك السنة ٣ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه ثم الجمارك نحو ٢ ٠٠٠ ٠٠٠ فضرائب الاملاك نحو مليون والباقي من سائر المصادر. اما النفقات فاكثرها على السكك الحديدية والتلغرافات وبلغت لسنة ١٩٠٧ نحو ٨ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه يليها الدين العمومي ويدفع عنه كل سنة نحو ٦ ٥٠٠ ٠٠٠ جنيه

حكومتها دستورية من سنة ١٨٣١ اي السنة التالية لاستقلالها يتولى شؤونها الملك ووزراؤه ومجلس الاعيان ومجلس النواب . يأول الملك في الاسرة المالكة بالارث الى

اكبر انجال الملك الذكور وان لم يكن له اولاد ذكور فلاخوته او اولادهم

الاسرة المالكة

اول ملوك هذه الاسرة ليوبولد الأول انتدب لحكومة البلجيك بعد استقلالها سنة ١٨٣١ وكان قبل ذلك اميراً في سكس كوبرج غوتا . ثم خلفه ابنه ليوبولد الثاني الذي توفي بالامس . وكانت اسرتهُ قبل وفاته مؤلفة كما يأتي :

١ ليوبولد الثاني الملك المتوفى وكان راتبهُ ٣٥٥٠٠٠٠ فرنك

٢ ابنته البرنسس لويزا ولدت سنة ١٨٥٨ وتزوجت البرنس فيليب سكس كوبرج غوتا سنة ١٨٧٥ ثم تطلقت سنة ١٩٠٦

٣ ابنته الثانية البرنسس ستيفاني ولدت سنة ١٨٦٤ وقد تزوجت الارشيدوق رودلف ابن ملك النمسا سنة ١٨٨١ ثم ترملت سنة ١٨٨٩ وتزوجت ثانية سنة ١٩٠٠

٤ ابنته الثالثة البرنسس كليمانتين ولدت سنة ١٨٧٢

٥ ابنة اخيه البرنسس هنريت المولودة سنة ١٨٧٠

٦ « « « جوزفين « سنة ١٨٧٢

٧ ابن اخيه البرنس البرت المولود سنة ١٨٧٥ وكان ولي عهده لان الملك لم يعش له اولاد ذكور شرعيون . فلما توفي ليوبولد الثاني تولى البرنس البرت مملكة البلجيك مكانه وسمي البرت الأول وقد تزوج سنة ١٩٠٠ بالبرنسس اليصابات بافاريا فولدت لهُ البرنس ليوبولد سنة ١٩٠١ والبرنس شارل سنة ١٩٠٣ والبرنسس ماري سنة ١٩٠٦

٨ البرنسس شارلوت اخت ليوبولد الثاني

ليوبولد الثاني

نشأته الاولى

ولد سنة ١٨٣٥ اي بعد تولي ابيه الملك باربع سنوات وكانت والدته البرنسس لويزا ابنة لويس فيليب ملك فرنسا . وقد تسمى يوم عماده لويس فيليب ماري فيكتور ولما بلغ السادسة من عمره سماه ابوه دوق برابان . وتعين سنة ١٨٤٦ ضابطاً في الجيش وما زال يرتقي في الرتب العسكرية الى رتبة اللواء وبلغ رشده سنة ١٨٥٣ فتزوج هنريت ابنة الارشيدوق يوسف النمساوي

نشأ صاحب الترجمة نشيطاً هماماً كبير النفس محباً للمشاريع الكبرى ولا يزال الشيوخ الاحياء من رعاياهُ يذكرون دفاعه الحاد عن انشاء بواخر للسفر بين انفرس والشرق

وما اظهره من الرغبة في تنشيط التجارة البحرية وتوسيع دائرتها رغم ما يحول دون ذلك من موقع بلجيكا الجغرافي . وكان من علو همته ومطامعه وهو شاب سعيهُ في الأسفار البعيدة فساح سنة ١٨٥٥ مع قرينته سياحة طويلة في اوربا وجاء مصر وعرج على آسيا الصغرى . ورحل رحلة اخرى سنة ١٨٦٤ اوسع من هذه بلغ بها الى اقصى الشرق فزار سيلان والهند وسنقافورا وهونكونغ وكانتون . ولو لم يفاجئه مرض ابيه ويضطر للرجوع العاجل لأوغل في سياحته الى ما وراء ذلك . فعاد الى بلده وتوفي ابوه سنة ١٨٦٥ فخلفهُ على الملك وتسمى ليو بولد الثاني

مطامعه في توسيع سلطته — مملكة الكونغو

فلما تربع في دست الملك رأى مملكته محصورة لا يمكن توسيعها في اوربا . وكان كبير المطامع يحب التوسع في الملك والمبادرة الى السعي . وكانت قاعدة حياته من اول ملكه قوله « ينبغي ان اعمل شيئاً كبيراً » فوجه التفاته الى الخارج . واتفق في اثناء ذلك خروج ليفنستون وكمرون وستانلي وغيرهم لارتياد افريقيا . واجتذبت رحلة ستانلي سنة ١٨٧٥ في اواسط هذه القارة انظار العالم المتمدن فوقف ملوكه موقف المتعجب المبغوت ولم يتقدم منهم للعمل الا ليو بولد الثاني . فعقد سنة ١٨٧٦ مجلساً من خاصته في بروكسل للنظر في افتتاح اواسط افريقيا وادخال التمدن فيها . فلاقى اقتراحه استحساناً عظيماً فالف جمعية سماها « الجمعية الدولية المختلطة لارتياد اواسط افريقيا وتمدينها » وجعل مركزها بروكسل عاصمته وانتدب من الجمعية لجنة تحت رئاسته لمباشرة العمل . وما لبث غرض تلك الجمعية ان اصبح بلجيكياً بعد ان كان دولياً مختلطاً . ولا غرابة في ذلك لان المال الذي جمع لهذا الغرض انما جمع من البلجيكيين والرجال العمال فيه منهم ايضاً واولهم ليو بولد نفسه

وصل ستانلي الرحالة الى مرسيليا سنة ١٨٧٨ بعد ان نشر شيئاً من رحلته واكتشافه لنهر الكونغو فلم يكن اسبق من ليو بولد الى مخابرته واستقدامه اليه للاستعانة به في هذا السبيل . لم يكد ستانلي يطأ ارض مرسيليا حتى استقبله مندوبان من قبل ليو بولد يعرضان عليه استعداد الملك لما يلزم في تحقيق ذلك الاكتشاف . فتحول مشروع هذا الرحالة من البحث العلمي الى العمل السياسي . وطلبا اليه ان يشخص الى بروكسل لمقابلة الملك فشخص اليها وحظي بمقابلته وتفاوضا سراً وادت المفاوضة الى جمع ٤٠٠٠٠ جنيه تصرف في سبيل العمل على ان يكون ليو بولد رئيس شرف للجنة الساعية فيه

فسافر ستانلي حالاً حتى نزل زنجبار لاعداد ما يلزم للسفر في اواسط افريقيا . وفي مايو تألفت بعثة اوربية من اربعة بلجيكيين وثلاثة انكليز وثلاثة اميركان ودنماركيين

وفرنساوي . وغادرت زنجبار تلتمس مصب نهر الكونغو وقبل وصولها اقرت على اخراج سائر الاعضاء الاوربيين من العمل فارجعت الاموال التي اشتركوا بها على ان يبقى العمل لصاحبه الاصلي ليوبولد

ولاقى ستانلي في هذه الرحلة مشقات جسيمة بمقاومة العقبات التي اعترضتهم من كل وجه حتى تمكن سنة ١٨٨٤ من الوصول الى شلالات ستانلي وانشا هناك محطة وعقد مع بعض زعماء البلاد معاهدات تقضي بتملك ليوبولد البقاع الواقعة بين الشلالات المذكورة ومصب النهر وبين بنغالا ولولوالبرج . وهو اول حجر وضع في تأسيس مملكة الكونغو المستقلة تحت رعاية ملك البلجيك ونصبت راية جمعية الكونغو الدولية هناك واعتبرتها الولايات المتحدة حكومة سلمية . وتعين السير فرنسيس دي ونتن مديراً عاماً للعمل باسم ليوبولد وتعين بعد قليل الجنرال غوردون وكيلاً عاماً . وظن رجال السياسة ان ليوبولد لو واظب على اختيار الأكفاء من الرجال لذلك المنصب لكان مستقبل تلك المملكة غيرما صار اليه لكنه استخدم رجالاً من البلجيكيين لم ينظر في اختيارهم الاّ من جهة واحدة فاساءوا التصرف وافسدوا العمل

وكانت الدول قد تنبهت لمسألة الافريقية واصبح لكل منها مطمع في تلك الاصقاع واخذت تعقد المعاهدات بشأنها فانعقد مؤتمر دولي في برلين سنة ١٨٨٤ مؤلف من نواب ١٤ دولة في جملتها بلجيكا للنظر في مسألة التجارة الحرة في الكونغو وفي احتلالها الفعلي . وتوالت جلساته ثلاثة اشهر فاسفر عن استقلال بلاد الكونغو وان تكون تحت سيادة ملك البلجيك فاعلن هو للدول ان علاقة تلك المملكة به شخصية وانه سيبذل جهده لتحقيق الاماني في شأنها

ولكن الدول ما لبثت ان عادت الى الشكوى من حال الكونغو - والسبب في ذلك أن تلك المملكة الواسعة مساحتها ٩٥٠ ٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها بين ٢٠ و ٣٠ مليون نفس بينها قبائل في اقصى درجات الهمجية وفيهم اكلة لحوم البشر وعبدة الاحجار والاشجار

والاوثان في الكونغو اشبه شيء بالتعاويذ فعندهم لكل من العوارض الطبيعية وثن فيعبدون وثناً باسم الريح وآخر لمقاومة الرعد وآخر للاسماك وآخر ضد الاشواك التي كثيراً ما تنغرس في اخماص اقدامهم لانهم يمشون حفاة . وآخر ضد الحيوانات المفترسة ووثناً لدفع المرض عنهم وآخر لالتماس السعادة وآخر لصحة العينين وآخر لقوة الساقين وآخر لرخص الاثمان في البيع ونحو ذلك مما يحتاج اليه الانسان في احوال

معائشه . واذا اضطر احدهم الى ارتكاب ذنب يخالف ارادة احد تلك الاوثان غطى ذلك الوثن بملاءة او حصير حتى لا يراه فلا يعلم بما ارتكبه فهم لذلك لا يرون معنى للحكومة المنظمة



عبادة اهل الكونغو

وقد تفشت في تلك البلاد تجارة الرقيق تفشياً كبيراً — فكان سعي الملك ليوبولد في تحسين حالها ضرباً من العبث رغم ما انشأه من المحطات واراد نشره من النظام او القوانين. على انه جند بعض اهلها وبث المبشرين في ارجائها. وكان قد تقرر بمؤتمر عقد في بروكسل سنة ١٨٧٦ الغاء تجارة الرقيق ولما انعقد مؤتمر برلين المذكور ايد هذا القرار والح في تنفيذه ثم عقد مؤتمر آخر في بروكسل سنة ١٨٨٩ مؤلف من ١٧ دولة اعاد ذلك القرار واضاف اليه وجوب الغاء تجارة المسكرات وتداخلت سائر الدول في العمل فتحسنت الحالة نوعاً . ولكن ليوبولد لم يعجبه الوقوف عند هذا الحد بعد ما انفقه من المال في هذا السبيل فرأى ان يستغل تعبهُ فبث الأوامر السرية سنة ١٨٩١ في بعض انحاء الكونغو ان تحصر غلات الارض من العاج والكاوتشوك لنفسه . وكان قد اصدر امره سنة ١٨٨٥ ان البقاع الخالية المجاورة لمملكة الكونغو تعدُّ تابعة لها فجاز لهُ بذلك ان يضم اليه كل بلد لا يقيم فيه الناس ويزرعونه او يستغلونه . واخذ يعترض من يمرُّ به للتجارة او نحوها

ثم صارت حكومة الكونغو تؤجر تلك البقاع لمن يريد استغلالها على ان تكون لها حصة من الغلة . وامتدت سلطتها الى مسافة بعيدة وراء خط الاستواء بما يزيد على اربعة اضعاف مساحة بريطانيا العظمى وفيها بقاع خصبة بينها كثير من غابات الكاوتشوك فاصبحت هذه كلها ملكاً خصوصياً للملك ليوبولد

فاهتم العالم المتمدن بهذه الحال وتصدت انكلترا واميركا وبلجيكا وعملت على نزع سيادة الملك ليوبولد عن تلك البلاد لانها الوسيلة الوحيدة للاصلاح اذ تنجو تلك البقاع من عمال السوء الذين افسدوا البلاد باسم ذلك الملك . وكانت حكومة البلجيك قد تفطنت لاعمال ملكها الاستقلالية في تلك المملكة الواسعة فارادت ان تطلب اشتراكها بتلك المنافع باسم الامة واغتنمت حاجته الى النقود سنة ١٨٩٠ — وقد طلب عقد قرض باسمه وهو يظهر انه يفعل ذلك كله لمصلحة الامة — فاقرت على اعطائه ٢٥ مليون فرنك بشرط ان يضرب الاجل لوفائه عشر سنوات فاذا تاخر عن الوفاء ومضت ستة اشهر بعد حلول الاجل كان لحكومة البلجيك الحق بضم مملكة الكونغو الى املاكها . فقاومها الملك واقروا اخيراً ان تلك المملكة لا يجوز لها بعد الآن عقد قرض الأ بمصادقة مجلس الامة البلجيكي

ولكن الكونغو احتاجت سنة ١٨٩٥ الى المال فطلب الملك من حكومته قرضاً آخر وعلمت أنه كان قد عقد قرضاً سرياً مع بنك في انفرس فرات عند ذلك ان تغتنم هذه الفرصة فقاومها واحتج عليها وأملها ومناها وطال الامر واعترضته حوادث كثيرة يطول شرحها . حتى اذا كانت سنة ١٩٠٣ وقد اشتدت الازمة وتوالت الشكايات من تصرف عمال ليوبولد في الكونغو اهتمت الدول وفي مقدمتها انكلترا فطلبت الاصلاح بشدة فوعدبه ليوبولد وحكومته تطالبه بالتخلي عن سلطته الشخصية وضم الكونغو الى مملكته وبعد جدال طويل تنازل ليوبولد في اواخر سنة ١٩٠٨ عن سلطته وامضى معاهدة تقضي بضم مملكة الكونغو وتوابعها الى حكومة البلجيك على ان تدفع له ٠٠٠ ٠٠٠ ٥٠ فرنك في اقساط سنوية

وكان ليوبولد يحكم الكونغو بواسطة حاكم يوليه عليها يقيم في بوما يعمل باوامر الملك . وهي مقسومة الى ١٤ ولاية عاصمتها بوما يقيم فيها الحاكم العام وعلى كل ولاية مدير يسمونه كومشنر

ولم تقف همة ليوبولد عند هذا الحد من توسيع سلطته ونفوذ دولته فقد كان يجاري الدول الكبرى في مد نفوذها وسلطانها . فلما ظهرت ازمة الفرس بالامس وتسابقت روسيا وانكلترا الى الاستئثار بالنفوذ ارسل ليوبولد رجالاً من حكومته يتولون الجمارك

الفارسية وانفذ الشركات لانشاء الخطوط الحديدية في الصين وغيرها باقصى الشرق . وكان له يد في معاكسة الانكليز اثناء حربهم في جنوبي افريقيا . وقد تقدمت مملكة البلجيك فيه فتضاعف سكانها حتى شغل الميل المربع منها ٦٠٠ نفس فهي بذلك اكثر ممالك العالم ازدحاماً وزادت ثروتها الى خمسة اضعافها

صفاته واخلاقه

كان ليوبولد الثاني طويل القامة بهي الطلعة فصيح اللسان قويّ الحجة يعدُّ بمواهبه وطبائعه من الممتازين . وكان جسوراً مقداماً واسع المطامع وقد اصيب بنكبات عائلية كثيرة فمات وحيده سنة ١٨٦٩ في العاشرة من عمره وتزوجت ابنته ستيفاني سنة ١٨٨١ بالارشيدوق رودلف وحيد امبراطور النمسا فمات موتاً محزناً بعد ١٨ سنة . وتزوجت ابنته الاخرى بالبرنس فيليب سكس كوبرج غوتا ولم تسعد بزواجها . واضطر رغبة في النسل او غيره ان يعاشر غير امرأته فعاشر البارونة فوغان وولدت له ولدين اعترف بهما ثم تزوجها سرّاً على يد اسقف انفذه البابا اليه من سان جان بجنوبي فرنسا في ١٩ فبراير سنة ١٩٠٨ واعترف بذلك قبل موته

الملك البرت الحالي

اما الملك الحالي البرت الاول فانه في الخامسة والثلاثين من عمره طويل القامة رقيق البدن خفيف الشعر ازرق العينين لطيف المزاج كريم الخلق سليم النية . يعرف اليونانية واللاتينية فضلاً عن الفرنساوية والانكليزية والالمانية والهولندية وقد بذل جهده في اتقان التلفظ في هذه اللغة فاصطحب خادماً لا يعرف سواها . وله ولع بالميكانيكيات ولولم يقدَّر له ان يكون ملكاً لما احترف غير الهندسة

وقد دخل المدرسة الحربية في بروكسل وهو في الخامسة عشرة من عمره فبرع في الفنون العسكرية حتى ادهش اساتذته وعلقت الآمال بالانتفاع بمواهبه فيها . واتقن السياسة ودرس تاريخها على لامبرمون السياسي البلجيكي الشهير . وله شغف بالمسائل الاجتماعية وعناية في اصلاح احوال العمال وكان يختلف الى المعامل في بلجيكا وغيرها ويدرس احوالها ويتعاطى العمل فيها بنفسه حتى الحفر في مناجم الفحم وايقاد النار في مسابك الحديد

وهو شديد الميل الى العلم جميل العناية بتوسيع التجارة ويختلف عن عمه الملك السابق ان هذا كانت غايته القصوى اكتساب المال او السيادة اما هو فاقصى مناه اصلاح حال شعبه على الاصول الاقتصادية ولذلك فالشعب البلجيكي يرجو منه خيراً كثيراً . وقد سافر في اثناء ولاية العهد الى اميركا والكونغو وغيرها

جاوه

آثارها والعرب فيها

جاوه من جزائر الهند الشرقية التي نزلها العرب ونشروا الاسلام فيها وخلفوا فيها آثاراً واخباراً بعد ان حكموها دهراً ثم دخلت في حوزة الهولنديين ولا تزال في حوزتهم وقلما نعلم عن احوالها الا من مصادر افرنجية . وقد وقعت لنا رحلة لفاضل من وجهاء سنقافورة كتب بها الى صديق لهُ في بلده وقد وصف ما شاهده فرأينا ان نقتطف منها ما يهمّ قراء الهلال

حال العرب

وصف الرحالة اولاً سفره من سنقافورة سنة ١٣٢٦ هـ الى بتاوى اكبر مدن جاوه وذكر ما شاهده من ذل العرب فيها اذ خصصت لهم الحكومة حارات معلومة اشهرها تسمى باكوجان وهو عبارة عن بقعة منخفضة من الارض تحيط بها قناة ملآنة من الاقذار المتعفنة قد اشرعت اليها المراحيض العمومية ومن البيوت المراحيض الخصوصية . فلذلك كانت تلك الحارة قرارة الاوساخ وعش الميكروب ووطن الامراض وللعرب حارات اخرى هي مثل هذه او احسن منها قليلاً الا ان الاماكن الحسنة الصالحة لسكنى بني آدم محرم سكناها عليهم لانهم عرب الا من استثني لامر ما — قال «وقد اعدَّ لي بعض الاخوان في جاني بيتاً خاصاً يجاوره بيت قنصل جنرال الدولة العثمانية ويقابله بيت شيخ العرب الحائز رتبة (قبطان) ولا بأس ان اقول هنا ان حكومة هولندا قد تكرمت على رؤساء العرب في جاوه ومثلهم رؤساء الايسويين بامتياز خاص ترفعهم به عن مساواة ابناء جلدتهم وتلحقهم بالاوربا ويين مقابل خدمتهم مجاناً »

ثم ذكر من لقيهُ هناك من العلماء والوجهاء فقال

«وبعد ان اودعت امتعتي هناك توجهت توّاً الى بيت الاستاذ الفاضل البركة السيد عثمان بن عبد الله بن يحيى العلوي وهو شيخ عالم جليل قد تجاوز الثمانين ولم يزل ممتعاً بجميع قواه وله عند الهولنديين مقام مشير . وهو اكبر الدعاة الى الله بهذه النواحي وعنده مطبعة حجرية منذ اعشار من السنين ينشر بها ما يكتبهُ من الرسائل والمسائل والنصائح . وقد بارك الله في سنه وعلمه ونفع به فتشرفنا بالمثول لدى حضرته وتلنا من كرم

اخلاقه وحسن وفادته اكثر مما يستحقه امثالنا . والمذكور ولد ببتاوى ونشأ وتعلم بحضرموت والحجاز وله بها عائلة شريفة وفي بيته بمكة رئاسة العلويين والحضارم . وقد رحل الى المغرب الأقصى ومصر منذ اكثر من اربعين سنة وله المام حسن بعلوم وفنون كثيرة ومشاركة جيدة ولم يزل مشتغلاً بالتدريس والتعليم والافتاء منذ شبابه . وهو معروف بالنزاهة والعدالة والتقوى منذ صباه» الى ان قال «وعدنا من بيته الآهل بالاولاد والاحفاد والمستفيدين والزائرين الى المحل المعد لنا وليس ببعيد عن محله وقد وصل الينا عدد من اعيان بتاوى وتجارهم وذوي الفضل منهم وجلهم ممن سبقت لي معرفته في رحلاتي السابقه وقد ذهبت بعد ذلك الى بيوت اولئك السادات وفي ٤ الشهر (شعبان سنه ١٣٢٦) وصل الينا السيد الجليل محمد بن احمد المحضار العلوي . والمذكور ممن نزل جزيرة جاوه في بلد بسوكي اولاً ثم في بندراسه اخيراً ويعتاد التطواف كل عام في بعض انحاء الجزيرة لافادة من لايسهل عليه الوصول اليه . ويقيم شهرين او اكثر في بوقور (بوتنزورخ) وبيته هناك وحيثما حل كعبة القصاد ومورد الوراد لايزال مزدحماً بطالبي الافادة والاسعاف ولعائلته التي هو الآن كبيرها نفوذ كبير بوادي الأحقاف وبعض مخاليف اليمن ولهم هناك اتباع كثيرون يصلحون ذات بينهم»

مقبرة شربون

وذكر انتقالاته في بعض الاماكن حتى بلغ الى زيارته شربون وفيها مقبرة قديمة تستحق الذكر فقال :

« فذهبت الى مقبرتها مبكراً في ١٩ منه ولولا همة رئيس العرب وشهادته لم اتمكن من ذلك لانه محرم على من لم يكن من السادات الثابتي النسب بشهادة المعروفين لدى الحكومة وغير السدنة ان يدخلها بل يبقى في اسفل دوائرها وهي سبع دوائر كل واحدة فوق الثانية وعلى كل واحدة باب . فتزودنا تلك الشهادة كاملة الشروط ولما وصلنا ذلك المحل تلقانا جحفل من الشحاذين الذين لا رزق لهم الا من تلك الصنعة المحرمة لكسلهم . فسدُّوا علينا الطريق فافتتحناها بطائفة من النقود نفحناهم بها وترجلنا لقرب الوادي المقدس وصعدنا الجبل فاوقفنا في الدائرة السفلي ريثما ترسل الاوراق الى حامل المفاتيح السبعة . فطفنا في تلك البرهة في تلك الدائرة فاذا فيها قبور قديمة للغاربة واتباعهم من الجاويين . وعلى باب تلك القباب مرقوم هكذا ٨١٢١ ولعله ٨١٢ ويزعم السادن ان عنده تاريخاً لم يروانه قد مضى على موت ملكهم الاول المدفون في الطبقة العليا سنة ٥٥٧ هجرية . وقد رأينا جدران تلك المقبرة مزينة بقطع من الصيني وصحونه وفيها مكتوب لفظ الشهادتين ونحوها كتابة عربية تختلف جودة ورداءة

ومنقوش عليها صور كثيرة للبيوت والمساجد والمعابد مما لا يختلف عن الموجود الآن الا قليلاً . وفيها صور ادميين جاويين وعرب وصينيين ويابانيين ونحوهم عَلَى ازياء كثيرة بعضها لا يوجد الآن. وفيها صور كثير من الحيوانات و بعضها غير موجود الان بجاوه وما جاورها كالحمير والبغال . وفيها مزهريات كثيرة عليها اشياء من تلك النقوش ونحوها وكثير منها جميل جداً . وهناك زهريات وجرار لا نقش عليها ولكن يظهر عليها اثار القدم وقد سألنا السدنة هل في الامكان بيع شيء من تلك الاشياء فزعموا ان اهل القبور لا يسمحون ببيعها وانهم سريعو الانتقام ممن يستهين بشيء منها وبناء المقبرة شبيه ببناء معابد الجاويين القدماء وكفار الهنود

« وفي شربون هذه عَلَى صغرها وحقارتها ١٢٧٢ نفساً من العرب وقد بقي فيها ثلاثة رؤساء من سلالة ملوكها تدفع لهم هولاندا مشاهرة للواحد شهرياً ١٥٠٠ ربية اي ٣٠٠٠ فرنك ورجل اخر تدفع له ٢٢٠٠ ربية . وقد ابقت لهم ما يجاور تلك المقبرة من الارض يعيشون من حرثها وسلمت اليهم مفاتيح المقبرة ...... وقد صعدنا الى تلك الدوائر السبع وتاملنا ما فيها فاذا هي قبور في كل دائرة قبر احد ملوكهم وحظاياه ووزرائه واولاده وكبار مملكته . وفي السفلى منها قبر الملك الذي سلم الملك للهولنديين . وفي العليا جد العائلة . هكذا يقولون وقبور كبار القوم في قباب صغيرة مظلمة والقبور هناك كثيرة والكتابة فيها اقل ويدل ما هناك من النقوش عَلَى ان الجاويين كانوا ارقى مما هم عليه الآن بمراحل »

آثار اسلامية

ثم ذكر انتقاله الى فيكالوغن ومنها الى برابوذا وهو اكبر اثر جاوي فقال « عزمت على المسير الى برابوذا فقيل لي انه لا بد من طلب اذن خاص تقدمه للحاكم وهو يقدمه الى حكومة (جوكتيا) حتى اذا قبلت الطلب صدر لك الاذن والا فلا. فصدعت بالامر وذهبت الى المحكمة لتقديم عريضة بطلبي فافادوني ان الحصول عَلَى الجواب يحتاج الى ايام عديدة وانه لو كتب الطلب بلسان البرق لكان حصول الجواب اسرع فسارعت الى الامتثال

« وذهبت في اثناء انتظار الجواب الى سورابايا اتفرج بمشاهدها واوصيتهم اذا صدر الامر ان يرسلوه الى هناك فوصلنا سورابايا عشية ذلك النهار ولقينا بها كثيراً من الاخوان في المحطة وقد راينا فيها عمارات كثيرة مستجدة وازدحاماً وحركة في التجارة . غير ان بها عَلَى العرب تشديدات ليس لها ذكر في بتاوى . وذهبت منها الى (قرسي) وبها اثار قديمة للمسلمين منها مقبرة للمغاربة عليها كتابات عربية في المرمر عَلَى قبور سلاطينهم . وقد هدمت هولندا بعضها لظنها فيها ذهباً او فضة فلم تجد الا رمماً بالية فتركت ما بقي . وقد رايت كثيراً من قبابها قد انهدم وبعضها عَلَى وشك السقوط وكلها داثرة قد نبتت فيها الاشجار

الضخمة فصارت المقبرة اجمة ورايت على بعضها تاريخ سنة ٦١١ه وحسن نحت المرمر وجميل نقوشه والكتابات الحسنة الفائقة تدل على اقتدار في الصناعة لم يبق له اثر الان

« واهم ما بها من الآثار (ساراغ بوروغ) وهو عش طائر يشبه الخفاش يبنيه من مادة لزجة كلها خيوط كالعروق هي لعابه او شيء يجتنيه من البحر او ما يقاربه . لان ما بعد عن البحر يكون رديئاً . ويزعم الصينيون ان هذه الاعشاش اذا نزع منها زغب الطائر بالملقاط حتى لا يبقى ما تدركه المكبرة ثم طبخت واكلت كانت مفيدة لامراض جمة وانها مما يعيد القوة ولذلك تباع باثمان غالية فيساوي الرطل الانكليزي منها ٢٥ ربية او ٥٠ فرنكاً والطائر المذكور يسكن كهوفاً قد احتكرتها الحكومة فتضمنها للصينيين كل سنة بمبلغ عظيم من المال

« ونظير احسان ذلك الطاير الى من سكن عنده يسيئون اليه فلا يكتفون باخذ اوكاره بل يكسرون بيضه و يقتلون فراخه طمعاً بمحلها وهو لبلادته وبلهه لا ينفر وقد يكون ما يربحه منه بعض ارباب البيوت في السنة نحو ١٢ الف ربية او ٢٤٠٠٠ فرنك عن البيت الواحد فسبحان المانح الميسر

« وقد اقمت في (ترمي) و (سمربايا) الى غاية شعبان ثم وصلني من حكومة (جوكنيا) جواب على عريضتي التلغرافية وقد اذنت لي في الدخول فتوجهنا الى (سولوك كرتا)

امير جاوه عربي

« وهي مستقر امير جاوه المسلم المسمى بلسانهم (سونن) وهو امبراطور ملوك الجزيرة ومن سلالة العرب الذين حملوا الاسلام الى هذه الجهات . والجاويون يحترمونه احتراماً يقرب من العبادة و يطيعونه طاعة عمياء ومع دخول هولاندا وغيرها من الاوربيين الى جاوا في القرن الـ ١٧ لم يتجاسروا على مناصبته العداء ولكنهم سعوا سراً وجهراً في ايقاد نيران الفتنة بين الملوك حتى اذا فنيت قوتهم اكلوا الاضعف وقيدوا من بقي به رمق . ثم اضرموا الحرب بين ملك جوكنيا والسونن لان الاول من اقرباء السونن والجاويون يقدسون ملوكهم و يعدون ما يصيبهم منهم في العرض او في النفس او في المال قضاء وقدراً فلا يجوز تلقيه الا بالتسليم ومن أراق قطرة من الدم الملوكي اي من احد افراد العائلة المالكة او من صاهرها يجب ان يقتل هو وجميع عائلته ويحرق بيته و ينبش موضع بيته الى عمق معلوم فيرمى مع رماد البيت في البحر لئلا تهلك البلاد كلها لانتهاك حرمة الملك ..... غير انهم يجوزون الخروج مع بعض العائلة ضد البعض الآخر ولا يجوزون الخروج مع من لم يكن من تلك العائلة . ومعلوم انهم في تلك الايام قد كثروا جداً اذ تقدم ان تاريخ بعض مدافنهم المزخرفة من سنة ٦١١ هجرية ولعله قد مضى لهم قبلها وقت غير قصير تم لهم فيه الاستيلاء

عَلَى البلاد حتى زخرفوا قبورهم . ومن المعلوم ان الملك الناشيء عن الدعوة الى دين غير دين البلاد الاصلي لا يتم الا في مدة طويلة يختمر فيها التعليم ويترجم ويتلقى . ومعلوم ايضاً صعوبة مثل ذلك فيما مضى اذ لا حرية ولا مطابع ولا جرائد فكم تكون المدة الى دخول الارباو بين وكم يبلغ عدد افراد العائلة مع كثرة الجواري وتنافس اهل البلاد في تقديم حسان بناتهم لذوي الرئاسة منهم . ولسذاجة اولئك العرب اسماً والجاو بين لساناً ووطناً وجهلهم رضوا بان يكونوا آلة للغرباء فجعلوا باسهم بينهم وهدموا بيوتهم بايديهم فصارت هولندا تتودد الى هؤلاء مرة باهداء السلاح واعطاء النصائح ثم الى الفريق الآخر بمثل ذلك او بالتحذير وتأخذ منها البلاد هبة او مكافأة او اجرة شيئاً فشيئاً ثم تصلح بينهما عَلَى جعالة معلومة تشترطها ثم تحمل احدهما عَلَى النكث . وهكذا حتى اضمحلت القوة واستولت عَلَى الكنوز واتسعت دائرة حكمها فسجنت الخصمين واستعبدتهما سنة الله في الذين خلوا من قبل

اوتيت ملكاً فلم احسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلعه
ومن يكن لابساً ثوب النعيم بلا شكر عليه فعنه الله ينزعه

« ولقد اخبرني بعض المتنورين ببعض ما صح لديه من تلك الخيانات وقال لي ان كثيراً مما سطرته هولاندا في تاريخ جاوه تكذبه الرسميات الموجودة الآن في بعض الدواير الهولندية والعهدة عليه في ما قال . ولم يبق للسوسنن الا رئاسة اسمية او روحية عَلَى الفلاحين وله بعض جبايات وعنده بالاسم عساكر تحت ادارة هولندا قائمة بها عَلَى حجره في منزله . وقد اذنت لهذا في الدخول والخروج مع تشديدها عَلَى سلفه لان هذا تربى تربية هولندية بحتة وقد كان لسلفه آلاف من السراري مما زاد في افساد العقل والدين والبدن

اهرام برمبانن

« ثم قصدنا الى برمبانن وفيها معابد وثنية ضمن حظيرة واسعة مبنية على شكل هرمي من حجارة سوداء منحوتة ارتفاع احدها الآن نحو ٦٥ قدماً في اعلاه اربعة اصنام افادنا مطوفنا ان اسماءها (جوكراع) و (كوزو) و (نرادا) و (فرمودا) وهو صورة فيل . وهناك صورة ثور عظيم سموه كورمان واصنام عديدة بين صغار وكبار ونقوش على جدران حيطان تلك الاهرام تمثل بعض هيئات اهل الجزيرة في الحرب والرقص ونحو ذلك والكتابات قليلة جداً . وكثير من تلك الاصنام قد كسرت وقليلها باق . ولم يزل الى الآن بعض الجاويين يتبركون بزيارتها واحراق البخور عندها والتوسل بها والنذر لها مع انه بمساعي رئيس العرب في جوكنيا صدر الامر بنهي من يفعل ذلك ومنذ مدة غير طويلة وعينت هولندا رجلاً المانياً فيما اظن حارساً على تلك



صنم من اصنام برمبانن

الآثار وقد اقام عريشاً لشرب الشاي والاكل فجلسنا واكلنا وقد اسرنا ما لقيناه من لطف ذلك السادن ورخص اثمان مايبيع مع كمال النظافة . والساعة ٩ ضحى عدنا للمحطة فركبنا منها الى (جوكتيا) فوصلناها بعد ربع ساعة ومنها استأجرنا عربة خيل تجرها اربعة افراس وركبناها الى (برابودا) تعريبه (بوذا العظيم) الساعة ٣ قبيل العصر بعد ان مررنا بنهر في الطريق كانت عليه قنطرة ذهب بها السيل فاضطررنا الى ركوب سنبوق (قارب) للعبور وحملنا معنا الخيول والعربة الى الجانب الآخر

برابوذا

«اما برابوذا فهو بناء مربع من الحجارة على اكمة صغيرة تجاورها مروج مزروعة ارتفاع ذلك البناء ١٢ طبقة وكلها نحو ١٢٠ قدماً . وطول كل ضلع منهُ ٤٦٠ قدماً او ١٥٠ متراً . وبجوار ذلك المعبد صور كثيرة مبثوثة قد لعبت بها ايدي التكسير . وجميع جدران المعبد منقوشة بالصور النافرة المتقنة الممثلة لجميع عادات الاهالي في الافراح والمآتم والحروب والمقابلات الرسمية والمحاكمات وغير ذلك . ومنها يظهر ان كثيراً من تلك العادات لم تزل معمولاً بها كتشويه آذان النساء بخروق عظيمة موضع الحلي وكبعض هيئات الراقصات وغير ذلك . وللمعبد اربع طرق مستوية الصنعة ومستطرقة بعضها الى بعض . وطبقات البناء كل واحدة اصغر مما قبلها بممر متوسط بينهما منقوشة جدرانه بعجائب النقوش النافرة في الحجر ولذلك كان لهذا المعبد من كل جهة اثنا عشر اساساً غير ما للقبة الوسطى . وعلى اكثر الجدران صور ضمن قباب عليها حوايط فيها نوافذ ترى منها الصور وبعضها في طاقات مقابلة للخارج وفيه مجار للماء النازل من الامطار تصب من

افواه التماثيل . وقد تصدع ومال كثير من جدرانه حتى يخال انه يوشك ان ينقض .
ورايتا هناك فعلة يشتغلون بامر الحكومة في ترميم بعض ما خرب منه وهيهات ان يعاد الى
حالتهِ الاولى الا بمبالغ لا تدفعها ايدي الهولنديين . وقد اذنا العصر في قمته وصلينا في
اعلاه وذكرنا الله حيث يشرك به . ويخال لنا ان في ساحة ذلك المعبد كانت تحرق الاموات
ايام الجاهلية وكذا في برمبانن اذ لا بلد هنـاك ولم نجد من يفيدنا افادة تامة عن ذلك .
وقد توجد بالانكليزية بعض الرسائل عن ذلك المعبد لم استصحبها لجهلي تلك اللغة

كلام عمومي عن جاوه

« ويشارك الاهالي فيها جاليـة العرب الذين يبلغون في جزيرة جاوه وهندنيزرلند
اكثر من مئة الف انسان . غير الذين اندمجوا في الاهالي ونسوا جنسيتهم وتسموا باسماء
الجاويين وهم من اولاد المغاربة الأُول وكثير من اولاد من جاء بعدهم . وجل العرب اصلهم
من الحضارم الكرام الا قليلاً من غيرهم مغمور فيهم . وجل مميزاتهم العمامة فلا يسوغ لبسها
لاحد غيرهم الا من حج من الاهالي . واكثر العرب لا يفهم العربية وهم المولدون بجاوه
والذين يفهمونها جلهم اميون او يقربون من درجة الامية . واهل الذكاء والفهم والعلم فيهم
قليل اواقل من القليل فمنهم من هو حابس نفسه للعبادة كالسيد البركة عبد الله بن علي الحداد
في (باغكنيل) ومنهم من يخالط الناس ويتعاطى بعض الاسباب ويثر بذور الحكمة ولكن
من حيث لا يشار اليه ولا تقوم الحجة عليه كمولانا الفاضل السيد محمد بن عيدروس الحبشي
ومنهم ومنهم ولكنهم دون ما يجب في العدد متفرقون في البلاد وفي الجهات ولو اجتمعوا
لكان من اجتماعهم خير كبير وامر عظيم . ولا ادري الى متى يشتغل كل بخويصة نفسه فانه
ولاشك سيسأل كل احد عن عمره فيما افناه وعن علمهِ عما اوجبه ربه عليه لمن عاشره وساكنه
وما ارى التعبير الا شاملاً لا حول ولا قوة الا بالله . وان العرب المذكورين يشاركون
الاهالي في كل ما ذكرت وان كانوا ارقى منهم نسبة في الفهم والذكاء والثروة واكثر تمسكاً
بدينهم ومكارمه ولكنني اشير الى ماهم عليه فاقول يكفي انهم بهـذه الكثرة وان ثروتهم
تزيد عن مئـة مليون فرنك وليس لهم مدرسة واحدة ولا مجلة ولا جريدة ولا
شركة ذات شأن . والمشتركون منهم في الجرائد العربية يعـدون على الاصابع وهم محل
سخرية السواد الاعظم منهم بل جل معلمي كتاتيبهم لا تبلغ اجرة الواحد منهم اكثر من
اجرة سائق عربة . وحالتهم في حضرموت نفسها ليست بعيدة عما ذكرت نعم ان منهم
هنا وهناك علماء افاضل يعلمون بعض العلوم الدينية واللسانية العربية مجاناً في بيوتهم او في
المساجد ولكن هـل يكفي ذلك في هذا الزمان حاشا وكلاّ . وحيث انهم ابتدأوا قريباً
يرتبون بعض الكتاتيب ويرسلون بعضهم الى الخارج ويكثرون ذكر المدارس فانا نعدُّ هذا
بشرى واول الغناء الصفير » انتهى (سائح)

العام الهجري الجديد

سنة ١٣٢٨

وافق أول هذا العام الهجري يوم الخميس ١٣ يناير الماضي فاحتفل به المسلمون اعاده الله عليهم بالخير والهناء وقد نظمت فيه القصائد ننشر منها قصيدة حافظ افندي ابراهيم وهي :

لي فيك حين بدا سناك واشرقا ... أملٌ سألتُ الله ان يتحققا
أشرق علينا بالسعود ولا تكن ... كأخيك مشؤوم المنازل اخرقا
قد كان جراح النفوس فداوها ... مما بها وكن الطبيب موفقا
هللتُ حين لمحتُ نور جبينه ... ورجوت فيه الخير حين تألقا
وهززته بقصيدة لو انها ... تليت عَلَى الصخر الاصم لأغدقا
فنأى بجانبه وخص بنحسه ... مصراً واسرف في النحوس وأغرقا
لو كنت أعلم ما يخبئه لنا ... لسألت ربي ضارعاً ان يمحقا
اولى الاعاجم منة مذكورة ... وأعاد للأتراك ذاك الرونقا
وتغيرت فيه الخطوب بفارس ... حتى رأيت الشاه يخشى البيدقا
وأدال من عبد الحميد لشعبه ... فهوى وحاول ان يعود فاخفقا
أمسى يبالي حارساً من جندهِ ... ولقد يكون وما يبالي الفيلقا
ورمى عَلَي ارض الكنانة جرمهُ ... بالنازلات السود حتى أرهقا
حصدت مناجله غراس رجائنا ... ولو انها ابقت عليه لأورقا
فتقيدت فيه الصحافة عنوة ... ومشى الهوى بين الرعية مطلقا
واتى يساوم في القناة خديعة ... ولو انها تمت لتم بها الشقا
ان البلية ان تباع وتشترى ... مصر وما فيها وألا ننطقا
كانت تواسينا عَلَى آلامنا ... صحف اذا نزل البلاء وأطبقا
فاذا دعونا الدمع فاستعصى بكت ... عنا أسى حين نغص ونشرقا
كانت لنا يوم الشدائد أسهماً ... نرمي بها وسوابقاً يوم اللقا
كانت صماماً للنفوس اذا غلت ... فيها الهموم واوشكت ان تزهقا
كم نفست عن صدر حر واجد ... لولا الصمام من الاسى لتمزقا
ما لي انوح عَلَى الصحافة جازعاً ... ما ذا ألم بها وما ذا احدقا
قصوا حواشيها وظنوا انهم ... أمنوا صواعقها فكانت أصعقا

واتوا بحاذقهم يكيد لها بما ... يثني عزائمها فكانت احذقا

***

أهلاً بنابتة البلاد ومرحباً ... جددتمُ العهد الذي قد أُخلقا
لا تيأسوا ان تستردوا مجدكم ... فلربَّ مغلوبٍ هوى ثم ارتقى
مدّت لهُ الآمالُ من افلاكها ... خيط الرجاء الى العلي فتسلقا
فتجشموا للمجد كل عظيمة ... إني رأيت المجد صعب المرتقى
من رام وصل الشمس حاك خيوطها ... سبباً الى آماله وتعلقا
عار عَلَى ابن النيل سباق الورى ... مهما تقلب دهره ان يسبقا
أو كلما قالوا تجمع شملهم ... عبث الخلاف بجمعنا فتفرقا
فتدفقوا حججاً وحوطوا نيلكم ... فلكم افاض عليكمُ وتدفقا
حملوا علينا بالزمان وصرفهِ ... فتأنقوا في سلبنا وتأنقا
هزّوا مغاربها فهابت بأسهم ... يا ويلكم ان لم تهزوا المشرقا
فتعلموا فالعلم مفتاح العلى ... لم يُبقِ باباً للسعادة مغلقا
ثم استمدوا منهُ كل قواكم ... ان القويَّ بكل ارض يتقى
وابنوا حوالي حوضكم من يقظة ... سوراً وخطوا من حذار خندقا
وزنوا الكلام وسددوهُ فانهم ... خبأوا لكم في كل حرف مزلقا
وامشوا عَلَى حذر فان طريقكم ... وعرٌ أطاف بهِ الهلاك وحلقا
نصبوا لكم فيهِ الفخاخ وارصدوا ... للسالكين بكل فج موبقا
الموت في غشيانهِ وطروقه ... والموت كل الموت ان لا يطرقا
وتجنبوا فرص الحياة كبيرة ... وتعجلوها بالعزائم والرقى
أو فاخلقوها قادرين فانما ... فرص الحياة خليقة ان تخلقا
وتفيأوا ظل الأريكة واقصدوا ... ملكاً بأمتهِ أبرَّ وارفقا
لا زال تاج الملك فوق جبينهِ ... تحت الهلال يزين ذاك المفرقا

مصر ... حافظ ابراهيم

يلزم لادارة الهلال

يلزم لادارة الهلال الاعداد الآتية من الهلال وهي ٦ من السنة ١٥ و ٦ من السنة ١٦ و ١ و ٥ و ٨ و ٩ من السنة ١٧ فمن وجدت عنده هذه الاعداد واراد بيعها فليخابرنا بشأنها وقد نفد العدد الاول من هذه السنة ايضاً والادارة تشتريه بالثمن

حقيقة الانسان

وراء ثلاثة استار

من الامثال الشائعة « قلوب الرجال صناديق مقفلة مفاتيحها التجارب» ويريدون بقلب الرجل ضميره او حقيقته وهي اصله المشتمل عليه. ومعرفة حقيقة الرجل من الامور الهامة لاضطرار الناس الى المعاملة والمعاشرة . فاذا عرفت حقيقة عميلك او عشيرك امنت الخطرمنه . واهتم كثيرون من اهل الملاحظة والفهم بوضع القوانين لدلالة ظواهر الناس على بواطنهم فلم يبلغوا ما ارادوه الا قليلاً مما ثبت في علم الفراسة كدلالة العيون او التقاطيع على الاخلاق والمواهب ـ حتى هذه فانها غير مضطردة في دلالاتها نظراً لكثرة ما يعتورها من الطوارئ التي تبعد بين الظواهر والبواطن كما بيناه في كتابنا علم الفراسة الحديث

فحقيقة الانسان لا تزال من الغوامض التي لا يستطاع كشفها الأ بالمعاشرة الطويلة فتظهر كما هي تقريباً فيعرف الصادق من الكاذب والامين من الخائن . فيختار الانسان اصدقاءه وعملاءه ولكن بعد فوات الفرصة وضياع العمر . واكثر الناس يؤخذون بالظواهر وهي تخالف البواطن غالباً وخصوصاً في الامم التي الفت المجاملة وتعودت التملق والاحتيال . وهذا هو السبب في تكاثر الشرور . واذا أمعنت النظر في احوال الناس رأيت للانسان ثلاثة مظاهر متوارية وراء ثلاثة استار يتدرج الباحث الى استطلاع حقيقته بازاحة ستر بعد ستر فيبدو له مظهر بعد مظهر والثالث اقربها الى الحقيقة

وهي تبدأ بما يبدو من ظواهر الانسان عند اول مقابلة وهو المظهر الأول . تتلوه المحادثة والمعاشرة السطحية وهو المظهر الثاني . واخيراً ما يظهر من الانسان بعد المعاشرة الطويلة والمعاملة بالاخذ والعطاء وهو حقيقته او الاقرب الى الحقيقة على الاقل

المظهر الاول من مظاهر الانسان

اذا لقيت انساناً لا تعرفه فاول ما يبدو لك منه ظواهره الخارجية من القامة والملامح واللون واللباس فكأنك عند اول رؤيته قد ازحت الستار الاول عن حقيقته ،

وقد تدلُّ ظواهره على بواطنه فتصل الى الحقيقة من المظهر الاول وهذا نادر ومع ذلك فان كثيرينُ من الناس يعولون في احكامهم على ما يبدو لهم من النظرة الأولى . فكانهم حكموا على مجهول مختبئ وراء سترين . وقد تصح فراستهم فيفلحون او تخطىء فينالون ثمرة تعجلهم ولات ساعة مقدم

كم من شاب يقع نظره على فتاة فيفتتن بجمالها ويأخذ بظواهرها فيعجبه قوامها واحتشامها ورخامة صوتها وغير ذلك من المظاهر الجميلة فتقع من نفسه موقعاً حسناً وهو لم يزح عن حقيقتها الأ الستار الاول ولم يصبر على ازاحة السترين الباقيين . ولعله لوفعل فخاطبها وعاملها وعاشرها لتغير رأيه فيها . وقد يقع للفتاة مثل ذلك في الرجل فيتصدى لخطبتها شاب جميل الصورة رشيق القامة في وجهه مهابة وحول فمه ابتسامة وفي عينيه ذكاء وقد اتقن هندامه بحيث لا يفرق شيئاً عن افاضل الرجال واذا خوطب تلطف وتواضع وتصنع . وقد يظهر بعد كشف السترين الآخرين غير ما هو

دع الزواج بالظواهر فان للحب عملاً كبيراً فيه وعين الحب عمياء ترى في محبوبها كل الكمالات وانظر الى سائر المعاملات فانك تجد للمظهر الأول تأثيراً في اكثرها وخصوصاً بين العامة مما لا يزال باقياً من عوامل التمدن القديم يوم كان الناس يؤخذون بالظواهر . ولا يزال العامة الى الآن يؤخذون بها فينظرون في اختيار رئيسهم او معلمهم او حاكمهم الى كبر هامته وبهاء طلعته ورخامة صوته او جهوريته . وكم سمعنا من العامة من يمدح قسيسه او مطرانه بقوله انه جميل الخلقة له يد تليق بالتقبيل لبضاضتها وبياضها وان صوته رخيم يطرب السامعين . وقل منهم من يثني على ذلك الرئيس لسعة علمه او سداد رأيه . وكم كنت تجد ولا تزال تجد الى الان بين اولئك الرؤساء من لم يكن له ما يبعث على تقديمه غير شكله الظاهر واذا خبرته وجدته فارغاً — حتى العقلاء الذين ينقدون الرجال فان المظاهر الخارجية تؤثر فيهم وتعدّل في حكمهم على اصحاب تلك المظاهر. فما قولك بالعامة البسطاء ولا يخفى عليك ما قد ينجم عن ذلك من الخطر

وللانسان مظاهر معنوية غير الهندام والجمال نعني ما يتحلَّى به بعض الاغنياء أو الوجهاء من الشهرة . فاذا لقيت أحد المشاهير سبق الى ذهنك احترامه لانك كنت

تحترمه بالسمع قبل ان تراه . فلا تزال تعتقد فضله حتى ينحسر عنه الستاران الثاني والثالث فتظهر لك حقيقته وقد تكون اقل كثيراً مما تظن . ويظهر تأثير الشهرة من هذا القبيل اذا عرضت عليك قصيدة قيل لك انها من نظم المتنبي او أبي تمام مثلاً فانك تجد فيها حسنات لم تكن لتراها لو عرفت انها من نظم بعض عامة الناس وبعكس ذلك لو قرأت قصيدة لابلغ الشعراء وانت تظنها لاحد العامة فانك تجد فيها من اماكن الضعف اكثر مما لو عرفت ناظمها . وقس على ذلك سائر ماتمشى عليه من الشهرة في الانشاء او العلم أو الشجاعة أو الدهاء فان المشهورين بشيء من ذلك تقوم شهرتهم لأول وهلة مقام المظاهر الاول من اللباس أو الجمال او نحوهما . وكما تنكشف حقيقة اولئك بعد كشف الستر الثاني أو الثالث تنكشف حقيقة هؤلاء متى واليت الوقوف على ما ينظمونه أو يكتبونه

المظهر الثاني من مظاهر الانسان

قال الامام علي « تكلموا تعرفوا ان المرء مخبوء تحت لسانه » فاذا لقيت انساناً حسن البزة جميل الصورة لطيف الهندام رشيق الحركة يقع من نفسك موقعاً جميلاً ولا يزال كذلك حتى يرفع عنه الستار الثاني بالكلام وتعني به الخوض في المواضيع العمومية أو الابحاث الاجتماعية اوالسياسية او غيرها مما يفتقر الى ذكاء او معرفة . فعند ذلك اما ان يرتفع الرجل في عينيك أو ينحط او يبقى في مكانه . غير ان المنزلة التي ينالها بعد ازاحة هذا الستار لا ينالها سواه اذا كان رث الهيأة قبيح الخلقة ولو ساواه بالذكاء والفصاحة والمعرفة . لان الجمال مزية تضاف الى حسنات الرجل وتزيدها كما تزيد شهرة الكاتب في استحسان كتابته

فالمظهر الثاني من الرجل او المرأة يكون بعد المحادثة والمعاشرة وهما تظهران كثيراً من سرائر الانسان ولكنهما لا تكشفان عن حقيقته . واكثر الناس يكتفون في احكامهم على الرجل او المرأة بما يبدو لهم منهم في هذا المظهر بعد كشف الستر الثاني . وكثيراً ما يخطئون لان المحادثة والمعاشرة دون المعاملة الداخلية يعدان من جملة الظواهر الخارجية . لان في بعض الناس قوة عظيمة على التظاهر بخلاف ما هم فيه من الطبائع ولا يستطاع كشف حقيقتهم الا بعد الاختبار الطويل . ولكن الغالب في الناس ان يبنوا احكامهم

في معاملاتهم على هذين المظهرين . فاذا رأت الفتاة شاباً جميلاً حسن البزة وعلمت بالمعاشرة والمحادثة انه لطيف المعشر واسع الاطلاع وقد اتقن اداب المعاشرة ثم طلب يدها فلا ترده ولا يرده ابواها الا الذين يدققون في البحث عن دخائل الرجل بازاحة الستار الثالث . وقس على ذلك حكم الشاب على الفتاة في مثل هذه الاحوال . على ان الفتاة يعدون من حسناتها انها لا تتكلم الا قليلاً وقد يكون سكوتها من الحشمة والحياء او من العجز والجهل ولا يعرف ذلك الا بالاختبار

على ان السكوت يستر كثيراً من نقائص الرجل ويغنيه عن كثير من الاخطار ولذلك قالوا في امثالهم « السكوت من ذهب » فاذا لقيت رجلاً من اهل الوجاهة في مجتمع دارت فيه الاحاديث في مواضيع لا معرفة له بها فسكوته يبعث على توهم المعرفة فيه . وخصوصاً اذا اتقن التظاهر بفهم ما يدور وانه انما سكت تعففاً لا عجزاً . واذا كان في وجهه شيء من ملامح الهيبة والجلال والعظمة فعند ذلك يغلب على اعتقاد الحضور ان الرجل انما سكت ليترك مجالاً لسواه في البحث

المظهر الثالث

وهو حقيقة الرجل تظهر بعد ازاحة الستر الثالث بالمعاملة والمعاشرة الطويلة اذ يظهر مقدار معرفته وحقيقة اخلاقه . ولا يكشف عن تلك الحقائق في الرجال مثل الاخذ والعطاء بالبيع والشراء فيظهر صدق الرجل او كذبه وأمانته او خيانته ويقول لاعبو الورق (المقامرون) ان اللعب يكشف عن هذه الحقيقة باجلى بيان . واما سائر الاخلاق فتتكفل بكشفها العشرة العائلية . واما الاقتدار العقلي والدهاء او عكسهما فيبدو بالمعاملات العمومية وحل المسائل المعضلة . فتظهر طباع الرجل في معاشرة والديه او اخوته او زوجته فينكشف عن جوهره اذا كان حاد الطبع او واسع الصدر او ضيق العقل او سهل الخلق او كريم النفس او خسيسها او غير ذلك من الخلال التي لا تظهر بغير الاحتكاك الطويل . لان من الناس من تضرب الامثال بلطف عشرته ودماثة اخلاقه بين اصدقائه وهو عكس ذلك في منزله مع اهله . وقد يكون فظاً خشناً مع الناس لطيفاً وديعاً مع اهله . وانما حقيقته تظهر في منزله ويغلب ان يكون لما يبدو خلاف ذلك للناس اسباب طارئة

فالمظهر الثالث يراه الناس بعد ازاحة الستار الثالث فيظهر قدس الاقداس وعليه المعول في اعمال الناس . وخصوصاً في المناصب الهامة او الاعمال الكبرى فان المظهرين الاولين لا تأثير لهما ولا سيما في هذا العصر عصر الحقائق . فلا الجمال ولا حسن البزة ولا زخرف الكلام او لطف العشرة تساعد الانسان على نيل منصب سياسي او اداري او علمي وانما يصل الى ذلك بقوة عقله واستقامته وعلو همته . فقد يبلغ الرجل اعلى المراتب السياسية او العلمية وهو قبيح الخلقة الكن اللسان اذا جالسته لم تجد فيه ما يسرك وانما يظهر جوهره اذا عرضت المشاكل التي تحتاج الى اعمال الفكرة فيحل معضلاتها بذكائه ويضيء طرقها ببرهانه . فكم بين الملوك والقواد والعلماء ورجال السياسة من قباح الخلقة ضعاف العارضة وكم بين السوقة من اهل الجمال والفصاحة

ومع اعترافنا بان الاصل في الرجل حقيقته التي تظهر بعد كشف الستار الثالث فانا نرى للمظهرين الاولين تأثيراً شديداً في أحوال المعائش فان العاقل حسن الاخلاق ينال من دنياه وهو جميل الخلقة طلق اللسان حسن الاساوب اضعاف ما يناله وهو قبيح المنظر قصير اللسان . لان الناس مهما بلغ من ارتقائهم وتوخيهم الحقائق لا يزال للظواهر الخارجية تأثير على احكامهم — حتى بعد اطلاعهم على حقيقة الرجل بطول المزاولة والاختبار فان جلال طلعته ولطف هندامه وحسن بزته وفصاحة لسانه تزيده رفعة في اعينهم . ويندر ان يوفق واحد الى حسنات المظاهر الثلاثة وهو اذا وفق اليها نال ارقى المناصب وبلغ اقصى المراد . وويل لمن يبلى بسيئات تلك المظاهر اذ يكون قبيح الظواهر ضعيف البواطن فيكون من اشقى الناس حالاً . ولكن قد يسعده الحظ أو ترمقه الصدفة فيعيش متمتعاً بكل أسباب السعادة وهذا نادر — الا ان تأول اليه تلك الاسباب بالارث فاذا اقتصد في انفاقها عاش سعيداً

اللسان والفؤاد

ألم تر مفتاح الفؤاد لسانه	اذا هو ابدى ما يقول من الفم
وكائن ترى من صامت لك معجب	زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده	ولم يبق الا صورة اللحم والدم

الاحزاب الانكليزية

المحافظون والاحرار

ان الاحزاب الانكليزية في حرب الان وقد احتدم الخصام بينها وافاضت الجرائد في اخبار خطبها والانتخابات الجديدة التي تجريها فرأينا بمناسبة ذلك ان نبين تاريخ هذه الاحزاب او هو على الخصوص تاريخ حزبي المحافظين والاحرار في البرلمان الانكليزي

يشمل حزب المحافظين بالاكثر أعيان الانكليز من اللوردات ومن جاراهم وقد سموا المحافظين لان سياستهم ترمي الى المحافظة على القديم كما سيأتي . والاحرار يقولون بما تقتضيه الحريـة والحقوق الشخصية . ويرجع تاريخ هذين الحزبين الى اقدم ايام البرلمان الانكليزي . والاعيان اقدم عهداً في هذا المجلس لانهم كانوا في العهد القديم من خاصة الملك يدعوهم اليـه للمداولة او للاستشارة كما كان يفعل سائر ملوك ذلك العهد في من يثقون بهم من اعوانهم وخاصتهم — كذلك كان يفعل معظم خلفاء المسلمين في صدر الاسلام وبعده

اما الانكليز فاقدم ما يعرف من الشورى في حكومتهم لا يتجاوز القرن الثالث عشر من عهد الملك جون فكان الاشراف هم شورى الدولة وفيهم رجال الدين والاعيان . ولم يكن لطبقة العمال وغيرهم من العامة صوت . على انهم ما لبثوا ان اشتركوا في العمل وتألف منهم احد شطري مجلس الامـة الانكليزي وعرف بمجلس العموم تمييزاً له عن المجلس الاخر المعروف بمجلس الاعيان واخذ المجلسان يعملان معاً لمصلحة الامة الانكليزية وتالفت الاحزاب من بينهم و توالت الانقسامات فيهم حسب الاحوال وحسب الاغراض التي كانت تعرض للدولة او للامة

حتى اذا كانت ايام شارل الاول (من سنة ١٦٢٥ الى ١٦٤٩) وقد ظهر ما ظهر من شدته واستبداده غضبت مجالس الامة وقام النزاع بينها وبين الملك وانقسم الشعب الانكليزي معهما الى قسمين عظيمين . والسبب في انقسامه ان مجلس العموم كان يعارض الملك في اجرآته لمخالفتها مصلحة الامة فاذا طلب مالاً او امر بضريبة ثقيلة عارضوه لكنه لم يعدم نصراء من مجلس الاعيان فانحاز اليه اكثر الاشراف واهل الثروة

والاكليروس وتألف منهم حزب . وظل في الجانب الاخر المزارعون والتجار وسائر الباعة والصناع مع بعض الاشراف حزباً اخر . ودعي حزب الملك « كافالير » لانهم من اهل الفروسية وسمي الحزب الاخر « الرؤوس المستديرة » لان معظمهم كانوا من حزب البوريتان وهم جماعة البروتستان الذين جاهدوا في تنقية طقوس العبادة وكانوا يلبسون على رؤوسهم شعوراً مستديرة



اوليفر كروميل

وظهر في اثناء ذلك اوليفر كروميل القائد الانكليزي الشهير وكان من كبار حزب الشعب وقامت الحرب بين الحزبين فابلى كروميل في نصرة الشعب بلاء الابطال في مواقع كثيرة فرأسوه عليهم . وكانت الكفة الراجحة أولاً لحزب الملك لانه مؤلف من ارقى الشعب الانكليزي تثقيفاً وامهره في ركوب الخيل . ولكن حزب الامة كان اثبت في الدفاع لانه يدافع عن حياته وحريته فانتصر أخيراً وسمي الحزب الحر . على انه انقسم في اثناء ذلك الجهاد الى حزبين احدهما يقول ببقاء الملك ويكتفي بتقييد ارادته وهو حزب البرسبتيريان والآخر يقول بقلب الحكومة من الملكية الى الجمهورية وهو حزب الاحرار المستقلين . فأستأنس شارل بحزب البرسبتيريان لكن ذلك لم يغنه شيئاً فغلب على امره وسجنوه ثم قتلوه سنة ١٦٤٩ فظلت انكلترا جمهورية يتولاها مجلس مؤلف من ٤١ عضواً وكروميل رئيس جندها وهي الجمهورية الوحيدة في الدولة الانكليزية

ولم يحسن كرومويل السياسة فعاد حزب الملكية الى الظهور فاعادوا الملكية بعد ١١ سنة فولوا شارل الثاني سنة ١٦٦٠

وكانت الامة الانكليزية يومئذ حزبين حزب الملك وحزب الشعب ثم عرف الاول باسم توري (Tory) والثاني هويج (Whig) من سنة ١٦٧٩ وتعينت اغراض كل منهما فكان الهويج اي حزب الشعب يرمون الى رفع شأن الامة ومقاومة سيادة الاشراف الارثية والتوري اي الاشراف كان غرضهم المحافظة على مالهم من الامتيازات

وحصل سنة ١٦٨٨ انقلاب في الحكومة الانكليزية حرم حزب التوري من حقهم في التقرب من الملك وبلاطه الا بعض خاصتهم . وفي زمن الملكة حنة وقع خلاف بين الحزبين على اثر الحرب مع فرنسا فكان الاشراف يفضلون سياسة السلم وحزب الشعب يطلب الحرب وتقلبت الاحوال بالحزبين وتكيفا بتوالي الاعوام فاصبح حزب الشعب (الهويج) في اواخر القرن السابع عشر يشتمل بالاكثر على اصحاب الاملاك والتجار والباعة . وحزب الاشراف (توري) عبارة عن بعض التجار والاكليروس والغلبة طبعاً لحزب الشعب واصبحت الحكومة في ايديهم وضعف الملك واعوانه

وفي زمن جورج الثالث (سنة ١٧٦٠ الى ١٨٢٠) اتخذ الاعيان خطة تختلف عن الاولى واجتمعوا مع الملك وتكاتفوا على نكاية حزب الشعب وكان هؤلاء قد ضعف عزمهم واصبح الفرق الرئيسي بين الحزبين ان الاعيان يجعلون للملك الحق في انتخاب وزرائه وهو يسوس اعمالهم والحزب الآخر يرى ان يكون انتخاب الوزراء براي مجلس العموم وان لا يكون للملك سيادة عليهم . وتغلب راي هؤلاء الى اواسط القرن الثامن عشر فعاد الخصام وعين الملك سنة ١٧٧٠ اللورد نورث وزيراً للخزينة فوافق الشعب على ذلك اذعاناً للقوة ثم عمد هذا الحزب في ايام شاتام الى ادخال الاصلاح في مجلس العموم وعقب ذلك اشياء اخرى

فلما كانت الثورة الفرنساوية تغيرت المسائل لان شعوب اوربا احست بالقوة ونهضت مع الناهضين وقوي حزب الشعب في انكلترا وانتخب بعض نوابهم للوزارة سنة ١٧٩٤ وجعلوا يطلبون التوسع في سلطة الامة اقتداء بالفرنساويين وصار الاعيان يبذلون جهدهم في بقاء القديم على قدمه وعند ذلك اطلق على هؤلاء اسم حزب « المحافظين » وعلى حزب الشعب او الهويج اسم حزب « الاحرار » ولا يزالون يعرفون بهذين الاسمين الى اليوم

فالبرلمان الانكليزي الآن وهو صاحب الحل والعقد في الحكومة الانكليزية يتألف

من مجلسين الاعيان والعموم ويتألف مجلس الاعيان او اللوردة من الاشراف وهؤلاء اما ورثوا الشرف عن ابائهم اونالوه من الملك عن استحقاق وعددهم جميعاً ٦١٣ عضواً . ومجلس العموم يتألف من اعضاء ينوبون عن الامة بالانتخاب نحو ما هو جار في سائر الممالك الدستورية . والمجلسان معاً مؤلفان من احزاب اكبرهما اثنان حزب المحافظين واكثر مجلس الاعيان منهم وحزب الاحرار واكثر مجلس العموم منهم والقيامة قائمة الآن بينهما فالمحافظون يمثلون الاشراف ومن جرى مجراهم والاحرار يمثلون الشعب واهم اغراضهم اذا غلبوا ان يقللوا من نفوذ الاشراف وامتيازاتهم

الحكم العرفي والعرب

في الدولة العثمانية الدستورية

كتب الينا بعض الاصدقاء يعاتبنا لما جاء في مقالتنا « الحالة السياسية في الاستانة » في الهلال الثالث من هذه السنة من استحسان بقاء الحكم العرفي طويلاً الى ان قال « كيف يتحد الدستور مع الحكم العرفي ؟ اما استدلالكم بما جرى في فرنسا او غيرها فلا يطابق حالنا لان الارتجاعيين عندهم ظلوا يناوئون الاحرار وما برحت الحرب قائمة بين الطائفتين . اما العثمانيون فانهم مستقرون هادئون ليس فيهم من يجرد سيفاً او يدعو الى ثورة ولا سيما العرب فانهم اقرب الى الطاعة من سائر العناصر »

نعم ان العرب من اقرب الامم الى الاذعان اذا تركوا لانفسهم لان مصلحتهم ومصلحة الدولة يقضيان عليهم بالسكينة وهذا هو رأي العقلاء منهم . ولكن ما قولكم بضعاف الرأي الذين لم يبق فيهم من مفاخر العرب الا بلاغة القول نظماً أو نثراً وهم طائفة من الكتاب والشعراء الذين يرمون الكلام على عواهنه . اذا استلطفوا نكتة حماسية أو فخرية نظموها وبعثوا بها الى الصحف او نشروها على حدة . واللوم في ذلك على الناشرين لانهم يذيعون تلك الاقوال فيحملون رجال الامر والنهي في الدولة على سوء الظن في العرب . ولو نبذتها تلك الصحف لظلت في صدور اصحابها مثل كثير من الافكار السقيمة التي تخطر ببال بعض المتهوسين الذين لا ينظرون الى الحالة الحاضرة الا من حيث مصلحتهم الشخصية فاذا لم ينالوا مرادهم غضبوا ونقموا وطعنوا على الدستور واهله — فهؤلاء لا يرهبهم غير الحكم العرفي فيقتصرون عند ذلك على التهامس فيما بينهم — وتلك احدى حسنات هذا الحكم

وقد احسنت الحكومة المصرية بمراعاة جانب الحكومة العثمانية في حرمان صاحب

سربستي من نشر جريدته برخصة منها . لكنه نشرها بدون رخصة باسم احد الاجانب ولا نعلم اذا كانت دولة ذلك الاجنبي تساعده عَلَى نشرها مع مانعلمه من مجاملة الدول المتمدنة لاهل الدستور العثماني . عَلَى ان هذه الجريدة تركية اللغة او فرنساويتها فلا تأثير لها على العرب .
ولكننا نعتب عَلَى الصحف العربية الكبرى التي تنشر اقوال أُولئك المتطرفين كقصيدة نشرها المؤيد من نظم معروف الرصافي يهدد بها الاتراك بقيام العرب اذا هم لم يساووهم في كل الامور كبيرها وصغيرها . وقد ضمنها ما شاءت بلاغة الشعر من الفخر والحماس كانه النابغة في سوق عكاظ او سديف في مجلس السفاح يحرضه عَلَى قتل بني أُمية . ونحن عَلَى يقين ان مئات من امثال هذه القصيدة لا تحرك في العرب ساكناً يخشى منه . ولكن نشرها في جريدة عربية كبرى يبعث عَلَى زيادة التباعد بين العرب والترك واطالة زمن الحكم الاستبدادي . اما الحكومة الدستورية فهي ارسخ قدماً من ان تنالها اقوال الشعراء بسوء وانما هي تضر الامة التي تقال عنها — تضرُّ العرب

مضى الزمن الذي كانت قصائده تقيم وتقعد وانقضت الدولة التي كانت تقدم الشعراء وتخافهم وتحسب لاقوالهم حساباً بل هي التي كانت تجعل لاقوالهم نفوذاً لانهم كانوا يعبرون عن ارادة الخليفة . وقد يكون هو الذي يحرض الشاعر عَلَى انشادها . اما من كان يقول غير ما يعنيه ذلك الخليفة فلم يكن مصيره الا الى السجن او القتل — فشعراؤُنا اصلحهم الله يتشبهون بالاخطل وجرير في نظم الحماسة والفخر ولكن ليس لهم عبد الملك ولا الوليد يسمع ويعمل . وانما هم يجرون البلاء عَلَى الامة التي ينتسبون اليها وقد فاتهم اننا في عصر غير ذاك — نحن في عصر الدستور لاتقوم لنا قائمة بغير الاتحاد والاغضاء عن النعرة الجنسية والعصبية اللغوية التي لا يفيدنا تعلقنا بها بل هو يضرنا فيجب علينا الاغضاء عنها موقتاً حتى يستقيم أمر هذه الدولة وترسخ قدمها ثم لا يعدم أحد حقه

اتقوا الله يا قوم في دولة بعثت بعد الممات ونهضت تتوكأ وتتساند ويكاد العجز يقعدها . اسعفوها خذوا بيدها حتى تسترد قواها ثم ينال كل منكم حقه . والا فان سقوطها هذه المرة لا يعقبه قيام ابد الدهر — لا يظن الارتجاعيون او من يقول قولهم انهم اذا استطاعوا قلب الدستور تعود الدولة لهم ولسلطانهم . ولا يظن العرب او غيرهم من العناصر ممن ينازع الاتراك عَلَى السيادة انهم اذا فازوا تصير الدولة اليهم فيستأثرون بخيراتها . ان الحكومة اذا غلبت على امرها كان في غلبها تمزيق الدولة كل ممزق لا ينالها هؤُلاء ولا هؤُلاء بل هي تذهب طعمة للاجانب . فعلى الكتاب الذين يهمهم بقاؤُها ان يضعوا هذه النتيجة نصب اعينهم . فكل من يخطر له مناهضة رجال الدستور انما هو يسعى في دمار الدولة ومحوها

من الوجود ــ وهو عاجز عن ذلك باذن الله واليك البيان :

ليس الذين نسمع اصواتهم في انتقاد الحالة الحاضرة من العرب الاً بعض الكتاب او الشعراء وهؤلاء لاينوبون عن الامة ولا عن بعضها . وبعضهم لا ينوبون حتى عن انفسهم اي انهم لا يعبرون عن احساسهم بل يقولون ما يقولونه جرًّا لمغنم او انتقاماً من بعض رجال النفوذ لحزازات شخصية . ولذلك فنحن لا نخاف ان تؤدي اقوالهم الى ثورة لان العرب الذين يعنونهم باقوالهم والذين يهددون الدولة بقيامهم كقول الرصافي في قصيدته المشار اليها يخاطب الاتراك رجال الدستور :

تعالوا الى امر نساويه بيننا	وبينكم في الجل منه وفي الدق
فان يفعلوا هذا فيا مرحباً بهم	والا فيا سحق المعاند من سحق
سنطلب هذا الحق بالسيف والقنا	وشيب وشبان على ضمر بلق
بكل ابن حرب كلما شد حزمها	بعزم من السيف المهند مشتق
تراه اذا ما عبس الموت وجهه	بوجه يلاقي الموت مبتسم طلق
من العرب مطبوع الطباع على العلى	بديع معاني الحسن في الخلق والخلق

ان اولئك العرب اعقل من ان يلقوا بايديهم الى التهلكة ثم هم لا علم لهم بما يقوله هذا الشاعر او غيره ولا يعرفون من هم . ان شعراءنا يقلدون شعراء العرب بالحماسة والفخر ولكن ليس لهم ما لهؤلاء من النفوذ . كان الشاعر في الدولة العربية اذا قال قصيدة انما ينوب عن قبيلة او دولة ولا يقول متحمساً او مفتخراً الأ وهو يعلم ان قبيلته وحلفاءها يعنون ما يقوله . ويغلب ان يحرضوه على قول يقوله في قبيلة اخرى يفتح به باب النزال . فالشاعر عندهم لسان حال القبيلة او الدولة كالصحف الرسمية في ايامنا

اما شعراؤنا فانما يعبر كل منهم عن رأيه الخصوصي واذا تحمس او افتخر فانما يفتخر برم بالية واذا استنحث فهو يستحث اقواماً لا يعرفونه ولا يقرأون اقواله واكثرهم ينكرون عليه تهوره . فالصياح الذي نسمعه احياناً ضد اهل الدستور ما هو الأ صياح صحافة او شعر لا علاقة له بالامة وليست هي مسئولة عنه ولا مطالبة بتبعته ولا ضرر منه على الدستور وانما الضرر يقع على الامة العربية التي ينتسبون اليها اذ يزداد سوء الظن بها و يزيد التباعد بينها و بين العناصر الاخرى

وقد يعترض بعضهم بان الاحرار لا ينبغي لهم ان يصغوا لاقوال أولئك الافراد ويا خذوا الامة العربية بذنبهم . ونحن نقول ذلك ايضاً ولعل الاحرار العقلاء لا تخفى عليهم هذه الحقيقة ولكن قلوبهم تنفر وما هم مكلفون بالتكهن او البحث عن كل ما يقرأونه او يسمعونه

ولكن اللوم في ذلك على الصحف التي تنشر تلك الاقوال . وهي لا تستطيع نشرها في الاستانة وغيرها من الممالك العثمانية لانها مقيدة بقانون المطبوعات . ولا هي تنشر في أوربا الا بلغات اصحابها فلا تأثير لها في نفوس العرب ولا يلتفت اليها . وانما الضرر من نشرها في العربية ولا يتأتى ذلك الا في مصر . فاعداء الدستور لا يجدون وسيلة لنشر اقوالهم بين العرب الا في الصحف المصرية . وقد كان الاحرار في العهد الماضي يبثون اراءهم فيها . ولمصر فضل كبير في بث روح الحرية بين العثمانيين للمطالبة بالدستور فلا يليق بها ان يكون بين اصحابها الآن من يعكس تلك الآية

فاذا كنا ونحن تحت الحكم العرفي والسيف مسلول فوق الرقاب وفينا من يجسر على نظم القصائد المهيجة وفي صحفنا من ينشرها احتماء بالبعد عن العاصمة . فكيف اذا اطلقت الحرية ورفع السيف ؟ ان الحكم العرفي لا يخلو من الاستبداد ولكن لا غنى عنه في المحافظة على الحرية والدستور ، ولولاه لم تبق الدولة العثمانية الى اليوم ولذلك قلنا بمد اجله حتى تتحد العناصر ويذهب الخوف من دسائس الذين اضرّهم الدستور . وهؤلاء اذا كنا لا نقرأ اقوالهم الآن في الصحف ولا نسمعها على المنابر فلانهم يخافون العقاب ولكنهم لا يدخرون وسعاً في دس الدسائس وبث بذور الشقاق . ولذلك حرضنا الحكومة على مراقبتهم واقتصاص آثارهم

دع العرب والتفت الى سواهم من الامم العثمانية فان بين كتابهم من هم اشدّ وطأة على الدولة من كتّاب العرب ولكنهم مع ذلك لا يعبرون الآن عن افكارهم الخصوصية او افكار الذين ينفقون على صحفهم ولا خوف منهم الآن والحكم العرفي يهدد حياتهم ولولاه لم يعدموا من يأخذ مأخذهم من المرتزقين بالفساد والدسائس فيقومون لمحاربة الدستور باسم الحرية وتحت ظل الدفاع عن الدستور كما فعلوا قبل حادثة ١٣ افريل فيأول الامر الى ثورة هائلة — وليس عهدنا بتلك الحادثة ببعيد . وقد سلمت فيها الجرة ولكنها لا تسلم كل مرة

على ان الحكم العرفي لا يمنع الصحف ولا غيرها من انتقاد اعمال الحكومة وتقديم النصائح بالحسنى كما ينتقد الاخ اخاه في مصلحة هما مشتركان فيها فيتباحثان ويتجادلان حتى يغلب الصواب على الخطأ كما يحصل في كل الامم المتمدنة ولكننا لا نرى في صحف اولئك المعارضين (وهي قليلة بحمد الله) الا الطعن على جمعية الاتحاد والترقي والتهكم باعضائها واتهامهم بكل رذيلة ويكفي للباحث العاقل ان يقرأ عدداً من تلك الجرائد فيتبين له جلياً ان الكاتب انما يتحامل للانتقام ويرمي الكلام جزافاً لا يقدر العواقب .

فاقواله لايلتفت اليها وهي لا تلذ الاّ للغاضبين على الدستور كما يلذ الحك في الجرب

فالحكم العرفي لازم الآن لبقاء الدولة العثمانية ولا يزال لازماً حتى ينقضي الجيل الذي تشرَّب سمَّ حكومة عبد الحميد وينشأ جيل جديد تثقف بالدستور وتعلم الاتحاد والاجتماع ونبذ التعصب الديني او الجنسي . ولا يتم ذلك الا بالتعليم والتربية لترقية نفوس العامة وتهذيب اخلاقهم والحكومة عاملة على ذلك جهد طاقتها . ولكن جمعية الاتحاد والترقي خافت ان يطول انتظاره ريثما يشب الجيل الجديد فاخذت تسعى من تلقاء نفسها في تهذيب الشبان بالمواضيع الاجتماعية والاقتصادية والادبية واخذت تبث ذلك في الامة بواسطة فروعها في الاطراف بانشاء المدارس الليلية للتعليم مجاناً

هذه جمعية الاتحاد والترقي التي يطلب اعداء الدستور كفَّ يدها عن العمل وهي تتفانى في خدمة مصلحة الدولة . انها لم تكتف باعمالها في الحكومة حتى اخذت عَلَى عاتقها تهذيب الشبيبة تتعجل بذلك ترقية الامة حتى تدرك معنى الاجتماع واتحاد الكلمة فتزول المنافسة بين العناصر . وهي اكبر عقبة في سبيل الدستور . فعلى العقلاء من الامة العربية ان يتركوا اصحاب هذا الدستور يعملون كما يشاؤون لا سيما وهم الى الآن لم يرتكبوا خطاء يؤاخذون عليه ولا ظهر من اعمالهم إلا ما يدل عَلَى تفانيهم في نصرة الدستور . ولا ندعي العصمة لهم ولا هم يدعونها لانفسهم ولكننا نعتقد ان المهمة التي قاموا بها لا يتيسر لسواهم من رجال السياسة في ارقى ممالك العالم الاتيان باحسن منها . فعلى المعارضين اذا كان لديهم نصيحة اورأي ان يعرضوه بالحسنى ويباحثوا فيه مباحثة الاخ المخلص . وليدعوا النعرة الجنسية جانباً حتى تستقر الامور وترسخ قدم الدولة في الدستور وعند ذلك ينال كل عنصر حقه عَلَى مقتضى القانون الاساسي وهو يساوي العثمانيين في الحقوق والواجبات لا فرق فيه بين العربي والتركي والرومي والارمني

والواجب الأول عَلَى كتّاب الامة وشعرائها وخطبائها ان ينشروا هذه الروح في الناس ويحذروهم من اهل الدسائس حتى يحسنوا الظن في جمعية الاتحاد والترقي . ولا يضرها ان يسيئوا الظن بها بل هم يسيئون الى انفسهم للاسباب التي قدمناها . فعلى الصحف العربية واجب مقدس نحو الامة والدولة اذا غفلت عنه او عملت بخلافه فانها تسيء الى كليهما وهي المطالبة شرعاً وعرفاً بالتوفيق بين العناصر المختلفة . ولا يجوز سكوتها وتسليمها للاقدار ولا ان تقول لايعنيني بل يجب عليها ان تجاهر بالحق وتستحث الامة عَلَى الاتفاق والاذعان وهي فاعلة ان شاء الله

عدد تلامذة الجامعات العلمية

في اشهر مدن العالم سنة ١٩٠٨

مما لا يقل عدد الطلبة فيها عن الف طالب

اسم المدينة	عدد الطلبة فيها	اسم المدينة	عدد الطلبة فيها
باريس	١٦ ٩٣٥	بونس ايرس	٢ ٦٥٠
برلين	١٣ ٧٥٣	بوردو	٢ ٤٩٤
سانبطرسبورج	١٠ ٣٦٤	غلاسكو	٢ ٤٩٠
موسكو	٨ ٩٨٥	تورين	٢ ٤٥٩
فينا	٧ ٦٣٨	ستراسبورج	٢ ٢٠٧
بودابست	٦ ٩٧٤	برن	٢ ١٣٦
نابولي	٦ ٦٣٨	برشلونا	١ ٩٠٠
منشن	٦ ٣٦٠	مونبليه	١ ٧٥٢
طوكيو في اليابان	٥ ٤٠٥	منشستر	١ ٤٩٢
نيويورك	٥ ٣٧٣	لايدن	١ ٤٨٨
شاركو	٥ ٢٧٤	بوستن	١ ٤٥٠
ليبسك	٥ ٢٠٢	جنوا	١ ٣٢٥
مدريد	٥ ١٤٥	بالرمو	١ ٣٢٤
شيكاغو	٥ ٠٧٥	وشنطون	١ ٣٢٢
بخارست	٤ ٢٨٠	مانيلا في فيلبين	١ ٢٠٠
كمبردج	٤ ٠١٠	كوبنهاجن	١ ١٥٠
اكسفورد	٣٠٧٤٢	ابردين	١ ١٠٠
رومة	٣ ٥٠٤	بروكسل	١ ٠٥٠
لندن	٣ ٢٧٧	امستردام	١ ٠٤٣
كيف	٣ ٠٠٠	ديجون	١ ٠٣٥
قازان	٢ ٨٦٤	ليفربول	١ ٠١٩
أثينا	٢ ٧٩٩	دبلن	١ ٠٠٠

النظر عن بعد

ستخاطب صديقك بالتلفون وتراه

اهم اختراعات القرن العشرين

تخيل القدماء كثيراً من المشتهيات التي لم يكونوا يرجون الحصول عليها وفرضوا حصولها عَلَى ايدي الجان او السحرة و بنوا عليها اقاصيص خرافية · ومن جملة مخترعات الخيال عندهم بساط الريح وقبع الاخفاء والمرآة السحرية . فمثلوا ببساط الريح ما كانت تشتهيه انفسهم من سرعة الانتقال وكان السفر يومئذ بطيئاً على البغال او الجمال . فتصوروا بساطاً اذا جلس عليه الرجل وضربه بالقضيب وأمره ان ينقله الى بلد كذا طار به حالاً حتى ينزله بذلك البلد . وقد تحقق هذا الخيال الوهمي واصبح حقيقة ثابتة بعد اكتشاف البخار والكهربائية واستخدامهما في جر القطر ومخر السفن وادارة المناطيد . وارادوا بقبع الاخفاء قبعة يختفي لابسها عن اعين الناظرين يراهم ولا يرونه . ولم يهتد اهل هذا التمدن الى ما يقابله ولكنهم عوضوا عنه بالمخاطبة عَلَى مئات من الاميال بالتلفون مما لم يحلم به القدماء

تليفوتوغراف اي نقل الصور بالتلغراف

اما المرآة السحرية فمثلوا بها امكان رؤية الاشباح عن بعد شاسع . زعموا ان الرجل المقيم في القاهرة مثلاً اذا وجه تلك المرآة نحو الاسكندرية او بيروت او الاستانة وكان له صديق فيها رآه وراقب حركاته .. وهي امنية جميلة لا تلبث ان نبلغ مثلها بفضل ارباب الهمم من رجال الاختراع . وقد خطوا الخطوة الاولى في هذا السبيل منذ بعض سنين بنقل الصور بالتلغراف بعد ان قضوا نحو نصف قرن في التجربة والتنقيب . واول من وفق الى اتمام ذلك عَلَى يده الدكتور كورن الالماني . وقد اصبح نقل الصور الفوتوغرافية بالتلغراف من الامور السهلة الشائعة الآن

والاساس الذي بنوا عليه هذا الاختراع خاصة من خواص السلينيوم المعدن الذي اكتشفه الاستاذ برزليوس سنة ١٨١٧ وهو نادر في الطبيعة ولا يوجد فيها الا مركباً مع الكبريت ممزوجاً بالمعادن الاخرى . وقد استفردوه فوجدوه يشبه الكبريت من حيث اختلاف خصائصه وتقلبها باختلاف طرق معالجته . فيكون بعد استفراده اما صفائح شفافة

ويعدُّ عند ذلك من اشباه المعادن او يخرج قطعاً سوداء او سمراء غير شفافة تقبل التطريق ويشبه مكسرها مكسر الحديد . وهذا النوع من السلينيوم هو الذي استعانوا به عَلَى الاختراع الذي نحن في صدده

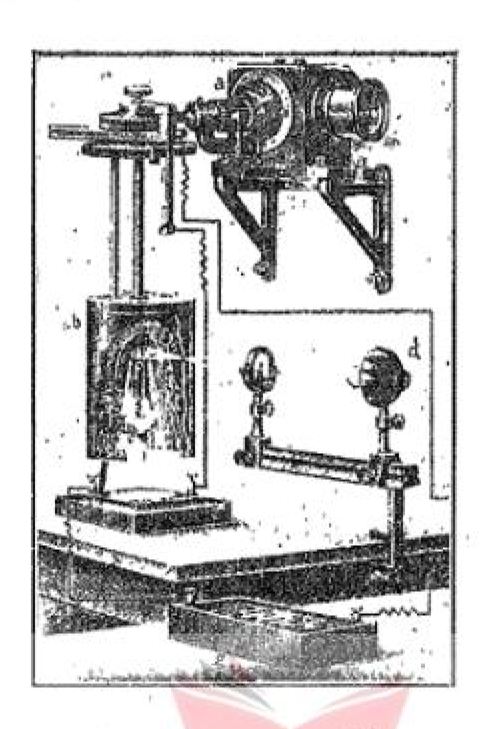
وذلك ان لهذا المعدن طبيعة خصوصية في نقل الاشعة الكهربائية يطول بنا تفصيلها وانما يهمنا منها في هذا المقام طبيعته في امتصاص أشعة النور وتحويلها الى اشعة كهربائية تسير عَلَى الاسلاك وتنتقل من بلد الى بلد كما تنتقل الكهربائية عادة عَلَى اسلاك التلغراف فاذا بلغت الى الآلة القابلة في الطرف الاخير عادت فتحولت الى نور كما كانت قبلاً . فاذا وقعت عَلَى زجاجة فوتوغرافية حساسة ارتسمت حسب الاصل المنعكسة عنه . ولا يخفى ان الصور الفوتوغرافية يختلف النور المنعكس عنها كثافة باختلاف اظلالها تبعاً لما في الشبح المنعكسة عنه من الارتفاعات والانخفاضات والالوان . فيختلف تأثير تلك الاشعة بهذه النسبة عند تحولها الى كهربائية وتنقل عَلَى السلك وتؤثر في الطرف الآخر تأثيراً يوازي كثافة تلك الاشعة . فاذا قسمنا الصورة الفوتوغرافية المراد نقلها الى اجزاء صغيرة ونقلناها جزءًا جزءًا وصل كل جزء مشابهاً في لونه وظله للاصل المنقول عنه

جعل الدكتور كورن آلة نقل الصور الفوتوغرافية بالتلغراف مؤلفة من قسمين احدهما لنقل الصورة وارسالها والآخر لاستقبالها . فيضع الصورة المراد نقلها في قسم النقل على اسطوانة ويضع الزجاجة الحساسة في الطرف الآخر عَلَى اسطوانة أخرى ويحرك الاثنين عَلَى محور بهما حركة متشابهة في الآلة (انظر الشكل الاول)

فالآلة الناقلة مؤلفة من اسطوانة زجاجية (ا) تدور على محورها وترتفع عمودياً في وقت واحد . اوهي حركة لولبية يسهل عليك تصورها اذا ادخلت لولباً (برغي) في ثقب ووجهته نحو الاعلى ثم حركته فيدور على محوره ويصعد عمودياً . والاسطوانة المذكورة محفوظة في غرفة مظلمة اسطوانية الشكل ايضاً تحيط بالزجاجة من كل ناحية على نسبة واحدة . وفي هذه الغرفة ثقب يدخل منه حبل من الاشعة مرسل من قنديل قوي يعرف بقنديل نرست (d) والصورة المراد نقلها تلف حول الاسطوانة الزجاجية

وفي باطن هذه الاسطوانة موشور من البلور يعكس الاشعة النافذة من ذلك الثقب بعد ان تجتاز الصورة فتقع عامودية نحو قاعدة الاسطوانة في الاسفل على صفيحة من السلينيوم موضوعة هناك ومتصلة بالبطارية الكهربائية (g) بسلك اعتيادي

فصفيحة السلينيوم تحول تلك الاشعة الى اشعة كهربائية تنتقل على السلك من أحد طرفي الآلة الي الطرف الآخر نقلاً متواصلاً يختلف كثافة باختلاف الاجزاء التي



ش ١ – آلة التليفوتوغراف للدكتور كورن

انعكس النور عنها في الصورة الاصلية . ويقع على الزجاجة الحساسة في الطرف الآخر بالكثافة التي انتقل بها

والآلة القابلة في الطرف الآخر تشبه الآلة الناقلة واهم اجزائها اسطوانة زجاجتها مثل زجاجة الاسطوانة الناقلة حولها غرفة مظلمة فيها ثقب . وهي تدور على محورها وعمودياً مثل تلك . وحول الزجاجة في الآلة القابلة صفيحة من الورق الحساس الذي تؤخذ عليه الصور عادة بآلة الفوتوغراف الاعتيادية . فالمجرى الكهربائي القادم على السلك من الآلة الناقلة يصل اولاً الى كلفانومتر مصنوع على كيفية يتحول بها المجرى الى اشعة تدخل الاسطوانة من الثقب فتقع على الورق الحساس وهو يدور بالاسطوانة مثل دورة الاسطوانة الناقلة فتؤثر عليه تأثيراً يختلف كثافة باختلاف الاصل المنقولة عنه فترتسم على ذلك الورق صورة كثيرة الشبه بالصورة الاصلية تعترضها اظلال خطية متوازية لان الصورة على طريقة كورن ترسل خطوطاً لا نقطاً والشكل الثاني مثال مما نقل بها

رؤية الاشباح عن بعد

ما زالت الآمال عالقة منذ وفق الباحثون الى نقل الصور بالتلغراف انهم لا يلبثون ان يحققوا قول القدماء عن المرآة السحرية ! فيتمكن الرجل في غربته ان يرى اهله في



ش ٢ - صورة منقولة بتلغوترغواف كورن

بلده . وهي الامنية التي نطق بها ابو الطيب في عرض الخيال الشعري فقال من قصيدة يمدح بها محمد بن زريق الطرسوسي :

يا من نلوذ من الزمان بظله   حقاً ونطرد باسمه ابليسا
صدق المخبر عنك دونك وصفه   من في العراق يراك في طرسوسا

وهو لم يعن ما نريده نحن من رؤية الاشباح عن بعد لان تلك الامنية لم يكن يخطر ببال احد من العقلاء الوصول اليها . وابلغ ما ذكره العرب من قوة الناس على النظر البعيد حديث زرقاء اليمامة وهم يعدونه من خوارق الطبيعة . وكنا نعده من الخرافات لو لم نوفق الى تعليله . فقد ذكروا ان زرقاء هذه رأت جيش العدو على مسافة ثلاثين ميلاً وانبأت اهلها به فلم يصدقوها ثم ظهر صدقها . وتعليل ذلك انها كانت معحدة بصرها تستكشف هذه الاشباح البعيدة من ابراج عالية يسمونها البئل علو بعضها مئة ذراع واكثر شاهد المسلمون آثارها في اليمامة بالقرن الرابع للهجرة . ولولا الارتفاع الكثير لحالت كروية الارض بينها وبين الاشباح . فاذا كانت رؤية الاشباح بالعين المجردة على ثلاثين ميلاً ممكنة فهي على مئة ميل مستحيلة ولو استعنت بالنظارة المقربة (تلسكوب) . ان التلسكوب يريك الاشباح على مئات من الاميال ولكن كروية الارض تحول دون ذلك . فهو يرينا القمر واوديته وجباله

ويعجز عن ان يرينا صديقاً لنا عَلَى بضعة اميال لما يحول بيننا وبينه من الجبال او الجدران

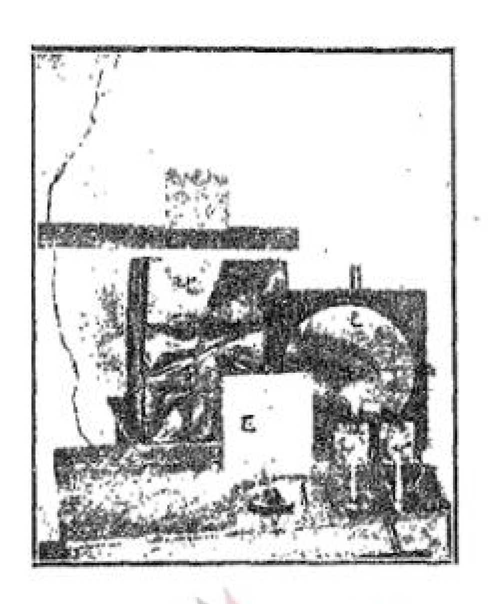
اما الاختراع الذي نرجو الوصول اليه اليوم فانه يرينا الاشباح البعيدة ونحن على اسرتنا او موائدنا داخل بيوتنا. وقد يكون الشبح في بلد آخر او قارة اخرى داخل غرفته وبيننا وبينه بحورٌ وجبال وقصور وجدران كما نتخاطب اليوم بالتلفون ونحن على هذه الابعاد. واصل المراد من السعي في هذا الاختراع ان يتمكن المتكلم بالتلفون من روءية مخاطبه في مرآة بجانب آلة التلفون فيعرفه ويكلمه وهو يرى وجهه يضحك او يومىء او غير ذلك. وقد اشتغل في هذا السبيل غير واحد من العلماء اشهرهم ارنست رومر الالماني وريتيو الفرنساوي وقد اصطنع كل منهما آلة كهربائية ويشتغل رومر بعمل آلة سينفق في اصطناعها ٢٥٠٠٠٠ جنيه وسيعرضها في معرض بروكسل القادم



ش ٣ - لوح السليليوم

وخلاصة ما وصلوا اليه حتى الآن انهم صنعوا لوحاً موءلفاً من قطع صغيرة من السلينيوم متراصة على مساواة واحدة كانها لوح واحد. وينبغي ان تكون صغيرة جداً بحيث يجتمع منها في اللوح المصنوع لروءية رأس انسان وكتفيه نحو ١٠٠٠٠ قطعة. وكل قطعة تتصل من قفاها بسلك خاص الى البطارية الكهربائية او السلك الكهربائي الذي ستنقل الاشعة عليه الى الطرف الآخر. كأن كلاً من تلك القطع مرآة قائمة بنفسها او هي عيون ترى كل منها جزءا من الشبح ويجتمع منها جميعاً الشبح كاملا وترى في الشكل الثالث مثالا من هذا اللوح

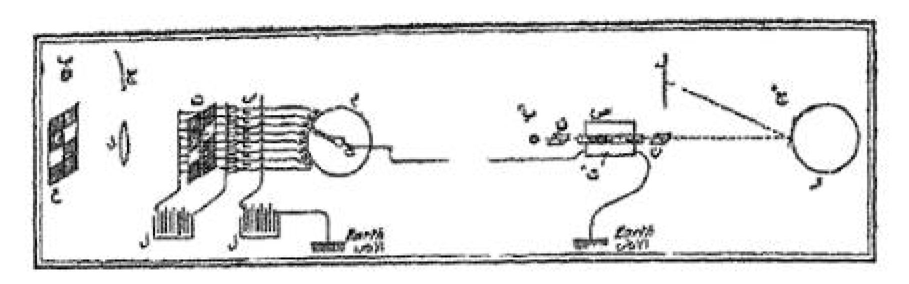
وهو يوضع بحيث تقع عليه صورة الشبح المطلوب روءيته بعد انعكاسها عن مرآة ونفوذها في عدسية محدبة كما ترى في الشكل الرابع



ش ٤ ـ كيف ينقل الشبح

فالشبح في هذا الشكل يُرمز عنه بالحرف (ج) يقع عليه النور شديداً بانعكاسه عن المرآة المقعرة (ع) وهو في الاصل مرسل من المصباحين الكهربائيين (ص وب). وبعبارة اخرى ان المصباحين المذكورين يقع نورهما على المرآة المقعرة (ع) فينعكس عنها الى الشبح المراد رؤيته (ج) فتقع صورته واضحة على العدسة المحدبة في وسط الواجهة (س) فتنفذها وتقع وراءها على اللوح الظاهر في الشكل المذكور على العارضة فوق (س) وهو مؤلف من قطع صغيرة لكل منها سلك كهربائي يستقبل اشعة النور مجزأة بعد ان تتحول الى كهربائية. ثم تجتمع الاسلاك في كرة تجمعها وتنتقل بها على السلك التلغرافي او التلفوني الى الطرف الاخر من المخابرة واليك تفصيل ذلك :

في الشكل الخامس رسم يمثل انتقال صورة الشبح من احد طرفي المخابرة حتى يصل الى الطرف الاخر فهو يحتوي على الآلة الناقلة في اليسار والقابلة في اليمين. افرض (ع) الشبح المراد رؤيته من الطرف الاخر. فالمصباح الكهربائي (ب) تقع اشعته على المرآة المقعرة (ج) فينعكس على الشبح (ع) وتنعكس عنه الى العدسة المحدبة (د) فتجتمع فيها وتنفذها الى لوح السلينيوم (ت) وهو مؤلف من قطع لكل منها سلك متصل باحدى البطاريتين (ل) ومنها الى الارض. فصورة الشبح (ع) بعد مرورها في العدسة (د) ترتسم على لوح السلينيوم (ت) كما ترتسم على زجاجة الالة الفوتوغرافية (الكامرا) والشبح المذكور فيه اظلال

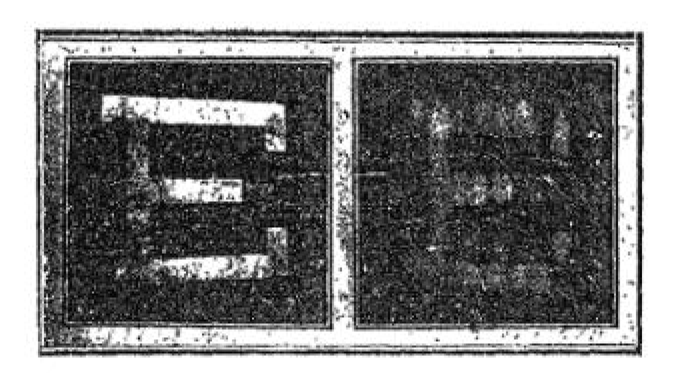


ش ٥ – كيفية انتقال الصورة بين الطرفين

اي ارتفاعات وانخفاضات قد عبر عنها في الرسم بالمربعات السوداء والبيضاء وهي قليلة جداً هنا بالقياس على كثرتها المطلوبة كما تقدم . فالاشعة المنعكسة من المربعات البيضاء تختلف قوتها عن اشعة المربعات السوداء و يكون نحو هذا الاختلاف في الاشعة المنعكسة عن وجه الانسان . فان ما ينعكس منها عن الجبهة يخالف المنعكس عن الحاجبين او العينين . وتختلف الاشعة المنعكسة عن الانف عن اشعة الوجنتين او الذقن باختلاف الالوان وتفاوت الانخفاضات والارتفاعات

فاشعة الشبح الواقعة على لوح السلينيوم يؤثر كل جزء منها حسب قوة اشعته على الجزء الذي يقع عليه من السلينيوم فتتحول الى كهربائية بنفس تلك القوة وتجري على الاسلاك (س) حتى تقع على الجامعة (م) فتجتمع وكل منها مستقل بنفسه كأنها حزمة خيوط غير مضفورة . وتنتقل على السلك التلغرافي الى البلد الآخر . فتستقبلها الآلة القابلة هنالك وفي صدرها مصباح كهربائي (بَ) وقعت اشعته على الزجاجة (ن) واستقطبت بمرورها في الانبوب (تَ) وفيه كربونات الكبريت . فالاشعة المستقطبة تؤثر على المجرى الكهربائي الآتي من ذلك الطرف (وهو عبارة عن مجموع اشعة او صور صغيرة لكل منها قوة خاصة) فتظهر كل صورة بقوتها التي اتت بها عن الشبح الاصلي وتجتمع متحاذية متلاصقة حسب اصلها فتقع على المرآة (جَ) وتنعكس عنها الى العين (ز) فتظهر للبصر . فاذا وضعنا محل العين زجاجة حساسة من زجاج الفوتوغراف ارتسمت الصورة عليها . وقد فعلوا ذلك في صورة الحرف E الافرنجي فجعلوه موضع الشبح (ع) في الآلة المرسلة فانتقل رسمه بالكيفية التي تقدمت حتى وقع في موضع العين (ز) على زجاجة حساسة فارتسم مموجاً كما تراه في الشكل السادس

والتقطع الذي تراه فيه ناتج عن قطع السلينيوم في اللوح . لان الصور التي تنقل بهذه الآلة تظهر مضطربة كأنك تنظر اليها في الماء . ولكننا نتوقع تحسين هذه الآلة



ش ٦ ـ حرف E ينظر عن بعد

بموالاة التجارب حتى تبلغ الاتقان اللازم ويرى الانسان صاحبه في تلك المرآة كما يرى وجهه في مثلها



داء الشعرة

هل هو من الامراض التي تنتقل بالعدوى

ان ماتدعوه العامة داء الشعرة علة تنحرف فيها اهداب العين من مواضعها فتتجه نحو الداخل الى الاسفل في الجفن العلوي والى الأعلى في الجفن السفلي فتلاقي قرنية العين فينتج عن ذلك وخز مؤلم يصحبه احتقان المقلة وانسكاب الدموع وكثيراً ماتكون الاهداب المنحرفة سبباً في تقرح القرنية ومن ثم فقد البصر اذا اهملت القرحة ولم يعتن الطبيب البصري بعلاجها علاجاً سريعاً فعالاً

والغرض من مقالتي هذه الجواب على سؤال تطرحه العامة على الطبيب البصري كلما ذكر داء الشعرة وهو: «هل يعد داء الشعرة من الامراض التي تنتقل بالعدوى أو بعبارة أوضح هل ينتقل بالمخالطة من المصاب الى السليم ؟»

فالجواب على ذلك ان داء الشعرة يجوز ان يعد من الامراض المعدية ويجوز ان لا يعد منها . ولا شك ان القارئ يجد هذا الجواب غريباً لاول وهلة ولكنه متى قرأ ما يلي يحكم

من حج من الخلفاء

من اول الاسلام الى الآن

عاد سمو الامير حفظه الله من حجه الميمون في ٢٥ يناير الماضي بعد ان زار الحرمين وادى فروض الحج وهو حيثما نزل موضوع الاجلال والاعجاب. فنأتي بمناسبة ذلك على ذكر من حج من الخلفاء من اول الاسلام وما كان من تاريخ ذلك:

الحج في أيام الخلفاء الراشدين

الحج واجب في الشرع الاسلامي على كل مسلم حر بالغ عاقل صحيح البنية قادر على الزاد والراحلة ونفقة عياله والمسكن الى ان يعود من سفره مع امن الطريق مرة واحدة في عمره. ومن لم تتوفر له هذه الاسباب فهو غير مكلف بالحج. فالخلفاء والملوك اقدر الناس على اداء هذا الفرض فكانوا قبل ان يحتجبوا يجعلون زيارة الحج فرضاً ولو مرة في اثناء خلافتهم. وهو موسم الحج الرسمي يسير فيه الخليفة والناس معه

فالخلفاء الراشدون لما كان كرسي خلافتهم في المدينة كانوا يجعلون الخروج في موسم الحج فرضاً كل سنة يخرج به الخليفة نفسه ومعه الصحابة وسائر الناس. واشهر تلك المواسم حج عثمان بن عفان سنة ٢٩ هـ فقد ضرب فسطاطه في منى واتم الصلاة بها وفي عرفة فانتقد الناس عليه ذلك لان العادة ان يصلى هناك ركعتين فقط - وكان ذلك اول ما تحدث الناس فيه وانتقدوه

ولما قتل عثمان وبويع الامام علي وجعل مقره الكوفة واشتغل بالحروب والفتن اخذ ينيب عنه من يحج بالناس في الموسم. فاناب سنة ٣٧ هـ عبيد الله بن عباس عامله على اليمن واناب في سنة تالية القثم بن عباس عامله على مكة

وقتل علي سنة ٤٠ هـ قبل موسم الحج وبويع ابنه الحسن والمسلمون مختلفون في طاعته اوطاعة معاوية. وكان حزب معاوية اقوى فاظهر المغيرة بن شعبة وهو احد دهاة العرب ان معاوية امره ان يحج بالناس وقالوا انه افتعل كتاباً عن لسانه لما بلغه ان معاوية جعل اخاه عتبة بن ابي سفيان والياً على الحج. وفي السنة التالية تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية وجعل هذا مقره في دمشق وقلوب اهل الحجاز ليست معه. فكان يعهد بولاية الحج أو امارة الحج الى بعض خاصته وقواده فتولاها اولاً اخوه عتبة

سنة ٤١ ثم اخوه عنبسة سنة ٤٢ ثم مروان بن الحكم سنة ٤٣ وكان عاملاً له على المدينة

الحج في الدولة الاموية

وفي سنة ٤٤ هـ حج معاوية نفسه فابتنى له مروان في المدينة مقصورة في الجامع وهي اول مرة بنيت فيه . والمقصورة حجرة تبنى في القبلة يصلي بها الخليفة . وكان معاوية قد احدثها في مسجد الشام بعد ان كاد ذلك الخارجي يفتك به كما فتك رفيقه بعلي سنة ٤٠ . ثم جعل معاوية امر الحج الى عماله واهله فتولاه مروان سنة ٤٥ وعتبة بن ابي سفيان سنة ٤٦ و٤٧ ثم مروان سنة ٤٨ وفي سنة ٥٠ عاد معاوية فحج ثانية . ثم لم يعد يحج هو نفسه . فكان يتولى الحاج عنه بعض اخوته اواهله والغالب ان يعهد بذلك الى عامل المدينة لقربه من مكة

ولما توفي معاوية سنة ٦٠ هـ انتقلت الخلافة الى ابنه يزيد فلم يجمع المسلمون على بيعته وقام غير واحد يطالبون بالخلافة اشهرهم عبدالله بن الزبير والحسين بن علي ثم قتل الحسين وظل عبدالله في الحجاز وقد التفت الاحزاب حوله . فيزيد لم يحج وهو خليفة خوفاً على نفسه لكنه حج مرة في زمن ابيه سنة ٥١ هـ وكان في اثناء خلافته يعهد الى عامله على المدينة او مكة ان يحج بالناس

واضطرب حبل بني امية عند وفاة يزيد سنة ٦٤ لاختلافهم في من يبايعون منهم وقامت الفتن في الشام بسبب ذلك . ثم افضت الخلافة الى عبد الملك سنة ٦٥ وكان ابن الزبير قد عظم امره بالحجاز ولجأ الى الكعبة فاصبح هو يتولى الحج بالناس . تولاه خمس سنوات متوالية من سنة ٦٣ — ٦٧ هـ واستفحل في اثناء ذلك امر غيره من دعاة الخلافة او السيادة وادعى كل منهم الحق لنفسه ان يحج في المسلمين . فاجتمع سنة ٦٨ اربعة الوية في موسم الحج بمكة ١ لواء ابن الزبير ٢ لواء بني امية ٣ لواء محمد ابن الحنفية (ابن علي بن ابي طالب) ٤ لواء نجدة الحروري من الخوارج . اجتمعوا هناك ولم تجر بينهم حرب ولا فتنة فلما انقضى الحج عادوا الى التنازع

ثم حاصر الحجاج بن يوسف ابن الزبير في الكعبة حتى قتله سنة ٧٣ هـ فتولى هو امارة الحج تلك السنة والتي بعدها . واستتب الامر لعبد الملك ولم يبق من ينازعه الا الخوارج فتولى الحج بنفسه سنة ٧٥ فالتقى في مكة بشبيب الخارجي وهمّ شبيب ان يفتك

به لكنه لم يستطع . وخاف عبد الملك ان يعود هذا او غيره الى مثلها فكف عن الحج وعهد به الى عامله على المدينة ابان بن عثمان فتولاه خمس سنين متوالية . ثم ناب عنه به ابنه سليمان سنة وعاد الى عامل المدينة . هشام بن اسماعيل

توفي عبد الملك سنة ٨٦ ﻫ وخلفه ابنه الوليد فقضى بضع سنوات يولي موسم الحج ابن عمه عمر بن عبد العزيز وكان عاملاً له على المدينة وفي سنة ٩١ ﻫ تولى الحج الوليد نفسه وفرق في حجه اموالا وآنية من الذهب والفضة هدايا وحسنات . ثم عاد الموسم الى عمر بن عبد العزيز أو غيره من ولاة المدينة أو غيرهم وفي جملتهم ابنه كثير . وفي سنة ٩٦ ﻫ افضت الخلافة الى سليمان بن عبد الملك فحج بالناس في السنة التالية . وخلفه عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ ثم يزيد بن الوليد سنة ١٠١ وانقضت ايامه سنة ١٠٥ ولم يتول الحج احد منهما . فلما افضت الى هشام بن عبد الملك حج هو بالناس سنة ١٠٦ وقضى على كرسي الخلافة نحو عشرين سنة لم يحج فيها غيرها . وكان يتولى امارة الحج في ايامه عامل المدينة وعهد بها مرة الى ابنه سليمان ومرة الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك واخرى الى ابنه مسلمة واخرى الى ابنه يزيد . وانتهت الخلافة سنة ١٢٥ ﻫ الى الوليد بن يزيد ثم الى ابراهيم ثم الى مروان بن محمد اخر خلفاء بني امية ولم يحج أحد منهم وكان ينوب عنهم غالباً عاملهم على المدينة

الحج في الدولة العباسية

صارت الخلافة الى العباسيين سنة ١٣٢ ﻫ فاشتغل السفاح أول خلفائها عن الحج بنفسه وعهد به الى بعض أهله . لكنه عني في تسهيل الطريق الى الحرمين فضرب النارمن الكوفة الى مكة والاميال . وفي سنة وفاته عهد بالحج لاخيه المنصور فمات السفاح والمنصور في مكة فاتم حجه ورجع . وتولى الخلافة سنه ١٣٦ وصار يعهد بامارة الحج الى بعض أهله من بني العباس ولا يشترط فيهم أن يكونوا عمالاً على المدينة . وعاد هو فتولى الحج بنفسه سنة ١٤٠ ﻫ واحرم من الحيرة ولما قضى حجه زار بيت المقدس ثم حج سنتين متواليتين (١٤٧ و ١٤٨) وسنة اخرى (١٥٢) واخيراً حج حجته الاخيرة سنة ١٥٨ فتوفي في طريقه الى مكة . فكانت مدة حكمه ٢٢ سنة حج بها خمس حجات وعهد في ما بقي منها لبعض أهله وفي جملتهم ابنه المهدي

ولما انتهت الخلافة الى المهدي سنة ١٥٨ وجه عنايته الى الحرمين فحج بالناس سنة

١٦٠هـ واستصحب معه جماعة من اهل بيته فيهم ابنه الرشيد . ولما وصل مكة نزع كسوة الكعبة وكساها كسوة جديدة وقسم مالاً كثيراً في الناس . وبلغ مقدار ما انفقه في حجته هذه مبلغاً كبيراً منه ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم اتى بها من العراق و٣٠٠,٠٠٠ دينار جاءته من مصر و٢٠٠,٠٠٠ دينار من اليمن ومجموع ذلك كله بالدراهم نحو اربعين مليون درهم وهي تساوي نحو ثلاثين مليون فرنك بنقود هذه الايام . وفرق فوق هذا المال كله ١٥٠ ٠٠٠ ثوب ووسع مسجد المدينة . وأخذ معه ٥٠٠ من الانصار يكونون له حرساً بالعراق وأقطعهم وأجرى عليهم الارزاق . وقد حمل اليه بعضهم الثلج الى مكه وهو اول خليفة حمل اليه الثلج لهناك . و بعد بضع سنين امر باقامة البريد بين مكه والمدينة واليمن ببغال وابل ولم يكن هناك بريد

واراد المهدي أن يحج ثانية سنة ١٦٤ فبلغ الى العقبة واصابته الحمى فعاد وكلف أخاه صالحاً بالحج بالناس . وكان يعهد بامارة الحج في سائر سني حكمه الى بعض اهله منهم خاله يزيد بن منصور وابنه موسى الهادي وغيرهما

وتوفي المهدي سنة ١٦٩ هـ فخلفه ابنه الهادي ولم يطل حكمه فخلفه أخوه الرشيد سنة ١٧٠ وتولى الحج هذه السنة بنفسه وفرّق في الحرمين عطاء كثيراً . وكان الرشيد اكثر الخلفاء عناية في أمر الحج فحج في خلافته مراراً منها سنة ١٧٣ وأحرم فيها من بغداد أي لبس لباس الاحرام في كرسي ملكه مبالغة في التورع . وحج سنة ١٧٧ وسنة ١٧٩ . وذكروا انه مشى في هذه الحجة على قدميه من مكة الى منى ثم الى عرفات . وشهد المشاعر كلها ماشياً . وحج أيضاً سنة ١٨٣ وسنة ١٨٦ وعلق في حجته هذه كتابي ولي العهد في الكعبة . وجدد العهود على المأمون بالوفاء لاخيه الامين . وأعطى الناس ثلاثة اعطية عنه وعن ابنيه . وبلغ ما أنفقه في هذه المرة ١,٠٥٠,٠٠٠ دينار . ثم حج حجته الاخيرة سنة ١٨٨ وفرق فيها مالاً كثيراً

وكان موكب الرشيد في الخروج الى الحج لا مثيل له . فاذا حج حجّ معه مئه فقيه وابناؤهم واذا لم يستطع الخروج للحج أحج ثلثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الطاهرة . وحجت في أيامه أمه خيزران وأقامت في مكة شهراً تتصدق بالاموال . وحجت أيضاً امرأته زبيدة واحتفرت العين المعروفة باسمها . وكان اذا لم يحج هو ولى

الموسم بعض بني العباس

وخلفه الامين ثم المأمون ولم يخرج أحدهما للحج بنفسه فكان يحج بالنيابة عنهما بعض بني العباس وخصوصاً داود بن عيسى والعباس بن موسى وعبيد الله بن الحسين وابو عيسى بن الرشيد وصالح بن الرشيد . وحج المعتصم أيضا وهو ولي عهد في أيام اخيه المأمون سنة ٢٠٠ ولما أفضت الخلافة اليه لم يخرج للحج ولا خرج الواثق بعده . وغلب على الخلفاء العباسيين من ذلك الحين الحجر في قصورهم فلم يخرجوا للحج ولا لغيره . وكان يقوم مقامهم العمال أو بعض الامراء أو ابناء الخلفاء مما لا محل له هنا

حج الملوك في الدول الاخرى غير الخلفاء

وأما ما عدا الدولة العباسية فالامويون في الاندلس لم يكونوا يجسرون على القدوم الى الحجاز خوفاً من العباسيين حتى منعوا رعاياهم المسلمين عن الخروج الى الحرمين مخافة ان يقع أحد منهم في ايدي العباسيين . فلم يحج أحد منهم حتى صارت الاندلس الى ملوك الطوائف . ويقال نحو ذلك في الدولة الفاطمية بمصر فقد كان خلفاؤها يتجنبون الخروج الى الحجاز . وأما الرعية فكانوا يخرجون للحج في الموسم . وكان لعيد الاضاحي عند الفاطميين احتفال كبير . وكانوا يحتفلون بخروج الحجاج وقدومهم

على ان طريق الحج توعرت في اثناء ذلك وصار السفر فيها خطراً لاستفحال امر القرامطة حتى وثبوا بالكعبة سنة ٣١٧ هـ واقتلعوا الحجر الاسود وأخذوا كسوة البيت اقتسموها فيما بينهم فتعطل الحج مدة

ولما انتهت حكومة مصر الى الايوبيين فالسلاطين المماليك وهم على بيعة العباسيين لم يكن عليهم خوف من الخروج للحج . وأشهر من حج منهم السلطان الملك الظاهر بيبرس فانه زار الحرمين وغير طريق الحج المصري وكان الطريق قبله في صحراء عيذاب يركبون النيل من ساحل الفسطاط الى قوص بمصر العليا ثم يركبون الابل من قوص فيقطعون صحراء عيذاب الى البحر الاحمر حيث ينزلون فيه الى جدة ساحل مكة وهكذا بعودتهم الى مصر . وكانت قوافل التجار من الهند واليمن والحبشة تأتي مصر على هذا الطريق أيضاً . وكانت صحراء عيذاب إذ ذاك أمينة المسلك . وبقي طريق الحج على مثل ذلك الى السنة التي زار فيها السلطان الملك الظاهر مكة المشرفة وكساها وعمل لها مفتاحاً . فصار طريق الحج براً من ذلك الحين

اما العائلة الخديوية فاول من وطئ منها ارض الحجاز طوسون بن محمد علي خرج لمحاربة الوهابيين ثم اقتضت الحال انفاذ اخيه ابراهيم باشا لذلك . وخرج محمد علي بنفسه سنة ١٢٢٨ هـ حتى اتى جده ثم مكة فأدى فروض الحج واتم مهمته في محاربة الوهابيين فهو أول حاج من الخديويين . ثم حج بعده المغفور له سعيد باشا سنة ١٢٧٧ هـ فبرح القاهرة في ١١ رجب الى السويس ومنها الى الحرمين وعاد في ١٧ شعبان الى السويس

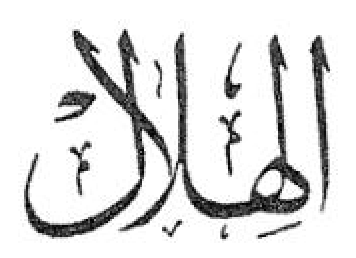
ثم حج اميرنا سمو الخديوي الحالي هذا العام فبرح القاهرة في ١٢ دسمبر سنة ١٩٠٩ وعاد اليها في ٢٥ يناير سنة ١٩١٠ فزينت له العاصمة زينة لم يسبق لها مثيل ونظمت القصائد في تهنئة سموه منها قصيدة لحافظ افندي ابراهيم هذا نصها :

منىً نلتها يا لابس المجد معلما ... أدينًا ودنيا ؟ زادك الله انعما
فلله ما أبهاك في مصر حاليا ... ولله ما اتقاك في البيت محرما
أقول وقد شاهدت ركبك مشرقًا ... وقد يمم البيت العتيق المحرما
مشت كعبة الدنيا الى كعبة الهدى ... بفيض جلال الملك والدين منهما
فياليتني اسطعت السبيل وليتني ... بلغت منى الدارين اجرًا ومغنما
وفي الركب شمس انجبت انجب الورى ... فتى الشرق مولانا الامير المعظما
تسير الى شمس الهدى في طفاوة ... من العز تحدوها الزواهر اينما
فلم ار افقًا قبل ركبك اطلعت ... جوانبه بدرًا وشمسًا وانجما
ولو انني خيرت لاخترت ان أرى ... لعيسك وحدي حاديًا مترنما
أسير خلال الركب نحو حظيرة ... عَلَى ربها صلى الاله وسلما
الى خير خلق الله من جاء ناطقا ... بآياته انجيل عيسى بن مريما
حللت بأكناف الجزيرة عابرًا ... فانضرت واديها وكنت لها سما
واشرقت في بطحاء مكة زائرًا ... فبات عليك النيل يحسد زمزما
وما ظفرت من بعد (هارون) ارضها ... بمثلك ميمون النقيبة منعما
ولا ابصر الحجاج من بعد شخصه ... عَلَى عرفات مثل شخصك محرما
رميت فسددت الجمار فلم تكن ... جمارًا عَلَى ابليس بل كن اسهما
وان الذي ترميه وقف عَلَى الردى ... وان لاذ بالافلاك يا خير من رمى
وبين الصفا والمروة ازددت عزة ... بسعيك يا عباس لله مسلما
تهرول للمولى الكريم معظماً ... وكم هرول الساعي اليك وعظما
وطفت وكم طافت بسدتك المنى ... وكم امسك الراجي بها وتحرما

ولما استلمت الركن هاجت شجونه ... فلو انه اسطاع الكلام تكلما
تذكر زين العابدين وجده ... وما كان من قول الفرزدق فيهما
فلو يستطيع الركن امسك راحة ... مسحت بها يا اكرم الناس منتما
دعوت لنا حيث الدعاء اجابة ... وانت بدعوى الله اطهرنا فما
امانيك الكبرى وهمك ان ترى ... بارجاء وادي النيل شعباً منعما
وان تبتني المجد الذي مال ركنه ... وأن ترهف السيف الذي قد تثلما
دعوت لمصر ان تسود وكم دعت ... لك الله مصر ان تعيش وتسلما
فليت ملوك المسلمين تشبهوا ... بملك اذا ما احجم الدهر اقدما
سليل ملوك يشهد الله انهم ... اقاموا عمود الدين لما تهدما
لئن بات بالمجد المؤثل مغرما ... لقد كان (ابراهيم) بالمجد مغرما
وان تام حب المكرمات فؤاده ... لقد كان (اسماعيل) فيها متيما
وان سكنت تقوى المهيمن قلبه ... فقد كان منها قلب (توفيق) مفعما
وان بات نهاضاً بمصر الى العلى ... فمن جده الاعلى (علي) تعلما
حوى ما حوى من مجدهم ونجارهم ... وزاد فاعيا المادحين وافحما
دعوا بك واستسقوا فلبى دعاءهم ... من الافق هتان من المزن قد هما
الح علي اوعارهم وسهولهم ... وحيا عبوس القفر حتى تبسما
ولما طوي بطحاء مكة هزه ... الى البيت شوق المستهام فيمما
اطاف به ثم انثني عن فنائه ... ولو عب فيه السامري لاسلما
طلعت عليهم اسعد الخلق مطلعا ... وعدت الينا ايمن الخلق مقدما
رجعت وقد داويت بالجوع فقرهم ... وكنت لهم في موسم الحج موسما
وامنت للبيت الحرام طريقه ... وكان طريق البيت من قبلها دما
ويسرته حتى استطاع ركوبه ... اخو الفقر لا يطويه جوع ولا ظما
وجدت وجادت ربة الطهر والتقى ... على العام حتى اخصب العام منكما
فلم تبقيا فوق الجزيرة بائساً ... ولم تتركا في ساحة البيت معدما
فارضيتما الديان والدين كله ... لقد رضي الديان والدين عنكما

حافظ ابراهيم

ونظم شوقي بك قصيدة في مدح النبي من ١٩٠ بيتاً تحدى بها البردة وزناً وقافية ضاق نطاق المجال عنها



الجزء السادس من السنة الثامنة عشرة

اول مارس (اذار) سنة ١٩١٠ و ١٩ صفر سنة ١٣٢٨

السلطة النيابية في الحكومة المصرية

ونطق الجناب العالي

نشرنا في الهلال الرابع من هذه السنة تاريخ السلطة النيابية في الحكومة المصرية من الديوان الخصوصي الذي شكله بونابرت سنة ١٧٩٨ الى تشكيل مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية سنة ١٨٨٣ وختمنا كلامنا بقولنا « ان هذين المجلسين لا يختلفان كثيراً عن الديوان الخصوصي المشار اليه ولكن الحكومة آخذة في توسيع اختصاصها شيئاً فشيئاً . ويؤخذ من قرائن مختلفة ان الحكومة تنوي مجاراة الامة في ذلك وان كانت لا ترى ان تقيد اعمالها بارادة مجلس الامة ولكنها اظهرت ميلها الى توسيع اختصاصه فجعلت لهُ حق استفهام النظار وسائر رؤساء الحكومة ومناقشتهم في ما يرى النواب حاجة الى استطلاعه من الاعمال الجارية . وهي خطوة كبيرة في السبيل الذي تسعى الامة المصرية فيهِ وكأن الحكومة منحت مجلس الشورى هذا الحق على سبيل التجربة حتى اذا رات منهُ فائدة منحته حقاً آخر

ولما عرضت مسألة قناة السويس التي اشرنا اليها في الهلال الثالث ووضع المستشار المالي تقريره بشأن مد اجل امتيازها اربعين سنة اخرى عدلت الحكومة المصرية في الشروط على ما يوافق مصلحة مصر في اعتبارها لكنها لم تفاوض الشركة قطعياً قبل أخذ رأي الجمعية العمومية وهي السلطة النيابية في مصر . وليس في قوانين الجمعية ولا مجلس شورى القوانين ما يوجب على الحكومة اخذ رايها في هذا الشأن لان سلطتها

محددة في المادة ٣٥ من القانون النظامي وهذا نصها « تستشار الجمعية العمومية عما يأتي (اولاً) عن كل سلفة عمومية (ثانياً) عن انشاء او ابطال اي ترعة او اي خط من خطوط السكة الحديدية ماراً ايهما في جملة المديريات (ثالثاً) عن فرز عموم اطيان القطر بتقدير درجات اموالها »

والحكومة تعرض عليها هذه المسائل على سبيل الاستشارة فاذا لم ترَ التعويل على ما ابدته الجمعية من الآراء ابدت لها الاسباب التي حملتها على ذلك. ولا يترتب على تبليغ هذه الاسباب للجمعية جواز المناقشة فيها

اما في مسألة القناة فقد خرجت فيها الحكومة عن نص القانون النظامي. ويؤخذ من النطق الخديوي الذي تلي يوم افتتاح الجمعية العمومية في ٩ فبراير الماضي ان الحكومه تنوي العمل براي الجمعية وهذا نصه :

نطق الجناب الخديوى

« أيها السادة

« نهديكم تحياتنا ونبدي لكم سرورنا من اجتماعكم في هذا اليوم

« دعوناكم لاخذ رأيكم في اتفاق يراد عقده مع شركة قناة السويس فان هذه الشركة قد عرضت على حكومتنا منذ سنة امتداد اجل امتيازها و بعد المخابرات الطويلة أمكن الوصول الى المشروع المطروح امامكم. وقد علمتم ان حكومتنا مجمعة الرأي على قبوله اذا رضيت الشركة بالتعديلات التي سبق تبليغها لحضراتكم

« فالغرض اذاً من اجتماعكم انما هو البحث فيما اذا كان من مصلحتنا مد أمد الامتياز الى ٤٠ سنة على شرط اقتسام الارباح في هذه المدة بين الحكومة والشركة مناصفة

« وفي مقابل اعطاء الشركة نصف الارباح عن المدة الجديدة تدفع للخزينة مبالغ موزعة على الستين سنة تقريباً الباقية من مدة الامتياز الحالي وقد قدر هذه القيمة بعد البحث الدقيق اشخاص من ذوي الخبرة الواسعة في الشؤون المالية وهم يرون انه اذا حصلت الموافقة على التعديلات المذكورة تكون الفائدة التي تنالها مصر موجبة لتمام الرضاء وان ذلك غاية ما يصح طلبه من الشركة

« ولا يخفى عليكم ان هذه المسألة ليست من المسائل التي يقضي القانون النظامي بأخذ رأي الجمعية العمومية فيها ولكن نظراً لاهميتها الاستثنائية بالنسبة الى الجيل الحاضر

والاجيال الآتية قرر مجلس النظار ان لا يبت فيها رأيا قبل ان يعلم ان كانت الجمعية العمومية توافق على امتداد الامتياز. ونظار حكومتنا مستعدون لاعطائكم كل ما ترونه لازماً في هذه المسألة من البيانات والايضاحات

« ونحن واثقون ان كل واحد منكم يشعر بالمسئولية التي يتحملها امام بلاده عند نظره في هذا المشروع المهم والله نسأل ان يوفقنا جميعا لما فيه خير البلاد » اه

فالنطق المذكور مع ما يمكن تأويله من نصوصه يعدُّ خطوة حسنة في سبيل السلطة النيابية في الحكومة المصرية ولا يظهر ذلك جلياً الا اذا جاء قرار الجمعية مخالفاً لرأي الحكومة في هذا الشأن

على ان الحكومة لا نظنها عمدت الى استشارة الجمعية العمومية في مسألة القناة لمجرد رغبتها في توسيع السلطة النيابية ولكنها عمدت الى ذلك رغبة في رفع التبعة عن عاتقها ولعل الشركة نفسها تفضل ان يكون تجديد الاتفاق على مدة اجل القناة باقرار الامة فضلاً عن الحكومة خوفاً مما قد يطرأ في المستقبل مما لم يكن في الحسبان

حاشية على طراز البردة

اشرنا في الهلال الماضي الى قصيدة شوقي بك التي سماها طراز البردة وقد اهداها الى سمو الخديوي . واتفق لسموه وهو مارٌّ في الزيتون انه راى زينة بديعة اقامها شوقي بك في منزله هناك وهو يسمي منزله « كرمة ابن هاني » فاستوقف سموه الركب وقال لشوقي « قد اعجبني طراز البردة كما اعجبتني هذه الزينة » فشكر شوقي ودعاه نظم في ذلك ابياتاً سماها حاشية على طراز البردة وهي :

زين الملوك الصيد مرَّ بزينتي ... كرماً وباب الله مرَّ ببابي
يا ليلة القدر التي بلغتها ... ما فيك بعد اليوم من مرتاب
ما كنت اهلاً للنوال وانما ... نفحات (احمد) فوق كل حساب
لما بلغت السؤل ليلة مدحه ... بعث الملوك يعظمون ثوابي
بدران بدر في السماء منور ... واخوه فوق الارض نور رحابي
هذا (ابن هاني) نال ما قد نلت من ... حسب تدلُّ به على الاحساب
قد كان يسعي للرشيد وبابه ... فسعى الرشيد اليه وهو ببابي

الداهومي وتوابعها

في غربي افريقيا

بقلم روحي بك الخالدي

نائب القدس الشريف في مجلس المبعوثان

بعث الينا صديقنا روحي بك الخالدي نائب القدس الشريف في مجلس المبعوثان رسالة ضافية في تاريخ مملكة الداهومي وتوابعها ووصف ملوكها وسائر احوالها نشرنا منها فصلاً في الهلال التاسع من السنة الخامسة عشرة باسمه الذي كان معروفاً به قبل اعلان الدستور « المقدسي » وشغلنا عن نشر سائرها بالاحوال الجارية فكتب الينا جماعة من الادباء يستتمون نشرها حرصاً على ما فيها من الفوائد التاريخية والاجتماعية التي يتعذر العثور عليها الا بعد العناء والبحث فضلاً عن اشتمالها على تواريخ امم شرقية كاد الزمان يطمس اخبار اجيالها الأولى في عهد استقلالها لدخولها في سيطرة الدول الأخرى . وقد اتى صديقنا المشار اليه في الفصل الذي تقدم نشره على ما عرفه اليونان والرومان والعرب من اخبار هذه الامم واليك تاريخها المنقول عن اهلها ومن عاشرهم

٤ — مملكة اللادة (١)

تغلب قوبون بن يغو على مملكة اردر في ابتداء القرن السابع عشر . مقاتلة اولاده على الملك وتأسيسهم مملكة الداهومي ومملكة بورتو نوفو — مناسبة ملوك هذه السلالة مع الافرنج وارسالهم سفيراً الى باريس سنة ١٦٧٠ . — انقراض مملكة اللادة باستيلاء ملك الداهومي عليها سنة ١٧٢٤م

كان أحد المتمردين المسمى يغو والملقب ايضاً اجاهوتو قتل قتيلاً في بلاد اكبه التي هي اليوم من اجزاء مستعمرة لاغوس الانكليزية وهاجر منها خوفاً من اهل القتيل واستوطن اللاده بنسائه وعبيده وكبر فيها نفوذه حتى صار ابنه او حفيده قوبون او طوبون ملكاً على اردر . فكان قوبون بن يغو اول ملوك هذه السلالة وتوفي سنة ١٦١٠ م

---

(١) نقل تاريخ هذه المملكة عن كتاب (الداهومي وتوابعها) من مجموعة (المستعمرات والحمايات الفرنساويه) التي نشرتها لجنة رسمية بمناسبة معرض باريس سنة ١٩٠٠ م

فاختصم اولاد قوبون على الملك وانتشب القتال بينهم وفاز بالغلبة الاخ الثاني المسمى هونوتونقونغ وجلس في اللاده على سرير مملكة اردر . اما الاخ الاكبر ففر الى مملكة جاكن واسس فيها مملكة الداهومي كما سيأتي تفصيله

ثم خلف هونوتونقونغ على مملكة اردرلاماجه برقونو ثم باغوه ولم يحدث في ايامهما بداخل البلاد ما يستحق الذكر. وكانت سفن الافرنج تتردد على ساحل غانة لجمع الرقيق وفي مقدمتها سفن البرتغاليين الذين اسسوا من مستعمراتهم دولة معظمة تفوق دولتهم في اوروبا وبنوا القلاع في جميع سواحل افريقيا حتى الهند ومن جملتها قلعة ويده ثم شاركهم في التجارة بقية الامم الافرنج لاسيما النورمانديون وهم من الفرنساويين

ذكر الراهب لابا في كتاب الفه سنة ١٧٢٥ وسماه (رحلة فارس الاسواق) ان ملاحاً من ديب اسمه جان بريول سافر الى ساحل غانة في سنة ١٦٣٥ قال «والمتواتر ان جان المذكور طلب من اهل البلاد الاذن بالنزول في ارضهم وبناء الحواصل والمخازن لحفظ اموال التجارة فاجاب طلبه رؤساء البلاد عن رضى واختيار منهم وابتدات التجارة من ذاك الوقت بين النورمانديين والسودانيين .» ثم تأسست في فرانسا شركة تجارية سميت قومبانية الهند الغربية كما تأسست شركة الهند الشرقية الانكليزية سنة ١٥٩٩ . و (الهند الغربية) عبارة عن اميركا . فنالت قومبانية الهند الغربية اي (قومبانية اميركا) امتيازاً من الحكومة الفرنساوية واصدر ملك فرانسا امره في سنة ١٦٦٤ بضم السنغال وجميع القلاع ومخازن التجارة التي بسواحل افريقيا الغربية الى تلك القومبانية فبعثت من عندها مرخصاً اسمه الشفاليه ديلبه لحضر لمملكة اردر وزار ملكها في مدينة اوفرا في كانون ثاني سنة ١٦٧٠ واحتفل ملك اردر باستقباله واذن له بان يبني في ويده مخازن وقلعة يقيم فيها رجالاً مسلحين لحفظ اموال التجارة ومنع النهب والتعدي . ثم ذهب المرخص الى سافي عاصمة مملكة جودا وتاجر مع اهلها ولبعدها عن ساحل البحر جلب الاموال التي اشتراها الى ويده . ولما اراد الشفاليه ديلبه الرجوع الى فرانسا بعث معه ملك اردر سفيراً اسمه ماته لويز فوصل باريس في دسمبر ختام تلك السنة وتشرف بمقابلة ملك فرانسا واعضاء شركة الهند الغربية ووعدهم بالنيابة عن ملكه بحماية الفرنساويين ومساعدتهم في بلاده وبترجيحهم على من سواهم من الامم الافرنجية في التجارة . وفي سنة ١٨٦٤ م بنى الفرنساويون قلعة سن جورج في الميتا وهي اليوم مرفأ في مستعمرة توغو الالمانية

ثم تولى على مملكة اردر دي ايشارا او ايشادا وكانت مملكة الداهومي قد نمت

واستقوت وملك عليها غاجا ترودو فحارب مملكة اردر وفتحها سنة ١٧٢٤ م وقتل ملكها ايشادا واصبحت مملكة اردر اي اللادة ولاية تابعة للداهومي يتولاها امير من سلالة ملوك الداهومي . وفي سنة ١٧٣٢ جلس على كرسي الداهومي بسا آباده وتنازل عن جانب من مملكة اردر اجابة لالتماس والدته من ابن اخيه ميجو او ميجي فحكمها بالاستقلال الى سنة ١٧٧٤ وهو جد ملكها الحالي جى غلا . ثم زال استقلال اللاده وعادت ولاية تابعة للداهومي تولاها من كبراء الوثنيين ديقه ثم غانهو ثم سنجه من سنة ١٨٤٥ الى ١٨٧٩ م

وبعد انتصار الفرنساويين على الداهومي وفتح عاصمتها ابومي في سنة ١٨٩٢ م واسرهم ملكها بهانزين فسخوا عنها اللادة واعادوها مملكة مستقلة وجعلوا عليها الامير غانهو هو غنون من احفاد ميجي آخر ملوك اردر فجلس بانتخاب الاعيان (قابيسير) والرؤساء وتلقب (جي غلا دون كبه نو ماوء) وعقد معاهدة مع فرانسا مؤرخة في اللاده ٤ فبراير سنة ١٨٩٤ م مضمونها الاعتراف بحماية فرانسا والامتناع عن تجارة الرقيق وعن الضحايا البشرية وغير ذلك وقع عليها الملك واعيان البلاد ورؤساء القبائل من جهة والجنرال دود فاتح الداهومي من اخرى. ولم تستول فرانسا على الداهومي بعد فتحها لها سياسة منها وخوفاً من جيرانها الانكليز والالمان لا خوفاً من الداهوميين الضعفاء . وتعينت حدود مملكة اللاده في الامر الصادر من وزارة المستعمرات الفرنساوية بتاريخ ٢٢ حزيران (يونيو) سنة ١٨٩٤ . فيحدها من الشمال مستنقع لاما ومملكة ابومي ومن الشرق نهر سو الفاصل بينها وبين مملكة بورتونوفو ومن الغرب نهر قفو الفاصل بينها وبين مشيخة اواتشي ومن الجنوب مديرية قوتونو وويده

اسماء ملوك اللادة بلغتهم الاصلية وهي غريبة على اسماعنا :

قوبون بن يغو اجاهوتو المتوفى سنة ١٦١٠ م

هونوقونقونغ

لاماجه بوقونو

باغونه

دي ايشارا المقتول سنة ١٧٢٤ م

ميجو المتوفى سنة ١٧٧٤م

الولاة التابعون للملك الداهومي

ديقه

غانهو ا

سنجه من ١٨٤٥ الى ١٨٧٩ م

استقلالها ثانية تحت حماية الفرنساويين

جي غلا ملكها الحالي المنتخب من الاهالي سنة ١٨٩٤

٥ — مملكة بورتو نوفو

اشتقاق اسمها وظهور دولتها ١٧٢٥ م . — اسماء ملوكها . — انتظام ورود السفن الاوربية اليها لشحن الرقيق . — جلوس سوجي ١٨٥١ . — توطن تجار فرانسا فيها لتجارة زيت التمر. — منع اوربا تجارة الرقيق . — مداخلة الانكليز مع سوجي بعد تأسيسهم مستعمرة لاغوس واطلاقهم القنابل على بورتونوفو ١٨٦١ . — تأسيس الارسالية البرتستانية والقونصلاتو الفرنساوية في برتونوفو ١٨٦٢ . — عقد معاهدتين مع فرانسا ١٨٦٢ . جلوس مبون وميله لانكلتره ١٨٦٤ . — جلوس توفا الثاني وهو ملك بورتونوفو الحالي ١٨٧٤ . — خوفه من انكلتره ومن ملك الداهومي ودخوله في حماية فرانسا بموجب معاهده ١٨٨٢ . — حماية فرانسا على بوبو ورقابة الدول ١٨٨٥ . — اتفاق فرانسا مع المانيا على الحد الشرقي ومع البرتغال على ترك حمايتها للداهومي ومع انكلتره على الحد الشرقي . — وزراء توفا الثاني

بورتو نوفو معناها المرفأ الجديد سماها بذلك البورتغاليون الذين كانت لهم تلك الدولة الاستعمارية المعظمة المشتملة على سواحل افريقيا والهند وجزائر المحيط واميركا ولم تزل آثار قلاعهم مشاهدة على سواحل افريقيا . وأما أهل البلاد فيسمونها مملكة اجاشه أو مملكة هوغبونو . وكان المؤسس لها في القرن الثامن عشر (آته — أغبانلين) من ذرية قوبون ملك اردر المتقدم ذكره . فان اولاد قوبون الثلاثة بعد تقاتلهم على ميراث ابيهم وانتصار اخيهم الثاني وجلوسه على سرير مملكة اردر فرّ الاخ الاصغر الى مملكة فوا واسس فيها مملكة الداهومي الآتي ذكرها . وفرّ الاخ الاكبر الى مملكة جاكن وبقي اولاده واحفاده فيها الى ان استولى عليها غاجارودو ملك الداهومي في سنة ١٧٢٥ م . ففرّ حينئذٍ آته أغبانلين من ابن عمه واسس مملكة بورتو نوفو فاكتسبت اهمية تجارية لقربها من الساحل وورود السفن ثم البواخر على شطوطها . فملوك بورتو نوفو وملوك الداهومي من اصل واحد . ولذا يضاف على القاب ملك بورتو نوفو لقب امير الداهومي ويعتبرهم ملوك الداهومي اصغر منهم وتابعين اليهم . وتوفي آته اغبانلين في سن الشيخوخة وخلف خمسة اولاد ملكوا بعده على الترتيب . وهذه اسماء ملوك بورتو نوفو منذ اسسها آته اغبانلين الى يومنا هذا نقلاً عن الكتاب الرسمي المنشور بمناسبة معرض باريس سنة ١٩٠٠ وعنوانه (الداهومي) ولم نعثر على سني جلوسهم ولا على تفاصيل تواريخهم لغموضها

(١) دياقبون بن آته اغبانلين امتد ملكه نحو خمسين سنة

(٢) ديلو قبون « « ملك مدة قصيرة

(٣) دِيهودِه « « «

(٤) ديبسه « « حارب الداهومي وفتح القرى التي عَلَى ضفاف اويمة

(٥) ديهوني « « وفي ايامه اعتاد الاهالي عَلَى الاتجار مع الاور بيين وانتظم مجيء سفنهم فصارت ترد في اوقاتها المعينة وتشحن الرقيق اي العبيد من شط بورتونوفو وشط بداغري الذي في مستعمرة لاغوس

(٦) ديقبنيون بن ديلوقبون . حارب الداهوميين مراراً وانتصر عليهم وكاد يخرب كودومي وابومي قالاني ولكنه فقد اكثر رجاله . ويظهر ان مدة ملكه طالت لانه كان مصحوباً في آخر حروبه بابن يربو سنه عَلَى العشرين وكان ولد له بعد جلوسه . وملك من اولاده اثنان كما سيجي

(٧) ديقبه بن ديبه . لم تطل مدته ولم يحدث في ايامه ما يستحق الذكر

(٨) اجوان بن ديهوده . طالت مدته وراجت تجارة الرقيق في عهده وله ذكر حسن بين رعاياه

(٩) افاتون بن دياقبون . كان ضعيف الرأي عديم الحيلة ملك مدة قليلة ثم سممه اصحاب الاوثان (الكهنة)

(١٠) ديوفون بن ديقبنيون . جد توفا الثاني ملك بورتونوفو الحالي . لم تطل مدته وراجت في عهده تجارة الرقيق رواجاً عظيماً وشحنت سفن الافرنج خلقاً كثيراً من العبيد وكان معظم التجارة مع البرتغاليين

(١١) توفا الاول بن ديهوني . دام ملكه ثلاث سنين وكان مسالماً جداً

(١٢) أويزه بن ديقبنيون . تجمع بعض اقاربه في بداغري وحاربوه واستولوا عَلَى القرى المجاورة للساحل الى نهراجره

(١٣) تونيون بن ديبه . كان مثل ابيه فطناً مقداماً فقطع دابر المفسدين وجازى القاتلين والناهبين وكانت المملكة مختلة بسبب قطاع الطريق وكثرة القتل والسلب فساسها حتى ساد الامن في الداخل والسلم في الخارج

(١٤) ميجي بن اجوان بن ديهوده . ملك سنة او سنتين وقتله اصحاب الاوثان بدسائسهم

(١٥) سوجي بن ديوفون ووالد توفا الثاني . تولى سنة ١٨٥١ م وفي تلك السنة

نزل الانكليز عند مصب نهراً وغون واسسوا مستعمرة لاغوس بعد ان حاربوا اهل تلك البلاد وطردوا ملكها المسمى قوزوقو فالتجأ الى بورتونوفو ولم يزل اولاده فيها الى الآن . فاغتنم سوجي هذه الفرصة وغزا مدينة اوكيادان وهي في شرق مملكته واسر منها خلقاً كثيراً ولكن تجارة الرقيق كانت قليلة الجدوى لاتفاق الدول العظمى عَلَى الغائها وارسالهم الاساطيل الى سواحل افريقيا لا سيما الى ساحل الرقيق لمنع تهريب الاسرى . وفي ايامه ابتدأت تجارة الزيت المستخرج من التمر ونواته وقامت مقام تجارة الرقيق واستوطن بورتونوفو بعض تجار مرسيليا مثل بيت ريجي و بيت فابر وعمروا الحواصل والمخازن ورفعوا عليها العلم الفرنساوي وفتح البرتستانت لهم بيتاً للتبشير ومدرسة للتعليم (١٨٦٢) وشرع الانكليز في التداخل مع سوجي وطلبوا منه عقد معاهدة اتفاق وحماية فرفض طلبهم خوفاً من ان يفعلوا به ما فعلوه بجاره قوزوقو ملك لاغوس ولكنهم لم ينفكوا عن ترغيبه تارة وترهيبه أُخرى حتى اطلقوا قنابلهم عَلَى بورتونوفو في شهر نيسان (افريل) سنة ١٨٦١ فاشتد فزع سوجي وراجع تجار الفرنساويين النازلين عنده للمخابرة مع حكومتهم بشأن حمايته فعينت فرانسا المسيو دوماس (اجان فيس قنصل) في بورتونوفو وعقدت مع سوجي معاهدتين احداهما في ٢٣ فبراير والثانية في ٢٥ منه سنة ١٨٦٢ غير ان الامبراطور نابوليون الثالث لم ينفذ احكام المعاهدتين رعاية للانكليز النازلين في لاغوس ولاشتغاله بمسائل سياسية اخرى . اما سوجي فتخلص عَلَى هذا الوجه من تعدي الانكليز وتوفي بعد سنة من تاريخ المعاهدة اي في ٣ فبراير سنة ١٨٦٤

(١٦) ميبون بن توفيون . جلس في ١١ فبراير سنة ١٨٦٤ بعد دفن سلفه واجتماع الامراء لانتخابه واتفاقهم عَلَى مبايعته لان الملك ينتقل عندهم عَلَى الترتيب لاحد الفروع الثلاثة من السلالة الحاكمة . فاذا مات الملك اجتمعت الفروع واتفقت عَلَى تولية صاحب الدور ثم خرجت بقية الامراء من بورتونو واقاموا في اطراف المملكة ينتظر كل منهم دوره . اذ باقامتهم في العاصمة تكثر الفتن والمفاسد وربما افضى الامر الى البطش بهم . وخالف ميبون سلفه في السياسة فمال الى الانكليز الذين في لاغوس لينقذ بلاده من تسلط فرنسا فحضر الاميرال الفرنساوي في ٢٣ دسمبر سنة ١٨٦٤ الى بورتونوفو وهددها باسطوله وكاد الخلاف يشتد بين فرانسا وانكلترا لو لم يصرف نابوليون الثالث نظره عن هذه المسألة لاشتغاله اذ ذاك باعظم منها . اما باسي بن سوجي فبعد ان ترك العاصمة على اصولهم وعاداتهم واعتزل في مكان وراء غدير بورتونوفو اراد ميبون ان يقبض عليه خوفاً من مداخلته مع انكلترا او فرانسا واتخاذه آلة للاستيلاء عَلَى البلاد . فتمكن باسي من الفرار الى لاغوس

واقام عند الانكليز حتى جاءه الدور وتولى على بورتونوفو باسم توفا الثاني . وكان تجار الالمان بوالبرتغال يحركون ملك الداهومي ويعلمونه افانين السياسة الاوروبية فادعى حقوقه على ورتونوفو وتهيأ لفتحها . وتوفي مبون مسموماً في ٢٨ مايو سنة ١٨٧٢ م قيل سمه الكهان والكاهنات خدام الاصنام

(١٧) يسي بن أويزه . جلس في ٤ حزيران سنة ١٨٧٢ وكان الانكليز يفضلون جلوس باسي بن سوجي لما له من الحق في ملك ابيه والفرنساويون يحببونهم بان الملك في عرف هذه البلاد ينتقل للارشد فالارشد كما هو الحال عند بقية الامم الشرقية وانهمك يسي في الملذات وشرب المسكرات فكان كسولاً لا يفيق من الخمور وحكم اقل من سنتين ومات في حرب لهم مع قبائل اليه

(١٨) باسي بن سوجي الملقب توفا الثاني وهو ملك بورتونوفو الحالي



توفا الثاني ملك بورتونوفو

جلس في ١٦ سبتمبر سنة ١٨٧٤م . وكان الانكليز والفرنساويون والداهوميون يتسابقون الى مد ايديهم لبورتونوفو ويدسون الدسائس لتوسيع نفوذهم فيها . واغار الداهوميون على اطرافها ونهبوا قراها وكانوا اهل حرب وذوي بأس بخلاف اهالي بورتونوفو فانهم ساحليون اهل سلم وتجارة ودعة نخافهم توفا الثاني وضجر من سياسة

الانكليز في لاغوس لتعديهم على حقوقه وتحريكهم اقاربه وعول على الاحتماء بفرانسا وخابر بذلك تجار مرسيليا النازلين عنده . وكانت فرانسا قد تخلصت من غوائل حرب السبعين وتساوت مع انكلترا على احتلال تونس ومصر فلم تخش معارضة كبيرة في سياسة بورتونوفو وقبلت بوضع حمايتها عليها وانفاذ احكام المعاهدتين اللتين عقدتهما سابقاً مع سوجي والدتوفا الثاني . وعينت لبورتونوفو مقيماً اشبه بمقيمها العام في تونس . فحضر لبورتونوفو مع الاسطول واحتفل فيها بنصب العلم الفرنساوي في ٢ افريل سنة ١٨٨٣ بحضور توفا الثاني ووزرائه ورؤساء بلاده من جهة وحضور ضباط الاسطول والمقيم والتجار الاوروبيين من جهة اخرى

وفي السنة التالية عينت فرانسا احد قائمقامية البحرية مقيماً لها في بورتونوفو واضافت اليه النظر في قوتونو وبلاد بوبو وبورتو سيغرد بدعوى حقوقها على هذه المرافيء الداهومية بمقتضى المعاهدات التي عقدتها مع حاكم ويده واعيانها (١٨٧٨ م) ومع مينسا ملك بورتو سيغرد . وكان غله غاه ملك الداهومي يدعي حقوقه على تلك السواحل والمرافيء البحرية ويقول بانه هو ملك البلاد ولم يأذن بعقد المعاهدات ولاصدق عليها . فحضر المقيم على الاسطول من ذكر واحتل قوتونو بثلاثين نفر من عسكر السنغال وحرر الى حاكم ويده وهو الشاشه جوليو دوسوزا بن الشاشه فرانسيسقو دوسوزا الموقع على معاهدة ترك قوتونو لفرنسا فخاف الشاشه ولم يرد للمقيم جواباً واخذ يخابر البرتغاليين ليتخلص بحمايتهم من شر الفرنساويين . ثم سارت فرقة من الاسطول واعلنت الحماية الفرنساوية ونصبت العلم المثلث على بوبو الكبيرة واغوه وبوبو الصغيرة وبورتو سيغرد في شهر افريل سنة ١٨٨٥ فاعترضت المانيا صاحبة مستعمرة توغو ولكن حكومة الجمهورية ارضتها بعقد تسوية مورخة في ٢٤ دسمبر من تلك السنة وتركت لها بورتو سيغرد و بوبو الصغيرة واخذت بمقابلتها محلات على ضفاف الانهار التي بجنوب السنغال وغامبي . وكانت البرتغال صاحبة الصولة الاستعمارية القديمة نصبت علمها على قونوتو في شهر سبتمبر سنة ١٨٨٥ وادعت حمايتها على مملكة الداهومي بمقتضى المعاهدة التي عقدتها مع الشاشه جوليو دوسوزا في دسمبر سنة ١٨٨٦ فجرت المخابرات السياسية بين باريس ولشبونة وافضت الى تخلي البرتغال عن حمايتهم

وبعد ان اتفقت فرانسا مع المانيا على الحد الغربي في الداهومي شرعت في الاتفاق مع انكلترا على الحد الشرقي الفاصل بين لاغوس وبورتونوفو . واشتدت الرقابة بين الطرفين واصطفت على الحدود عسكر الحراسة الانكليزية امام عسكر السنغاليين الفرنساوية واطلقت

البنادق من الطرفين ووقف دولاب التجارة لتعسر المرور من قناة توشه الواصلة بين لاغوس و بورتونوفو . وانتهت المسئلة بعقد (مودي فيفاندي) اي تسوية موقتة . و بعد سنة عقدت معاهدة في اغسطس سنة ١٨٨٩ وتعينت فيها الحدود بين لاغوس وساحل الرقيق في نهر اجرًا اي في خط الطول المار من مصبه الى الدرجة التاسعة من العرض الشمالي لان مجرى النهر لم يكن معلوماً بين المتعاقدين حتى يجعلوه حدًّا طبيعياً

ثم ان المقيم الفرنساوي رتب ميزانية ١٨٩٠ نبلغت ١٢٣ ٠٠٠ فرنك من حاصلات جمرك بوبو الكبيرة ومن رسوم البطانئة والقيدية والبوستة والتلغراف ومرسى البواخر . وكانت حاصلات قوتونو لملك الداهومي وحاصلات بورتونوفو لملكها . واحضر المقيم مطبعة رسمية الى بورتونوفو واصدر الجريدة الرسمية في افتتاح تلك السنة ورتب دوائر الحكومة واقلامها ونظم لوائح ونظامات للتجارة والبلدية والصحية والجمرك وغير ذلك ونظم عسكراً وطنياً مؤلفاً من اربع بلوكات في كل منها مائة نفر واجبر ملك الداهومي على الاعتراف بحماية فرانسا على بورتونوفو في معاهدة ١٨٩٠ م كما سيجي ذكره

ولم يزل توفا الثاني في قيد الحياة مالكاً على بورتونو وحقوقه مبينة في معاهدة ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٣ وله بموجبها حق الحكم على تبعته بمقتضى عوائد البلاد عدا تجارة الرقيق والضحايا البشرية وله حق باخذ الرسوم والتكاليف التي كان يستوفيها قبل الحماية الى غير ذلك

اما وزراؤه واركان مملكته فهذه اسماء مناصبهم بلغة تلك البلاد (١) ميغان اي ناظر الحقانية . (٢) غوغان . ناظر التشريفات (٣) ايولغان . ناظر المذاهب . (٤) ميهو . ناظر الحربية والسراي الملوكية . (٥) ليغان . حاوي الافاعي . ثم يأتي بعدهم رجال السراي مثل ابازاغان وهو الموكل بحفظ كرسي الملك والمصاحب للملك . وواتاقه الموكل باعلان موت الملك . وسوغان سايس فرس الملك . واجاغان الموكل بايقاظ الملك من نومه وسؤاله عن صحة مزاجه الى غير ذلك

وتعينت حدود مملكة بورتونوفو في الامر الصادر من وزارة المستعمرات الفرنساوية بتاريخ ٢٢ يونيو سنة ١٨٩٤ فيحدها من الشرق مستعمرة لاغوس الانكليزية ومن الجنوب مديرية قوتونو ومن الغرب نهر سو الفاصل بينها و بين مملكة اللادة ومن الشمال مشيخة ناغو في او يره قبطو

يلزم لادارة الهلال الاعداد الآتية من الهلال وهي ستة من سنة ١٥ و ٦ من السنة ١٦ و ١ و ٥ و ٨ و ٩ من السنة ١٧ فمن وجدت عنده هذه الاعداد واراد بيعها فليخابرنا بشأنها وقد نفذ العدد الاول من هذه السنة ايضاً والادارة تشتريه بالثمن

تاريخ الاشتراكية في انجلترا

وحال العمال فيها والاعتبار بمساعيهم

في بدء القرن الماضي كثرت الآلات وطُردت العمال من المعامل وما كان يعمله عشرات من العمال صارت تعمله الآلة بواسطة عامل واحد فاشتد الفقر بين العمال كما كثر الغنى بين اصحاب المعامل الى حد ان توجهت اليه انظار الاقتصاديين فاشتغل روبرت اوين في البحث عن اسباب هذه الحالة حوالي ١٨٤٠ والف جملة كتب ارتأى فيها الغاء امتلاك المعامل الفردي ووضعها تحت ايدي الأمة حتى يأخذ العامل ربحه الكامل من عمله فلا يحرمه منه صاحب المعمل . ولكن الجهل في زمن اوين كان متفشياً بين العمال فلم ينتبهوا لاقواله فلما عم التعليم ابتدأ العامل يؤلف السنديكات (النقابات) وينظم العصابات فزادت أجوره وزاد شعوره باغتصاب اصحاب المعامل حقه حتى جاءت سنة ١٨٨٠ والف كارل ماركس كتابه المشهور المسمى «راس المال» وكانت أحزاب العمال قد تنظمت ووقفت في برلمانات الدول الاوروبية تدافع عن حقوقه

والاشتراكية الحديثة مبنية على نظرية كارل ماركس وهي ان راس المال مسلوب من العمال . لان العامل لا تدفع له أجرته الكاملة بل يبقى منها جزء يحفظه صاحب المعمل لنفسه والاشتراكي يقول بارجاع هذا الباقي للعامل وذلك بان تمتلك الامة جميع مصادر الثروة وتقسم ارباحها بالعدل على العمال . وهاك ما فعله الاشتراكيون الانجليز في هذا السبيل

١ . التعليم المجاني

واضع كلمة الاشتراكية او الاجتماعية Socialism هو روبرت أوين الانجليزي . ومباحثه الاقتصادية جرته الى مباحث اجتماعية أخرى فصار ملحداً ثم قاوم نظام الزواج المسيحي وكتب كثيراً في ذلك . فكان من ضمن ما قاله ان الانسان يرزح تحت ثلاث خرافات هي الله والزواج والملكية . وهذه الاقوال كرهت الانجليزي في الاشتراكية فصار كل اشتراكي يسمي نفسه عمالياً اي انه ينوب او يحامي عن العمال

رأى العماليون حوالي ١٨٧٠ أن أنجع سلاح لهم تعليم العامل حتى يشعر بحالته وينيب عنه عمالاً مثله بدلاً من الاحرار او المحافظين فوجهوا كل همهم الى جعل التعليم إجبارياً ومجاناً ومن ذلك الحين ابتدأ نمو حزب العمال الى ان صار عددهم الآن

يقرب من الستين الفاً وهو يزداد عند كل انتخاب بسرعة مدهشة . هذا ما فعلوه في البرلمان اما في المجالس النيابية البلدية فقد أسسوا المكاتب المجانية وبها الوف من الكتب التي تساعد كل راغب في الترقي يعجز عن دفع اثمانها . وفي السنة الماضية بواسطة نفوذهم في هذه المجالس ايضاً جعلوا من حقوق الاطفال ان يأكلوا في المدرسة مجاناً اذا ظهر انهم لا يتغذون الغذاء الكافي في بيوتهم

والاشتراكيون في انكلترا عدة احزاب اهمها ثلاثة الاول حزب العمال وهو حزب سياسي محض ينفق وقته وماله في عرض النظريات الاجتماعية في البرلمان وفي انتخاب اعضاء له . والثاني حزب الاشتراكين الديموقراطيين وهم اكثر الاحزاب تطرفاً فلا أحضر جلسة من جلساتهم الا واسمع لعناتهم على آلهة الشرق والغرب ويبتدئون بروجراماتهم بطرد العائلة المالكة . اما الحزب الثالث فهو الجمعية الفابية وهو حزب علمي اكثر منه سياسي

٢ ـ الشغل في المعامل

كان متوسط عمر العامل الانجليزي في النصف الاول من القرن الماضي لا يزيد على خمس واربعين سنة لان الاحتياطات الصحية كانت رديئة في المعامل والمناجم والفاوريقات فوجه الاشتراكيون او الاجتماعيون التفاتهم الى هذا الامر فجعلوا وقت العمل في هذه المعامل لا يزيد على ثماني ساعات في اليوم وجعلوا الحكومة ترسل المفتشين ليتعهدوا الوسائط الصحية هل هي متوفرة فيها ثم منعوا تشغيل الاطفال ـ هذا العمل البربري الذي لا يزال فاشياً في مصر للآن . ثم سعوا في وضع قانون العوض . فاذا فقد عامل ذراعه أو رجله وقت العمل التزم صاحب المعمل باعطائه معاشاً طول حياته حتى لا يجبره على التسول كما كان يفعل قبلاً

٣ ـ بيوت للعمال والمعاشات لشيوخهم

لم تكن بيوت العمال قبلاً في حقارة بيت الفلاح المصري ولكن درجة النظافة والتمدن اعلى في انجلترا منها في مصر فصاحب الارض المصري يسكن في بيت لا يستطيع العامل الانجليزي ان يمضي ساعة واحدة فيه . فلما رأى حزب العمال ان بيت العامل يكون احياناً خالياً من حديقة او حمام او كان نقشه ينافي الذوق الحديث الحّ على الحكومة في التنبيه على المجالس البلدية ببناء بيوت للعمال تكون حائزة على وسائل الراحة ويقدر العامل على دفع أجرتها. وقد رايتُ جملة من هذه البيوت وهي تقسم الى أدوار كل دور منها قائم بذاته يكفي عائلة متوسطة العدد وكل دور يطل على حديقتين واحدة امامه واخرى وراءه والاجرة لا تزيد على ربع ما يدفع عنه في القاهرة

كان العامل اذا شاخ طرده صاحب المعمل كما يطرح النفاية التي لا قيمة لها . فاذا كان العامل قد قضى حياته بخيلاً أو حريصاً على اجوره امكنه انه يستمر عائشاً في بيته الى ساعة الوفاة وهي قريبة لمثله بطبيعة الاشغال التي يشتغلها في شبابه . اما اذا كان من الذين يرون التمتع بالحياة فيقضي كل سنة اسبوعين او ثلاثة على شاطىء البحر يتنزه فيها ويقرأ الكتب الحديثة و يزور التياترات لا تأتي شيخوخته الا وهو صفر اليدين ليس امامه الا « بيت العملة » وهو ملجأ المعوزين يعيشون فيه بشغلهم وكثيرون منهم يفضلون السجن عليه والرأي العام راغب الآن في الغائه

لهذا السبب قام الاشتراكيون والحوا على الحكومة بتعيين معاشات لكل شيخ او شيخة يبلغان الخمسة والستين من العمر . وقد وقعت الحكومة على قانون بهذا المعنى في العام الاسبق اعترفت به للشيوخ بحقوقهم ووفرت عليهم التذلل وعار السؤال . وصار الآن كانس الشارع أو صانع الاحذية يذهب للبوسطة كما يذهب اليها العسكري و يسأل عن أجرة خدمته للأمة في شبابه التي تبلغ احياناً ثلاثين جنيهاً سنوياً

وأظن كثيرين من القراء سمعوا عن اللوردات الانجليز واراضيهم وعيشتهم . فاللورد الانجليزي هو من بقايا القرون الوسطى يربي الثعالب و يترك الأرض بلا زرع و يقضي وقته في الصيد والقنص . لهذا قام الاشتراكي يطلب رد الارض للفلاح وعمل على انشاء قانون يقضي بالاقرار بمنح الفلاح قطعة صغيرة من الارض ونزع ملكيتها من صاحبها اذا لم تكن مفلوحة واذا رضي المجلس المحلي بذلك . هذا بعض ما فعله الاشتراكيون الانجليز للعامل وهناك اشياء أخرى تستفيد بها الأمة كلها

٤ — منافع عمومية

نظام الحكومة الانجليزية نظام استقلالي بمعنى ان كل مقاطعة او كورة تحكم نفسها فتنتخب مجلساً لها والمجلس يدبر اعمالها من جمع الضرائب الى انتخاب قاض الى دفع عمال البوليس . واكبر انتصارات الاشتراكيين هي في هذه المجالس لان نتائج اعمالهم سريعة الظهور . بدأوا اولاً بوضع الترامات تحت يد المجلس فسقطت اسعار الركوب الى حد تافه لان المجلس يريد المصلحة العامة فقط . اما اصحاب الترام فكان غرضهم الوحيد زيادة دخل الشركة . ثم أنشأوا البساتين ووسعوا مساحتها حتى اصبحت لندن على كثرة عدد سكانها أحسن البلاد صحة للسكان ثم أتبعوا هذا بانشاء الحمامات العمومية والمغاسل العمومية وغيرها من الاصلاحات التي قللت الفرق بين الغني والفقير . فعلوا كل هذا وما زالوا يقولون ان الوطن ليس وطنهم لانهم لا يملكون منه شيئاً ولا يجب ان يدافعوا عنه لان ثروته يملكها

جماعة قليلة من الامة لا الأمة ذاتها

هذا ما يقوله الاشتراكي او الاجتماعي الانجليزي أما الوطني المصري فيرى ان ثمانين في المائة من مواطنيه صاروا في احط الحالات بفضل اصحاب الاراضي المصريين ولا يقول كلمة ضدهم

لندن سلامه موسى

سباق الطيران بمصر

اجتمع في واحات عين شمس بجوار القاهرة نخبة من اصحاب المركبات الهوائية للسباق في الاسبوع الثاني من فبراير الماضي (من ٦ — ١٣ منه) تحت رعاية الجناب العالي وادارة لجنة الطيران طبقاً لقوانين جمعية الطيران الدولية التابعة لنادي الطيران بفرنسا و بمساعدته

وبلغ عدد الذين اموا القاهرة من اصحاب الطيارات في ذلك الاسبوع ١٢ طياراً اشهرهم الموسيو لاثهام والموسيو دلاكرانج والموسيو روجيه والموسيو لوبلون والموسيو دو باري والموسيو بالزان معهم ١٨ طيارة بعضها ذات طبقتين طرز فوازين والبعض الآخر ذات طبقة واحدة طرز انطوانيت . وعينت اللجنة الجوائز للسابقين في السرعة او العلو او غيره . وكان السابق على الاجمال الموسيو روجيه وطيارته ذات طبقتين من طرز فوازين . واحتشد الناس من اهل القاهرة وغيرها من مدن القطر المصري وغيره حتى غصت بهم الساحة المعينة للطيران في واحات عين شمس في اثناء ذلك الاسبوع . وهو اول سباق للطيارات في القاهرة ونكتفي من وصف ذلك السباق بقصيدة نظمها شوقي بك شاعر المية في هذا الصدد سماها العصر والعصفور قال :

العصر والعصفور

قم (سليمان) بساط الريح قاما	ملك القومُ من الجوّ الزماما
حين ضاق البرُّ والبحر بهم	اسرجوا الريح وساموها اللجاما
صار ما كان لكم معجزة	آيةً للعلم آتاها الاناما
قدرة كنتَ بها منفرداً	اصبحت حصة من جدّ اعتزاما
(عين شمسٍ) قام فيها ماردٌ	من عفاريتك يدعى (لثهاما)

يملأ الجو عزيفاً كلما ضرب الريح بسوط والغماما
ملك الجو تليه عصبة جمعت شهماً وندباً وهماما
فاستووا فوق (مناطيدهم) ما يبالون حياة أم حماما
وقبوراً في السموات العلى نزلوا أم حفرات ورغاما
مطمئنين نفوساً كلما عبست كارثة زادوا ابتساما
صهوة العز اعتلوا تحسبهم جمع املاك على الخيل تسامى
رفعوا (لولبها) فاندفعت هل رايت الطير قد رف وحاما
شال بالاذناب كل ورمى بجناحيه كما رعت النعاما
ذهبت تسمو فكانت (اعقباً) (فنسوراً) (فصقوراً) (فحماما)
تنبري في زرق الافق كما سبح الحوت بدا ماء وعاما
بعضها في طلب البعض كما طارد (النسر) على الجو (القطاما)
ويراها عالم في (زحل) ارسلت من جانب الارض سهاما
او نجوماً ذات اذناب بدت تنفر الناس نشوراً وقياما
اجعلوها رسلكم اهل الهوى تنقل الاشواق عنكم والغراما
واستعيروها جناحاً طالما شفف الصب وشاق المستهاما
يحمل المضنى الى ارض الهوى (يمناً) حل هواه ام (شآما)
اركب الليث ولا اركبها وارى ليث الشرى اوفى ذماما
غدرت (جيرون) لم تحفل به وبما حاول من فوز وراما
وقعت ناحية فاحترقت مثل قرص الشمس بالافق اضطراما
راضها باليمن من طلعته خير من حج ومن صلى وصاما
كخليل الله في حضرته خرّت النار خشوعاً واحتراما
ما (لروجه) صاعداً ما ينتهي اتراه آثر الجو فراما
كلما دار به دورته ابدت الريح امتثالاً وارتساما
انا لو نلت الذي قد ناله ما هبطت الارض ارضاها مقاما
هل ترى في الارض الا حسداً ورياء ونزاعاً وخصاما
ملك هذا الجو في منعته طالما للنجم والطير استقاما
حسد الانسان ربيه بما اوتيا في ذروة العز اعتصاما
دخل العش على (انسره) اترى يغشى من النجم السناما

أيها الشرق انتبه من غفلة ... مات من في طرقات السيل ناما
لا تقولنّ عظاميٌّ انا ... في زمان كان للناس عصاما
شاقت العلياء فيه خلفاً ... ليس يألوها طلاباً واغتناما
كل حين منهمو نابغة ... يفضل البدر بهاء وتماما

خالق العصفور حيرت به ... أمماً بادوا وما نالوا المراما
افنوا النقدين في تقليده ... وهو كالدرهم ريشاً وعظاما
أترى القوة في جؤجؤه ... وهو بالجؤجؤ ماض يترامى
ام تراها في الخوافي خفيت ... أم مقر الحول في بعض القدامى
أم ذناباه اذا حركه ... يزن الجسم هبوطا وقياما
أم بعينيه اذا ما جالتا ... تكشفان الجو غيثاً ام جهاما
ام باظفار اذا شبكها ... نفنت في الريح دفعاً واستلاما
أم امدته بروح امه ... يوم القته وما جاز الفطاما
فتلقاه ابٌ كم من اب ... دونه في الناس بالولد اهتماما
فلكيٌّ هو الا انه ... لم ينل فهماً ولم يعط الكلاما
طلبة قد رامها آباؤنا ... وابتغاها من رأى الدهر غلاما
أسقطت (ايكار) في تجربة ... (وابن فرناس) فما اسطاعا قياما
في سبيل المجد اودى نفر ... شهداء العلم أعلاهم مقاما
خلفاء الرسل في الارض همو ... يبعث الله بهم عاماً فعاما
قطرة من دمهم في ملكه ... تملأ الملك اجلالاً ونظاما
رب ان كانت لخير جعلت ... فاجعل الخير بناديها لزاما
وان اعتزّ بها الشرُّ غداً ... فتعالت تمطر الموت الزؤاما
فاملاء الجو عليها رجماً ... رحمة منك وعدلاً وانتقاما
يا (فرنسا) لا عدمنا مننا ... لك عند العلم والفن جساما
لطفُ الله (بباريس) ولا ... لقيت الا هناء وسلاما
روعت قلبي خطوب روعت ... سامر الاحياء فيها والنياما
انا لا ادعو على (سين) طغى ... ان (للسين) وان جار ذماما
لست بالناسي عليه عيشة ... كانت الشهد واحباباً كراما

(شوقي)

قبور ابراهيم وعائلته

في حبرون او الخليل قرب اورشليم

لم تنشر رسومها قبل الآن

١ – حبرون او الخليل

حبرون ويسميها المسلمون الخليل اوخليل الرحمن بلدة قديمة العهد لايضارعها في القدم من مدن العهد القديم بالشام الا دمشق وشكيم واقعة على مسافة يوم من القدس الشريف في سفح جبل والى يسارواد صخري طويل . يحج اليها المسلمون في جملة حجهم الى بيت المقدس لزيارة قبر ابراهيم الخليل وامرأته سارة وغيرهما في مغارة قديمة العهد فوقها مسجد لا يدخله غير المسلمين . وكان لاهلها حرص شديد على منع سائر الطوائف من دخوله ولا سيما في العصور الماضية . واول من أُبيح له زيارته من غير المسلمين في هذا العصر الرحالة الاسباني المعروف باسم علي بك العباسي في اوائل القرن التاسع عشر وانما اذن له على اعتقاد انه مسلم ونشر ما شاهده في رحلته المشهورة ولم يصور شيئاً من الآثار وانما اكتفى بتخطيط وضع القبور بالنسبة بعضها الى بعض ووصف ما رآه من الاستار المزركشة والسجاد الثمين . واما اول من زارها وهومعروف انه غير مسلم فالبرنس اوف ويلس (الملك ادوار السابع الآن) سنة ١٨٦٢ ولم يستطع ذلك الا بفرمان من السلطان عبد العزيز ولم يؤذن له ولا لاحد من حاشيته ان ينقلوا رسم شيء مما شاهدوه فاكتفوا بوصف المكان في مقالة كتبها دين ستانلي أحد اعوان البرنس اوف ويلس في تلك الزيارة ونشرت على حدة

فالصور المنشورة في هذه المقالة هي اول صور حقيقية اخذت عن تلك المشاهد بالامس — نقلها بعض الافاضل بالفوتوغرافية وبعث الينا بها لننشرها خدمة للتاريخ جزاه الله خيراً

عدد سكان حبرون او خليل الرحمن ١٥٠٠٠ نفس كلهم مسلمون الا نحو الف نفس من اليهود يقيمون في قسمها الشمالي الغربي . وكانت زيارتها في العصر الماضي لا تخلو من الخطر على الافرنج بنوع خاص وكان السياح اذا ارادوا زيارتها احتاطوا بما يمنع

الاذى عنهم. ويفتخر بعض اهلها انه لم يستطع نصراني تشييد بناء فيها . اما قبل الاسلام فقد كانت من مدن اليهود المقدسة وهي اربع اورشليم وطبرية وصفد وحبرون

ومما يدل على قدم هذه البلدة انها ذكرت في سفر التكوين على عهد ابراهيم ويؤخذ من العبارة هناك انها كانت تحت سيطرة الحثيين وكانت تسمى قرية اربع — لعل السبب في ذلك انهـا كانت مقسومة الى اربعة اقسام يقيم في كل قسم طائفة او عشيرة على اصطلاحهم في تسمية المدن في تلك الايام . فاليونانيون سموا « طرابلس » الشام بهذا الاسم لنحو هذا السبب اي « Tripoli » — على ان حبرون لا تزال الى اليوم تقسم الى اربعة احياء تسمى الحارات وهي حارة الشيخ لان فيها جامع الشيخ . وحارة باب الزاوية في وسطها وحارة الحرم نسبة الى الحرم الذي فيه قبر ابراهيم وحارة المشرقة لانها في الشرق

٢ — حرم الخليل

لا يهمنا من حبرون في هذا المقام الا المكان الذي فيه قبور ابراهيم وعائلته وهو يسمى الآن « الحرم » وكان يسمى على عهد اليهود قديماً حقل مكفيلة وبهذا الاسم جاء ذكره في سفر التكوين للمرة الاولى لما ماتت سارة امرأة ابراهيم في حبرون فاقبل يندبها ويبكيها واشترى الحقل من الحثيين ليدفنها فيه وهذه عبارة التوراة « وقام ابراهيم من امام ميته وكلم بني حث قائلاً انا غريب ونزيل عندكم اعطوني ملك قبر عندكم فادفن ميتي من امامي فاجاب بنو حث ابراهيم قائلين له اسمع يا سيدي انما انت رئيس الله فيما بيننا فادفن ميتك في خيار قبورنا ليس احد منا يمنع منك قبره لتدفن فيه ميتك . فقام ابراهيم وسجد لشعب الارض لبني حث وكلمهم قائلاً ان طابت نفوسكم ان ادفن ميتي من امامي فاسمعوا لي . اسألوا لي عفرون بن صوحر ان يعطيني مغارة المكفيلة التي له في طرف حقله بثمن كامل يعطيني فيما بينكم ملك قبر. وكان عفرون جالساً فيما بين بني حث فاجاب عفرون الحثي ابراهيم على مسامع بني حث امام كل من دخل باب مدينته قائلاً لا يا سيدي اسمع لي . الحقل قد وهبته لك والمغارة التي فيه ايضاً هبة لك مني على مشهد بني قومي وهبتها لك ادفن ميتك . فسجد ابراهيم امام شعب الارض وكلم عفرون على مسامعهم قائلاً اسألك ان تسمع لي . اعطيك ثمن الحقل تأخذه مني وادفن ميتي هناك . فاجاب عفرون ابراهيم وقال له يا سيدي اسمع لي . ارض تساوي اربع مئة مثقال فضة ما عسى ان تكون بيني وبينك ادفن ميتك فيها . فلما سمع ابراهيم ذلك منه وزن له الفضة التي ذكرها على مسامع بني حث اربع مئة مثقال فضة مما هو رائج بين التجار. فوجب حقل

عفرون الذي في المكفيلة التي تجاه ممرا الحقل والمغارة التي فيه وجميع ما فيه من الشجر بجميع حدوده المحيطة به ملكاً لابراهيم بمشهد بني حث وجميع من دخل باب مدينته . وبعد ذلك دفن ابراهيم سارة امرأته في مغارة حقل المكفيلة تجاه ممرا وهي حبرون في ارض كنعان . ووجب الحقل والمغارة التي فيه لابراهيم ملك قبر من عند بني حث »

وجاء في مكان آخر ان في هذا الحقل دفن ابراهيم وسارة امرأته واسحاق ورفقة امرأته ويعقوب وليئة امرأته ولم يرد ذكر هذا الحقل في التوراة بعد مدفن يعقوب . ولكن الادلة كثيرة على احترام اليهود لقبر ابراهيم في سائر ادوار تاريخهم وانه في حبرون وقد اشار الى ذلك يوسيفوس في اماكن كثيرة من تاريخه وذكره غير ايضاً من آباء اليهود

وما زالت حبرون بلداً اسرائيلياً مقدساً حتى ظهر الاسلام وفتح المسلمون بيت المقدس ودخلت فلسطين في حوزتهم فدخلت حبرون في جملتها وتلقى المسلمون تقاليد اليهود عن تلك القبور واحترموها ثم جعلوها حجاً وسموها الخليل او خليل الرحمن وجعلوا قبورها حرماً . حتى اذا كانت الحروب الصليبية ودخلت فلسطين في حوزة الافرنج جعلوها مقراً لابرشية لاتينية وظلت كذلك حتى فتح المسلمون بيت المقدس سنة ١١٨٧م فعادت حبرون اليهم ولا تزال في ايديهم الى الآن . ويظهر ان الصليبيين عنيوا في الاحتفاظ بتلك الآثار نستدل على ذلك مما رواه ياقوت الحموي في معجمه فقد قال نقلاً عن الهروي من اهل القرن السادس للهجرة ما نصه « قال الهروي دخلت القدس في سنة ٥٦٧ واجتمعت فيه وفي مدينة الخليل بمشايخ حدثوني انه في سنة ٥١٣ في ايام الملك بردويل انخسف موضع في مغارة الخليل فدخل اليها جماعة من الافرنج باذن الملك فوجدوا فيها ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام وقد بليت اكفانهم وهم مستندون الى حائط وعلى رؤوسهم قناديل ورؤوسهم مكشوفة فجدد الملك اكفانهم ثم سد الموضع »

وقد زار مدينة الخليل هذه الرحالة ابن بطوطة ووصفها ووصف مدفن ابراهيم واهله وسماه « الغار المكرم » وزارها غيره من المسلمين كثيرون اما من اهل هذا العصر فقد تقدم ان اول من زاره منهم علي بك العباسي في اول القرن التاسع عشر واليك وصفه قال :

« ان قبور ابراهيم واهله قائمة في مسجد اصله كنيسة يونانية يصعد اليه بسلم جميل يؤدي الى رواق مستطيل في يساره شبه غرفة مربعة وفي دهليز المسجد حجرتان

احداهما الى اليمين فيها قبر ابراهيم والأخرى الى اليسار فيها قبر سارة وسط المسجد بناؤه غوطي وفي اليمين حجرة بين اسطوانتين فيهسا قبر اسحق تقابلهسا حجرة الى اليسار فيها قبر امرأته . وفي هـذا المسجد محراب ومنبر للصلاة ايام الجمعة . والى الجانب الآخر من الصحن دهليز آخر فيه حجرة من كل جانب احداهما لقبر يعقوب والاخرى لامرأته » الى ان قال

« وفي حجرة هناك قبر يوسف وقد نقل الاسرائيليون رماده الى هنا . وقبور اولئك الاباء مغطاة بالسجاد الثمين من الحرير الاخضر وعليه طراز الذهب المتقن . اما قبور نسائهم فمغطاة بالسجاد او المخمل الاحمر وعليها الطراز الذهب . وهذه الاغطية تحمل الى هـذا المسجد من سلطان العثمانيين في القسطنطينية وتجدد حيناً بعد آخر . وهي كثيرة عددت منها تسعة على قبر ابراهيم وحده . ورأيت الحجر المحتوية على تلك القبور مكسوة كلها بالسجاد المذكور وقد سدت ابوابها بقضبان الحديد المصفحة بالفضة »

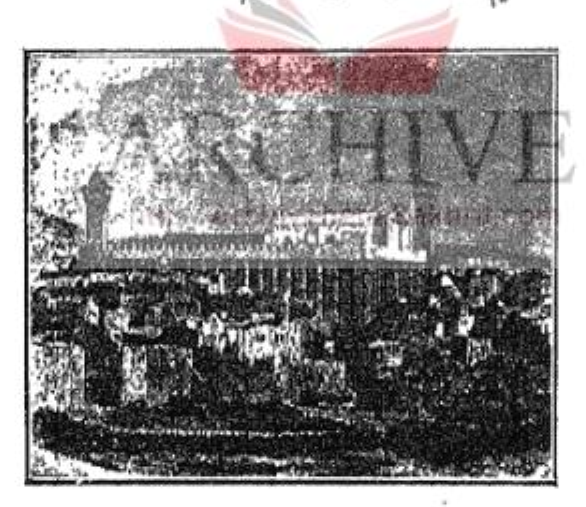
ولم يذكر علي بك وضع القبور الحقيقية في المسجد وهي في الواقع تحته . اي ان القبور في مغارة اقيم المسجد فوقها . ولا بد لمن يريد مشاهدة القبور الاصلية ان يدخل المغارة او الكهف وهو ممنوع حتى على المسلمين . والزوار انما يرون المزارات المبنية في المسجد فوق المغارة وهذه لم يكن يسمح لغير المسلمين بمشاهدتها كما تقدم . ولما جاء ولي عهد انكلترا سنة ١٨٦٢ وبيده الفرمان السلطاني وجد مشقة في الوصول الى الغرض لان الفرمان كان موجهاً الى حاكم القدس فلم يكن لهم بدٌّ من المرور به قبل الذهاب الى حبرون فلاقوا منه صعوبة كبرى في التصريح لهم محتجاً بالوجهة الدينية بالنظر الى اعتقاده وخوفاً من غضب العامة . فرفض اولا ثم تردد كثيراً قبل ان اذن واشترط مع ذلك ان لا يدخل المسجد الا ولي العهد ومعه اثنان من خاصته العلماء فقط وانه انما اذن بذلك اكراماً لسمو البرنس شخصياً . فاصحبهم بحامية من الحرس تقيهم ما عساه ان يقع من بعض المتعصبين من التعدي عليهم . حتى اذا وصلوا المسجد استقبلوا رسميا وادخلهم السدنة اليه باحتراس واحترام . وقد وصف ستانلي المسجد نحو ما جاء في وصف علي بك وان القبور الظاهرة في المسجد وعليها الاكسية من الديباج او الاطلس انما هي ظواهر القبور من الاعلى وان الجثث الاصلية موضوعة في اسفل الكهف ولا سبيل اليها مطلقاً . وان السادن دلهم على ثقب مستدير في ضريح ابراهيم قطره ثمانية قراريط قال انه يستطرق الى الغار وقد فتح لتصعد منه انفاس اولئك الآباء الى المسجد . وهم يرسلون من ذلك الثقب مصباحاً يضيئونه فوق القبر ولا يظهر ان اهل المكان

انفسهم يعرفون للغار منفذاً غير هذا

وبعد خروج ولي عهد انكلترا من تلك الزيارة اقفل المكان على غير المسلمين والناس في شوق لرؤية صور تلك الاماكن فلم يتأت لاحد تصويرها الا صاحب الصور الفوتوغرافية المنشورة في هذه المقالة

٣ - مسجد الخليل كما هو الآن

ان هذا المسجد قائم في حبرون شكله مربع مستطيل طوله من الشمال الى الجنوب الغربي ١٩٧ قدما وعرضه ١١١ قدما يحيط به سور تدعمه ٢٨ دعامة علو الواحدة ٢٥ قدما. يشبه في طرز بنائه حرم اورشليم القديم ولذلك يظن انه من بناء اليهود معدل ارتفاع مسالكه نحو ثلاث اقدام ونصف وفي بنائه حجارة ضخمة طول بعضها ٢٤ قدماً و ٨ قراريط في علو ثلاث اقدام و ٨ قراريط. ثخانة السور ثمانية اقدام ونصف اي مثل ثخانة سور اورشليم وكان علو السور القديم ٤٠ قدما

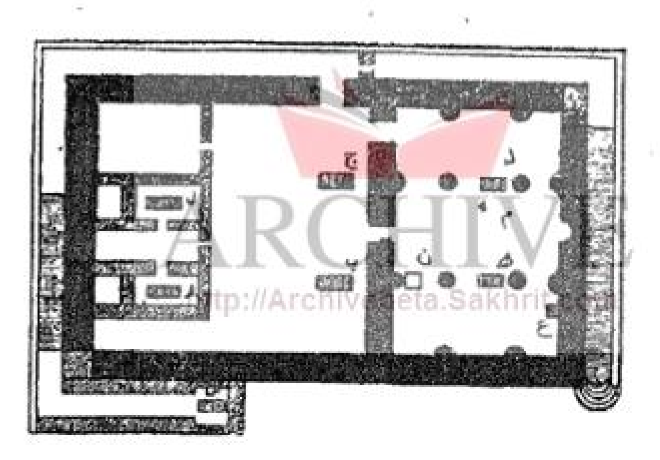


ش ١ - مسجد الخليل في حبرون

وللمسجد المذكور مأذنتان احداهما في الزاوية الغربية الشمالية والاخرى في الزاوية الجنوبية الشرقية. وكان المسجد قبل الاسلام كنيسة فاصبح بعده جامعاً له محراب ومنبر يشبه منبر المسجد الاقصى بني سنة ١٠٩١ للميلاد وقدمه السلطان صلاح الدين سنة ١١٨٧ م بعد فتح عسقلان. وفي الزاوية الشمالية الشرقية نقش يوناني يظن انه من زمن الامبراطور يوستنيان فيه ذكر ابراهيم ودعاء بركة للذين بنوه ولا يختلف المسجد في ما بقي عن سائر المساجد الا قليلاً. وقد علمت ان هذا الغار قديم وقد ثبت قدمه من

تواتر الاخبار عنه وتواليها في تاريخ اليهود والنصارى بحيث لا يقل عمره عن ٣٧٠٠ سنة . ولكن بناءه حصل فيه تجديد كثير فالباقي منه الى الان أكثرهُ حديث العهد والمظنون ان السور الخارجي بني في عهد هروديان امبراطور الروم والمسجد او الكنيسة تجددت في زمن الصليبيين بين سنة ١١٦٠ و ١١٨٠ م ومقام يوسف والممرات الخارجية والدرجات من بناء المسلمين في القرن الرابع عشر للميلاد وزجاج الشبابيك من القرن السادس عشر وهناك زيادات تجددت في القرون الاخيرة

اما الغار تحت المسجد فلا سبيل اليه وكان له مدخل سدوه بصفائح الحجر ولا يمكن الوصول اليه الا باختراق صحن الجامع وهذا لا يجوز . ويظن ان الغار المذكور مزدوج الشكل وفيه القبور الاصلية للاباء المتقدم ذكرهم ونسائهم لكنهم بنوا فوق كل منها مزاراً او مقاماً قد عينا اماكنها بالاحرف المرسومة في الشكل الثاني



ش ٢ ـ مواضع القبور

ان المربع المعلم بالحرف ب يدل عَلَى مكان قبر ابراهيم و ج قبر سارة امرأته و ه قبر اسحق و د قبر رفقة امرأته و ل قبر يعقوب و ر قبر ليئة او لايقة امرأته و س قبر يوسف . ولكل قبر حجرة قائمة بنفسها لها باب من قضبان الحديد مطلية بالفضة . في وسطها مزار كالقبة عَلَى شكل الاضرحة في المزارات الاعتيادية . وكل منها مكسو بالديباج المطرز بالآيات والكتابات والنقوش الجميلة كما ترى في الاشكال ٣ و ٤ و ٥ و ٦

فقبر ابراهيم في حجرة مثمنة الشكل مبطنة بالرخام عليها قرب السقف نقوش كتابية وكذلك قبر سارة . سقف كل منهما عقد قائم عَلَى ركائز ضخمة عَلَى بعضها نقوش كتابية تدل عَلَى انها جددت سنة ١٧٥٥ م وقد علق في السقف مصابيح من الفضة او بيض النعام تتدلى فوق المزار . واما المزاران فطول كل منهما ثمانية اقدام وعرضها ٤ وعلوها ٨ وهما مكسوان بستائر



ش ٣ ـ مزار ساره

من الديباج اوالحرير الاخضر والابيض وعليهما طراز ذهبي بالعربية . ففي الشكل الثالث صورة الستار على مزار سارة امراة ابراهيم وقد نقش في مربع بوسطه هذه العبارة « هذا قبر سيدتنا سارة رضي الله عنها زوجة النبي خليل الرحمن عليه السلام » وقد القي فوق الضريح كالغطاء عليه كتابة بالعربية وتاريخ لم نتبينه جيداً . وترى في ارض الحجرة بسطاً او قطعاً من الاطلس او الديباج بعضها ابيض والبعض الآخر اخضر وعليها نقوش مطرزة . وعلى الستارة التي تكسو الضريح طراز بالعربية مكرر يراد به الزخرفة

اما قبرا يعقوب وامراته ليئة فكل منهما في حجرة مربعة مستطيلة عليها نقوش قرب السقف مثل الحجرتين السابقتين . وفي وسطهما المزاران عليهما الستائر المطرزة . فالستارة على قبر يعقوب مثل ستارة مزار سارة تماماً الا المربع في وسطها فعليه كتابة تدل على انه قبر يعقوب هذا نصها « هذا قبر يعقوب النبي عليه السلام » وعليه مصابيح معلقة بحبل من اسفل السقف وعند اسفل المزار مواقف متفرقة من خشب (انظر ش ٤)

اما ليئة زوج يعقوب وهم يسمونها لائقة فعلى قبرها ستارة تختلف من سائر الستائر في اعلاها مربع مستطيل قد طرز فيه هذه العبارة « هذا قبر سيدتنا لائقة رضي الله عنها



ش ٤ ـ مزار يعقوب

زوجة النبي يعقوب عليه السلام ، وفي عرض الستارة آيات من سورة الاحزاب منقوشة

ش ٥ ـ مزار لائقة (ليئة)

بحرف فارسي جميل يظهر منها بالرسم آخر الآية ٢٩ « فان الله اعدّ للمحسنات منكنّ اجراً عظيماً » واول الآية ٣٢ « يانساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلاتخضعن بالقول فيطمع الذي ... » وتحت تلك الكتابة نقوش جميلة ظاهرة في الشكل الخامس



ش ٦ ـ مزار يوسف

اما ما يسمونه قبر يوسف فيشبه في شكله سائر المزارات وعليه ستارة مزركشة تشبه ستارة سارة ويعقوب شكلاً ونقشاً الا المربع الذي فيه الاسم وهذا نقشه « هذا قبر النبي يوسف عليه السلام » وعند اسفل المزار مواقف للقرآن (انظر ش ٦)

قال عبد الكريم الشاعر في وصف الفيل

وأضخمَ هنديٍّ النجاري تَعدهُ	ملوكُ بني ساسان ان رابها أمرُ
يجيء كطود جائل فوق اربع	مضبرة لمت كما لمت الصخرُ
له نفنفان كالكثيبين لبدا	وصدر كما اوفى من الهضبة الصدر
ووجهٌ به انفٌ كراووق خمرة	ينال به ما تدرك الانمل العشر
واذن كنصف البرد يسمعه الندا	خفيا وطرف ينقض الغيب مزورُ
ونابان شقا لا يريك سواهما	قناتين سمراوين طعنهما نثر
له لون ما بين الصباح وليله	اذا لطق العصفور اوغلس الصقر

الآلات الرصد

تاريخها من اقدم الازمان الى الآن

كثر تحدث الناس بالنجم المذنب الذي ظهر حديثاً ورآه اهل القاهرة عند الافق ساعة الغروب فرأينا ان نأتي بمناسبة ذلك على تاريخ آلات الرصد وكيف ارتقت من اول عهد التمدن الى اليوم

رصد الكواكب قديم لان الانسان لم يدهشه شيء من حوادث الطبيعة لأول عهده بها كما ادهشه منظر الشمس والقمر والكواكب فاندفع بالاعجاب بها الى ملاحظة حركاتها وظواهرها . لكنه لم يجعل ذلك علماً مستقلاً ينتفع بارصاده الا بعد ان تمدَّن . واول من رصد الكواكب من القدماء الكلدانيون في بابل فهم اساتذة العالم في علم النجوم وقد وضعوا اساساته ورفعوا اساطينه فرصدوا الكواكب وعينوا اماكنها ورسموا الابراج ومنازل القمر والشمس وحسبوا الخسوف والكسوف منذ بضعة واربعين قرناً وعاصرهم المصريون والفينيقيون ثم اليونان وغيرهم

الطور الاول من آلات الرصد (الاسطرلاب)

ولا بد للكلدانيين والمصريين من آلات كانوا يرصدون بها الاجرام لا نعلم ما هي . ولكنها من قبيل الاسطرلاب المبني على قياس الزوايا وهو اقدم آلات الرصد . وعلى كل حال انهم كانوا يرصدون تلك الاجرام بالعين المجردة فلم يعرفوا منها الا ما يمكن رؤيته بالعين . وهكذا كان شأن اليونانيين لكنهم توسعوا في هذا العلم وكان النظر فيه من جملة ابحاث الفلاسفة واقدمهم طاليس . وقلَّ من جاء بعده من فلاسفة اليونانيين ولم يتعرض لهذا الفن واشهرهم فيه انكسيمندر وانكسيمينس وانكساغوراس . وكان للقسم الايطالي من بلاد اليونان عناية كبرى في النجوم ومقدام فلاسفتهم فيه فيثاغورس الشهير المتوفى سنة ٥٠٠ ق م اخذ بعض هذا العلم من مصر وتوسع فيه وتبعه في ذلك كثيرون . ويكاد لا يخلو فيلسوف من فلاسفة اليونان من النظر في النجوم واحكامها مما يطول شرحه . على ان هذا العلم بلغ قمة مجده عندهم في مدرسة الاسكندرية

وكانوا يرصدون الكواكب بآلات اهمها الاسطرلاب وهو اشكال كثيرة مرجعها الى الاستعانة بالزاوية على تعيين علو الاجرام السماوية عن الافق او ابعادها بعضها عن بعض . وزهت الاسكندرية على عهد البطالسة بالفلاسفة والفلكيين والرياضيين فرصدوا الكواكب

ووضعوا الازياج وغيرها وزادوا الآلات المساعدة عَلَى الرصد اتقاناً واخترعوا غيرها. وهكذا فعل المسلمون لما افضى التمدن اليهم — وهذه اهم آلات الرصد في ايام التمدن الاسلامي :

(١) اللبنة : وهي جسم مربع مستوٍ يستعلم به الميل الكلي وابعاد الكواكب وعرض البلد

(٢) الحلقة الاعتدالية : هي حلقة تنصب في سطح دائرة المعدل ليعلم بها التحويل الاعتدالي

(٣) ذات الاوتار : هي اربع اسطوانات مربعة تغني عن الحلقة الاعتدالية ويعلم بها تحويل الميل



ش ١ — فلكي يوناني يرصد الكواكب في مرصد الاسكندرية

(٤) ذات الحلق : هي اعظم الآلات هيئة ومدلولاً وتركب من حلقة تقوم مقام منطقة فلك البروج وحلقة تقوم مقام المارة بالاقطاب تركب احداها في الاخرى بالتنصيف والتقطيع . وحلقة الطول الكبرى وحلقة الطول الصغرى تركب الاولى في محدب المنطقة والثانية في مقعرها . وحلقة نصف النهار وقطر مقعرها مساوٍ لقطر محدب حلقة الطول الكبرى . ومن حلقة الارض قطر محدبها قدر قطر مقعر حلقة الطول الصغرى وتوضع عَلَى كرسي . وهي الكرة التي تراها قائمة بين يدي الفلكي الاسكندري في الشكل الاول

(٥) ذات السمت والارتفاع : هي نصف حلقة او ربعها قطرها سطح من سطوح

اسطوانة متوازية السطوح يعلم بها السمت وارتفاعه وهي من مخترعات الرصاد الاسلاميين (انظر الشكل الثالث)

(٦) ذات الشعبتين : هي ثلاث مساطر على كرسي يعلم بها الارتفاع

(٧) ذات الجيب : هي مسطرتان منتظمتان انتظام ذات الشعبتين

(٨) المشبهة بالناطق : لمعرفة ما بين الكوكبين من البعد وهي ثلاث مساطر

(٩) الاسطرلاب : وهو انواع كثيرة منها التام والمسطح والطوماري والهلالي والزورقي والعقربي والآسي والقوسي والجنوبي والشمالي والمبطح والمسرطق وحق القمر والمغني والجامعة وعصا موسى. ناهيك من آلات الرصد بالارباع واشكالها ولكل شكل تنوعات مما لا يحصيه عد

وترى في الشكل الاول فلكياً من اهل الاسكندرية في عهد البطالسة يرصد الكواكب بآلة لعلها ذات الشعبتين المذكورة في ما تقدم. وامامه ذات الحلق كالكرة المتداخلة الحلقات ووراءه الحلقة الاعتدالية وغيرها

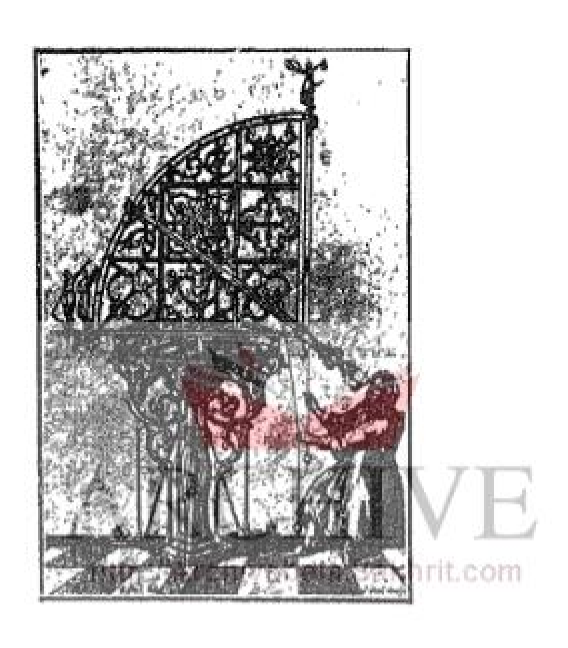


ش ٢ ـ اسطرلاب عربي

واكثر آلات الرصد اشكالاً الأسطرلاب فمنه المستدير المؤلف من حلقات متداخلة وله قطر يدور بدرجات وعلامات. وقد اتقن العرب هذا النوع من الاسطرلاب كما

اتقنوا غيره من آلات الرصد لكثرة ما انشاؤه من المراصد في بغداد ودمشق ومصر والاندلس ومراغة وسمرقند وغيرها وقد فصلنا ذلك في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي . وفي الشكل الثاني اسطرلاب عربي عليه العلامات بالاحرف العربية

وادخل المسلمون تحسيناً كثيراً في آلات الرصد واخترعوا آلات من عند انفسهم منها ذات السمت والارتفاع وذات الاوتار والمشبهة بالناطق وغيرها



ش ٣ — ذات السمت

ولما اخذ الافرنج في نهضتهم نحو هذا التمدن اقتبسوا ما كان عند العرب من آلات الرصد واستخدموها في مراصدهم وفي جملتها ذات السمت او السموت التي تقدم ذكرها ونقلوا اسمها العربي الى لسانهم فصار Azimuth وترى في الشكل الثالث صورة ذات السمت كما كان الافرنج يرصدون بها سنة ١٦٤٤ م وترى الراصد جالساً على كرسي يوقع بصره على القطر يقيس السمت وهو الارتفاع

وبالجملة فان الرصد في الدور الاول من ادواره كان المعول فيه على الزواية والحلقات المتقاطعة يقيسون بها الابعاد والارتفاعات — قضوا في ذلك نحو اربعين قرناً وعدد الكواكب التي يرونها واحد وانما كان عملهم قاصراً على تعيين الابعاد وتقدير الخسوف والكسوف . ما زال ذلك شأنهم حتى اخترعوا التلسكوب اي النظارة الفلكية المقربة فانتقل الرصد بها الى طور جديد

الطور الثاني من اطوار الرصد (التلسكوب)

لم يكن القدماء يعرفون من النجوم الا ما يرى بالعين المجردة وهي لا يزيد عددها على ٦٠٠٠ نجم تتفاوت نوراً وظهوراً ويعبرون عن قوة الظهور فيها بالاقدار فيقولون ان نجم كذا من القدر الاول ونجم كذا من القدر الثاني او الثالث او الخامس . ونجوم القدر الاول اكثرها ظهوراً لشدة نورها او قربها . ومن نجوم هذا القدر الشعرى اليمانية وسهيل والعيوق وغيرها وهي ٢٠ نجماً . ونجوم القدر الثاني ٤٠ نجماً منها نجم القطب والمراق ونحوها . ونجوم القدر الثالث ١٤٠ نجماً من امثلتها ذات الكرسي . ومن القدر الرابع ٣٠٠ نجم ومن الخامس ٩٥٠ ومن السادس ٤٤٥٠ نجماً ومجموع ذلك نحو ٦٠٠٠ نجم وما كان بعد القدر الخامس لا تراه العين المجردة

فلما اخترعوا التلسكوب راوا كواكب جديدة ما زال عددها يزداد كلما زادوا اتقان الآلة حتى بلغ عدد النجوم التي ترى بالتلسكوب الآن نحو ٢٣ ٠٠٠ ٠٠٠ نجم فيها الشموس والاقمار الثوابت والسيارات والمزدوجات والعناقيد والقنوان وذوات الاذناب وغيرها

اختراع التلسكوب سنة ١٦١٠

اساس التلسكوب العدسيات الزجاجية او البلورية وهي محدبة او مقعرة . وكانت العدسيات معروفة قبل اصطناع التلسكوب كانوا يصطنعون بها النظارات للعيون (عوينات) وقد اخترعها راهب ايطالي اسمه اسكندر سبينا من اهل فلورنسا سنة ١٢٨٥م ويظن بعضهم ان المخترع الحقيقي هو روجر باكن سنة ١٢٨٠م وظل الناس يستخدمون العدسيات الزجاجية لتكبير الاشباح القريبة لمساعدة قصار النظر (ميوب) الى اول القرن السابع عشر فركبوا منها التلسكوب

واول من اشار بامكان استخدام هذه العدسيات في تقريب الاشباح البعيدة روجر باكن المتقدم ذكره لكنه لم يخرج فكره الى حيز العمل . وذكروا كثيرين شرعوا بهذا الاختراع والارجح ان اول من ركب العدسيات على شكل يقرب الاشباح اثنان من صناع النظارات هما جون ليبرهي وزخريا جنسن من اهل ميدلبرج وآخر اسمه جمس متيوس من الكمير سنة ١٦٠٨ وكان غليليو العالم الشهير مشتغلاً يومئذ في الفلك يبحث عن دورة الارض وغيرها فبلغه خبر ذلك الاختراع فاصطنع تلسكوباً على مثاله في مايو سنة ١٦٠٩ وما زال يشتغل بتقويته حتى اذا اكتشف به المشتري سنة ١٦١٠

فكان لهذا الاكتشاف دوي عظيم في اوربا وقدم غليليو تلسكوبه الأول هدية الى صاحب البندقية في عصره

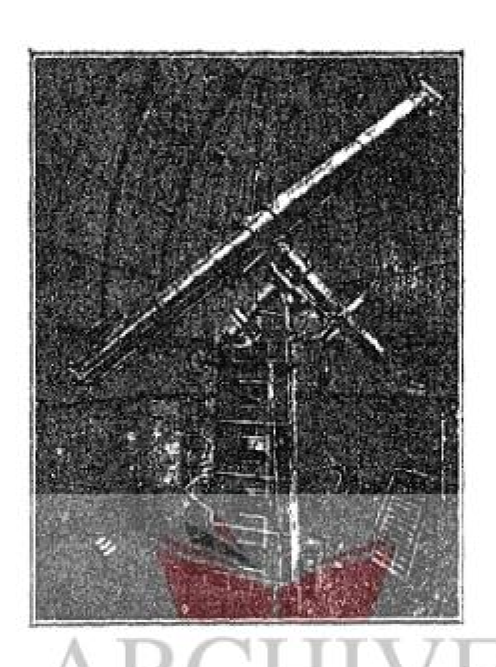


ش ٤ ــ تلسكوب غليليو محفوظ في متحف فلورانسا

فتلسكوب غليليو اول خطوة نحو الطور الثاني من الرصد ولا يزال محفوظاً في جملة التحف بمتحف فلورنسا بايطاليا . وهو عبارة عن أنبوبة طولها نصف مترو لها عدسيتان احداهما محدبة والاخرى مقعرة لايزيد قطر الواحدة منهما على اربعة سنتمرات . وترى في الشكل الرابع صورة هذه الانبوبة واخرى مثلها . ولم يكتشف غليليو نجم جوبتير بهذا التلسكوب لكنه شاهد به بعض الابعاد الارضية من الجبال او المدن او القصور. ولما تحقق صحة الاختراع اصطنع تلسكوباً آخر حجمه ٣٠ ضعف ذاك ووجه عدسيته نحو المشتري فلما رآه خفق قلبه فرحاً فاستدعى اصحابه ليشتركوا معه بهذا الفرح واكتشف نجوماً اخرى . وشاع خبر هذا التلسكوب في العالم المتمدن فاخذوا يشتغلون في تحسينه وتكبير عدسياته وكلما كبرت العدسة زادت القوة على التقريب

واكبر عدسيات التلسكوب الآن عدسية تلسكوت مرصد يركس في جامعة شيكاغو

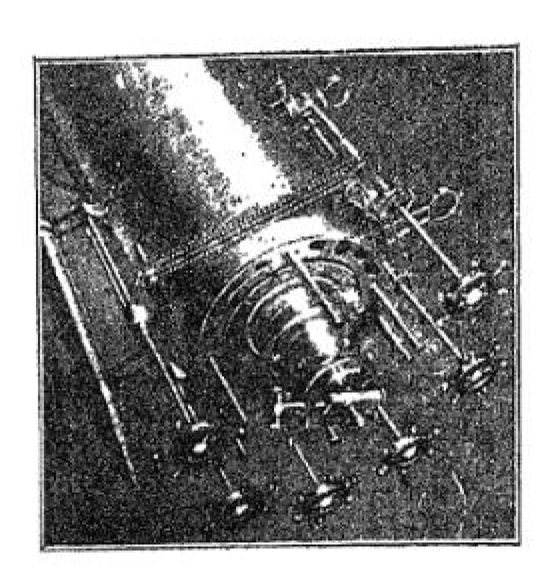
فان قطرها متر وخمسة سنتمترات غير التحسينات في جهات اخرى وكلها تساعد على تقريب الاشباح ووضوحها وجلائها



ش ٥ ـ تلسكوب مرصد يركس في شكاغو باميركا

والسر في تقريب الاشباح بالتلسكوب يرجع اما الى تكسير اشعة النور او انعكاسها . ولذلك سميت النظارت الفلكية اما معكسة او مكسرة . والمعكسة يدخل النور من فوهتها المفتوحة على خطوط متوازية فتقع على مرآة مقعرة في الطرف الآخر من الاسطوانة فينعكس عنها مجتمعاً الى عين الناظر بعد مروره بعدسية محدبة . واما المكسرة فيقع النور فيها اولاً على عدسية محدبة ثم يخترق عدسية مقعرة ويقع بعد ذلك على العدسية عند عين الناظر . ولاستخدام النظارة الفلكية قواعد وروابط لا محل لذكرها هنا

وانما يهمنا مما نحن فيه ان التلسكوب او النظارة الفلكية ولدت منذ ثلاثمئة سنة طفلة وكانت اسطوانة بسيطة كالانبوب طولها نصف متر وقطرها اربعة سنتيمترات تحمل باليد . وما زالت ترتقي وتتحسن وتزداد اتقاناً حتى صار دولها عظيماً تنصب على الابنية وتدار بالآلات . وتعددت اجزاؤها وكثرت حركاتها حتى صارت تحتاج في استخدامها الى حركات دقيقة تدار كل منها بآلة خاصة كما ترى في الشكل السادس وهو رسم طرف نظارة يركس من الجانب الذي توضع العين على فتحته لرؤية الاشباح . انظر الى عدد ما هنالك من اللوالب



ش ٦ — طرف تلسكوب يركس

ولكل منها حركة لعمل مقصود من تقريب العدسة او تبعيدها او ادارتها او تحويل النظارة عن موضعها الى الاعلى او الاسفل او اليمين او اليسار او غير ذلك. وعندهم لرصد كل من السيارات احكام وقواعد ولرصد ذوات الاذناب احكام خصوصية

المذنبات والمذنب الجديد

المذنبات كثيرة ولا يزالون يكشفون منها نجوماً جديدة . فالراصد لا ينفك يجيل نظره في القبة الزرقاء يرجو ان يكشف مذنباً لم يعرف من قبل فاذا وفق الى ذلك اجتهد في تعيين موقعه او ميله او صعوده واعان المراصد الرسمية بذلك

والامور التي ينبغي الانتباه اليها في ذوات الاذناب اربعة : النواة واللحية والمحيط والذنب . اما النواة فلا ترى في بعض المذنبات وهي مثل الضباب ترى من ورائها النجوم وكان اخف البخار المائي في الهواء يحجبها عن النظر وفي بعضها تكون النواة لامعة جدًّا تضاهي لمعان الزهرة . وفي البعض تتألف النواة من عدة قطع . وذكر بعضهم حركة تلك القطع بعضها على بعض . غير ان ذلك من الامور المشكوك في صحتها

اما اللحية او الرأس فهي المادة الضبابية حول النواة وقد تشغل مساحة اوسع من مساحة قرص القمر

أما المحيط فهو القسم من اللحية او الرأس الابعد عن النواة وهو غالباً ينحرف الى

نحو خلف المذنب ويكون مبتدأ ذنبه . وهو مادة لطيفة على هيئة مروحة كبيرة ممتدة الى عكس جهة الشمس من المذنب وطوله الظاهر متوقف على الزاوية الحادثة بيننا وبينه والشمس وجهة حركته . فقد يكون الذنب ممتداً على خط النظر فلا يرى او يرى قصيراً

وقد بلغ عدد المذنبات المكتشفة كثير وأكثر المعروف منها لهُ اوقات يظهر فيها مثل سائر السيارات ومن جملتها مذنب هالي وهو معروف من عهد بعيد والراصدون يتوقعون ظهوره كل مدة معينة وقد جاء ذكره في التاريخ على الخصوص سنة ١٤٥٦ فان ظهوره فيها كان جلياً واقترب من فلك الارض كثيراً وقد شغل طول ذيله نحو ٦٠ درجة من السماء . وكانت اوروبا يومئذ لا تزال في الظلمة على اثر دخول العثمانيين القسطنطينية وفرار العلماء منها فكان لظهوره دوي وتأويلات ومخاوف كثيرة



ش ٧ - المذنب الجديد اومذنب دريك

ومن شأن مذنب هالي المذكور انه في اكثر احيان ظهوره يظهر معه مذنب آخر بالقرب منه واتفق ذلك ايضاً هذا العام . فبينما الراصدون يتوقعون ظهوره جاءهم النبأ من جنوبي افريقيا ان المستر دريك راى نجماً مذنباً في مرصد يوهانسبرج عاصمة الترنسفال في ١٧ يناير الماضي رآه عند شروق الشمس وطال مكثه كثيراً فانتبهت المراصد واخذت تتطلع الى رؤيته فشاهدوه من راس الرجاء الصالح ثم شاهده اصحاب المراصد في اوروبا وصوروه صوراً كثيرة هذه واحدة منها مأخوذة عن مرصد كمبريدج

وقد ظنه بعضهم مذنب هالي وليس هو . أما في مصر فقد شاهده الناس حوالي الغروب من جهة الغرب . وجاءنا من المرصد الخديوي بمصر ما يأتي :

« النجم ذو الذنب الذي يرى الآن في جهة الغرب عقب غروب الشمس اكتشفه المستر دريك (Drake) الموجود بمدينة جوهانسبرج بجنوب افريقيا صباح يوم الاثنين الموافق ١٧ يناير الجاري ويتباعد هذا النجم عن الشمس بسرعة وليس بنجم هالي الذي لا يمكن رؤيته للآن بالعين المجردة »

ويمتاز هذا المذنب عن اكثر المذنبات انه يظهر للعين المجردة في النهار وهذا نادر ولذلك فاهل الاوهام وجدوا سبيلاً للمخاوف واخذوا يتكهنون عما عساه ان يحدث من الامور الهامة كانقلاب الدول وزلزلة الارض او انقضاء العالم . وقد آن للناس لا سيما في المدن الحافلة بالمدارس ان ينبذوا هذه الاوهام ولا يعولوا على غير الحقائق

شانتيكلير

رواية تشخيصية تمثل باشكال الحيوانات

ضجت باريس وجاوبها العالم كله في اثناء فبراير الماضي لأمرين خطيرين حلاّ بها فشغلاها وشغلا العالم : الاول فيضان نهر السين فانهُ اضرَّ بها ضرراً بليغاً لم يحدث مثله منذ مئات السنين وقدرت الخسائر الناتجة عن ذلك بستين مليون جنيه او اكثر . والامر الثاني تشخيص رواية شانتيكلير تأليف ادمون روستان الشاعر الفرنساوي الشهير صاحب رواية لا يكلون مما شاع ذكره في عالم الادب . ومن غرائب الاتفاق — وربما عدَّه بعضهم من غرائب الشؤم — ان هذه الرواية لم يكد يتم تشخيصها حتى طغى نهر السين وسبحت باريس فيه . لكنها شغلتهم حتى عن هذه النكبة وشغلت صحفهم وانديتهم عن كل حديث والسبب في ما نالته هذه الرواية من الشهرة او احدثته من الحركة في الافكار والقلوب شهرة مؤلفها وطول انتظار الناس لها . فقد أعلن روستان امرها منذ عشر سنوات فاعترض ظهورها حوادث مختلفة زادت الناس تطلعاً الى مشاهدتها . ومن اسباب تأخرها انحراف صحته ووفاة كبير ممثليها . وغير ذلك فتشاءم الناس منها وختمت اسباب التشاؤم بطغيان السين طغياناً لم يجر مثله منذ ثلاثمائة سنة — ومع ذلك فالناس تهافتوا على حضورها بالالوف ولا حديث للقوم غير شانتكلير وهي فريدة من نوعها بل هي اول رواية مثلت من هذا النوع فان الفلاسفة ما برحوا من قديم الزمان يؤلفون القصص والحكم على السنة

الحيوانات واشهر هذه القصص عندنا كليلة ودمنة . وعند اليونان كثير من هذا النوع من عهد ارستوفان وقد جرى بعض اهل زماننا هذا المجرى في تأليف القصص على السنة الحيوانات وضمنوها الحكمة والموعظة مثل ماترلنك و بوديار وكبلن وغيرهم ولكنهم لم يمثلوها على المراسح باشكالها الطبيعية تماماً - تلك هي مزية روستان في تاليف رواية شانتكلير فانه اراد ان يمثل الحكمة على السنة الحيوانات بتمثيل الحيوانات انفسها كل منها حسب طبيعته والرواية التمثيلية تحتاج مثلاً الى ملك وخادم وسفير ونصوح ودساس ومهزار ونمام وشريف ومحب وحبيب وغير ذلك والحيوانات يمتاز كل منها بخلة من هذه الخلال فاختار روستان من انواع الحيوان ما يوافق غرضه في تمثيل روايته . واكثر تعويله على الطيور فمثل فيها الديك والدجاجة والطاووس والوز والحمام والضفدع والخلد والكلب وكل منها على ما يوافق طبيعته فتألف من ذلك رواية فيها عبرة وحكمة

والغرض الرئيسي من ذلك تمثيل ما يرتكبه اهل الفساد في الارض وما يأتونه من المنكرات سراً و يظهرون بمظاهر اهل الفضل . فالديك وهو بطل الرواية مثل به العداء لاهل البغي من سائر الطيور وجعله كبير الدعوى يزعم انه يشرق الشمس بصياحه فينبه سائر الطيور حتى يكفوا عن منكراتهم المستترة في ظلام الليل . وان تلك الطيور تآمرت على قتل الديك للتخلص من اذاه لانه يكشف اعمالهم بمجاهرة الشرور واطلعه على الدسيسة ففر الديك الى غابة بعيدة عرف بها دجاجة علق قلبه بها لجمال ريشها الباهر واحبته هي لرخامة صوته وانتهت الرواية ودارت الدائرة على اهل البغي

وقد خطر لروستان هذا الفكر الغريب وهو مار في البيرينة على اثر تأليف رواية لايكلون فدخل حقلاً فيه انواع الطيور الداجنة وما يألفها او يعاشرها من غير الطير ورآها تلعب وتتزاحم واعجبه ديك بينها كانت له السيادة والعظمة . فطرق ذهنه ان يمثل رواية مثلها وما زال يفكر في ذلك حتى ادركه ولكن بعد العناء الشديد لما في تمثيلها من المشقة على الممثلين بما يقتضيه ذلك من تقليد الطير بشكله من الريش والمناقير والقوادم وغير ما يقتضيه التمثيل من الطيران او الزحف او الوثب . ناهيك بما يجب من حفظ النسبة بين احجام هذه الحيوانات الطبيعية بين الكلب والضفدع وبين الديك والحمام وغير المشقة في اصطناع الالبسة من الريش او الجلد بحيث تكون متناسبة الالوان والاحجام والاشكال . فقد انفق صاحب المرسح في هذا السبيل اموالاً طائلة غير ما دفعه للمؤلف وللاعلان ولكنه لا يلبث ان يعوض ذلك ويربح فوقه

وترى في الرسم صورمظهراً من مظاهر هذه الرواية يمثل شانتيكلير (الديك) وحبيبته



الديك (شانتكلير) وحبيبته الدجاجة

الدجاجة واقفين يتحادثان واعترض تواصلها حوادث عليها مدار القصة - و ينتظران تكون هذه الرواية مثالاً ينسج عليه مؤلفو الروايات التمثيلية فيتولد في فن التمثيل نوع جديد من من الروايات تقلد به الحيوانات

رؤية الاشباح من وراء الجبال والبحار

ستكلم صديقك بالتلفون وتسمع صوته وترى وجهه

و بينكما مئات من الاميال

نشرنا في الهلال الماضي مقالة ضافية في هذا الاختراع النفيس الذي اوشك ان يتم ويرى الانسان صاحبه وبينهما مئات او الوف من الاميال — يراه كانه ينظر اليه في المرآة وقد بينا الاساس العلمي الذي بني عليه ذلك الاختراع . ثم وقفنا على صورة راس نقلت عن المرآة التي تقع عليها صورة الشبح المنقولة بواسطة الاختراع المذكور فعمدنا الى نشرها

وليست هذه من قبيل نقل الصور بالتلغراف اي « تليفوتوغراف » وانما هي صورة منقولة

عن شبح ظهر في المرآة بعد انتقاله على الاسلاك الكهربائية فصوره بالفوتوغراف . وهو ما يعبرون عنه بقولهم l'elevision اي النظر البعيد . وقد نقل هذا الشبح بآلة روس وهو من المشتغلين بهذا الاختراع كما قدمنا في الهلال الماضي



راس رجل كما يظهر منقولاً بآلة النظر البعيد

اما التقطع او التشويش الذي يظهر في هذه الصورة فسببه ان قطع لوح السلينيوم الذي استخدمه المخترع كبيرة فيقتضي لوصول الصورة صحيحة واضحة ان يكون ذلك اللوح مؤلفاً من قطع صغيرة جداً لا يقل عددها في اللوح لرسم الراس والكتفين فقط عن ١٠٠٠٠ قطعة وكل منها متصل بالبطارية بسلك خاص به وهم يشتغلون في اصطناع آلة على هذا الوصف يقدرون نفقتها بربع مليون جنيه ستعرض في معرض بروكسل هذا العام

عمر الخيام

ما عرفه العرب عنه

لجانب ادارة الهلال الاغر

قرأت في العدد الخامس من هلالكم المنير من السنة الثامنة عشرة صفحة ٣٠٣ ما ذكرتموه عن عمر الخيام وقد أشرتم اليه في السنة (١١ : ٢٤٤) ولما كنت قد بحثت عنه كثيراً لأعلم ماذا عرف العرب عنه جئت الخص ابحاثي بهذه العجالة

ان اقدم من ذكره من العرب الوزير جمال الدين ابو الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) وذلك بعد زمن الخيام بنحو قرن ونصف فترجمه في كتابه (تاريخ الحكماء) المطبوع في مصر سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) صفحة ١٦٢ فقال عنه « امام خراسان وعلامة الزمان يعلم علم يونان ويحث على طلب الواحد الدَّيان بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الانسانية ويأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية وقد وقف متأخرو الصوفية على

شيء من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقهم وتحاضروا بها في مجالساتهم وخلواتهم وبواطنها حيات للشريعة لواسع . ومجامع للاغلال جوامع . ولما قدح اهل زمانه في دينه واظهروا ما أسرّه من مكنونه خشي على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه وحج متاقاةً لا تقيةً وابدى اسراراً من سرار غير نقية . ولما حصل ببغداد سعى اليه اهل طريقته في العلم القديم فسد دونهم الباب سد النادم لاسدّ النديم . ورجع من حجه الى بلده يروح الى محل العبادة ويغدو ويكتم اسراره ولا بد ان تبدو . وكان عديم القرين في علم النجوم والحكمة وبه يضرب المثل في هذه الانواع لو رزق العصمة وله شعر طائر تظهر خفياته على خوافيه وتكدر عرق قصده كدر خافيه فمنه

اذا رضيت نفسي بميسور بلغة يحصلها بالكد كفي وساعدي
أمنت تصاريف الحوادث كلها فكن يازماني موعدي او مواعدي
أليس قضى الافلاك في دورها بان تعيد الى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبراً في مقيلك انما تخر ذراه بانقضاض القواعد » اه

هذه ترجمة الخيام لابن القفطي تدل على ان العرب كانوا يرمونه بالزندقة والكفر كما رموا ابا العلاء المعري الشهير وغيره . وروى بهاء الدين العاملي في كتابه الكشكول صفحة ٢٠٠ ما نصه « كان عمر الخيامي مع تبحره في علوم الحكمة سيء الخلق له ضنة بالتعليم والافادة وربما طول الكلام في جواب ما يسأل عنه بذكر المقدمات البعيدة وايراد لا يتوقف المطلوب على ايراده ضنة منه بالاسراع الى الجواب . دخل عليه حجة الاسلام الغزالي يوماً وسأله عن المرجح لتعيين جزء من اجزاء الفلك للقطبية دون غيره مع انه متشابه الاجزاء فطول الخيامي الكلام وابتدأ بان الحركة من اي مقولة وطول بالخوض في محل النزاع كما هو دابه وامتد كلامه الى اذان الظهر . فقال الغزالي جاء الحق وزهق الباطل وقام وخرج » اه

وقد ذكر ملا كاتب جلبي المعروف بالحاج خليفة في كتابه كشف الظنون طبع مصر (١ : ٢٩٧) عن معارفه الرياضية ما نصه :

قال « حضرة الفاضل عمر بن ابراهيم الخيامي : ان احد المعاني التعاليمية من الرياضي هو الجبر والمقابلة وفيه ما يحتاج الى اصناف من المقدمات معتاصة جداً متعذر حلها . اما المتقدمون فلم يصل الينا منهم كلام فيها لعلهم لم يتفطنوا لها بعد الطلب والنظر . او لم يضطر البحث الى النظر فيها او لم ينقل الى لساننا كلامهم . واما المتأخرون فقد عنّ لهم تحليل المقدمة التي استعملها ارشميدس في الرابع من الثانية في الكرة والاسطوانة بالجبر

فتأدى الى كتاب واموال واعداد متعادلة فلم يتفق له حلها بعد ان اكر فيها مليا فجزم بانه ممتنع حتى تبعه ابو جعفر الخازن وحلها بالقطوع المخروطية . ثم افتقر بعده الى جماعة من المهندسين الى عدة اصناف منها فبعضهم حل البعض » اه

وجاء في خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر للمحبي (٤ : ٣٩٠) مانصه : « كان مصطفى بن محمد الشهير بعزمي زاده قاضي العسكر له اشعار في التركية كرباعيات سديد الدين الانباري في العربيـة وعمر الخيام في الفارسية اليهـا النهاية في القبول والتحسين وعليها المعول في لطف النكات والمضامين » اه

ومن مؤلفات الخيام في العربيـة رسالة في الجبر والمقابلة طبعها فرنتس وبيك (Fr. Wœpeke) المستشرق الالماني في باريس سنة ١٨٥١م وترجمها بالفرنسية : ورسالة له الى القاضي ابي نصر النسوي في الخلق والتكليف طبعها مع اربع رسائل اخرى عبد المجيد افندي زكريا في مصر سنة ١٩٠٧ م

ومنها التاريخ الجلالي الذي نسبة الى ابي الفتح جلال الدين ملكشاه بن الب ارسلان (٤٤٧ هـ - ٤٤٥ هـ) السلجوقي وكان الخيام يرصد في مرصد ملك شاه وله جدول الارصاد او الزيج الذي ذكره صاحب كشف الظنون (٩ : ٤٦٤)

وله باللغة العربية اشعار كما يظهر مما اورده له ابن القفطي آنفاً وقد وقفت في كتاب ينبوع الآداب والحكم لناجم افندي المطبوع في بيروت على مقطعات لهُ منها قوله :

العقل يعجب في تصرفه ممن على الايام يتكلُ
فنوالها كالريح منقلب ونعيمها كالظل منتقلُ

وقوله : سبقت العالمين الى المعالي بصائب فكرة وعلو همه
فلاح بحكمتي نور الهدى في ليال للضلالة مدلهمهْ
يريد الجاحدون ليطفئوها ويأبى الله الا ان يتمهْ

وقوله : متى ما تخالط عالم الانس لم يزل بسمعك وقرٌ من مقال السفيهِ
اذا ما الفتى لم يرم شخصك عامداً بكفيه عن ضغن رماك بفيهِ
وقد علم الله اعتقادي وانني اعوذ به من شر ما انا فيهِ

أما رباعياته الفارسية فنقلها الى الفرنسية المسيو نقولا قنصل فرنسا في العجم وطبعت في باريس سنة ١٨٦٧ في ٢٢٠ صفحة والمستر هونفيلد (Whinfield) الانكليزي ومواطنه المستر ادورد فتزجيرلد (Fitzgerald) وغيرهما ولهذه طبعات متعددة عليها شروح ومقدمات مفيدة احداها في أكثر من مائتي صفحة

والاوروبيون والاميركيون مولعون بشعر الفرس ولا سيما الخيام وقد قرأت عنه مقالة في مجلة اميركية سنة ١٩٠٣ بقلم عقيلة بورين (W. A. Boren) تلتها في احدى المجتمعات الادبية باميركا وترجمت كثيراً من اشعاره الى الانكليزية . وهاك ما عربته نظماً منها سنة ١٩٠٤ م

ابذل قصارى الجهد في عمل الذي تبغيه في هذي الديار مشمرا
من قبل ماداعي الردى يبدي الندى «انت الثرى ومن الثرى والى الثرى»
من غير خمر او مغن او غنا وبلا انتهاء سوف ترقد في العرا

ومنه : ديوان اشعار بظل حديقة ورغيف خبز مع نبيذ الكاس
وحبيبتي تسبي العقول بحسنها فردوس عدن ذاك بين الناس

ومنه : رايت سرور عيشي واكتئابي سواء في مشيبي او شبابي
فمن يكشف لهذا الكون سرًّا يجد ان المصير الى تراب

ومنه : لماذا للغد الآتي تذوب وعيشك لا يروق ولا يطيب
اذا ما كنت تحسبه بعيداً « فان غداً لناظره قريب »
فلا تصرف حياتك في محال فرب بقية منها تريب

ومنه : ومحل ضم ورداً احمراً دم ملك فوقه قد اهرقا
ونبات فيه زهر ازرق ذاك خد فيه خال اشرقا

ومنه : ايا خيام كم تبكي بكاء وتندب فيه ذنبك والخطاء
فلست تجرّ نفعاً من عويل ولو ان العويل ملا الفضاء
فلا تقنط ولا تجزع لاني ارى الرحمن مغتم من اساء

هذه نتف عربية تثبين ما عرفه العرب عن هذا الشاعر الذي يسمى (خلاق المعاني) وقال صديقي الشاعر الناثر امين افندي ريحاني ان الخيام اخذ عن المعري فكان مثله في رميه بالزندقة والكفر . وكان جايتي الشاعر الالماني ينقل بعض معانيه عن الفارسية . وعلى الجملة فانه كان شاعراً فلكياً رياضياً وملحداً كما وصفته الكاتبة الاميركية الآنفة الذكر . وكان احد الاربعة الشعراء الذين اشتهروا بزمن الدولة السلجوقية . وقد وضعت له ترجمة مطولة اقتطفت منها الان هذه العجالة لعلها تروق في عيون القراء الكرام

(زحله) عيسى اسكندر
المعلوف



بطرس باشا غالي

رئيس وزراء مصر

ولد سنة ١٨٤٧ وتوفي سنة ١٩١٠

نكبت مصر في ٢٠ فبراير الماضي بمقتل رئيس وزرائها ورجل ينفر مثله فيها نعني بطرس باشا غالي رئيس مجلس النظار . قتله شاب اسمه ابراهيم ناصف الورداني أطلق عليه اربع رصاصات من مسدسه في باحة نظارة الخارجية بعد ظهر ذلك اليوم وهو يهم ان يركب عربته . وقد قبض على الجاني واعترف بالجناية بلا تهيب وقال انه قتله لانهُ امضى اتفاقية السودان وترأس محكمة دنشواي واعاد قانون المطبوعات وقاوم الجمعية العمومية ورضي بمشروع القناة . والتحقيق جار الآن عن العلة الحقيقية . وليس من شأن الهلال البحث في وجه المسألة السياسي او القضائي وانما ننظر فيها من وجهها التاريخي الاجتماعي . فنأتي على تاريخ امثال هذه الجناية في الشرق ولا سيما مصر ثم نترجم بطرس باشا رحمه الله

اغتيال الامراء والوزراء

ان اغتيال ولاة الامر من الملوك او الامراء يعدُّ اليوم من اعمال الفوضويين غلاة الاشتراكية الذين يشكون من ظلم النظام الاجتماعي ويريدون ان يصلحوه بقتل رؤساء الحكومات الذين يظنونهم علة ذلك الظلم . ولا يخلو هذا العمل من فائدة في الحكومات الاستبدادية اذ تكون العلة في شخص الحاكم كما كانت حال المملكة العثمانية في زمن عبد الحميد . اما في الحكومات الدستورية فلا فائدة منه لان العلة فيها من النظامات وليس من الافراد . ومع ذلك فاننا نرى الفتك لا يزال جارياً في اكثر الدول اغراقاً في الدستورية والجمهورية . ولعل الجنس اللاتيني اي الشعوب التي في عروقهم دم روماني كالفرنساويين والايطاليان والاسبان اقرب المتمدنين الى ارتكاب هذه الجنايات لحدة امزجتهم وتسرعهم ولذلك رأيتهم اقرب الى المبارزات الشخصية من الشعوب الجرمانية كالانكليز والالمان . فان الفتك على هذه الصورة قليل بينهم لتأنيهم ورباطة جاشهم ورأي الامة الانكليزية في هذا الصدد « ان الفتك بولاة الامر لا يغير حال الحكومة » وانما يغيرها الاصلاح بالتؤدة والمواظبة — وهذا هو الصواب

ولكننا نحن الشرقيين اقرب بامزجتنا الى الشعوب الرومانية على ما يظهر ولعل السبب في ذلك طول اختلاطنا بهم وباخوانهم اليونان قبل النصرانية وبعدها بمصر والشام وغيرهما اكثر من اختلاطنا بالشعوب الجرمانية . ثم اقتضت نهضتنا في اوائل القرن الماضي ان نستعين بالفرنساويين والايطاليان في التعليم والتربية ولا سيما بمصر فتمكن ذلك الخلق فينا . فترانا اقرب بامزجتنا واحوالنا الى الفرنساويين مما الى الانكليز وزادنا تمكناً في هذا الخلق كثرة ما نقل الى لساننا من اداب الفرنساويين وما ينشر منها في الصحف والمجلات

على ان في دمائنا استعداداً لذلك ورثناه من العرب اصحاب التمدن الاسلامي — نعني اباءة الضيم وما يعبر عنه بالمروءة وعزة النفس . فهذه الخلال كانت فطرية في عرب البادية قبل الاسلام وانتشرت معهم في البلاد التي حلوا فيها فتوارثتها الاعقاب بتوالي الاجيال . فالشرقي فيه استعداد لهذا المزاج مكنه فيه الاختلاط بالشعوب الرومانية واليونانية

على ان هذه الروح على الخصوص نعني الفتك بالكبراء ليست طارئة علينا من هذا التمدن اذ لم يخل منها عصر من عصور العرب . ولا الفوضوية من مواليد هذا العصر فقد ظهرت في عهد الخلفاء الراشدين . فالخوارج طائفة من الاشتراكية وفيهم الغلاة

كالفوضويين وقد قاموا ضد السلطة الفردية وقالوا لا حكم الا لله وارادوا الاستغناء عن السلطان مطلقاً . ولما اختصم طلاب الخلافة في صدر الاسلام على السيادة اجتمع بعض الخوارج وقرروا الفتك بالرؤساء الذين هم علة هذا الخصام في اعتبارهم — وهم علي ومعاوية وعمرو بن العاص . فتعاهد ثلاثة من الخوارج على قتلهم وحددوا لذلك يوماً (١٧ رمضان) ولما حان الوقت لم ينجح منهم الا قاتل علي وبقي الآخران . واذا عددنا قاتل عمر بن الخطاب من هذا القبيل كانت الفوضوية اقدم من ذلك في الاسلام اذ تجرأ عبدٌ على قتل خليفة كانت تهتز له الدنيا . ولكنه لم يقتله تخلصاً من شره — ولعل مقتل عثمان اقرب الى هذا الغرض من سواه

ثم ما لبثت انفة البداوة ان ذهبت من نفوس العرب بالتحضر والاركان الى الرخاء فتقاعدوا وتحملوا اصناف الذل وندر فيهم من يرفع صوته في وجه الحاكم واصبح النزاع على السيادة بعد ذلك قائماً بين الملوك والوزراء والخلفاء والقواد تسابقاً الى السلطة . فالخليفة يقتل الوزير خوفاً من استئثاره بالسيادة والقائد يخلع الخليفة او يقتله لينصب مكانه من يرجو النفع على يده . والدولة العباسية من اقرب الشواهد في هذا الشأن فكان الخلفاء يصادرون الوزراء ويعزلونهم ويقتلونهم لسبب او لغير سبب ومرجع ذلك الى المنافسة في السيادة او ابتزاز الاموال . وكثر الفتك بالوزراء والخلفاء وغيرهم في الدولة العباسية . لكنهم قلما كانوا يفعلون ذلك انتصاراً للشعب وانما كانوا يتنازعون على الاستبداد فيه

اما تصدي الافراد لقتل الامراء او الوزراء كما هو جار الآن فانه من مقتبسات هذا التمدن وهو الفوضوية بعينها والامثلة عليه في اوربا كثيرة وخصوصاً بين الشعوب الرومانية . اما في الشرق فاقرب الحوادث عهداً منا فتك دنكرا الهندي باللورد كرزن حاكم الهند ثم مقتل رئيس النظار بالامس وهو اول حادث جرى في وادي النيل بمعنى الفوضوية الحقيقي . وان لم يكن اول حوادث الفتك فقد سبقه فتك سليمان الحلبي بالجنرال كلابر منذ مئة وعشر سنين ولكن الرجل كان مأجوراً لم يفعل ذلك عن اندفاع من عند نفسه

اما القيام على الوزراء باعتبار انهم اصحاب السيادة في الحكومة المصرية فقد بدأ من اول وزارة انشئت بمصر في زمن اسماعيل — نعني تجمهر الضباط في نظارة المالية يطلبون ما تأخر لهم من المعاش اذ تعرضوا لنوبار باشا رئيس النظار يومئذ وكادوا يفتكون به لو لم يحمه بعض الوقوف . ولكن هذه الحادثة كانت مدبرة لخدمة اسماعيل . وذلك ان الدول كانت قد اغلت يديه عن السلطة وقيدته بمجلس النظار فاراد

ان يبين لها ان مصر لا تحكم الا بالنفوذ الشخصي فترك الجند يطالب الوزارة بما تأخر لهم ثم ظهر هو ووبخهم فاذعنوا له وعادوا على اعقابهم

اما تصدي احد الناس لرئيس الوزارة تقليداً لغلاة الفوضوية المأخوذين بالحدة والحماس بدعوى الدفاع عن حقوق الوطن فهذه اول مرة جرت في تاريخ مصر. واول جانٍ في هذا السبيل ابراهيم الورداني واول مقتول فيه المرحوم بطرس باشا غالي

بطرس باشا غالي

نشأته المدرسية

هو اكبر انجال المرحوم غالي بك نيروز ولد في القاهرة سنة ١٨٤٧ ووافق نشوءه نهضة تعليمية ظهرت في الطائفة القبطية على يد المرحوم الانبا كيرلس الرابع المتوفى سنة ١٨٦١ بعد ان اسس المدارس القبطية في الازبكية وحارة السقايين . دخل صاحب الترجمة مدرسة حارة السقايين فنبغ بين اقرانه وكان البطريرك المشار اليه يتعهد المدارس بنفسه ويراقب سيرها فلحظ في الفقيد ذكاء واجتهاداً ممتازين فتحدث في ما يرجوه من مستقبله . ويذكرون ان استاذه في اللغة الفرنساوية كان المرحوم مصطفى بك رضوان فلما صار صاحب الترجمة وكيلاً للحقانية عينه رئيساً لمحكمة المنصورة

قضى رحمه الله ثماني سنوات في مدرسة حارة السقايين ثم انتقل الى مدرسة البرنس فاضل باشا (ابي احرار العثمانيين) وكان والده غالي بك يشتغل في دائرة البرنس المذكور . فاتقن فيها اللغتين العربية والفرنساوية وتعلم الفارسية والتركية . وفي تلك المدرسة ظهرت رغبته في العلم وتلذذه بالدرس فقد حدثنا بعض الذين عاشروه في صباه انهُ كان يقضي ليله ساهراً لا يملّ المطالعة حتى شكى بعضهم ذلك الى ابيه خوفاً على صحته . وقد ساعده على اتقان اللغات التي تعلمها انهُ كان قويّ الذاكرة يحفظ الصفحة والصفحات بعد تلاوتها . وذكروا ان معلم الفرنساوية فرض على الصف مرة حفظ ثماني صفحات من الاجرومية فتذمروا من طول الامثولة وفي جملتهم بطرس لكنه جرّب حفظها فاستسهله فحفظ ما بقي من الكتاب . ولما جاء التلامذة للتسميع في اليوم التالي اعتذر الجميع بطول الامثولة الا هو فسمع الدرس وسائر ما بقي من الكتاب فاثنى الاستاذ على ذكائه واجتهاده

ومن ادلة رغبته في العلم انه وهو يتعلم الفارسية والتركية في المدرسة المذكورة لم يكن يرتوي من شرح المعلم فاتخذ استاذاً فيهما من اهل خان الخليلي كان يدفع له اجرته

مما يجمعه من البارات التي كان ابوه يعطيه اياها ليتفكه بها . وقد اتقن هاتين اللغتين وما زال الى اواخر ايامه يردد بعض الابيات الفارسية التي حفظها في صباه . اما التركية فأحسنها جيداً . وخرج من هذه المدرسة وهو يعرف اربع لغات ثم تعلم الانكليزية والايطالية والقبطية ولم يكن يحتاج في درس اللغة الا الى الارادة فاذا اراد وعزم فثباته وذكاؤه يضمنان سرعة اكتسابه ذلك اللسان . وحكي لنا عن سبب تعلمه اللغة القبطية ان بعض المستشرقين لقيه في بعض سياحاته باوربا وكلمه بالقبطية فاجابه جواباً ضعيفاً لانه لم يكن يحسنها ووعده ان يكاتبه بها بعد عودته الى مصر ببضعة اشهر وقد فعل

دخوله في عالم العمل

خرج من المدرسة فكان اول عمل تعاطاه التعليم في مدرسة حارة السقايين براتب قدره سبعمائة غرش وكان ناظر المدرسة يومئذ يعقوب بك نخله رفيله . لكنه لم يمكث طويلاً في تلك المهنة لان مطامعه كانت اوسع من ذلك كثيراً فعمد الى الاستزادة من العلم الذي يؤهله للعلى . وكانت الحكومة المصرية يومئذ تهتم في اخراج المترجمين اصالحها وقد انشأت مدرسة الترجمة للمرحوم رفاعه بك ونبغ منها طبقة حسنة من المترجمين فلازمها بطرس سنتين اتقن في خلالها ما كان يعرفه

واتفق ان مجلس تجار الاسكندرية اراد توسيع دائرته فاحتاج الى كتبة ومترجمين فتقدم بطرس في جملة الطالبين للامتحان فنال قصب السبق فتعين كاتباً . لكنه ما زال يرتقي ويحرز ثقة رؤسائه حتى صار رئيس كتاب المجلس وله فيه القول الفصل . وهو في ذلك المنصب نظرت قضية في المجلس المذكور لاحد صنائع المرحوم اسماعيل باشا المفتش وصدر الحكم ضده فادعى الرجل ان بطرس اضاع حقه بافشاء بعض اسرار المصلحة وابلغ ذلك الى مولاه المفتش فابلغ المفتش ذلك الى ناظر الداخلية يومئذ شريف باشا وكانت مجالس التجار تابعة لها . فدعاه الناظر اليه بحضرة المفتش وسأله عن التهمة فتنصل منها وقص الحقيقة بحرية واستقلال فكر . فلم يعجب المفتش تنصله فاخذ يكلم شريف باشا بالتركية طعناً فيه فردّ عليه بتلك اللغة ردّاً بليغاً ادهش الرجلين وحكما ببراءته واعجبا ببراعته

ولما تأسست المحاكم المختلطة جعلوها نظارة مستقلة سموها نظارة الحقانية برئاسة شريف باشا وكان قد عرف اقتدار صاحب الترجمة فولاه رئاسة كتابها سنة ١٨٧٤ فاخذت مواهبه تظهر من ذلك الحين . فاشتغل مع المرحوم قدري بك في ترجمة قوانين المحاكم واكثرها يعمل به الى اليوم

ولما ارتابت الدولتان انكلترا وفرنسا في مالية مصر وعينتا مندوبين لتصفية ديونها شكلوا مجلساً من كبار رجال المالية وفيه رياض باشا نائباً عن الحكومة المصرية وعينوا بطرس مساعداً . ثم تبدلت الاحوال فصار رياض باشا رئيس المجلس وبطرس وكيلاً في الدفاع عن مصالح الحكومة . وقد اتاه هذا المنصب على غير استعداد اذ لم يكن له المام في الشؤون المالية ولكنه عوّل على نفسه واكب على دراسة الموضوع فقضى ليلتين وهو يفكر فيه ويدرسه حتى تمكن من خاطره فوضع تقريراً ومذكرة عن الضرائب والاطيان كانه درس الموضوع من عدة اعوام وقد طبعا باللغتين الفرنساوية والعربية . وعوّل عليهما اكثر الذين كتبوا في مالية مصر واطيانها بعده . ويقال ان السير ريفرس ولسن مندوب انكلترا في ذلك العمل لما راى اقتدار صاحب الترجمة قال له « انك ستكون ناظراً للمالية يوماً ما » . ومنحته الحكومة الرتبة الثانية — والرتب يومئذ عزيزة جداً . ولكنه أصيب على اثر ذلك بحمى تيفوسية شديدة حتى يئس الاطباء من شفائه

وبعد الانقلاب الذي خلع فيه اسماعيل وخلفه المغفور له توفيق باشا عين صاحب الترجمة (بطرس بك غالي) وكيلا لنظارة الحقانية . ولما تشكلت وزارة شريف باشا في اثناء الثورة العرابية عهدت اليه سكرتيرية مجلس النظار مدة ثم استقل بوكالة الحقانية وانعم عليه برتبة ميرميران الرفيعة سنة ١٨٨٢ وهو اول من حازها من الاقباط

ومن الخدم التي يؤثرونها له في اثناء الثورة العرابية ان العرابيين بعد ان فروا من التل الكبير واتوا القاهرة عقدوا مجلساً للمفاوضة في ماذا يفعلون ودعوا اليهم كبار الرجال من الامراء العسكرية والملكية وشاوروهم في ما ينبغي عمله فكان رأي بطرس باشا التسليم للخديوي والرجوع عن العصيان وكتبوا بذلك عريضة عهدوا الى صاحب الترجمة ومحمد رؤوف باشا بايصالها الى اصحاب الشأن في الاسكندرية فذهبا نائبين عن الامة المصرية في تقديم الطاعة للحضرة الخديوية

وظل وكيلاً لنظارة الحقانية عدة سنين بعد الاحتلال وفي سنة ١٨٩٣ رقي الى منصب الوزارة فتعين ناظراً للمالية في وزارة رياض باشا . ثم انتخب ناظراً للخارجية سنة ١٨٩٥ في وزارة مصطفى فهمي باشا . وظهرت مواهبه هنا بحل المشكلات التي تعرض لناظر الخارجية نظراً لكثرة علائق مصر مع الدول من حيث المالية والسياسة وغيرهما . وقد شهد له بالاقتدار على حل المشكلات اللورد كرومر غير مرة . وما زال في هذا المنصب حتى سقطت الوزارة الفهمية فوقع الاختيار عليه لتشكيل وزارة جديدة

يرجوه ابن النيل • وفي عهد وزارته همت الحكومة في توسيع اختصاصات مجلس شورى القوانين فقررت اشتراك الامة في النظر بمشروعاتها بعرضها على المجلس وبحضر الوزراء للمناقشة فيها واشياء اخرى ذكرناها في صدر هذا الهلال • وقد انتقدوا عليه بعض اعمال الحكومة التي تمت في عهد وزارته مما يرونه مغايراً لمصلحة مصر او مخالفاً للشعور الوطني ولكنه اتاه وهو يعتقد نفعه لمصر لانها وطنه وهو شديد الغيرة عليها — او انه لم ير له بدّاً منه • وما زال رحمه الله عاملاً مجدّاً حتى قتل في ٢٠ فبراير الماضي كما تقدم

مناقبه واخلاقه

قد تبين مما ذكرناه من ترجمة حياته انه كان عالي الهمة كبير المطامع ذكي الفؤاد قوي الحافظة شديد العارضة . وكان قوي البنية ربع القامة ممتلئ الجسم ونظراً لثباته وقوة عزيمته لم يكن يصعب عليه عمل فارتقى من بين العامة الى اسمى المناصب المصرية بعد الامارة بجده وقوة عقله وثباته فيصح ان يكون مثالاً لطلاب العلى . وكان واسع الاطلاع في اهم مناهج الحكومة المصرية في المالية والقضاء والسياسة فضلاً عن معرفته اللغات فانه اتقن منها العربية والفرنساوية والانكليزية والايطالية والتركية ويعرف ايضاً القبطية والفارسية وبعض الالمانية

وكان مستقل الفكر يكره الدالة والوساطة وينظر الى حقائق الاشياء دون اعراضها . ومما يروى عن تقديره الاشياء حق قدرها انه لما اخذت الحكومة في انشاء المحاكم الاهلية وكان هو وكيلاً للحقانية احتاجت الحكومة الى موظفين لتلك المحاكم فاعلنت ذلك وتقدم طلاب الخدمة بالعرائض ولكل منهم وسيط من الكبراء على جاري العادة في ذلك العهد اذ كان للدالة والوساطة شأن عظيم . واستخرج كتاب الحقانية اسماء الطالبين في كشف شبه جدول دوّنوا فيه اسم كل طالب وذكروا الى جانبه اسم الكبير الذي توسط له او اوصى به . ورفعوا ذلك الكشف اليه فقراه فرأى اسم احد الطالبين في آخر الكشف وليس له وسيط وكان قد تحقق بالفعل انه كفء للعمل فنقل اسمه الى اعلى الكشف وكتب بجانب اسمه في محل اسم الوسيط لسائر الطالبين « وسيطه الله » يريد ان لا وسيط له غير الله وقد نال الوظيفة

وكان واسع الاطلاع في احكام الشريعة الاسلامية وقد شهد له ائمتها بالتبحر فيها . وكان لا يزال الى الامس يترأس كومسيون المجالس المختلطة والاولى بذلك رسمياً ناظر الحقانية . وكان دقيقاً في انجاز ما عليه لا يبالي بالتعب او السهر . وكان لحسن اسلوبه ونفوذ كلمته وقوة حجته يكلفونه التوسط في حل ما يعرض من سوء التفاهم

فشكلها في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٨ وتولى رئاستها مع نظارة الخارجية وهو أكبر منصب بين العناصر المختلفة اوالقوات المتضادة في هذا القطر. فضلاً عما يدخل في واجباته من التوسط بين مصر والدول الاخرى وهو ناظر للخارجية . ومما يذكر من مآثره في حل المشكلات انه اغتنم ذهابه بمعية الجناب العالي الى الاستانة سنة ٩٠٥ وتشرف بالمثول لدى جلالة السلطان وجرى الحديث بينهما بالتركية لحل مشكلة دير السلطان بالقدس

وكان للجناب العالي ثقة فيه يعول عليه في الامور الهامة ولذلك كان اسف سموه عليه كبيراً حتى تنازل لزيارته وهو مريض في المستشفى ثم شرف بيته بعد الوفاة لتعزية ابنائه واخيه . وهذا التفات لم يسمع بمثله في مصر لان سمو الامير حفظه الله لم يزر احداً من سكان مصر غير اللورد كرومر قبل سفره وهي زيارة رسمية . واما زيارة بيت الفقيد فانها تعرب عن شعور وانعطاف



ابراهيم ناصف الورداني قاتل بطرس باشا غالي

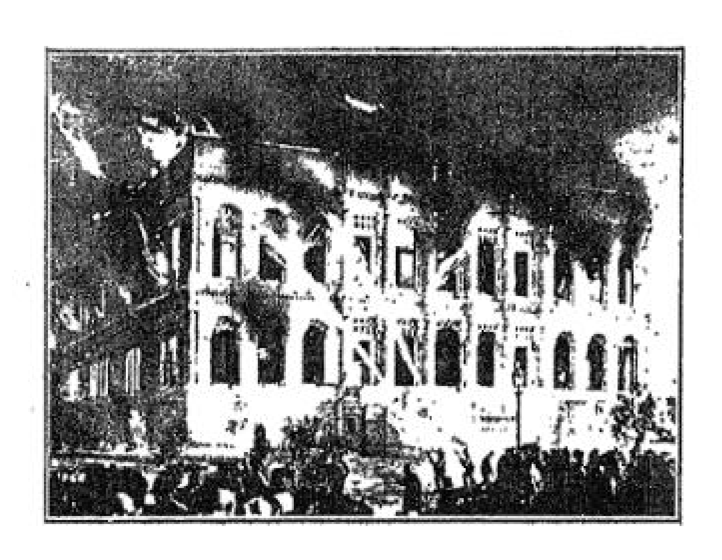
وكان يميل الى المطالعة في ساعات الفراغ واكثر مطالعاته في التاريخ وفيه ميل الى المواضيع الفلسفية النظرية وفي داره مكتبة نفيسة اكثرها كتب قضاء وتاريخ وسياسة وادب وفلسفة وكان يطالع الصحف كل يوم بسرعة غريبة

قصر شراغان

هو اجمل القصور السلطانية بناه السلطان عبد العزيز سنة ١٨٧٤ بين بشكطاش واورته كوي علَى ضفة البوسفور و يمتاز بجماله ودقة الصناعة في نقشه وهندسته وفيه كان يقيم السلطان مراد محجوراً عليه في زمن السلطان عبد الحميد ولم يكن يجرأُ احد علَى المرور بجانبه والتطلع اليه خوفاً من التهمة . وقد جعلته الحكومة مجتمعاً لمجلسي المبعوثان والاعيان من اول اجتماعه هذا العام فداهمه القضاء بالحريق في يناير الماضي فالتهمته النار وذهبت برياشه واثاثه وافسدت بناءه واحرقت اوراقه وفيها سجلات واوراق ذات قيمة . ففقدت الدولة العثمانية باحتراقهِ ذخيرة من احسن الذخائر والمظنون ان يداً اثيمة تعمدت احراقه ولم يتم التحقيق بعد وقد رثاه الشعراء بالقصائد . وهاك ماقاله ولي الدين بك يكن الشاعر الناثر في رثائهِ ووصف الحريق قال :

شراغان في اثناء اللهيب

هـذا قضاء الله ام غدر ماذا أصابك ايها القصرُ
اعلى (مراد) رحت مضطرماً من غيرة اذ ضمه القبرُ
ام انت ممن فيك منتحرٌ ياقصر ام في ما جرى سرُّ
نبكي نعم نبكي على امل فيك انقضى وقد انقضى الامر
عن اربعين وخمسة سلفت ما هكذا يستوجز العمر
اتظل دور المجد آهلةً فينا ودورك بينها دثر
ويح القلوب وكنت حاجتها ان لم يجدها بعدك الصبر
يبقى مصابك وهو يذكرنا لو كان ينفع مثلنا الذكر
برًّا (فروق) تباهيا زمناً فانفك برٌّ والتظى برُّ
شطرا محاسنها التي اشتهرت إما شكا شطر بكى شطر
لما استقلَّ بك اللهيب ضحى وبدا خلال دخانك الجمر
وقف الزمان عليك منتحباً واقام يندب حسنك الدهر
والزهر قدماً كن حاسدة لما اصبت بكت لك الزهر
الشمس اختك ثم كاسفةٌ لبس الخسوف شقيقك البدر
اوما رآك البحر ملتهباً بل لو رآك لجاءك البحر
فيجيش للنيران غاربه ويبلُّ حرَّك ماؤه الغمر



قصر شراغان تلتهمه النيران وهم يحاولون اطفاءها عبثاً

ركضت لنجدتك الجموع وقد خفقت لهم راياتك الحمر
كم جحفل مجر اليك سعى فارتد عنك الجحفل المجر
لا البيض اغنت في مناجدة لما أهبت بها ولا السمر
طلبوا المياه لكي تغاث بها فبأي طريق دونها وعر
وعلا الدخان ذراك فاختبأت في جنحه آياتك الغر
فكأنها صور محركة وكأنه من دونها ستر
قد كنت ديواناً قصائده تلك البدائع فامحى الشعر
سالت سطورك من صحائفها فغدت وما بصحيفة سطر
وانساب مهلاً وارتمى حمماً ذاك اللجين وذلك التبر
وقفوا أمامك ذاهلين وقد ملك السبيل عليهم الذعر
فأخذت تنقص في نواظرهم ويزيد في اطرافك القفر
يا منزل الاحرار اذ ملكوا يبكي عليك مرادك الحر
يبكي عليك وان أوى جدثاً وعلاه بعد سقوفك الصخر
هذى الطلول فأين تنسحب الأ ذيال فيك ويضحك الزهر
ما ثم خيست الاسود ولا كانت تسير ظباؤك العفر
يا عام جاء اخوك يغدرنا ومضى فقلنا قد مضى الغدر
اترى (فروق) ومصر أذنبتا شقيت (فروق) وبنتها مصر

غناك (شوقيها) و (حافظها) وهممتُ لو لم يعصني الفكر
وهباك شكراً لستَ صاحبه سلفاً فأبطر قلبك الشكر
فلئن تكن لأخيك معذرة هل أنت عندك مثله عذر
فلأُلبسنك من محبرةٍ يجري عَلَى أعطافها الحبر
مغبرّة تسعى مغبرّة كلماتها وسطورها غبر
يا عصران لم تستقم معنا فلنشهدنّ عليك يا عصر
تبقى جدود الناس ناهضة وجدودنا في خطوها العثر
هذي خطوب ليس يحملها جلد وينفد عندها الصبر

مصر ولي الدين يكن



المكروب والاثمار: درس بعض الاطباء الاثمار التي تباع في الاسواق درساً مكروسكوبياً بالنظر لما يعلق على سطوحها من الميكروبات وذلك انه غسلها بماء معقم غسلاً جيداً ثم فحص ذلك الماء فوجد في السانتيمتر المكعب منهُ ما بين ٥٠٠٠٠ الى ٥٧٥٠٠٠ ميكروب فاعتبر مجموع ذلك واعلم منهُ اهمية غسل الاثمار قبل اكلها

الطبع بلا حبر: تم اختراع الآلة التي تطبع الجرائد والكتب بلا حبر وانما يتم فعلها وتظهر الحروف على الورق بالكهربائية وذلك بان توصل البلاطة التي عليها الحروف بأحد طرفي البطارية والاسطوانة التي يدور عليها الورق بالطرف الآخر وفي الورق مادة تسود بالفعل الكهربائي ولا يكون ذلك الاَّ عند ملامسة الحروف الورق — فتظهر الكتابة جلية

الكسوف والخسوف سنة ١٩١٠: تكسف الشمس في يوم الاحد ٨ مايو (٢٨ ربيع ٢ سنة ١٣٢٨) كسوفاً كلياً لا يرى من القاهرة. وتكسف ايضاً كسوفاً جزئياً في يوم الثلاثاء اول نوفمبر ولا يرى من القاهرة. ويخسف القمر في يوم الثلاثاء ٢٤ مايو (١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٢٨) خسوفاً كلياً يشاهده اهل القاهرة جزئياً. ويخسف

زاد عددها الا المسلمين فان عددهم قد نقص وهذا غير معقول ولا بد من خطأ في احد التقديرين . وفي اعتقادنا ان النسبة في احصاء سنة ١٨٨٥ اقرب الى الصواب لما نعلمه من حقيقة احصاء المسلمين كما بيناه مفصلاً في مكان آخر من الهلال

اعمال الانسان في حياته : قدر بعضهم جملة ما يأتيه الانسان في مدة حياته فوجد انه يمشي ٠٠٠ ١٤٦ ميل كأنه دار حول الارض ست مرات . ويتناول ٠٠٠ ١٧ طن من الخبز و ١٨٢٥٠ رطل مصري من اللحم . ويشرب ١٢٥ ٩ جالون من السوائل. ويصعد ثلاثة ملايين درجة ويستهلك تبغاً قيمته ١٥٢ جنيهاً ويبلغ طول الشعر الذي يقصه في حياته نحو ٢٥ قدماً

مطبوعات جديدة

المجلات والجرائد

الروايات الجديدة : اعلن نقولا افندي رزق الله مدير ادارتي الاهرام والبراميد انه عزم على اصدار مجلة روائية من اكبر المجلات العربية تصدر مرتين في الشهر ويظهر العدد الاول منها في اول مارس وبدل اشتراكها ٦٠ غرشاً بمصر و٢٢ فرنكاً في الخارج ولرزق الله افندي شهرة في عالم الادب تغني عن تعريفه ومتى ظهرت المجلة نصفها بما هي اهله

مجلة الجامعة : هي المجلة العلمية الاجتماعية التاريخية الادبية المشهورة لمنشئها فرح افندي انطون كانت تصدر في الاسكندرية وانتقلت الى الولايات المتحدة وعادت الآن الى الصدور بالقاهرة بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً بمصر وعشرون فرنكاً في الخارج . وهي مجلة مفيدة نرجو ان تلاقي ما تستحقه من الاقبال والنجاح

الهداية : مجلة دينية علمية ادبية اجتماعية تصدر في مصر مرة في الشهر لمنشئها الشيخ عبد العزيز جاويش رئيس تحرير اللواء واصحاب امتيازها حسين بك تيمور وشركائه ويكفي بشهرة الاستاذ الجاويش حاثاً على اقتنائها . بدل اشتراكها ستون غرشاً في مصر وعشرون فرنكاً في الخارج

L'Egypte Comtemporaine : هي مجلة فرنساوية تصدرها « الجمعية الخديوية للاقتصاد السياسي » بمصر اربع مرات في السنة وتحتوي على مقالات في الاقتصاد والاحصاء والتشريع وغيرها صدر الجزء الاول في يناير الماضي في مجلد ضخم ومحل الادارة في الجامعة المصرية بدل اشتراكها ٧٥ غرشاً للاعضاء و١٠٠ غرش لسواهم

الكائنات : مجلة علمية دينية تاريخية ادبية تصدر بمصر مرتين في الشهر لصاحب امتيازها ومحررها الاشمندريت باسيليوس الحاج نقولا بدل اشتراكها ٨٠ غرشاً بمصر و١٠٠ في الخارج

الفرائد : مجلة علمية ادبية اجتماعية روائية تصدر في سانباولو البرازيل مرة في الشهر لصاحبها ومنشئها ابراهيم افندي شحاده فرح . وتشترك في تحريرها لجنة من نخبة الكتاب بدل اشتراكها ١٥٠ غرشاً برازيليا وعنوانها لمن يريد الاشتراك فيها كما يأتي : Rua Gen. Carneiro 13, S. Paulo, Brazil

الاستاذ : مجلة ادبية اجتماعية تصدر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين مرة في الشهرة لمنشئها يوسف افندي خوري قيمة اشتراكها ١٠ ريالات في الارجنتين و ٢٥ فرنكاً في الخارج وعنوانها Reconquista 862/66, B. Aires

العرب : جريدة سياسية اسلامية تخدم آمال الخلافة الكبرى ومقاصدها . تصدر بالعربية في الاستانة مرة في الاسبوع لصاحب امتيازها ومدير سياستها محمد عبيد الله افندي مبعوث آيدين بدل اشتراكها ستون غرشاً في البلاد العثمانية ومصر وعشرون فرنكاً في الخارج

الامة : جريدة سياسية يومية تصدر في دمشق الشام لمنشئها ومدير سياستها احمد افندي كردعلي بدل اشتراكها اربعة ريالات في دمشق وليرة عثمانية في الممالك المحروسة و ٢٥ فرنكاً في الخارج

الشرق : جريدة يومية علمية سياسية تجارية تصدر في دمشق الشام رئيس تحريرها عارف افندي الكندي ومديرها حبيب افندي برهوم بدل اشتراكها اربعة ريالات في دمشق وليرة عثمانية في الممالك العثمانية وليرة انكليزية في الخارج

الشاغور : جريدة سياسية اسبوعية تصدر في حمانا لبنان لصاحبها ومديرها الدكتور الياس حاد بدل اشتراكها في بيروت ولبنان ريال مجيدي ونصف وفي الولايات العثمانية ريالان وفي الخارج عشرة فرنكات

التقدم: جريدة ادبية اخبارية سياسية تصدر في حلب مرتين في الاسبوع لمحررها ومديرها شكري افندي كنيدر بدل اشتراكها ريال مجيدي ونصف في حلب وريالان في سائر الجهات

صدى الشهباء : جريدة حرة علمية ادبية زراعية سياسية تصدر يومياً في حلب لصاحبها فاخر افندي الجابري بدل اشتراكها اربعة ريالات في حلب وليرة عثمانية في الممالك المحروسة و ٢٣ فرنكاً في الخارج

كتب مختلفة

شارل وعبد الرحمن : صدرت الطبعة الثانية من هذه الرواية لمنشىء الهلال وهي الحلقة الثامنة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام تتضمن فتوح العرب في بلاد اسبانيا الى ضفاف نهر لوار وما كان من تكاتف الافرنج على دفعهم بقيادة شارل مارتل . وهي تطلب من مكتبة الهلال ومكتبة التأليف وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرش ونصف

تاريخ الفنون الجميلة : هو كتاب ادبي فني فريد في بابه يبحث في تاريخ الفنون الجميلة عند قدماء المصريين تأليف شكري افندي صادق ويحتوي على مقدمة تمهيدية وافية في فلسفة الفنون الجميلة وتاريخ الحضارة المصرية القديمة ومزين بالرسوم ثمن النسخة ١٥ غروش ويطلب من مكتبة الهلال ومكتبة المعارف واجرة البريد غرش ونصف

حديث الحسون : مجموع مقالات انتقادية اصلاحية على لسان « حسون من بني الطير » سبكت في قالب روائي بقلم نجيب بك قسطنطين ونشرت في جريدة المهاجر في نيويورك ثم جمعت ونشرت في كتاب على حدة وقد طبعت في المطبعة التجارية في ٢٤ وست ستريت نيويورك

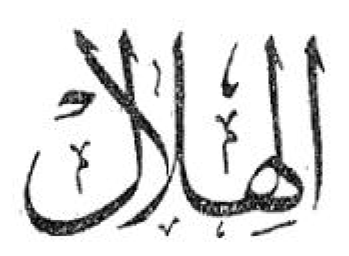
الآثار العربية : اهدتنا لجنة حفظ الآثار العربية فهرس مقتنيات دار الآثار العربية وفيها لمعة من تاريخ فن المعمار وسائر الفنون الصناعية بمصر تأليف مكس هرتس بك باشمهندس لجنة حفظ الآثار العربية وناظر دار آثارها . وقد نقله الى العربية علي بك بهجت وكيل دار الآثار المذكورة ويطلب منها

شهداء الوطنية : هي رواية محزنة تأليف فيكتوريان ساردو الكاتب الفرنساوي وقد نقلها الى العربية زكي افندي مابرو وقد مثلتها شركة التمثيل العربي . ثم طبعت في كتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش والبريد نصف قرش

سر كلومبر رواية من روايات الكاتب الشهير السير ارثركونان دويل نقلها الى العربية الدكتور محمد عبد الحميد حكيم اسبتالية قليوب وهي تطلب من مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز وثمن النسخة خمسة غروش والبريد نصف غرش

عنوانات المشتركين

نرجو من حضرات المشتركين الذين ينتقلون او تتغير عنواناتهم ان يخبرونا بذلك خوفاً من ضياع الاعداد وتخص منهم المقيمين في الاطراف البعيدة باوربا واميركا واوستراليا والهند وفي جنوبي افريقيا وغربيها



الجزء السابع من السنة الثامنة عشرة

اول ابريل (نيسان) سنة ١٩١٠ و٢١ ربيع اول سنة ١٣٢٨



الطب والاطباء

في اثناء التمدن الاسلامي

تمهيد — الطب في الجاهلية

الطب من العلوم القديمة وضع اساسه الكلدان كهنة بابل وهم اول من بحث في علاج الامراض وعنهم اخذت سائر الامم وفي جملتها العرب وهو متشابه عند تلك الامم في مصر وفينيقية واشور . ثم تناوله اليونان فاتقنوه ورتبوا ابوابه وعنهم اخذ الرومان والفرس . ونظراً لمعاصرة العرب لهذه الدول فقد اقتبسوا شيئاً من طبها اضافوه الى ما جاءهم به الكلدان والى ما استنبطوه من عند انفسهم بالاختبار فتألف من ذلك ما عبرنا عنه بالطب في الجاهلية ولا يزال كثير منه باقياً الى اليوم في قبائل البادية . وكان للتطبيب عندهم طريقتان الاولى طريقة الكهان والعرافين والثانية طريقة العلاج الحقيقية . فالكهان كانوا يعالجون بالرقي والسحر او بذبح الذبائح في الكعبة والدعاء فيها او بالتعزيم

ومن اشهر الامم القديمة التي كانت تعالج بالرقى المصريون فقد وجدوا في الآثار كثيراً من العزائم التي كانوا يصفونها لمعالجة المرضى . وجاء من اخبارهم ان كاهنهم كان اذا سار لمعالجة مريض صحبه خادمان احدهما يحمل كتاب العزائم والثاني يحمل صندوق العقاقير الطبية وهم يعالجون بالاثنين جميعاً . وكانوا يوجهون كلامهم في العزيمة أو الرقى الى احد آلهتهم وخصوصاً ايزيس واوزيرس ورع ولهم عبارات يقولونها عند صنع الادوية وعند مناولتها للمريض . فمن امثلة العزائم التي كانوا يتلونها عند تناول الدواء « هذا هو كتاب الشفاء لكل مريض فهل لايزيس ان تشفيني كما شفت حوريس من كل الم اصابه من اخيه ست حينما قتل اباه اوزيرس فيا ايزيس انت الساحرة الكبيرة اشفيني وخلصيني من كل شيء مكدر رديء شيطاني ومن امراض البسة والامراض القتالة والخبيثة بانواعها التي تعتريني كما خلصت ابنك حوريس . . »
وكان عندهم عزائم لاخراج الارواح الشريرة التي تسبب الامراض في زعمهم . فعلى هذه الكيفية كان العرب يتلون العزائم لاصنامهم ويرقون لاخراج الجان او الشياطين وكان اعتقادهم من هذا القبيل انهم اذا خافوا وباء نهقوا نهيق الحمار يزعمون ان ذلك يمنعهم من الوباء وان دماء الملوك يشفي من الخبل

واما معالجاتهم العقارية فشبيهة بما كان عند المصريين وغيرهم من الامم القديمة فقد كانوا يعالجون بالعقاقير البسيطة أو الاشربة وخصوصاً العسل فانه كان قاعدة العلاج في امراض البطن — على ان اعتمادهم في معالجة الامراض كان معظمه عائداً الى الجراحة كالحجامة والكي . ومن اقوالهم « كل داء حسم بالكي آخر الامر وآخر الطب الكي » وكثيراً ما كانوا يعالجون بالقطع أو البتر والغالب ان يكون ذلك بالنار فان النار عندهم كانت تقوم مقام مضادات الفساد عندنا . فاذا ارادوا فصل عضو احموا شفرة بالنار وقطعوه بها كما فعلوا بصخر بن عمرو اخي الخنساء لما نتأت قطعة من جوفه مثل الكبد على اثر طعنة فاحموا له شفرة وقطعوها

وكانوا يعالجون حول البصر بادامة النظر الى حجر الرحى في دورانه ويزعمون ان العين تستقيم به . ومن معالجاتهم التي نعدها اليوم خرافة ان المجروح اذا شرب الماء مات واذا خافت المراة حتى برد قلبها سقوها ماء حاراً

ومن الاحاديث النبوية الواردة في الطب ومتعلقاته :

الشفاء في ثلاث : شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانهى امتي عن الكي

احتجم واعطِ الحجام اجره واستعط

لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الاسد

الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء

خير ما تداويتم به السعوط والدواء والحجامة والمشي وفي بعض الروايات والعلق

اذا بلغ الرجل من امتي الخمسين سنة فليكل الحجامة

خير كحلكم الاثمد يجلو البصر وينبت الشعر

عليكم بزيت الزيتون كلوه وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وانه ينفع من الباسور

ومن الاحاديث المشهورة « المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء » وهي حقيقة طبية لم يأت الطب الى اليوم باصدق منها . ومن هذا القبيل قوله باطفاء الحمى بالماء فان الطب الحديث يؤيده . ومنها قوله « دع الدواء ما احتمل بدنك الداء »

اطباء العرب قبل الاسلام

أما اطباء العرب في الجاهلية فكانوا في اول الامر من الكهنة ثم تعاطى الطب جماعة خالطوا الروم والفرس واخذوا الطب عنهم فاشتهروا بهذه الصناعة واكثرهم من اهل النهضة الاخيرة قبل الاسلام حوالي القرن السادس للميلاد . على ان بعضهم اقدم من ذلك كثيراً . واقدم اطبائهم لقمان وهو حكيمهم وفيلسوفهم وفي اصله وزمن وجوده اختلاف . يليه رجل من تيم الرباب يقال له ابن حذيم ويضربون به المثل بالحذاقة في الطب فيقولون لمن ارادوا وصفه بذلك اطب من ابن حذيم وفيه يقول اوس بن حجر:

فهل لكم فيها اليَّ فانني بصير بما اعيى النطاسي حذيما

ومن احدث اطباء الجاهلية الحرث بن كلدة توفي سنة ١٣ للهجرة وهو من بني ثقيف من اهل الطائف رحل الى ارض فارس واخذ الطب من جنديسابور وتعاطى صناعة الطب هناك واكتسب مالاً ثم عاد الى بلاده واقام في الطائف ونال شهرة واسعة وقد ادرك الاسلام وكان النبي يأمر من كان به علة ان يأتيه فيستوصفه — ومنهم ابن ابي رومية التميمي والنضر بن الحرث بن كلدة

واكثر هؤلاء الاطباء تناولوا الطب من بلاد الفرس أو الروم وبعضهم اخذه عن الكهان او الاحبار من الاديار ونحوها . وربما اخذوا عنهم شيئاً من الفلسفة القديمة كما فعل النضر المذكور . والظاهر ان بعضهم كان يخصص نفسه للاعمال الجراحية فيغلب عليه لقب الجراح واشهر جراحي الجاهلية ابن ابي رومية التميمي فقد كان جراحاً مزاولاً لاعمال اليد

الطب في الاسلام

ظهر الاسلام والطب العامي محصور في النصارى واليهود من اهل الشام ومصر وكان العرب في صدر الاسلام مشغولين بالفتوح والحروب فاضطر المسلمون الى استخدام الاطباء غير المسلمين واول من فعل ذلك بنو امية

الاطباء في زمن بني أمية

من اقدم الاطباء الذين خدموا العرب في دولتهم العربية على عهد بني أميـة ابن الأثال وكان طبيباً متقدماً في دمشق نصراني المذهب . فلما ملك معاوية دمشق اصطفاه لنفسه واحسن اليه وقربهُ لمهارته في معرفة السموم طمعاً في استخدامه لتنفيذ اغراضه من الفتك السري باعدائه فخدمه من هذا الطريق خدماً جزيلة . فقتل كثيرين من قواد المسلمين وامرائهم بايعاز معاوية تخلصاً من مقاومتهم . ومن امثلة ذلك انه لما اراد ان يبايع ابنه يزيد خاف غضب المسلمين لانه اول من اراد ان يجعل الخلافة ارثاً فجمع كبار المسلمين من اهل الشام وقال « ان امير المؤمنين قد كبرت سنه ورق جلده ودق عظمه واقترب اجله ويريد ان يستخلف عليكم فمن ترون » فقالوا « عبد الرحمن بن خالد بن الوليد » فسكت معاوية واضمرها ودس ابن أثال الطبيب اليه فسقاه سما فمات

وهكذا فعل معـاوية في قتل الاشتر النخعي في طريقـه الى مصر وكان علي ابن ابي طالب قد بعثه والياً عليها وجعل له خراجها عشرين سنة فلقيه دهقان في الطريق ودعاه اليه وقدم له عسلاً مسموماً فمات فلما بلغ خبر موته الى معاوية قال « ان لله جنداً من العسل » ويقال انه فعل نحو ذلك في قتل الحسن بن علي

ومن اطباء معاوية ابو الحكم وكان طبيباً ماهراً بمعرفة الادوية فكان يستخدمه لمثل ذلك الغرض ايضاً ومنهم حكم الدمشقي ابن الحكم المتقدم ذكره

ومن اطباء بني أمية عبد الملك بن ابجر الكناني وكان طبيباً عالماً ماهراً . وكان اول امره مقيماً بالاسكندرية يتولى التدريس بمدرستها بعد الاسكندرانيين وكان ابن ابجر نصرانياً واسلم على يد عمر بن عبد العزيز وهو امير قبل ان يتولى الخلافة فلما تولاها نقل التدريس الى انطاكية وحران وتفرق في البلاد . وكان عمر المذكور يستطب ابن ابجر ويعول عليه في صناعة الطب

ومنهم ماسرجويه الطبيب البصري سرياني اللغة يهودي المذهب وهو الذي تولى في ايام مروان بن الحكم تفسير كناش هرون القس الى العربية

واختص منهم بخدمة الحجاج بن يوسف طبيبان ماهران هما تيادوق وثاودون . اما تيادوق فله تلامذة اجلاء تقدموا بعده ومنهم من ادرك الدولة العباسية . واما ثاودون فله كتاب في الطب كبير يسمونه الكناش ومنهم عيسى بن الحكم الدمشقي المتقدم ذكره وغيرهم

الاطباء في الدولة العباسية

اتخذ الطب في الدولة العباسية وجهة أخرى لاشتغال خلفائها الاولين في نقل علوم الاقدمين الى اللغة العربية على ما بيناه في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي مفصلاً . فصار الطب عندهم علماً تعاطاه المسلمون على اختلاف مواطنهم والفوا فيه ورقوه حتى صار طباً عربياً او اسلامياً ورثه عنهم اهل أوربا بعد ذلك ونقلوه الى السنتهم فكان عليه وعلى غيره من العلوم الاسلامية معولهم في نهضتهم الاخيرة

واول من التفت الى الطب من الخلفاء العباسيين المنصور والسبب في ذلك انه اصابه في اواخر ايامه (١٤٨ ﻫ) مرض في معدته فانقطعت شهوته وكان الاطباء القائمون في خدمته يعالجونه ولا يجدي علاجهم نفعاً . فجمعهم يوماً وقال لهم « هل تعرفون من الاطباء في سائر المدن طبيباً ماهراً » فقالوا « ليس في وقتنا احد يشبه جورجيس رئيس اطباء جند يسابور » . وهو جورجيس بن بختيشوع السرياني فقد كان ماهراً في الطب وله فيه مصنفات باللغة السريانية . وكان من الذكاء والفضل على جانب عظيم حتى اصبح رئيس اطباء مارستان جند يسابور اشهر مدارس الطب في تلك الايام . فبعث المنصور في طلبه على عجل فلما جاء الرسول الى جورجيس اراد استمهاله فهدده بالقتل اذا ابطأ . فعهد بامر المارستان الى ابنه بختيشوع واصطحب اثنين من تلامذته هما ابراهيم وعيسى بن شهلا وركب الى بغداد . فلما وصل استقدمه المنصور اليه فدخل ودعا له بالفارسية والعربية . وكان جورجيس ذا هيبة ووقار وفصاحة فوقع عند المنصور موقعاً حسناً فاجلسه قدامه وسأله بعض الاسئلة فاجابه عليها بسكون فازداد اعجاباً به فاخبره عن علته . فقال له جورجيس « انا ادبرك كما تحب » فخلع عليه وانزله في قصر خاص وأمر باكرامه . ورجع في الغد ونظر في قارورة الماء (زجاجة البول) ودبره تدبيراً لطيفاً فشفي ورجع الى مزاجه فازداد فرحه به ومنعه من الرجوع الى بلده . ومما زاده رغبة فيه انه رآه عفيفاً صادقاً في تدينه . وكان المنصور قد علم ان جورجيس خلف امرأته في جند يسابور وليس عنده في بغداد من يخدمه فارسل اليه ثلاث جوار روميات وثلاثة آلاف دينار فقبل الدنانير ورد الجواري فلما عاتبه

المنصور في الغد اجابه « اننا معشر النصارى لا نتزوج الا بامرأة واحدة وما دامت المرأة حية لا نأخذ غيرها » فحسن موقع ذلك عند المنصور واطلق له الدخول الى حظاياه وحرمه ليطبهن وتعلق به تعلقاً شديداً

وكان جورجيس محباً للتأليف وكان يعرف اللغة اليونانية فضلاً عن السريانية والفارسية والعربية . فلما راى وثوق المنصور به نقل له كتباً طبية من اليونانية الى العربية غير ما الفه في السريانية . اما التأليف في الطب فقد سبقه اليه اكثر الاطباء الذين خدموا المسلمين على عهد بني امية . وكان الطبيب اذا خدمهم خلف لنفسه او لولده اولاحد تلامذته كتاباً او غير كتاب في الفن الذي يتعاطاه . والغالب ان يؤلفوا الكنانيش كالكناش الذي الفه ثياذوق المتوفى سنة ٩٠ هـ طبيب الحجاج الفه لابنه وألف ايضاً كتاباً في الادوية ومعالجتها . وتوالى آل بختيشوع في خدمة العباسيين وخدموا الطب والعلم في ظلهم خدمة نافعة

ثم تولى المهدي فاشتغل عن نقل العلم بما ظهر في ايامه من البدع الدينية . فلما افضت الخلافة الى الرشيد (سنة ١٧٠ ـ ١٩٣ هـ) كانت الافكار قد نضجت فاشتغل القوم في نقل العلوم القديمة وزاد ذلك على الخصوص في ايام المأمون فنقلوا اهم علوم اليونان والفرس والهنود والسريان الى العربية على ايدي المترجمين وفي جملتها الطب بفروعه واكثر ما نقلوه من كتب الطب لابقراط وجالينوس . نقلوا من كتب ابقراط عشرة كتب نقلها حنين بن اسحق وعيسى بن يحيي وحبيش الاعسم . ونقلوا من كتب جالينوس ٤٨ كتاباً نقل اكثرها حبيش الاعسم وحنين بن اسحق . ونقلوا كتباً اخرى لم يعرف مؤلفوها او مترجموها

وكان للبرامكة عناية بالطب الهندي فاستقدموا الى بغداد جماعة من اطباء الهند وقد نقل من كتبهم شيء كثير الى العربية وقد ضاع اكثر تلك الكتب فلم نعثر الا على اسماء عشرة منها اكثرها في العقاقير والسموم . واشهر اطباء الهند المشار اليهم كنكه الهندي ومنكه وصالح بن بهلة وشاناق وغيرهم

فزهت بغداد بالعلم والعلماء والطب والاطباء حتى اذا مات الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧ مقتولاً اضطربت احوال الخلافة واستفحل شأن الاتراك فنفرت قلوب اهل العلم واكثرهم من الفرس والعرب فتفرقوا من بغداد رويداً رويداً الى انحاء المملكة الاسلامية شرقاً وغرباً . ولذلك كان اكثر من ظهر من العلماء بعد نضج العلم في القرن الرابع للهجرة نبغوا خارج بغداد وفيهم الاطباء والفلاسفة والمنجمون والمهندسون

والمتكلمون واصحاب المنطق والفقهاء واللغويون وغيرهم

فكان مركز الطب والطبيعيات والفلسفة عند ظهور الاسلام في الاسكندرية ثم انتقل في ايام عمر بن عبد العزيز في آخر القرن الاول للهجرة الى انطاكية . وكان مركز العلوم الاسلامية في اول الاسلام بالمدينة ثم انتقل الى البصرة ومنها الى الكوفة . فلما بنيت بغداد انتقلت اليها تلك العلوم ثم انضمت اليها العلوم الدخلية فاصبحت بغداد أم المدائن في العلم والادب والفلسفة والطب وسائر العلوم العقلية والنقلية . فلما اضطربت احوال الخلافة في ايام المتوكل ثم نشأت الدول الجديدة في انحاء المملكة الاسلامية بالتفرع والتشعب على مقتضى ناموس الارتقاء تفرق العلماء واصبح للعلم مراكز كثيرة قد يتفاضل بعضها على بعض . وتدرج الانتقال من بغداد اولاً الى العراق العجمي فخراسان وما وراء النهر من المشرق . ثم الى القاهرة وما اليها من المغرب والاندلس

وكثر الاطباء الذين نبغوا بعد ترجمة الكتب الطبية في بغداد ثم في خارجها واكثر الذين ظهروا في بغداد في اثناء تلك النهضة من غير المسلمين . ومن مشاهير الاطباء النصارى في ذلك العصر آل بختيشوع وآل حنين وحبيش الاعسم الدمشقي وقسطا بن لوقا البعلبكي وآل ماسرجويه وآل الكرخي وآل ثابت واصطفان بن باسيل ومتى بن يونس والطيفوري وغيرهم . وكلهم من نقلة العلم في العصر العباسي وجميعهم من السوريين سكان الشام والجزيرة والعراق . وكذلك شأن السوريين في كل تمدن فهم نقلوا علوم اليونان الى السريانية والفارسية بعد فتوح الاسكندر ودرسوها وهو شأنهم اليوم في نقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية . ولو اردنا ايراد اخبار اولئك الاطباء لضاق بنا المقام فنأتي بمثال من ذلك بترجمة يوحنا بن ماسويه :

يوحنا بن ماسويه

كان ماسويه والد يوحنا يدقّ الادوية في مارستان جنديسابور المتقدم ذكره وهو لا يقرأ ولكنه عرف الامراض وعلاجها بالممارسة . وخدم ماسوية في المارستان المذكور ثلاثين سنة ثم بلغه مكان جبريل بن بختيشوع من الرشيد فحسده وقال في حقه فعلم جبريل فاخرجه من المارستان فأتى بغداد يستعطف جبريل فلم يقبل منه عذراً واخيراً اشار عليه بعض القسيسين ان يتصدى للمعالجة فوضع صندوقاً وجلس بباب الحرم عند قصر الفضل بن الربيع وزير الرشيد يعالج الرمد ورزقه ضيق . ثم

خدمه التوفيق بان خادماً للفضل المذكور شكا رمداً وعالجه الاطباء فلم يشفوه . واشتد وجعه حتى عدم النوم فلما اشتد ارقه وقلقه خرج من القصر هائماً من الضجر والقلق فرأى ماسويه فقال له « ياشيخ ما تصنع هنا ان كنت تحسن شيئاً فعالجني والا فقم من ههنا » فقال له « يا سيدي أحسن وأجيد » فقال له « ادخل معي حتى تعالجني » فدخل معه وقلب جفنه وكحله وسكب على رأسه وسعطه فنام الخادم وهدأ . فلما اصبح انفذ الى ماسويه جونة فيها خبز سميد وجدي ودجاجة وحلوى ودنانير ودراهم وقال له « هذا لك في كل يوم والدراهم والدنانير رزقك مني في كل شهر » فبكى ماسويه فرحاً فتوهم الرسول انه قد استقله فقال له « لاتغتم فانه يزيدك ويحسن اليك » . فقال ياسيدي « رضيت منه بهذا ان يدرّه على الايام » . فلما رجع عرّف الخادم ماكان منه فعجب منه وشفي الخادم على يديه . ولم يمض الا ايام يسيرة حتى اشتكت عين الفضل فانفذ اليه جبريل الكحالين فلم يزالوا يعالجونه فلم ينتفع به فأدخل الخادم ماسويه اليه ليلاً فلم يزل يكحله الى ثلث الليل ثم سقاه دواء مسهلاً فصلح به ثم حضر جبريل فقال له الفضل « يا أبا عيسى ان ههنا رجلاً يقال له ماسويه من افره الناس واعرفهم بالكحل » فقال له « ومن هذا لعله الذي يجلس بالباب » فقال « نعم » فقال جبريل « هذا كان اكاراً لي فلم يصلح المكروث فطردته وقد صار الآن طبيباً وما عالج الطب قط فان شئت فاحضروه وانا حاضر » وتوهم جبريل انه يدخل فيقف بين يديه ويتذلل له فامر الفضل باحضاره فدخل وسلم وجلس بحذاء جبريل فقال له جبريل « يا ماسويه صرت طبيباً ؟ » فقال له « لم ازل طبيباً انا اخدم المارستان منذ ثلاثين سنة وتقول لي هذا القول ؟ » ففزع جبريل ان يزيد في المعنى فبادر وانصرف في الحال وهو خجل واجرى الفضل على ماسويه في كل شهر ستمائة درهم وعلوفة دابتين ونزل وخمسة غلمان وامره ان يحمل عياله من جنديسابور واعطاه نفقة واسعة فحمل عياله ويوحنا ابنه وهو حينئذ صبي وزاد توفيقه ان الرشيد أصيب برمد اعجز جبريل ووفق ماسويه الى شفائه فزادت مرتبته وصار مثل جبريل في المنزلة وما زال في سعة وجاه حتى توفي

وأما ابنه يوحنا بن ماسويه الذي نحن في صدده ففاق أباه في العلم وقلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجد في انقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون وجعله اميناً على الترجمة وخدم الرشيد والامين والمأمون وبقي على ذلك الى ايام المتوكل وكان بنو هاشم لا يتناولون شيئاً من اطعمتهم الا بحضرته وكان يقف على رؤوسهم

ومعه البراني بالجوارشنات الهاضمة المسخنة الطابخة القوية للحرارة الغريزية في الشتاء وفي الصيف بالاشربة الباردة على اصطلاحهم



يوحنا بن ماسويه (١)

وكان مجلسه في بغداد اعمر مجلس بمدينة السلام لتطبب او متكلم او متفلسف لانه كان يجتمع فيه كل صنف من اصناف الناس . وكان في يوحنا دعابة ولطف يحضر من يحضر للتمتع بحديثه وكان حاد المزاج تخرج منه الحدة الفاظاً مضحكة حتى جعل الناس ينقلون نوادره ويتناقلونها كما يتناقل اهل سوريا نوادر استاذنا الدكتور فانديك

ومن نوادره المضحكة ان رجلاً شكى اليه علة كان شفاءه منها الفصد فاشار به عليه فقال « لم اعتد الفصد » فقال له « ولا احسب احداً اعتاده في بطن امه وكذلك لم تعتد العلة قبل ان تعتل وقد حدثت بك فاختر ما شئت من الصبر على ما احدثت لك طبيعتك من العلة او اعتد الفصد لتسلم منها » وشكى اليه رجل جرباً قد اضر به فاشار عليه بفصد الاكحل من يده اليمنى فاعلمه انه قد فعل فامره بفصد الاكحل ايضاً من يده اليسرى فذكر انه قد فعل فامره بشرب المطبوخ فقال قد فعلت فامره بشرب الاصطمخيقون فاعلمه انه قد فعل فامره بشرب ماء الجبن أسبوعاً وشرب مخيض البقر أسبوعين فاعلمه انه قد فعل فقال له « لم يبق شيء مما أمر به المتطببون الا وقد ذكرت

(١) هذه الصورة منقولة بالفوتوغراف عن زجاج نافذة من نوافذ كنيسة ميلانو العظمى بايطاليا وهي في الاصل ملونة

انك فعلته وبقي شيء مما لم يذكره بقراط ولا جالينوس وقد رأيناه يعمل على التجربة كثيراً فاستعمله فاني ارجو ان ينجح علاجك ان شاء الله » فسأله ما هو فقال « ابتع زوجي قراطيس وقطعهما رقاعاً صغاراً واكتب في كل رقعة « رحم الله من دعا لمبتلي بالعافية » والق نصفها في المسجد الشرقي بمدينة السلام والنصف الآخر في المسجد الغربي وفرقها في المجالس يوم الجمعة فاني ارجوان ينفعك الله بالدعاء اذ لم ينفعك العلاج » وصار اليه قسيس الكنيسة التي يتقرب فيها يوحنا قال له « قد فسدت عليَّ معدتي » فقال له استعمل جواشن الخوزي فقال قد فعلت فقال له يوحنا فاستعمل الكموني قال قد اكلت منه ارطالاً فامره باستعمال المقداذيقون فقال قد شربت منه جرة قال له استعمل المروسيا فقال قد فعلت واكثرت فغضب وقال له « ان اردت ان تبرأ فاسلم فان الاسلام يصلح المعدة » ومن نوادره انه كان مع الواثق على دكان في دجلة ومع الواثق قصبة فيها شص وقد القاها في دجلة ليصيد بها السمك فحرم الصيد فالتفت الى يوحنا وكان على يمينه فقال « قم يا مشؤوم عن يميني » فقال له يوحنا « يا امير المؤمنين لا تتكلم بمحال يوحنا بن ماسويه الخوزي وامه رسالة الصقلبية المبتاعة بثمانمائة درهم اقبلت به السعادة الى ان صار نديم الخلفاء وسميرهم وعشيرهم وحتى غمرته الدنيا فنال منها ما لم يبلغه امله فمن اعظم محال ان يكون هذا مشؤوماً ولكن ان احب امير المؤمنين ان اخبره بالمشؤوم من هو اخبرته » فقال « ومن هو » فقال « من ولدته اربع خلفاء ثم ساق الله اليه الخلافة فترك خلافته وقصورها وبساتينها وقعد في دكان مقدار عشرين ذراعاً في مثلها في وسط دجلة لا يأمن عصف الريح عليه فتغرقه ثم تشبه بافقر قوم في الدنيا وشرهم وهم صيادو السمك » فعلم انه يعنيه وسكت

وما زال يوحنا في جاه وثروة حتى توفي بسر من رأي سنة ٢٤٣ هـ وكان طويل الوجه مرتفع قحف الرأس عريض الجبين ازرق العينين . وله نحو اربعين كتاباً في الطب حسنة ترجم بعضها الى اللاتينية وضاع اكثرها في جملة ما ضاع من كتب العلم فنكتفي بذكر ما لا يزال منها موجوداً

(١) « كتاب نوادر الطب » او النوادر الطبية منه نسخة في مكتبة لايدن وأخرى في الاسكوريال وقد نقلت النوادر المذكورة الى اللغة اللاتينية (٢) كتاب الكمال والتمام ضاع الاصل العربي ولا تزال ترجمته العبرانية موجودة في مكتبة باريس (٣) كتاب الحميات ترجم الى اللاتينية ومنها الى العبرانية ومنه نسخة في مكتبة باريس واما الاصل العربي فقد ضاع (٤) كتاب الجواهر في الطب (٥) كتاب

ماء الشعير منه نسخة عربية في مكتبة الجزائر (٦) كتاب الادوية المسهلة منها نسخة في مكتبة بدليان في اكسفورد وغيرها

هذا مثال من اطباء بغداد في العصر العباسي الأول يوم كان الاطباء جميعاً من غير المسلمين . واما العصر الثاني الذي نبغ فيه الأطباء المسلمون فاكثرهم كانوا يأتون بغداد من الخارج فيخدمون في مارستانها او يتقربون من خلفائها او امرائها واقدم المشهورين من هؤلاء ابو بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١١ هـ

ابو بكر الرازي

ويسميه الافرنج Razès ولد هذا العالم الكبير في الري ببلاد فارس ونشأ فيها ثم انتقل الى بغداد وهو في الثلاثين من عمره . وكان في صغره يضرب على العود ولكنه كان ميالاً الى العلوم العقلية وعلم الادب والشعر . اما الطب فانه تعلمه على كبر لسبب طرأ عليه وذلك انه دخل المارستان العضدي في بغداد ليشاهده فسمع بعض شروح الاساتذة فلذت له وكان كلما جاء مرة زاد رغبة في العلم فتعلم الطب وبرع فيه . ولما اراد عضد الدولة تجديد المارستان كان الرازي ان يكون رئيساً على اطبائه وهم بضعة وعشرون طبيباً فيهم الطبائعيون والكحالون والجراحون والمجبرون والصيادلة وظهرت مواهبه بما كان يعقده من مجالس العلم او يؤلفه من الكتب وجمع في مؤلفاته كل ما كان معروفاً من العلوم في عصره ومن امثالهم « ان الطب كان معدوماً فاحياه جالينوس وكان متفرقاً فجمعه الرازي وكان ناقصاً فكمله ابن سينا »

وكان الرازي يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ دونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ آخرون . فكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لاول من يلقاه فان كان عندهم علم والا تعداهم الى غيرهم فان اصابوا والا تكلم الرازي . وكان كبير الرأس مسفطه جليل الطلعة يتهيب الناس مجلسه لولا رطوبة كانت من عينيه . وكان كريماً متفضلاً رؤوفاً بالمرضى دقيق الملاحظة صحيح النظر ويروون عن ذكائه واصابته نوادر كثيرة لامحل لها هنا

وكان اكثر مقام الرازي في الري وغيرها من بلاد العجم وخدم بصناعته الاكابر من ملوكها وصنف بعض كتبه لهم ككتاب المنصوري فقد الفه للمنصور بن اسماعيل ابن خاقان صاحب خراسان وكتاب الملوكي لعلي ابن صاحب طبرستان وسنعود الى ذكرها

وكان الرازي مولعاً بالعلوم الحكمية وله فيها مصنفات نفيسة وخصوصاً علم



ابو بكر الرازي يشتغل بالكيمياء

السكيمياء وما يتعلق بها وله اكتشافات كيماوية اهمها زيت الزاج (الحامض الكبريتيك والكحول استحضر الاول باستقطار كبريتات الحديد واسمه في العربية الزاج الاخضر فلما استقطره خرج منه سائل سماه زيت الزاج . ولا تزال طريقة الرازي من طرق استحضار هذا الحامض الى اليوم . اما الكحول فاستحضره باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة . والف الرازي في الكيمياء كتباً كثيرة ولم يكن يعتقد مايعتقده اهل زمانه من امكان تحويل المعادن الى ذهب وانما كان يؤلف في هذا الفن على اعتقاد اهله التماساً للمال لكن ذلك الحق به الاذى لان المنصور بن اسمعيل صاحب خراسان طالبه باستخراج الذهب على الصفة التي ذكرها في كتابه فلم يستطع فغضب المنصور وامر ان يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ثم جهزه وسيره الى بغداد . فكان ذلك الضرب سبباً في نزول الماء على عينيه وجاءه قداح يقدحهما وهي عملية الكتركتا الآن فسأله الرازي « كم طبقة للعين » فقال « لا اعلم » فقال « لا يقدح عينيَّ من لا يعلم ذلك » ثم قال « قد نظرت الدنيا حتى مللت منها فلا حاجة بي الى عينين »

﴿ مؤلفاته ﴾ ذكر له المؤرخون اكثر من مائتي مؤلف بين كتب ورسائل ومقالات في العلوم الطبيعية والرياضية والالهيات على انواعها في الطب والفلسفة والكيميا والمنطق وغيرها مما لا فائدة من ايرادها فنكتفي بذكر ما لا يزال منها موجوداً

كله او بعضه

(١) كتاب الحاوي : وهو اجل كتبه واعظمها في صناعة الطب جمع فيه كل ما وجده متفرقاً في ذكر الامراض ومداواتها من سائر كتب الطب للمتقدمين ومن اتى بعدهم الى زمانه ونسب كل قول الى قائله . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في المتحف البريطاني واخرى في مكتبة مونيخ وفي مكاتب اكسفورد والاسكوريال . وقد نقل الحاوي الى اللاتينية نقله فراغوت وطبع مرتين وقد اختصره غير واحد

(٢) كتاب الطب المنصوري : وقد ذكرنا سبب تأليفه: ومنه نسخة في المكتبة الاهلية بباريس وفي مكاتب اوكسفورد ودرسدن واسكوريال وغيرها . وقد نقل الى اللغة اللاتينية نقله الكريموني وطبع فيها

(٣) كتاب الجدري والحصبة : وهو اول من وصف هذين الدائين حق الوصف وقد ترجم الى اللاتينية وغيرها ونشر فيها كلها

(٤) الاقرباذين : وهو علم الادوية منه نسخة خطية في مكتبة اوكسفورد وقد نقلت الى العبرانية

(٥) تقسيم العلل : ويسمى كتاب التقسيم . منه نسخة في مكتبة المتحف البريطاني

(٦) كتاب المدخل الى الطب : يوجد خطاً في مكتبة باريس ومكتبة اوكسفورد وقد نقل الى اللاتينية على يد الكريموني

(٧) كتاب الفصول في الطب : ويقال له المرشد وقد نقل الى العبرانية ويوجد في لايدن ونقل الى اللاتينية وطبع فيها

(٨) كتاب الكافي : ترجم الى العبرانية وهوموجود في مكتبة اوكسفورد

(٩) كتاب برء الساعة : يوجد في مكتبة برلين وغيرها

(١٠) « الباه ومنافعه : موجود خطاً في مكتبة لايدن

(١١) « خواص الاشياء : يوجد في نان

(١٢) « سر الصناعة في الكيمياء : يوجد خطاً في مكتبة الاسكوريال

(١٣) « الفاخر في الادوية يوجد في مكاتب برلين ولايدن وباريس وبطرسبورج

(١٤) « الطب الملوكي : يوجد خطاً في مكتبة لايدن

(١٥) « الاغذية : يوجد منه الترجمة اللاتينية فقط في مكتبة الاسكوريال

(١٦) مقالات في صناعة الطب : نقلت الى اللاتينية وتوجد في مكاتب الاسكوريال وغيرها

(١٧) كتاب من لايحضره الطبيب : طبع في لكنو الهند سنة ١٨٨٦
(١٨) « منافع الادوية طبع في مصر سنة ١٣٠٥
(١٩) « في دفع مضار الاغذية : يوجد خطاً في مكاتب مونيخ وباريس
(٢٠) « القوانين العلية في الحكمة الفلسفية
(٢١) « الطب الروحاني : يوجد في مكتبة المتحف البريطاني

وهناك نحو ثلاثين كتاباً أخرى بعضها ضاعت اصولها العربية وبقيت ترجماتها اللاتينية او العبرانية وبعضها بقي منها نتف متفرقة ومنها كتب مهمة نقلت الى اللاتينية وضاعت في التنين أكثرها في علل المفاصل وامراض الجلد وفي الضوء وغير ذلك

الشيخ الرئيس ابن سينا

هو الشيخ الرئيس الفيلسوف الطبيب ارسطو الاسلام وابقراطه واسمه الاصلي الحسين بن عبد الله ويلقب ابو علي ويسميه الافرنج (Avicenna) كان ابوه من بلخ في شمالي افغانستان وسكن مملكة بخارا في زمن نوح بن منصور من الدولة السامانية وتولى التصرف بقرية من قراها اسمها خرميثن . وفيها ولد له ابنه الحسين سنة ٣٧٠ ﻫ وكان من صغره نادرة عصره في الذكاء والفطنة . ثم انتقل والده به الى مدينة بخارا وهي يومئذ حافلة بالعلماء . وحفظ القرآن واخذ يقرأ الفقه قبل ان يتجاوز العاشرة ولم يدرك السادسة عشرة حتى تعلم المنطق والهندسة والطبيعة واللاهوت والطب ثم تفرغ للتوسع بهذه العلوم . وكان يحيي الليل في الدرس والبحث . ومما قاله عن نفسه « لازمت العلم سنة ونصفاً وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ولا اشتغلت في النهار بغيره وجمعت بين يدي ظهوراً فكل حجة انظر فيها اثبت مقدمات قياسها ورتبتها في تلك الظهور ثم نظرت فيما عساها تنتج وراعيت شروط مقدماتها التي تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة وكلما كنت احاور في مسألة او لم اظفر بالحد الاوسط في قياس ترددت الى الجامع وصليت وابتهلت الى مبدع الكل حتى يفتح لي المنغلق منه ويتيسر المتعسر . وكنت اشتغل ليلاً في داري بالكتابة والقراءة فان غلبني النوم او شعرت بضعف عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود اليَّ قوتي ثم ارجع الى القراءة فان غلبني النوم حلمت بالمسائل التي كنت اعالج حلها حتى ان كثيراً منها اتضح لي بالمنام »

واتفق ان نوحاً المذكور مرض فذكر له ابن سينا فاستقدمه فبرئ على يده فقربه اليه . وكان عند نوح مكتبة نادرة المثال فاستأذنه في دخولها فأذن له فدرسها درساً ثم

احترقت بعد ان وعى زبدتها واخذ في التأليف وهو في الحادية والعشرين من عمره • وارتفعت منزلته وتولى بعض مناصب الدولة . وتنقل في بلاد خراسان وهو موضع الاعجاب ومصدر الاستفادة بالتطبيب والتأليف ولم يتمكن من اللغة العربية كما ينبغي الا بعد حين . ومرت به طوارىء مختلفة وقاسى ما يقاسيه طلاب العلى من العذاب والملوك مناظروه او مريدوه . وكان قوي القوى كلها جسداً وعقلاً لكن شهواته البدنية كانت غالبة عليه • فأثرت في مزاجه حتى اماته بهمذان سنة ٤٢٨ ه وهو في الثامنة والخمسين من عمره



الشيخ الرئيس ابن سينا (١)

وكان من المتفردين بسعة العلم وقوة العقل وقد الف في كل فن من العلم والادب وتزيد مؤلفاته على مئة مؤلف لا يزال كثير منها باقياً • وكان لها تأثير كبير في نهضة اوربا الاخيرة لانهم نقلوا اهمها الى لغة العلم عندهم يومئذ (اللاتينية) • وهاك اسماء الكتب التي نقلوها واسماء النقلة

(١) هذه الصورة منقولة بالفوتوغراف عن زجاج نافذة من نوافذ كنيسة ميلانو العظمى بايطاليا وهي في الاصل ملونة

اسم الكتاب	اسم المترجم	اسم الكتاب	اسم المترجم
القانون	الكريموني	السماء والعالم	كونديسالفي
قلب الانسان	الاشبيلي	مختصر الحيوان	سكوت
الارجوزة في الطب	ارمنكو	التعريفات	مجهول
شرحها	«	الكيمياء	«
الشراب	الباغوس	الحجر الفلسفي	«
النفس	الاشبيلي	الحدود	«
ما بعد الطبيعة	كونديسالفي	المنطق	«
الطبيعيات	«	الفلسفة الاولى	«

واكثر هذه الترجمات طبعت في اللاتينية وبعضها طبع غير مرة ومنها نسخ في مكاتب اوربا الكبرى وبعضها ضاع اصله العربي

اما في الاصل العربي فكثير من مؤلفاته لا يزال باقياً ومنها جانب كبير في الكتبخانة الخديوية يمكن الاطلاع عليها لمن اراد فن كتبه الطبية الموجودة هناك :

(١) القانون : في ١٤ جزءاً مطبوع في رومية ومصر وهو من اهم كتبه ، حوى اهم ما عرف من علوم الطب وخصائص العقاقير والتشريح وغيرها وعليه وعلى كتاب الحاوي المتقدم ذكره كان اكثر معول العالم الطبي في التمدن الاسلامي وفي نهضة اوربا قبيل التمدن الحديث

(٢) الشفاء : وهو ١٨ جزءاً بعضها في الطب والبعض الآخر في العلوم الاخرى منه جزآن مطبوعان على الحجر ببلاد فارس والكتاب موجود برمته في الكتبخانة الخديوية (٣) الالفية في الطب (٤) منظومة في الطب

ومن كتبه الفلسفية ـ (١) الاشارات : وله شرح للطوسي مطبوع في الاستانة وعلى هامشه شرح للفخر الرازي (٢) النجاة : ثلاثة مجلدات مطبوع (٣) رسائل في الانصاف والمسائل العشرين والمباحثات والجوهر الذي لا يتحرك وتقسيم العلوم الفلسفية وحد الجسم وشرح كتاب النفس لارسطو وما بعد الطبيعة وكلها توجد خطاً في المكتبة الخديوية

ومن كتبه في الفقه والتوحيد (١) القصيدة العينية في النفس (٢) كتاب المبدأ والمعاد (٣) الالهيات (٤) الجمانة الالهية

وفي المنطق ـ (١) كتاب الاشارة (٢) كتاب المشرقيين (٣) رسالة العروس. غير ثمانية مؤلفات في المنطق يوجد بعضها في مكاتب اوربا

وفي العلوم الطبيعية والرياضية خمسة عشر مؤلفاً لايوجد منها في المكتبة الخديوية شيء ولكن اكثرها موجود في مكاتب اوربا ولامحل هنا لتفصيل ذلك . وله مؤلفات في الآداب السياسية والموسيقى وفي اللغة العربية وعلومها ضاع معظمها

ولابن سينا آراء خصوصية في العلم الطبيعي وقد اوضح كثيراً من غوامضه وكذلك الالهيات مما يستغرق شرحه صفحات عديدة

فقس على من ترجمناهم من اطباء العرب مالم نترجمهم وهم كثيرون ذكرنا بعضهم في ما تقدم وفيهم من غلبت عليه شهرة الفلسفة — والغالب في الطبيب عندهم ان يكون فيلسوفاً . وبلغ عدد مشاهير اطباء المسلمين ممن ظهروا في ابان التمدن الاسلامي ٣٤ طبيباً من السريانيين الذين اشتغلوا بنقل الكتب والتأليف ومنهم آل بختيشوع وآل ماسوية . و٨٢ طبيباً اشتهروا في العراق والجزيرة وديار بكر ومنهم الكندي والسرخسي وعلي بن عباس وهبة الله وغيرهم . و٢٣ نبغوا في بلاد فارس ومنهم الرازي وابن سينا و٦ اطباء من الهند ونحو ٩٠ طبيباً في بلاد المغرب والاندلس اشهرهم الزهراوي وابن جلجل وابن باجة وابن رشد وابن زهر وغيرهم و٥٧ طبيباً بمصر اشهرهم سعيد بن البطريق وابن الهيثم وابن رضوان والشيخ السديد والرئيس هبة الله وابن جميع وابن البيطار وغيرهم و٥٩ طبيباً في الشام اشهرهم ابو النصر الفارابي وعيسى الرقي وسيف الدين الاموي وموفق الدين البغدادي وصدقة السامري وغيرهم

فيبلغ عدد العلماء الذين اشتغلوا في الطب في ابان التمدن الاسلامي ٣٥٠ طبيباً هم اشهر اطباء العربية وما فيهم الا من الف كتاباً أو كتباً في الطب أو الفلسفة أو غيرها من العلوم الطبيعية

ما احدثه المسلمون في الطب

أما ما أحدثوهُ في الطب من عند انفسهم رأساً فالاحاطة به من الامور الشاقة التي يعسر تحقيقها فنذكر ما ثبت عندنا حدوثه على سبيل المثال . من ذلك انهم احدثوا في الطب آراء جديدة تخالف آراء القدماء في تدبير الامراض وان لم يصلنا خبر غير القليل منها مثل نقلهم تدابير اكثر الامراض التي كانت تعالج قديماً بالادوية الحارة (على اصطلاحهم) الى التدبير البارد كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها وذلك على غير ما سطره القدماء . واول من فطن لهذه الطريقة ونبه عليها وأخذ المرضى بالمداواة بها الشيخ ابو منصور صاعد ابن بشر الطبيب في بغداد فانه اخذ المرضى بالفصد والتبريد والترطيب ومنعهم من الغذاء

فانجح تدبيره فعينوه رئيساً للمارستان العضدي فرفع منهُ المعاجين الحارة والادوية الحارة ونقل تدبير المرض الى ماء الشعير ومياه البذور فاظهر في المداواة عجائب فاقتدى بهِ سائر الاطباء بعده

والعرب اول من استخدم المرقد (البنج) في الطب يقال انهم استخدموا له الزوان او الشيلم وهم اول من استخدم الخلال المعروف عند الاطباء

وقد وجد محققو الافرنج ان العرب اول من استخدم الكاويات في الجراحة عَلَى نحو استخدامها اليوم وانهم اول من وجه الفكر الى شكل الاظافر في المسلولين ووصفوا علاج اليرقان والهواء الاصفر واستعملوا الافيون بمقادير كبيرة لمعالجة الجنون ووصفوا صب الماء البارد لقطع النزف وعالجوا خلع الكتف بالطريقة المعروفة في الجراحة برد المقاومة الفجائي ووصفوا ابرة الماء الازرق وهو قدح العين (الكترکتا) واشاروا الى عملية تفتيت الحصاة



آلات قلع الاضراس في زمن ابن سينا

وقد ألف العرب في بعض فروع الطب ما لم يسبق احد الى مثله . فالجذام اول من كتب فيهِ اطباؤهم واول كتاب في هذا الموضوع ليوحنا بن ماسويه المتقدم ذكرهُ وهم اول من وصف الحصبة والجدري بكتاب لابي بكر الرازي كما تقدم غير ما ألفوه من الموسوعات الضافية في الطب

الصيدلة والكيمياء

ومن فروع الطب الصيدلة وللعرب فضل كبير فيها فقد بذلوا الجهد في استجلاب العقاقير من الهند وغيرها . بدأوا بذلك من ايام يحيى بن خالد البرمكي ثم نبغ منهم الاطباء

والصيادلة ووجهوا عنايتهم الى درس العقاقير وقد نقلوا كتباً فيها من الهندية واليونانية ثم اشتغلوا هم انفسهم في جمعها . وقد عني الافرنج بعد نهضتهم الاخيرة في درس تاريخ فن الصيدلة فتحققوا ان العرب هم واضعو اساس هذا الفن وهم اول من اشتغل في تحضير الادوية أو العقاقير فضلاً عما استنبطوه من الادوية الجديدة . وانهم اول من الف الاقرباذين على الصورة التي وصلت الينا . وظل العرب في النهضة العباسية يعتمدون في المارستان ودكاكين الصيادلة على اقرباذين ألفه سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ هـ حتى ظهر اقرباذين امين الدولة ابن التلميذ المتوفى سنة ٥٦٠ هـ . وهم اول من انشأ حوانيت الصيدلة على هذه الصورة . ومن اقرب الشواهد على ذلك اسماء العقاقير التي اخذها الافرنج عن العرب ولا تزال عندهم باسمائها العربية أو الفارسية أو الهندية كما اخذوها عن العربية

على ان تقدمهم في الصيدلة تابع لتقدمهم في الكيمياء والنبات ولا خلاف في ان العرب هم الذين اسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربهم ومستحضراتهم — واول من اشتغل في نقلها الى العربية خالد بن يزيد نقلها عن مدرسة الاسكندرية وعنه اخذ جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٠ هـ وبعده جابر بن حيان ثم الكندي فابو بكر الرازي وغيرهم فاكتشفوا كثيراً من المركبات الكيماوية التي بنت عليها الكيمياء الحديثة . وقد ثبت الآن ان العرب هم الذين استحضروا ماء الفضة (الحامض النتريك) وزبت الزاج (الحامض الكبريتيك) وماء الذهب (الحامض النيتروهيدروكلوريك) واكتشفوا البوتاسا وروح النشادر وملحه وحجر جهنم (نترات الفضة) والسليماني (كلوريد الزئبق) والراسب الاحمر (اكسيد الزئبق) وملح الطرطير وملح البارود (نترات البوتاسا) والزاج الاخضر (كبريتات الحديد) والكحول والقلي والزرنيخ والبورق وغير ذلك من المركبات والمكتشفات التي لم يصل الينا خبرها

على اننا نستدل على وجود بعض المركبات الكيماوية في ايامهم مما لم نسمع له بمثيل في تاريخ الكيمياء قبل اواخر القرن الماضي — فقد اشار ابن الاثير الى ادوية استخدمها العرب في واقعة الزنج سنة ٢٦٩ هـ اذا طلي بها الخشب امتنع احتراقه ولم يذكرها هي . ومما يعد من قبيل الكيمياء ايضاً البارود فقد ترجح لنا بالبحث انهم هم الذين ركبوه . وهم اول من وصف التقطير والترشيح والتصعيد والتبلور والتذويب وقد ألفوا في ابطال الكيميا القديمة — اول من الف ذلك حكيمهم وفيلسوفهم يعقوب الكندي في اواسط القرن الثالث للهجرة

علم النبات

وأما النبات فللعرب القدح المعلى في درسه والتأليف فيه وقد اخذوا هذا العلم في النهضة العباسية عن مؤلفات ديسقوريدس وجالينوس ومن كتب الهند . نقل كتاب ديسقوريدس في ايام المتوكل اصطفان بن باسيل من اليونانية الى العربية فالعقاقير التي لم يعرف لها اسماء في العربية تركها على لفظها اليوناني اتكالاً على ان يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره . وحمل هذا الكتاب الى الاندلس على هذه الصورة فانتفع به الناس الى ايام الناصر صاحب الاندلس في اواسط القرن الرابع للهجرة . فكاتبه ملك القسطنطينية سنة ٣٣٧ هـ وهاداه بكتب من جملتها كتاب ديسقوريدس باليونانية مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب ولم يكن في الاندلس من يحسن اليونانية فبعث الناصر الى الملك يطلب اليه رجلاً يعرف اليونانية واللاتينية لينقله الى اللاتينية وعارفو هذه اللغة في الاندلس كثيرون . فبعث اليه راهباً اسمه نقولا وصل قرطبة سنة ٣٤٠ هـ فتعاونوا على استخراج مافات ابن باسيل تعريبه من عقاقير هذا الكتاب . ثم جاء ابن جلجل في آخر القرن الرابع فالف كتاباً في مافات ديسقوريدس ذكره من اسماء العقاقير والادوية وجعله ذيلاً على ذلك الكتاب

حتى اذا نبغ ابن البيطار المالقي النباتي في اواسط القرن السابع للهجرة فتناول الكتاب المذكور فدرسه وتفهمه ثم سافر الى بلاد اليونان والى اقصى بلاد الروم ولقي جماعة يعانون هذا الفن واخذ عنهم معرفة نبات كثير عاينه في مواضعه . واجتمع ايضاً في المغرب وغيره بكثير من علماء النبات وعاين منابته بنفسه وذهب الى الشام ودرس نباتاتها وجاء الديار المصرية في خدمة الملك الكامل الايوبي وكان يعتمد عليه في الادوية المفردة والحشائش حتى جعله رئيساً على العشابين واصحاب البسطات . وبعد طول ذلك الاختبار الف كتابه في النبات وهو فريد في بابه وكان عليه معول اهل اوربا في نهضتهم الاخيرة

ومن المبرزين في علم النبات رشيد الدين بن الصوري المتوفى سنة ٦٣٩ هـ صاحب كتاب الادوية المفردة وكان كثير البحث والتدقيق يخرج لدرس الحشائش في منابتها ويستصحب مصوراً معه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها ويتوجه الى المواضع التي بها النبات في لبنان وسوريا فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه واغصانه واصوله ويصور بحسبها بالدقة وذلك غاية ما يفعله الباحثون في هذا العلم اليوم

الصدق سيد الاخلاق

علم ابنك الصدق والصدق يعلمه كل فضيلة

لو علمت ابنك كل علم ولقنته كل فن وخرجته في اكبر الجامعات ودربته على ابواب الكسب حتى صار فيلسوف زمانه وقارون ايامه والبسته الحرير والدمقس واقمته في افخم القصور واحطته بالخدم والاعوان وجعلته آية من آيات الزمان ولم تعلمه الصدق فقد اركبته مركباً خشناً وسلكت به مسلكاً زالاً وكنت كالباني على الرمل او الكاتب على الماء لان المرء باخلاقه لا بعلمه ولا ماله . والكاذب ذليل ولو عز والصادق عزيز وان ذل ولله در القائل :

لا يكذب المرء الا من مهانته　　او عادة السوء او من قلة الادب

لجيفة الكلب عندي خير رائحة　　من كذبة المرء في جد وفي لعب

والفضائل تعد عند علماء الاخلاق بالعشرات وفي جملتها المحبة والعفة والامانة والاستقامة والتقوى والحنو والشفقة والشهامة والبر والاحسان وحرية الضمير وصدق اللهجة وغيرها . ولو اردنا تحديد كل منها على حدة لضاق بنا المقام وتشابهت علينا اساليبها وقواعدها واختلطت لدينا تعاريفها . والرذائل كثيرة ايضاً وهي ضد الفضائل ومنها السرقة والطمع والكذب والظلم واللؤم والفسق وغير ذلك مما لا يقع تحت الحصر

ولكننا لو بحثنا في كل من الفضائل والرذائل بحثاً تحليلياً لرايناهما تجتمعان في خلتين تنطوي تحت احداهما الفضائل وتحت الاخرى الرذائل . وهما الصدق والكذب

واذا نظرنا الى الصدق من حيث احوال الناس رايناه يرجع الى اربعة اقسام

١ صدق الفكر ٢ صدق القول ٣ صدق المعاملة ٤ صدق الوعد

فصدق الفكر يراد به حرية الفكر وهي ان يصدق الانسان نفسه في اعتقاده فلا يحمله الطمع او الشره على تأويل اعتقاده فيكذب على نفسه . فان من الناس من تصور له نفسه الحقيقة فيتعامى عنها او يقلبها في ذهنه حتى يراها على غير ما هي . ولو اطلق لفكره العنان ونظر في الحقيقة كما تعرض له لما انخدع لشهواته . وقد يخطر للمرء عمل يعلم انه رذيلة ولكن رغبته في ذلك العمل تحمله على تقليبه واعمال الفكرة فيه بالتأويل والتغيير حتى يراه كما يريد — فهو بذلك يكذب في فكره

قال ابو العتاهية

كن في أمورك ساكناً　　فالمرء يدرك في سكونه

واعمد الى صدق الحديث فانه ازكى فنونهِ
ربَّ امرىءٍ متيقن غلب الشقاء على يقينهِ

وصدق القول ان يقول الانسان ما يعتقده وهو ما يعبرون عنه بصراحة القول وهي عنوان التمدن الصحيح وقد قال الشاعر :

وكن صادقاً في كل شيء تقوله ولا تك كذاباً فتدعى منافقاً

وقال الآخر

الكذب عار وخير القول اصدقه والحق ما مسه من باطل زهقا

وقال آخر

الصدق منجاة لمن هو صادق وترى الكذوب بما يقال يوبخ

ولا نرى نفساً اذل من نفس الكاذب في ما يقول فهو كالسارق او المزوّر لانه يعلم الحقيقة ويقول خلافها . ويدخل في هذا الباب حرية القول وهي من اكبر دلائل المدنية الصحيحة وما احوجنا اليها في الشرق فان توالي الظلم علينا اجيالاً متطاولة عودنا الخوف من الصدق فصرنا نكذب ونسمي كذبنا مجاملة

والامة مهما بلغت اليه من الثروة والحضارة ولو بسط اهلها في العيش وبنوا القصور وغرسوا الحدائق وافترشوا الخز والديباج وصاغوا آنيتهم من الذهب ورصعوها بالحجارة الكريمة ومهما بلغ من علمهم وادبهم ولو صاروا كلهم كتاباً وشعراء وفلاسفة . ومهما كثرت صحفهم وتعددت صفحاتها واتسعت مساحاتها وكثر البلغاء من كتابها — مهما يكن من ذلك كله فتلك الامة لا تزال منحطة ضعيفة ان لم تكن حرية القول شعارها وقاعدة معاملاتها . فيتعامل ابناؤها بالصدق ويتخاطبون بالصراحة ويخطبون باللهجة الصادقة ويطلبون حقوقهم بالشجاعة الادبية

واذا اعملت الفكرة في تواريخ الامم رأيت حرية القول ترافق الامة في ابان مجدها ثم تتحول عنها حتى تزول في ايام انحطاطها . الا ترى كيف كان العرب في صدر الاسلام يخاطبون الخليفة كما يخاطبون آحاد الناس ويبثون شكواهم او تظلمهم اليه ولو كانت الشكوى عليه ؟ فلما استبد الامويون قيدوا افكار الناس وقطعوا السنتهم بالسيف او بالعطاء فاضطروا الى المداجاة خوفاً اوتزلفاً . وتوالى ذلك حتى صار ملكة رسخت برسوخ الظلم وخوف الناس على ارواحهم ان لم يرضوا اميرهم . فصاروا يداجون ويزدادون مداجاة بازدياد الاستبداد

اما صدق المعاملة فهي اساس الاخذ والعطاء ولا يعرف قيمتها الا الذين يتعاطون

التجارة ونحوها فهؤلاء يقولون « صدق المعاملة من الدين » اي انهم رفعوا قدرها الى درجة الدين . وقد انصفوا فان الناس انما يتعيشون بالمعاملة فاذا لم يصدقوا فيها اصبحت اشغالهم فوضى — ويدخل في صدق المعاملة الامانة وهي ان يؤدي المرء لكل انسان حقه في حينه وهذا قليل بيننا وخصوصاً في مصر وقد شاعت المماطلة باداء الحقوق بمصر حتى صارت عادة عند التجار على اختلاف طبقاتهم . فالتاجر مهما بلغ من صدق معاملته قلما يؤدي الحق في حينه حتى الصكوك الى آجال معينة يأتي اجلها والمدين لم يبدا بالتفكير في دفعها . ولا يطعن ذلك المطل في ذمة الرجل في عرفهم لانه اصبح عادة راسخة — فما احرانا ان نقلع عنها

والصدق في الوعد وهو الوفاء فانه يدخل في صدق المعاملة ولكننا خصصناه بالكلام لانه كثير التفشي بين ظهرانينا وهو ينخر في هيأتنا الاجتماعية نخر السوس في الخشب . كم يعدك فلان بالمجيء اليك في يوم كذا وساعة كذا فتلبث في انتظاره فلا يأتي ثم هو لا يعتذر عن تخلفه كأنه لم يأت امراً فرياً

ان اخلاف الوعد او التخلف عن المواعيد من اسهل الامور عندنا . ويدخل في صدق الوعد التدقيق في الوقت اي ان تأتي في الوقت المحدد للمجيء فلا يكون ميعاد الاجتماع الساعة ٩ فتأتي في العاشرة . على ان المجيء متأخراً خير من الغياب بالمرة ولكن المرء يطالب بوعده كما يطالب بدين عليه ولذلك قالوا « الوعد على الحر دين » ونفس الحر تأبى الاخلاف وتعده نقيصة . قال المثنى بن خارجة « لان اموت عطشاً احب اليَّ من اخلف وعداً » وقد يخلف الرجل منا لا رغبة في الكذب ولكنه يعدُ حياء وهو غير قادر على الوفاء وما اجدره ان يتمثل بقول يعقوب بن يزيد :

متى ما اقل يوماً لطالب حاجة — نعم يافتى افعل وذلك من شكلي
وان قلت لا بينتها من مكانها — ولم اؤذه فيها بجرّ ولا مطل

او بقول الآخر :

اذا قلت في شيء نعم فاتمه — فانَّ نعم دينٌ على الحر واجبُ
والاّ فقل لا واسترح وارح بها — لكي لا يقول الناس انك كاذب

ولكن العمل بهذا القول يفتقر الى الشجاعة الادبية وهي حديثة العهد بيننا فما اجدرنا ان نربيها وننميها ونغرسها في عقول ابنائنا وقلوبهم فننهض بهم من ذل الكذب بل نحن اذا علمناهم الصدق بكل وجوهه فقد انقذناهم من كل الرذائل . لان الصادق فكراً وقولاً وفعلاً لا يسرق لان السرقة عمل لا يطابق اعتقاد الناس في حفظ حقوق

الآخرين . ولا يظلم لان الظلم يخالف صوت الضمير . ولا يقدم الصادق على القتل ولا غيره من الشرور وهو يعتقد مخالفته للناموس او الحق واما الكاذب فيهون عليه كل ذلك

فاذا اردت ان تربي اولادك وتغرس فيهم الفضائل فلا تكثر الوصايا عليهم ولا تشغل اذهانهم بالقواعد الكثيرة والقوانين المختلفة بل يكفيك من ذلك كله ان تعلمهم الصدق فكراً وقولاً وفعلاً . علمهم الصدق فقط والصدق يعلمهم كل شيء . ربِّ ابنك على حرية الفكر وحرية القول وحرية العمل فيشب صادقاً اميناً مستقيماً محسناً شجاعاً فاضلاً عفيفاً وهو لا يشعر انه تعلم ذلك من احد ولا انه تكلف شيئاً قهرياً

ولا تستسهل هذه الامثولة أو تظنها بسيطة هينة . ولا تقل في نفسك « انني طالما وعظت اولادي وبينت لهم هذه الفضيلة وحرضتهم على الصدق وزجرتهم عن الكذب بالتعنيف والقصاص مما يفعله كل والد مع اولاده ... »

ليس بالزجر ولا بالقصاص يربو الاولاد على الصدق بل بالقدوة والمواظبة . لا توص ابنك ان لا يكذب ثم تعده ان وعداً ولا تفي بهِ . لا تقل لابنك غداً اعطيك الشيء الفلاني او آخذك الى المحل الفلاني وانت تنوي ان لا تفي بوعدك وانما تقول له ذلك لاسترضائه وتحسب نفسك تغلبت على طباعه وتخلصت من الحاحهِ . ولا تمازحه بالكذب فتقول له اتى فلان وهو لم يأتِ . ولا تقل له مثلاً ليس عندنا تفاح فاذا الحَّ في الطلب تخرج له التفاحة من جيبك او من خزانتك وتعطيه اياها . بل عوده على الصدق في كل ما تقوله له او تعامله به . عوده ان يرى الصدق في اقوالك وافعالك في كل امر طفيفاً كان او عظيماً

الابناء في نظر الآباء

قال حطان بن المعلى من قصيدة يصف بها حنوَّه على ابنائهِ :

انزلني الدهر على حكمه	من شامخ عال الى خفض
وغالني الدهر بوفر الغنى	فليس لي مال سوى عرضي
لو لا بنيات كزغب القطا	رددن من بعض الى بعض
لكان لي مضطرب واسع	في الارض ذات الطول والعرض
وانما اولادنا بيننا	اكبادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم	لامتنعت عيني من الغمض

غرائب الجراحة

في القرن العشرين

ابدال الاعضاء الفاسدة باعضاء سليمة

كم من رجل يموت وكل اعضائه سليمة الا واحداً منها اعتل فعجز عن اداء عمله فجر الموت الى رفاقه ولو استطيع ابداله بعضو سليم لظل صاحبه حياً . كالساعة ان حركتها تتوقف على عشرات من « الاعضاء » بين دواليب واجحار وابر واقواس ونحوها ويكفي لايقاف تلك الحركة ان يتعطل « عضو » واحد منها . ولكن الساعاتي يعالجها حالاً بابدال ذلك العضو الفاسد ان كان دولاباً بدولاب مثله أو كان قوساً بقوس مثلها فتعود الساعة الى الحركة . فهل للانسان مثل ذلك الحظ اذا تعطل احد اعضائه ابدله بسواه ! أم هل يرجى ان يصل الى ذلك في المستقبل ؟ هل يأتي يوم يقال فيه « ان قلب فلان تعطل من حؤول أو ضمور فابدل بقلب سليم ؟ » أو « اصاب كليته التهاب حتى عجزت عن تأدية وظيفتها فابدلها بغيرها كما يبدل زنبلك الساعة (الياي) اذا تعطل ؟ » انها لأمنية يتمناها الناس من قبيل تمني المستحيل ويتعللون بامكانها كما يتعللون باضغاث الاحلام . أو انها من قبيل الخيالات الشعرية التي يلذ تصورها ولا يرجى الوصول بها الى العمل مثل قول الشاعر :

ولي كبد مقروحة من يبيعني　　بها كبداً ليست بذات قروح

على ان بعض اهل النشاط والعلم من خدمة الانسانية يسعون في الوصول الى تلك الامنية وقد خطوا في هذا السبيل خطوة حسنة . وكان الناس يعدون ذلك من المستحيلات أو من قبيل الاوهام اذ لم يكن يدور في خلدهم ان الجراح سيتوصل يوماً الى نقل كلية حيوان أو يده أو كبده الى مكان ذلك العضو في حيوان آخر — وان كانوا قد نجحوا في نقل بعض الاجزاء البسيطة كالجلد أو العضل من مكان في جسم الحيوان أو الانسان الى مكان آخر منه في اثناء العملية الجراحية — اذ قد يحتاج الطبيب وهو يعمل عملية في الوجه الى قطعة من الجلد ليغطي جزءاً ذهب جلده بسبب من الاسباب فيقطع جزءاً من جلد العنق أو غيره ويخيطها في ذلك المكان فتلتحم وتبقى كأنها جزء منه

على ان هذا لا يرجى منه فائدة كبرى لكنه وجه التفات الجراحين الى التقدم خطوة

اخرى بنقل عضو برمته كاليد أو الرجل أو القلب أو الرئة أو نحوها فظهر لهم ذلك لاول وهلة قريباً من المستحيل اذ لكل عضو اوعية دموية واعصاب واوتار وعضلات واغشية لا بد من قطعها ثم هي لا تعيش الا اذا جرت فيها الدورة الدموية ولا يتم ذلك الا بوصل شريان العضو المنقول بشريان العضو المقطوع وعصبه بعصبه ووريده بوريده حتى تتم الدورة الدموية ويجري السيال العصبي في ذلك العضو الدخيل — فلو أُصيب رجل بيده وحكم الاطباء بقطعها واتفق في ذلك الحين ان رجلاً آخر سقط من شاهق ودقت عنقه فمات وكل اعضائه سليمة واذن لنا ان نستخدم ما شئنا من اعضائه فيتبادر الى خاطرنا لاول وهلة ان ننقل يد هذا الميت الى مكان يد ذلك الرجل الحي . ولكننا لا نلبث ان نتصور استحالة هذا العمل لما يقتضيه ذلك من وصل شرايين اليد المنقولة واوردتها بالشرايين والاوردة التي كانت اليد المبتورة متصلة بها

وقد فكر الاطباء في ذلك فوجدوا مرجعه الى وصل الاوعية الدموية فاذا تأتى لهم وصل تلك الاوعية فقد تمهد الطريق للعمل . وجرب بعضهم لحم الشرايين بحوافيها بتقريب حوافي شريان مقطوع الى حوافي شريان آخر وضمهما بالخياطة او غيرها — جرب ذلك جماعة من الاطباء وكان يعيق نجاحهم الجلط الدموية التي تتكون عند نقطة الالتحام فتفسد العمل على ان بعضهم نجح بعض النجاح . واقربهم عهداً منا مرفي من شيكاغو وباير من غراتس وهو بنر الالماني

واكثر الاطباء عناية في ذلك الآن طبيب فرنساوي مقيم في اميركا اسمه كرل يشتغل في معمل روكفلر وقد ذكرنا سعيه في هذا السبيل في السنة الماضية من الهلال تحت عنوان « غرائب الجراحة او تبديل القلوب والكلى » ونحن متمون ذلك في هذا المكان

كان الدكتور كرل طالباً في جامعة ليون فاخذ وهو هناك باستخدام الاعضاء السليمة في الحيوانات للتعويض بها عن الاعضاء العليلة وكان يرى ذلك ممكناً فجاء سنة ١٩٠٥ الى الولايات المتحدة باميركا وتعين في جامعة شيكاغو وألحق في السنة التالية بمعمل روكفلر فاخذ يشتغل باخراج فكره المشار اليه الى حيز العمل . فاستنبط في خياطة الشرايين والاوردة طريقة جديدة بابرة رفيعة وخيوط حريرية دقيقة وبرع فيها حتى توصل الى قطع الاورطي (الشريان الاكبر) على مسافة قصيرة من القلب وخياطته بدقة بحيث يعود الى اصله . وقد جرب طريقته هذه في الحيوانات فاتى بالغرائب بنقل الاعضاء او بعض اجزائها من حيوان الى آخر . فنقل اورطي كلب وخاطه باورطي كلب آخر . وقطع اجزاء من جدران الاورطي في القطط والكلاب وخاطها في غير امكنتها بسهولة تحت البنج الثقيل

فكان يبنج الكلب تبنيجاً تاماً ويجري فيه مايريده من قطع وخياطة والكلب لا يشعر بألم في اثناء العملية ولا بعدها والجروح تلتئم بسرعة ولا يحدث نزف او التهاب . فلا يلبث الكلب او الهر ان يفيق من البنج حتى يعدو ولا يدري ان دمه يجري في وعاء ليس له . وعند الدكتور الآن هرة صحيحة الجسم شريانها السباتي منقول اليها من كلب له في منزله. ونقل قطعة شريان من ركبة احد الناس وخاطها في اورطي كلبه . ونقل بعض معاونيه قطعاً من شرايين الارانب والقطط الى الكلاب

واتصل بتجاربه المذكورة الى استخدام الاوردة في « ترقيع » الشرايين لان الشرايين اذا تعطل احدها وأريد ابداله بشريان آخر لا يتأتى له ذلك اذ لا يمكن الاستغناء عن شيء منها بدون خطر على الحياة . بخلاف الاوردة فان منها جانباً كبيراً يمكن الاستغناء عنه بسهولة « فيرقع » به ماتعطل من الشرايين . فترقيع الشرايين على هذه الصورة يرى الدكتور كرل انها قد تعيد الحياة الى الميت



الشكل الاول

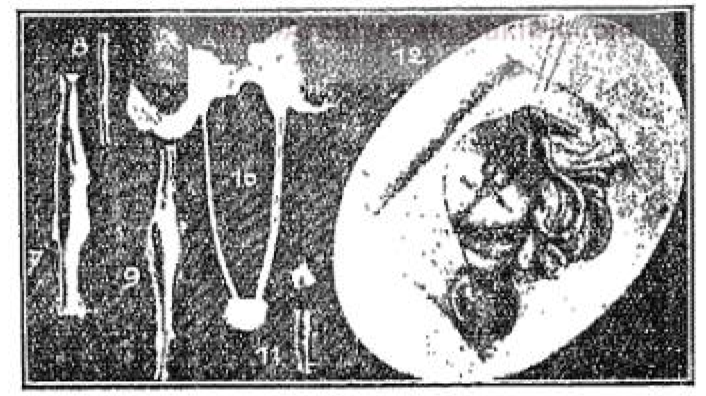
وترى في الشكل الاول قطعاً من الشرايين (2 و4 و5 و6) موصولة وقد تم التئامها وكذلك (7 و8 و9) في الشكل الثاني

ولما نجح كرل في خياطة الاوعية الدموية بدون ان يتكون جلطة دموية اصبح قادراً على ايصال الدورة الدموية اذا انقطعت في الانسان بسبب قطع في بعض شرايينه او بعض اعضائه فانه يخيط الشريان المقطوع بشريان آخر أو وريد ويعيد الدورة . وقد جرب ذلك في الكلاب والارانب فنجح نجاحاً باهراً . فاخذ يفكر في نقل الاعضاء من حيوان الى آخر خصوصاً الكلى والطحال والقلب . واساس هذا العمل ان القلوب والكلى يمكن اعادة

الحياة اليها بعد موت اصحابها بحيث ترجع الى عملها بعد ان تكون قد توقفت . فاذا استطعنا نقلها وغرسها حالاً في جسم حي يمكن رجوعها الى عملها . وهذه حقيقة طبية ثابتة فقد استخرجوا قلباً بعد موت صاحبه بثلاثين ساعة واعادوا اليه عمله (الانقباض والانبساط) ونقل الدكتور كرل قلب احد الكلاب ووضعه في عنق كلب آخر ووصل اورطي القلب المنقول وشريان السباتي من هذا الكلب بالخياطة الرفيعة . وكذلك بين الوريد الاجوف والوريد الوداجي فاصبح الكلب وله قلبان يشتغلان معاً احدهما ينبض ٨٨ نبضة في الدقيقة والآخر مئة نبضة !

وجرب الدكتور كرل ايضاً نقل الكلى فاقتلع الكلية باوعيتها من كلب ووضعها في مكان كلية مثلها في كلب آخر وخاط اوعيتها بالاوعية هناك فشفيت وصارت كأنها خلقت في مكانها . واقتلع الكليتين من كلب آخر وخاط اوعيتهما في كلب آخر فالتحمت الاوعية الدموية والاعصاب التحاماً تاماً وعاش الكلب بهما . وقد جرب ذلك بين حيوانات مختلفة فوجد انها تقرب من النجاح كلما كان الحيوانان اقرب بالسلالة الحيوانية كما بين الكلب والهر مثلاً او بين الهر والارنب او الانسان والقرد وتبعد كلما بعدا كما بين الفار والضب





الشكل الثاني

وترى نمرة (1) في الشكل الاول ونمرة (12) في الشكل الثاني كلبين معدين لاجراء العملية عليهما وقد نجا وغلف كل منهما بكيس ولم يترك منهما ظاهراً الا الجزء من الاحشاء الذي ستجري عليه العملية فنمرة (12) قد فتح فيه صدر الكلب حتى ظهر القلب والاورطى وامسك طرفاه بالملاقط ولم يبق الا اجراء العملية . ونمرة (10) في الشكل الثاني كليتان والمثانة قد اقتلعت من هر وهي معدة لادخالها في احشاء هر آخر . وكذلك

نمرة (3) من الشكل الاول فانها معدة لهذا الغرض

أما نمرة (1) في الشكل الاول فهي كلب ملفوف بالكيس وقد فتحت احشاؤهُ وبانت الكليتان وهما دخيلتان هناك اي انهما اخذتا في الاصل من كلب آخر ووضعتا هنا وخيطت اوعيتها الدموية والاعصاب وتم الالتحام وهما تشتغلان كانهما خلقتا هناك

وقد جرب الدكتور كرل اختزان الاعضاء السليمة في الجليد لاستخدامها في (الترقيع) عند الحاجة فاصطنع لذلك صندوقاً اختزن به قطعاً من الشرايين والاوردة واستخدم بعضها لهذه الغاية بعد ثلاثين يوماً فاتت بالغرض المطلوب كانها قطعت بالامس

ولذلك فيرى الدكتور كرل ان دفن الميت برمته اسراف والاولى في اعتباره ان تحول المدافن الى مخازن مجلدة تحفظ فيها الاعضاء السليمة بعد موت اصحابها . وقد اخذ في الانتفاع من تجاربه فعلاً فشفى بعض فقراء الدم من الانيميا الضعفية بنقل الدم الى احد شرايينهم من شريان بعض الاصحاء . ويتوقع ان يشفي الانورزما بابدال الشرايين المتهرئة فيها بشرايين سليمة . ولا يزال الدكتور المشار اليه يشتغل بهذه التجارب النافعة في معمل روكفلر ومعه المعاونون والتلامذة . واكثر تجاربه على القطط والارانب والكلاب ولا يشعر حيوان منها باذى لانه يجري التجارب عليها بعد التبنيج

وجملة القول اننا بين يدي اختراع طي عظيم الاهمية لا يزال في اوله ولكننا بالقياس على سائر الاختراعات نتوقع ان يتقدم حتى يأتي بالمعجزات في خدمة بني الانسان وما اجمل ان يتأتى للانسان تجديد ما يفسد من اعضائه بعضو جديد يجعله مكانه كما يبدل الساعاتي دولاباً مكسوراً في الساعة بدولاب سليم . وليس على الله امر عسير

وصف القلم

قال العلوي في وصف القلم :

وعرياناً من خلعة مكتس	يميس من الوشي في يلمق
يحدر من رأسه ريقه	يسيل على ذروة المفرق
فكم من اسير له مطلق	وكم من طليق له موثق
يقيم ويوطن غرب البلاد	وينهى ويأمر بالمشرق
قليل كثير ضروب الخطوط	واخرس مستمع المنطق
يسير بركب تلال عجال	اذا ما حدا الفكر في مهرق

واجبات الفرد نحو الامة

١ — كيف ارتقى الانسان

ظهر الانسان على وجه البسيطة محفوفاً بالمخاطر مجرداً من كل ما تسلح به غيره من الحيوان ضعيفاً لا يقوى على دفع ما يهاجمه من الضواري واجتناب شرها يقتات بالبقول والفاكهة والاثمار وما صلح من صغار الطيور والحيوانات يأوي الى الكهوف والمغار ليتقي حرّ النهار وقرّ الليل كما يفعل بعض القبائل في اواسط افريقيا . لكن قواه العاقلة اخذت ترتقي رويداً رويداً فوفق الى اختراع بعض ادوات لصيد الحيوانات الصالحة للغذاء كالارنب والوعل وما شابهها وللوقاية من الضواري والوحوش المفترسة كالاسد والذئب وغيرها ثم اهتدى الى تربية المواشي ورعايتها والاعتناء بها فاقتات بالبانها واغتذى بلحومها واكتسى بجلودها وطفق ينتقل من مكان الى آخر لا يستقر في بلد كما هي حالة البدو الآن . ثم تعددت الافراد ونمت العشائر وكثرت القبائل فنقص المقدار الكافي لقيام الحياة وظهر التنازع وسطا القوي على الضعيف فزاده ضعفاً على ضعفه الى ان اجتاح اصله واقتلع جرثومته . وكان ان العوامل في اثناء تلك المدة اخذت من العشب فقلّ ومن الماء فنضب ولذلك باد قسم كبير من الماشية واجتاح الجوع البلاد وعم الفناء فما سلم من هذا المعترك الا كل قوي البنية ثاقب العقل صائب الراي . ولربما حدث امور غير هذه اذكت مصابيح العقول واجهدت سوابق القرائح فانتهت بالانسان نيرته الى حراثة الارض واتخاذ البيوت مساكن بعد ان تكبد الصعوبات والمشاق واعمل الروية في استنباط كل ما يؤول الى السعادة . فتوفرت الحاصلات وتدفقت ينابيع الخيرات وكثر المشتغلون بالحرف والصنائع على اختلاف انواعها وطبقاتها . فكان البيع والشراء اولاً بالمقايضة (المبادلة) واخيراً بالنقود التي تدرجت من الحديد الى المعدنين الكريمين الذهب والفضة . ثم ظهرت التجارة واتسعت دائرتها رويداً رويداً وشرع الجميع يسعون في استخراج الوسائط التي تعود عليهم بالنفع العميم فتفيأوا ظل العلوم على اختلاف ضروبها وبحثوا فيها وابتكروا وجربوا وهذبوا حتى تعددت الاكتشافات وتوالت الاختراعات وما زال هذا التقدم يسير تارة متثاقلاً واخرى حثيثاً الى ان بلغ ما هو عليه الان

ذلك المخلوق الذي رأيناه في بادئ الامر جاهلاً منحط القوى يزاحم الحيوانات لاجل القوت ويشترك معها في طرق المعيشة نراه الآن قد عدا ذاك الطور فاصبح سيد

الكائنات بعد ان غير وجه البسيطة وعرف أسرار الكون ونواميسه وجعل العالم معملاً استخدم فيه القوى الطبيعية لسد احتياجاته . اختط المدن والامصار وشيد الممالك . بنى المدارس واقام المستشفيات ووصل بين اطراف الارض بالتلغراف وادار الآلات بالبخار والكهربائية . مد اسلاك البرق على اعناق البطاح والقفار وارسلها تحت غلائل البحار وجعل المستحيل ممكناً

٢ - التقدم واسبابه

فيرى اذن ان التقدم هو نتيجة تجري على الكون باسره وشعاره بلوغ السعادة والفرح والابتعاد عما يفضي الى الحزن والترح . اما اسبابه فكثيرة ومتنوعة لكنها تحصر في نقطتين : طبيعية وادبية

فالطبيعية يدخل تحتها طبيعة الاقليم ونوع المعيشة والارث النسلي التي هي بعض مظاهر الناموس العام المدعو بناموس التنازع وهو ناموس سنة الخالق لمنع التواني والكسل واليك مثله :

هب انه وجد قطيع من الذئاب في ارض خصبة فتوفرت لديه اسباب المعيشة وتسهلت امامه طرق الارتزاق لكن الدهر خؤون فاجدبت الارض واشتد البرد فانقرضت الحيوانات الصغيرة وبقيت الارانب فما كان من الذئاب نشيطاً لم يعجز عن ان يمسك فريسته اما الضعيف فيهلك جوعاً وبرداً . وقد يتعاقب حدوث هذا الامر جيلاً بعد آخر فلا ينجو الا من كان اكثر اهلية واتم مناسبة واشد عضلاً وينقرض سواه . ثم ان ما بقي ينتج نسلاً يكون اكثر موافقة لاحوال المحيط فيرث صغاره تلك القوى ويزيدون عليها ويورثونها الى صغارهم وهكذا بتوالي الاعقاب حتى تصبح الذئاب في اتم المناسبة للظروف والاحوال - هذا هو ناموس التنازع في الحيوان . اما الانسان فينجو من كثير من هذه البلايا لانه طبع الوفاً يساعد عاجزه وينهض ساقطه ويعين ضعيفه حتى في احط العشائر حضارة . ناهيك بتقسيم الشغل الذي يستطيع كل شخص بواسطته ان يجتني قوته فالمقعد والاعرج والاعمى والاكتع وكل من اصيب بضرر او شلل في جسمه يجد حرفة يتعاطاها . لكننا نرى الانسان خاضعاً لهذا الناموس في امور غير الامور الطبيعية كما سيأتي

والنقطة الثانية ان التقدم يتوقف على الدين والآداب وقد شهد بذلك التاريخ وهو اكبر شاهد واصدق دليل . فان الامم التي ترقت فيها القوى العقلية والادبية ومبدا العدل والصدق والامانة والاخلاص والتعاون وحب الغير سادت وازدهت وتقدمت . بين ان

التي لم تنل من هذه الخصال شيئاً بل انغمست في الملذات والشهوات والفساد هوت الى قعر الحضيض وحل بها الهلاك واندرست رسومها وعفت آثارها . اين الكلدان ؟ اين المصريون القدماء ؟ اين الفرس ؟ اين اليونان ؟ اين الرومان ؟ كلها زهت ونمت حينما كان الفرد يداب ويجد ويجتهد وراء تقدم الوطن ونجاح الامة ترشده العواطف والفضائل الشريفة والشهامة . لكن حينما اسكر الامة حب الظفر والانتصار وانغمست في الملاهي والمسرات وسفلت الآداب اخذت بالانحطاط والتأخر والتقهقر وآل بها الأمر الى الاضمحلال

وقد جرى ناموس التنازع في عمر التاريخ على الشعوب . فالشعب الضعيف هلك امام القوي . والعاجز اعطى مكاناً للنشيط المقتدر . وسيبقى هذا الناموس الى ماشاء الله مهما اختلفت مظاهره

وقد بلغ الانسان ارفع درجات التقدم وتنوعت مطالبه وكثرت احتياجاته فتعددت الصنائع وتوزع العمل وراجت سوق التجارة فظهر الغني والفقير واختلفت الرتب والمنازل وتنوعت واجبات الفرد وحاجاته . فاول واجب يشعر به الاعتناء بنفسه واستعمال ما أوتي من المواهب حسبما يجب وبذلك يتم تمرين قواه التي نمت في اسلافه وانتهت اليه بسبب مناسبتها لاحوال المجتمع . وهذه القوى تزداد بالتمرين وتقوى بالاستخدام والمزاولة فيقرب الجهاز العصبي من الكمال ويستقيم او تكفيه لمقتضيات المحيط . ويزداد صاحبه ثباتاً في تنازع البقاء ويورث القوة الى نسله فتزداد سعادة الهيئة الاجتماعية وتستقيم احوالها . اما اذا اهمل ذاته وصرف معظم قواه جزافاً فان النتيجة تكون عكس ما ذكر . لأن تلك القوى تنحط فلا يعود ينفق على صغاره قوة كافية ولهذا يشبون ضعفاء وهؤلاء ينفقون مثل الكمية التي انفقت عليهم او اقل فيتأخر النسل ويتقهقر ويتلاشى

ذكرت سابقاً ان الانسان خلق الوفاً يعاون ابناء نوعه وهذا ابتدأ اولاً بين افراد العائلة ثم امتد الى العشيرة فالامة حتى عم اخيراً القسم الاكبر من البشر واصبحت الدول مرتبطة بعضها ببعض ومتحدة كاتحاد اعضاء الجسد وهي تتاثر في تجارتها وتقدم الاهالي بسبب حرب تجري في اطراف المعمور

٣ - التعاون اساس تقدم الامة

فالتعاون به ثبات الهيئة الاجتماعية وزيادة سعادتها وبما ان المرء محاط بافرادها وهناؤه يتوقف على من يحيط به وجب عليه لقوام راحته وتحصيل رزقه ان يهتم باصلاحهم فصار من شؤونه الاهتمام بكل ما يؤول لتنشيطهم لان اثمان المصنوعات تهبط

بذلك فيهتم بكل ما يؤول الى وقايتهم من الامراض لينجو مع اهل بيته من غوائلها . يهتم بكل ما يفضي الى ترقية عقولهم لان قصر عقول افراد الامة وانحطاط معارفهم يجعلهم عاجزين عن اتقان وظائفهم وهذا العجز ينعكس ضرره على كل فرد من افراد الامة ويجعل العيش مرّاً والحياة جحيماً . يهتم بكل ما يؤول لتحسين آدابهم واعلاء شأنها لان العواطف السامية الشريفة والصدق والاخلاص والامانة والشهامة واتباع صوت الضمير الحي الصالح وصفاء النيات توجب طمأنينة المرء وارتياحه الى صدق العلائق وثقته بالمعاملات

يوجد في المرء حسٌّ يدعى حس الشعور او التأثر مع الآخرين وهو شعور الانسان مع الغير في الحزن والفرح ومشاركته لهم في السراء والضراء . وهذا الشعور من اسمى العواطف واشرفها ولهذا ترى من كان متصفاً به محبوباً كثير الاصدقاء ومن تجرد عنه كان ممقوتاً ومكروهاً من الجميع . كل منا يحتقر الجبان ويحترم الشجاع . لكن حقيقة الامر هي اننا نحتقر محبة الذات التي ظهرت في ذلك المظهر ونجل محبة الغير التي ظهرت في مظهر الشجاعة

الجبان لا يفعل شيئاً يخالف النواميس الطبيعية بل يجري بموجبها فهو يسعى لحفظ حياته فقط غير مبال بما يصيب الآخرين فيركن الى الفرار لا يلوي على شيء حالما يرى وميض بروق البنادق ويسمع دمدمة رعود الاسلحة ويشاهد انقضاض صواعق المدافع . اما الشجاع فيقتحم صفوف الاعداء معرضاً نفسه للموت حباً بنجاة اخوانه وصيانة شرف وطنه واعلاء منار العدل وسحق الباطل

ينتج الآن مما ذكر ان الانسان مطالبٌ بمصالح بني نوعه والمدافعة عن حقوقهم . وقد تشبث فريق من الكتبة بهذه القضية وتطرفوا فيها كثيراً فاخذوا ينادون بالاخاء والمساواة وانه ليس من العدل ان يوجد هذا التفاوت بين افراد البشر اي لا يجوز ان يكون زيدٌ من ذوي الثروة واليسار يلبس الخز والديباج ويسكن القصور الشاهقة ويتنعم بالرياش الفاخر ويتلذذ بالمآكل الشهية بين ان عمراً لا يملك شروى نقير فيجب ان توزع الاموال والخيرات بالتساوي وان يكون كل شيء مشتركاً بين الجميع . اجل ان هذا لحسن لكنه بعيد عن العدل والصواب . ايجوز ان يتساوى عبد البطالة وسيد الجد في الجزاء ؟ ايجوز ان يتنعم الكسلان ويتلذذ بالاموال والنعم التي يجنيها الجاد الجلود بعد مقاساة الاهوال ومعاناة الاتعاب ؟ ذلك ليس بجائز والآداب تمنعه قطعياً . هب انه تمّ هذا الامر ووزعت الاموال حسبما يمنون فتكون النتيجة ان يتقاعد المجد المجتهد عن

الشغل ويصبح الجميع بطالين برهة ريثما تفرغ الخيرات وتقل وسائط المعيشة فيندفعون الى ميدان التعارك والتنازع ويرجع كل شيء الى ما كان عليه سابقاً

نعم ان نصراء هذا المبدا المدعوين بالاشتراكيين مصيبون في بعض ما يزعمون اذ نرى ان الارباح الباهظة تعود على ذوي الاموال الطائلة والاملاك الوافرة ولا يصيب العملة الا جزء زهيد لكنّ هذا لا يستدعي اجراء ما يدعون به بل يجب عليهم ان يسعوا في تهذيب الامة وتجهيز افرادها بطريقة بها يقتدرون على السير في سبيل هذه الحياة وتحصيل ما يتوقون اليه اذا هم جدوا واجتهدوا وكانوا من القادرين كما تفعل الامة الانكليزية وغيرها من الدول المتمدنة حيث يشعر الفرد بان عليه ان يبذل النفس والنفيس ليقلل عدد العالة لا قتلاً ولا اهمالاً بل بمساعدتهم والاخذ بايديهم والاهتمام باولادهم حتى لا يشبوا مثلهم حملاً ثقيلاً على منكب المجتمع الانساني

٤ً ـ ما هو مركز الانسان في الخليقة

كثيرون من اهل العلم يطالبون الانسان او يحكمون عليه بالمبادئ المبنية على النواميس الطبيعية وقد فاتهم ان الآداب اسمى من تلك النواميس فهي تبنى على الغاية وضابطها الواجب ولكل نوع من الكائنات غاية تختلف باختلاف ذلك النوع فالحيوانات الدنيا وجدت لخدمة الانسان ولهذا لا ذنب اذا ذبح الخروف والطير للغذاء او اذا قرن الثور للفلاحة اما الانسان فقد وجد لغاية اسمى وهي التعاون والحصول على السعادة واتمام ما يتوجب عليه للخالق عزوجل ولذا لا يجوز له ان يتخطى حدود واجباته ويهضم حقوق الآخرين . اعتبار الفرد للغير ومعاملتهم كنفسه يميزانه عن الحيوان ويرفعانه الى اسمى مكان ومن يتعمدون ضرر الآخرين قصداً قليلون بل ان اكثر الشقاء مسبب عن التهامل وعدم المبالاة فمئات من التجار يسمحون بتأخراحدهم لاحتياجه الى الدراهم وتاجر واحد يعمل على افلاسه مئات من الرجال يقتسمون ما يربحون بالغش والخداع بينما رجل واحد يسرق عمداً

المرء حر الارادة مطلق التصرف مطبوع على السجايا الحميدة والمبادئ القويمة اكثر مما هو مطبوع على الشر والفساد . وتلك العواطف السامية الشريفة تتدرج في تقدمه وارتقائه الى ان تبلغ الكمال . بين ان ما يخالفها ويناقضها يتقهقر ويتأخر الى ان يضمحل فقد زادت الافراح على الاتراح وحب الغير على ايثار النفس والسعادة على الشقاء وسيأتي يوم فيه يسود الامن والسلام ويبطل التنازع والخصام

كل من تتبع التاريخ ولاحظ هذا التقدم يرى جلياً ان المحبة هي العامل الاكبر

والسبب الاعظم في هذا التغيير . ابسط ظواهر المحبة الصداقة التي تجعل مجال الحياة فسيحاً فهي تزيد الافراح وتخفف الاتراح وتحول الشقاء الى نعيم وتزيد المرء قوة ونشاطاً . والغنى بدون الاصدقاء فقرٌ والمواهب خامدة والحياة تعسة والمجد والفخر باطلان . المحبة على اختلاف انواعها كمحبة الاب لابنه ومحبة الصديق لصديقه ومحبة الشاب لوطنه هي اس الحضارة والعمران تربط الافراد بربط الاخاء وتجعلهم يتعاونون في السراء والضراء وينزعون الى غرض واحد هو سعادة الامة والبلاد سعادة البشر قاطبة فيصيرون الارض فردوساً والحياة نعيماً

بيروت　　　　منصور حنا جرداق م . ع

استاذ الرياضيات في الكلية السورية

طلب الرغائب واحتمال الرغائب

قال الحكماء لا ينبغي للعاقل ان يكون الا في احدى منزلتين اما في الغاية من طلب الدنيا واما في الغاية من تركها ولا ينبغي له ان يرى الا في مكانين اما مع الملوك مكرماً واما مع العباد متبتلاً ولا يعد الغرم غرماً اذا ما ساق غنماً ولا الغنم غنماً اذا ما ساق غرما ونظر معاوية الى عسكر علي يوم صفين فقال من طلب عظيماً خاطر بعظيمته واشار الى راسه . وقال حبيب الطائي

اعاذلتي ما أخشن الليل مركبا　　وأخشن منه في الملمات راكبه

ذريني واهوال الزمان اقاسها　　فاهواله العظمى تليها رغائبه

وقال كعب بن زهير :

وليس لمن لم يركب الهول بغية　　وليس لرحل عطه الله حامل

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا　　أصبت حليماً او اصابك جاهل

وقال الشماخ

فتى ليس بالراضي بادنى معيشة　　ولا في بيوت الحي بالمتولج

فتى يملأ الشيزى ويروي سنانه　　ويضرب في رأس الكمي المدجج

وقال امرؤ القيس

فلو ان ما اسعى لادنى معيشة　　كفاني ولم اطلب قليلاً من المال

ولكنما اسعى لمجد مؤثل　　وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

الارواح

واحتيال الذين يدعون استحضارها

وكشف اسرار صناعتهم

١ — ما ذا حمل الناس على القول بوجودها

القول بوجود الارواح قديم جداً وفي التمدن القديم علوم مبنية على وجود عالم غير عالمنا تسكنه الارواح . وهي عندهم طبقات وطوائف ولها علائق بأهل هذا العالم وتأثير على اطوارهم واعمالهم في الصحة والمرض والقوة والضعف والسعد والنحس وغير ذلك • وكانوا يعالجون المرضى بالرقى لطرد الارواح الشريرة ويستغيثون بالارواح الطيبة في احوال الخوف او الضعف . وعند العرب طبقات من الجن يتزاوجون ويتناسلون وفيهم الملوك والقواد والعلماء والشعراء • ويدل على قدم الاعتقاد بالارواح وشيوعه عند كل الامم ان اسم « الروح » مشترك في امهات اللغات على اختلاف الشعوب من اقدم ازمنة التاريخ الى الآن (١)

وكل الاديان القديمة تقول بوجود الارواح وان اختلفت في تصويرها او وصفها . ومازال الاعتقاد بوجودها عاماً في الاجيال التاريخية حتى كانت النهضة العلمية في التمدن الحديث واساسها العلم الطبيعي المبني على المشاهدة والاختبار. فشاع مذهب المادية ومال الناس الى انكار ما لا يقع تحت حواسهم وخصوصاً اذا كان وجوده يناقض الحقائق الطبيعية التي قررها العلم الحديث . فانكروا الحقائق القديمة التي كانت من قبيل القضايا المسلمة لتمكنها من النفوس بتوالي الاجيال ومن جملتها الارواح لانها ليست مما يقع تحت الحواس ولا هي مما يعقل وجوده لمخالفتها بعض الحقائق الطبيعية الثابتة . شاع انكار وجود الارواح بالعلم وان كانت الاديان لا تزال تقول بوجودها ولكن الباحثين فصلوا بين العلم والدين في هذا الموضوع

على ان بعضهم ما زال ميالاً الى الاعتقاد بوجود الارواح رغم ما ظهر من مخالفتها

---

(١) راجع كتابنا تاريخ اللغة العربية صفحة ٢٨

العلم واخذوا يسعون في اثباتهـا سعياً علمياً بقطع النظر عن الدين وجعلوا اساسهم البحث والتدوين . واهم ما حملهم على التمسك بها والسعي في اثبات وجودها كثرة ما يعرض لهم من الحوادث التي لا تعلل بالنواميس الطبيعية المعروفة كالاحلام التي تصدق احياناً ولا يعلل صدقها بالعلم الطبيعي

كم من امهات رأين في منامهن نائبة وقعت لبعض ابنائهن فلما استيقظن كان وقوعها كما رأينه حرفياً ؟

وكم من اناس يحلمون بعض اقاربهم او اصدقائهم في حال من الاحوال وهم على بعد مئات او الوف من الاميال منهم ثم لا يلبثون ان يتحققوا بان ما رأوه في منامهم وقع لاولئك فعلا وقد يتفق المنام والحادث في الدقيقة والساعة . وقد يحدث مثل ذلك في اليقظة فتفكر وانت في بيتك بصديق لك في غربة فتتصور انه في شدة ثم ترى بعدئذ انه كان في مثل ذلك

وقس على ما تقدم كثيراً من حوادث الاحلام الغريبة والاتفاقات العجيبة التي لا تعلل بالنواميس الطبيعية المعروفة . فتحولت هذه الخواطر بتوالي الاجيال الى العمل فانشأ اهل البحث الجمعيات والفوا الكتب والجرائد والمجلات ذكروا فيها كثيراً من الحوادث المسندة الى رواة من اهل الثقة تؤيد القول بوجود الارواح نذكر منها جمعية تألفت في انكلترا سنة ١٨٨٢ اسمها جمعية البحث عن الارواح جعلت همها جمع الشواهد المعينة بالزمان والمكان نشرت بعضها مجلة المجلات الانكليزية في اوائل عام ١٨٩٢ وعلق عليها منشئ المجلة المذكورة المستر ستيد الكاتب الشهير فصولاً مطولة استخرج منها نتائج مرجعها الى اثبات وجود الارواح حتى رسم روحاً يقال انها ظهرت لبعض الناس هذه صورتها



ش ١ — صورة الروح

(نقلاً عن مجلة المجلات)

٢ — هل وجود الارواح ممكن

كلما طال بحث الانسان في الحوادث الطبيعية واتسع اختباره في نواميسها زاد اعترافه بجهله ورأى ان مجهولات الوجود اكثر كثيراً من معلوماتها . فالعلم الى هذا اليوم لا يزال طفلاً صغيراً وما توصل العلماء اليه من النواميس والغوامض والشرائع انما هو قطرة صغيرة من بحر عظيم . ولا يعتقد الكمال في علمه الا ناقص العلم . وذلك شأن الشبان في اول طروقهم ابواب العرفان فلا يكاد احدهم يتعلم مبادئ الطبيعيات واوليات الظواهر الجوية او الفلكية حتى يتبادر الى ذهنه انه أوتي العلم والحكمة فيعتقد ان كل ما يبدو من حوادث الوجود مخالفاً لما تعلمه ولو كان من الحقائق الدينية أو الادبية أو التاريخية انما هو من قبيل الخرافات او احاديث العجائز — فننصح لهؤلاء ان يستوعبوا العلم لان ما نعلمه اقل كثيراً مما لا نجهله

ومن اقرب الشواهد على ذلك واوضحها ما حدث من الاكتشافات العلمية في هذا العصر مما لم يكن يخطر لعلماء العصور الماضية . ولا ريب ان من هؤلاء من كان يظن نفسه بلغ تمام العلم واكتشف كل نواميس الطبيعة . فما ظنك بهم لو بعثوا اليوم ورأوا ما ابدعته الكهربائية من التلغراف بلا سلك والتلفون بلا سلك وما أتته اشعة رنتجن من اختراق الجوامد المظلمة واستطلاع ما في الاحشاء من جسم غريب أو نحوه . وما يرجى الوصول اليه من رؤية الاشباح على المسافات البعيدة وتبديل الاعضاء الفاسدة باعضاء سليمة . بل ما ظنك بنا نحن لو بعثنا في اواخر القرن العشرين ؟ لا نظن اندهالنا الا اشد كثيراً من اندهال اهل القرن الماضي لما سيترتب على هذه الاكتشافات من جليل الاعمال وما ستولده لنا الكهربائية من العجائب . فضلاً عما قد ينكشف للناس من القوى الجديدة التي لا تخطر لنا اليوم ببال

٣ — هل ما يزعمه اصحاب الارواح عن استحضارها صحيح ؟

فهذا كله يحملنا على القول بامكان وجود الارواح أو ما تعلل به ظواهرها التي لا نزال الى الآن عاجزين عن تعليلها بالنواميس المعروفة . وبين القول بهذا الامكان وما يزعمه اصحاب الارواح من وجودها القطعي فرق عظيم . فان الممكنات في الطبيعة كثيرة ومجالها واسع جداً ولكن بعض اهل المطامع اتخذوا هذا الامكان الضعيف وسيلة لابتزاز اموال الناس بما يدعونه من صحة وجود الارواح واستحضارها متى شاؤا

وبلغ من طلاء حيلهم على العقلاء حتى وافقهم جماعة من كبار العلماء في جملتهم

الاستاذ لومبرزو الشهير فكتب مقالة فصل فيها اهتداءه الى الاعتقاد بالارواح بعد ان كان ينكرها اشد الانكار (١)

وقد سبق لنا الكلام عن الارواح وفساد مزاعم اصحابها في غير مكان من اهلة السنين الماضية . ولكننا وقفنا على مساعي بعض رجال العلم في كشف حقيقة ما يموه به اصحاب الارواح على عقول الناس وفيها نقض ما بنوه من اساسه . وقد نشرنا شيئاً من هذا القبيل منذ ثلاث سنين عن شعوذة رجل اسمه شارلس الدريد قضى عدة اعوام في انكلترا يجول من بلد الى آخر يستحضر ارواح الاموات واشخاصهم في غرفة ليس فيها الا كرسي وراءه ستارة في قاعة خالية . فاذا اتاه طالب اجلسه على مقعد واضعف الضوء كثيراً وصبر دقائق والسكوت تام ثم يبدو له ضوء صغير يتحرك فوق خزانة ثم يزاح الستار عن راس شاحب على الكرسي ثم يتعاظم حتى يبدو كاملاً وكثيراً ما تمكن الحضور من تصوير تلك « الارواح » وهم يعجبون بها واصبح ذلك موضوع ابحاثهم وحديث مجتمعاتهم حتى اتفق لاثنين من المعجبين الاطلاع على سر صناعة ذلك المشعوذ فوجدوا السر كله في الكرسي الذي كان يجلس عليه وفيه مخبأ لادوات من الثياب والشعر والاوجه المستعارة ومعها مقص وابرة واسلاك مما يستعان به في اصطناع الاثواب وتكييفها كما ترى في الشكل الثاني

وبين ايدينا الآن مقالة في مجلة بيرسن الانكليزية لوليم ماريوط بين فيها شعوذات اصحاب الارواح ومستحضريها بعد ان خبر ذلك بنفسه في قاعات الاستحضار على اختلاف الطبقات والاشكال ممن يرونك الارواح اشباحاً سابحة في الفضاء اوساعية على الارض او يرونك تأثيرها على الموائد فتحركها او تسمعك الانغام الشجية من عزف اوترتيل . فقد شاهد كل هذه الانواع واظهر الغش فيها اظهاراً جلياً وصور ما شاهده بالفوتوغراف ونشر امثلة منها وبين التلاعب فيه فوصف اولاً كيف يفعل اصحاب الارواح في استحضارها

ش ٢ — كرسي الدريد وما فيه من الادوات

(١) راجع الهلال الخامس سنة ١٥

للناس قال : يجلس الوسيط (صاحب الارواح) على كرسي في وسط القاعة او صدرها ويجلس المؤمنون بشعوذته بين يديه في شكل قوس ويغلب ان يتماسكوا بالايدي . وقد يكون الوسيط واسطة عقد تلك الحلقة والمؤمنون يمتدون من جانبيه وهم متماسكون . ويجلس احياناً في غرفة صغيرة كالخزانه في بعض جوانب القاعة ويجلس المؤمنون حلقة بين يديه وفي وسطهم مائدة صغيرة

فلما يستقر بهم الجلوس على هذه الصورة تطفأ الانوار او يضعف نورها كثيراً ويمكث الجميع حيناً وهم صامتون ينتظرون تجلي الروح عليهم او سماع صوته ويكادون يستوقفون تنفسهم لئلا يشوش على سمعهم أو بصرهم فيعيقهم عن مشاهدة الروح عند اشرافه . فيسمعون اولاً اصواتاً متوجهة الى بعضهم جواباً على اسئلة عرضوها والتمسوا الجواب عليها . وتكون تلك الاجوبة اما كلاماً ضعيفاً كالهمس او نقراً على الخشب أو تحرك المائدة حركة يفسرونها تفسيراً يوافق ما في خواطرهم . وقد تدل الارواح على وجودها برفع الكراسي او تحريك المقاعد والحضور لا يرون محركها

حتى نصل الى اهم بواعث الاعجاب نعني تجلي الارواح مجسمة يراها الحضور من خلال ضباب أو غبار فتخرج من غرفة الوسيط او من جانب كرسيه فتبدو كالاظلال الضعيفة عليها جلابيب بيضاء ووجوه كالابرقعة لا يمكن تمييز ملامحها من شدة الظلام ولكن الحضور يتعرفون فيها وجوه اناس يعرفونهم وقد اتوا يلتمسون مشاهدتهم فترى الارملة وجه زوجها والثاكل وجه ابنها فتختلج قلوبهم سروراً ودهشة . وقد يرون في الروح ملامح لا وجود لها الا في مخيلتهم وانما يصورها لهم الوهم . هذا مثال مما يحدث في قاعات المستحضرين لا يشاهده الا المؤمنون الذين جاؤا وهم يعتقدون اقتدار الوسيط على استحضار الارواح حقيقة . ثم اتى ماربوط المذكور على وصف جلسات حضرها بنفسه وكشف سر الخداع فيها قال :

٤ – وليم ماربوط وفساد مزاعم اصحاب الارواح

ذهبت الى محل الخواجه ك . في لندن وهو يتوسط في استحضار الارواح مع امرأته ولا يقتضي من الحضور الاجعلاً زهيداً . وكنت قد سمعت بالمعجزات التي يأتيها والناس يتحدثون انه استحضر كثيراً من ارواح مشاهير الانكليز راوها رأي العين . فاصطحبت صديقاً الى منزل الخواجه ك فوجدنا عنده بضعة عشر رجلاً اتوا لمشاهدة الارواح وحال وصولنا ابتدات الجلسة . وكانت القاعة بسيطة لا تختلف عن سواها الا بستارة معلقة في احدى زواياها عرضاً وقد اذن لنا الوسيط ان نطلع على ما وراءها فلم نجد الا صندوقاً مفتوحاً لم يظهر لنا فيه ما يستلفت النظر

جلس الوسيط اولاً على كرسي امام الستارة وجلس الحضور بين يديه بشكل نصف دائرة على بعد متر ونصف عنه . فاظهر الوسيط اولاً انه اصيب بتشنج شديد لم يملك معه البقاء جالساً على الكرسي فاعانته امرأته في النهوض الى تلك الزاوية . ثم اطفئت الانوار وازيحت الستارة فظهر الرجل جالساً وقد تدلى راسه على صدره كانه اصيب بغيبوبة وفوق شعر رأسه هالة من النور بشكل حرف الأوميغا اليوناني Ω ثم اقفلت الستارة ثانية وساد السكوت هنيهة ثم سمعنا صوتاً موسيقياً كالضرب على آلة بدا ضعيفاً ثم تزايد حتى صار قوياً وظهر لنا انه خرج من وراء الستارة ودار في اطراف القاعة . ثم توقف العزف واعيدت الاضواء فظهر الوسيط وهو لا يزال في سباته ولم نرَ اثراً للآلة الموسيقية التي سمعنا صوتها

ثم اطفئت الانوار ثانية وازيحت الستارة وعادت الانغام الموسيقية ولكنها اتت هذه المرة من ابعد زوايا القاعة بقرب السقف . فالتفتنا الى ذلك المكان فرأينا شبحاً يحمل عوداً يضرب عليه فتأثر الحضور من ذلك المنظر كثيراً واقشعرت ابدانهم وتنبهت اعصابهم استعداداً لتصديق ما سيتخيل لهم . ثم اعيدت الانوار ووقفت امراة الوسيط وهي تظهر انجذابها بالروح وقالت انها قادمة على اشعة من النور السماوي الذي لم يعرفه البشر ولا وقع على الارض وانها تحمل الينا رسالة من عالم الارواح فحواها ان الارواح ستبذل جهدها في ارسال روح منها تظهر للحضور وتخاطبهم . ثم اظهرت انها استيقظت بغتة واطفئت الانوار وسمعنا من وراء الستارة كلام شاب خفيف الروح فيه ميل الى المجون ثم كلام امرأة انتهى بقولها « ها هو آتٍ » وشاهدنا للحال شبحاً ابيض خارجاً من تلك الزاوية يحمل بيده كرة مضيئة يقربها من وجهه لتظهر ملامحه ومشى بقدم ثابتة حول الجلوس وهو يشير بيديه كانه يبارك الحضور ثم عاد الى الزاوية وقالت الوسيطة عند ذلك انه « الملك دراكو »

وحالما وصل ذلك الشبح الى الزاوية همَّ بالقعود على كرسي يعهده هناك واذا هو قاعد على ركبتيَّ لاني سبقته الى الكرسي وجلست عليه وتربصت انتظر رجوعه . فلما قعد على ركبتيَّ منطقته بذراعيَّ فصاح وحاول الفرار فاضاء صديقي مصباحه الكهربائي فاذا بالشبح المذكور صاحبنا الوسيط بين ذراعيَّ وقد تزمل برداء ابيض . فاخذت امرأته تصيح وتزعم اننا قتلنا زوجها وانها تهمُّ بالدفاع عنه فتوسط بعض الحضور وحالوا بيني وبينها . ولما لم يبق سبيل للتمويه نزعنا الجلباب وتأملناه فاذا هو مدهون بالزيت المفصفر وهو الذي يجعله يظهر مضيئاً في الظلام . ورأينا في الكرة التي كان يحملها زيتاً مفصفراً

اذا فتحت تصاعد عنها الفصفور واضاء

وتفحصنا الصندوق فاذا هو خزانة فيها من كل معنى طرب . وفي جملة محتوياتها آلة موسيقية مركبة على اسلوب يساعد على تخفيض صوتها ورفعه حسب الاقتضاء — بمجرد فتح الصندوق او اقفاله تعزف الآلة الموسيقية ويرفع صوتها او يخفض بفتح ذلك الغطاء قليلا اوكثيراً . ورأينا هناك اسلاكاً مصنوعة بشكل الاكتاف والراس عليها نسيج رفيع مفصفر هي الوشاح او الرداء الذي يلبسه الوسيط ليوهم الناس انه الروح المنتظر. ورأينا اوشحة لها لثام كالراس واسلاك مستعرضة كالاكتاف معلقة من الوراء بقصبة طويلة كالتي يستخدمها الصيادون في صيد السمك يرفع الثوب بها فيظهر للناس في الظلام كأنه شبح سابح في الهواء . فلما افتضح امر الرجل لم ير بدًّا من ان يعيد الينا الدراهم التي اخذها جعلاً واقلع من ذلك المكان حالا

٥ — الارواح الصافرة

ثم قص ماريوط زيارة أخرى الى محل آخر قال : دعاني صديق يؤمن بالارواح واصحابها فصاحبته الى قاعة واسعة رياشها ثمين وعرفني الى الوسيط فاراني القاعة وفي وسطها الغرفة الصغيرة فتفحصت الرجل والقاعة وكل مافيها ودخلت الغرفة فرأيتها مصنوعة من نسيج قائم على اطار مربع يكاد لا يمكن ان يخبأ بها شيء . وعلم الوسيط اني جئته ناقداً فاذن لي ان اتفحص كل شيء حتى نفسه ففعلت ولم اجد شيئاً يبعث على الشك . فاجلسنا واطفأ الانوار وبدت لنا الاشباح سابحة في الهواء لكننا لم نسمع صوتاً موسيقياً كالمرة الماضية بل سمعنا صفيراً كأنه خارج من افواه تلك الاشباح فبدت للحاضرين كالارواح تناجيهم بالصفير وهي تطوف بهم

ولما استقر بنا المقام تزايدت الاشباح على اختلاف الاطوال والاعمار والاشكال وقد زعم الحاضرون انهم عرفوا بعضها لانها تشبه امواتاً يعرفونهم أو لان نغم صفير بعضها يشبه نغماً كان ذلك الميت يحبهُ

اما انا فمع غرابة ذلك عندي ظللت مطمئن الخاطر اتوقع ان اكشف السر على اهون سبيل واليك تعليله — كانت غرفة الوسيط في احد جوانب القاعة والجلوس في الجانب الآخر وبينهما اربعة امتار ووراء الغرفة باب يؤدي الى حجرة مظلمة فيها اصناف من الجلابيب المفصفرة والادوات اللازمة لاصطناع الاشباح واعدادها. وفي هذه الحجرة كان المساعد صاحب الصفارة مختبئاً. فلما اظلمت القاعة الكبرى جاء ذلك المساعد ففتح الباب الموصل بين الغرفتين ولم يسمع صوت الفتح لكثرة الزيت الذي دهنت به

المصاريع أو المفصلات . وكان الباب مؤلفاً من درفتين كل منهما مؤلفة من نصفين تثنى على نفسها بمفصلات. وقد تنبهتُ للسر من نقطة زيت رأيتها تسيل من احدى المفصلات فقلت لأمر ما سال هذا الزيت ففطنت لفتح الباب في اثناء الظلام — وبعد فتح الباب يدخل المساعد ما شاء من الاشباح وغيرها ويعرضها للناس على الاعواد الطويلة كما تقدم . واما الصفير فلا غرابة في سماعه بعد ان علمنا باختباء المساعد وراء الغرفة الصغرى . فلما انقضت الجلسة بينت للوسيط حيلته فانكر وغضب ثم اذعن واطاعني على كل شيء فاذا هو كما ظننت



ش ٣ — ثلاثة اشباح كما تظهر للحضور في مجالس الارواح فيرونها سابحة في فضاء الغرفة وما هي الا جلابيب منصفرة تعلوها براقع تمثل اوجه الادميين وقد جلس ولبم ماريوط صاحب الاكتشاف امامها

ووصف ماريوط جلسة أخرى في مكان بلندن أرقى من سواه في مظاهر الغنى والاتقان يأمه علية القوم والجمل فيه كبير قال : دخلت الغرفة المعدة للعمل فرأيتها واسعة وقد بطنت جدرانها بخشب السنديان وزخرف سقفها زخرفة باهرة وفرشت بالرياش الفاخر على اجمل طرز . ولم يكن هناك غرفة صغيرة فاعتاضوا عنها بستارة

مدلاة من السقف على زاوية من زوايا القاعة . ورأيت ستائر أخرى على سائر الجدران والنوافذ . واذن لنا صاحب المكان بتفحص كل شيء ورضي ان يشدّ هو الى كرسي وراء تلك الستارة . فربطناه الى الكرسي بالامراس بعد ان تحققنا خلو المكان من المساعدين والابواب موصدة



ش ٤ — الجلابيب المفسفرة كما تظهر على ضوء النهار وهي اشبه بالبسة المساخر

خفضت الانوار ولم تطفأ تماماً بحيث يمكن للناظر ان يميز النور من الظلمة . وازيحت الستارة فظهر الوسيط مشدوداً الى الكرسي ووراءه شيء كالضباب لا يمكن تمييزه. فاقفلت الستارة ثم فتحت فظهر ثلاثة اشباح كالملائكة ترتل بصوت شجي وهي طائرة ترفرف في فضاء القاعة والوسيط لا يزال مشدوداً في مكانه . فرأيت في هذه الجلسة مالم اشاهده في غيرها من اتقان الصناعة وغرابة المظاهر لكنها لم تغير اعتقادي الشعوذة فيها وما زلت حتى كشفت سرها . وقد فطنت لكشفه من نسيم بارد شعرت به بعد خفض الاضواء وقبل ظهور الملائكة . فمن اين اتى ذلك النسيم والقاعة مقفلة ؟ فلا بد من منفذ فتح فيها ومنه دخل المساعدون على الشعوذة . وذلك ان القاعة كانت مبطنة بخشب السنديان كما قدمنا. فاحد الواحه في السقف وراء الستارة كان مقطوعاً وموضوعاً في مكانه بحيث يمكن نزعه او وضعه بسهولة بغير ان يسمع له صوت . فيتدلى من السقف

سلم مكسو باللباد وعليه تنزل الاشباح أو تصعد أو ترفرف والظلام يحجب السلم عن الابصار. والارواح في هذا المكان ليست جلاليب مفصفرة كما في سائر الامكنة وانما هي اناس عليهم ضرب من هذه الجلاليب رفيع يظهر للناظرين كالضباب

ووصف ماريوط صنفاً آخر من اصحاب الارواح يوهمون الناظرين ان ايدي الارواح تلمسهم وبينها ايد مجردة من اللحم كانها هيكل عظمي ناهض من القبر والوسيط مشدود الى كرسي . فلما كشف ماريوط سر هذه الشعوذة جربها بين جماعة من اصدقائه في الظلمة على طريقة اصحاب الارواح كما ترى في الشكل الخامس



ش ٥ — ماريوط على الكرسي مشدود اليها بالامراس والايدي تلمسه وتتحرك حوله وفوق رأسه كوكب مضيء

فلما شاهد اصحابه ذلك دهشوا ولم يصدقوا انه يفعل مايفعله بالشعوذة حتى اراهم عمله على ضوء النهار فاذا بتلك الايدي اكياس محشوة قشاً او تبناً او نشارة او منفوخة بالهواء وهذا اخفى لها. وقد دهن سطحها بدهان مفصفر . والايدي كلها معلقة بعضها ببعض باسلاك على ذلك الوضع كانها قطعة واحدة . فلما يشد الوسيط الى الكرسي وتطفأ

الانوار يحمل اليه بعض المختفين من اصحابه تلك الايدي ويضعها على صدره فيقبض الوسيط على مقبضين فيها اذا حركا تحركت الايدي جميعاً كأنها ايدي اناس يحاولون لمس راس الرجل او صدره أو عنقه كما يظهر في الشكل السادس



ش ٦ — ماريوط والايدي المحشوة كما تظهر في ضوء النهار

وختم المستر ماريوط مقالته بما فحواه « أما اقتناع بعض كبار العلماء مثل السير وليم كروكس والسير اوليفر لودج بالارواح وانتظامهم في سلك اصحابها فاحسبه اغرب من سائر مظاهرها . ولعل هؤلاء العلماء شاهدوا من ظواهر اولئك المشعوذين ما لم يستطيعوا تعليله فذهبوا الى الاغراق في الممكنات العلمية فسلموا بالارواح . فاذا كان هذا هو السبب فاني مستعد لتعليل كل ما غمض عليهم تفسيره ولا غرض لي الا البحث عن الحقيقة »

٦ — مونستربرج وبلادينو

واطلعنا في مجلة المتروبوليتان على مقالة لباحث اسمه هوغو مونستربرج تتبع الوسيطة الايطالية الشهيرة « بلادينو » بعد ان ادهشت العالم بغرائب ما اتته من ظواهر الارواح . وبلادينو المذكورة امرأة ايطالية فلاحة اشتهرت في ايطاليا وذاع صيتها في سائر اقطار اوربا حتى اتت اميركا فقصدها مونستربرج المذكور في نيويورك واخذ يتفحص اعمالها والوقوف على سرها فرآها ذكية داهية وقد ذكر اشياء

اكتشفها من اسرارها تأتي بواحدة منها لم يرد مثلها في ما ذكره ماريوط نعني تحرك المائدة ونقرها بلسان الارواح قال :

« ان القاعة التي تعقد فيها بلادينو جلستها بسيطة ليس فيها الا مائدة صغيرة (طاولة) وثمانية كراس للحضور وقبان تزن بلادينو نفسها به قبل العمل . ومكتب يجلس اليه شاب يدون «كلام» الطاولة ثم يفسره . وفي صدر القاعة ستارة تجلس بلادينو على كرسي تبعد عنها نحو قدم وامامها الطاولة . ويجلس المشاهدون على المقاعد بين يديها — قال دخلنا القاعة فاستقبلنا المستر كرنتون وهو الذي استقدم هذه المرأة الى نيويورك واذن لنا ان نتفحص كل شيء قبل الشروع في الجلسة وهو من المشتغلين بالارواح ومعجزاتها عن اخلاص وصدق نية على ما يظهر . ولا عجب فقد انخدع قبله كثيرون — تفحصنا القاعة جيداً فلم نجد فيها ما يبعث على الشك ثم جلست مدام بلادينو على كرسيها والطاولة امامها وايدي الحضور ويداها فوقها فاخذت الطاولة تحرك حركات مختلفة . نقرت اولاً خمس نقرات فسرتها الوسيطة ان الروح (واسمه حنا) يضره النور فخفضت المصابيح حتى لم تعد الوجوه تميز فاشتد عمل الطاولة صعوداً وهبوطاً ونقراً واهتزازاً والهواء يهب شديداً من وراء الوسيطة . وسمعنا ضرب الموسيقى بنغم شجي » واطال الكاتب في الوصف والتفصيل وخلاصة ذلك ان كل ما كانت تخدع الناس به من المظاهر الغريبة كانت تأتيه بنفسها بواسطة اسلاك كهربائية ممتدة في المكان تحركها برجلها وهي التي كانت تضرب الموسيقى وتنفخ الهواء وغير ذلك . ولا يتأتى لكل انسان ان يعمل عملها ولكنها احرزت من القوى البدنيـة والعقلية ما يساعدها على ذلك بتوالي التمرين

والخلاصة ان وجود الارواح من الممكنات الطبيعية للاسباب التي قدمناها اما ما يدعيه بعضهم من وجودها القطعي فهو تمويه يخدعون به الناس لابتزاز الاموال كما تبين ذلك بالبرهان الحسي في ما تقدم

ترجمة بطرس باشا غالي ــ اصلاح خطأ

وقع سهو في ترتيب اسطر الصفحتين ٣٧٥ و ٣٧٦ من الهلال المـاضي فوضع السطر الاول من صفحة ٣٧٥ في اول صفحة ٣٧٦ والصواب ان ينقل السطر المذكور الذي نصه : (فشكلها في ١٠ نوفبر سنة ١٩٠٨ وتولى رئاستها مع نظارة الخارجية وهو اكبر منصب) الى اول صفحة ٣٧٥ فيستقيم المعنى



روزفلت

رئيس جمهورية اميركا سابقاً

شغلت مصر في اواخر مارس الماضي بزيارة الكولونيل تيودور روزفلت رئيس جمهورية اميركا . وهو من كبار رجال الولايات المتحدة وخيرة رؤساء جمهوريتها وقد اجمعت القلوب على حبه واحترامه لنشاطه وحزمه وصدق لهجته . فانتخب لرئاسة الجمهورية وهو شاب لم يتول هذا المنصب احد وهو في مثل سنه . فقد ولد في نيويورك سنة ١٨٥٨ فهو الآن في الثانية والخمسين من عمره وكان ابوه تاجراً يرجع في اصله الى نسب هولندي ووالدته من جنوبي الولايات المتحدة شديدة التعصب لحزب الجنوب وهي من خيرة النساء تعقلاً وحزماً وثباتاً ولا ريب ان ابنها الرئيس اكتسب كثيراً من تلك الفضائل منها . ومن ادلة حزمها وقوة جنانها ان زوجها امر اهل بيته مرة ان يزينوا منزله بالاعلام لاحتفال عمومي كانوا يتأهبون له فما كان من امرائه الا انها علقت

على نافذة غرفتها راية من رايات حزب الجنوب وذلك يخالف السياسة التي كانت قد استتبت في ذلك الحين . فلما راى اهل نيويورك تلك الراية هاجوا وتجمهروا تحت النافذة يريدون انزال الراية فانتبه زوجها الى سبب الغوغاء فتقدم الى امرأته ان تنزلها فابت وقالت « ان الغرفة غرفتي ولا اريد ان انزع شارة وطني العزيز عنها قل لاولئك السفهاء اني احب الجنوب واهل الجنوب » فخرج وافهم القوم ما قالته فاقتنعوا وانصرفوا

كان تيودور روزفلت في صباه نحيفاً مثل كثيرين من الرجال العظام في صبوتهم وقد قوّى عضله وخشن عظامه بالرياضة البدنيـة فاكثر من الخروج للصيد على ظهر الجواد او على الاقدام . وسار في تربية اخلاقه منذ صباه على قول سليمان الحكيم « كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بكل قوتك » وقول لينكولن « افعل احسن ما يمكن واذا لم تستطع فافعل احسن ما يمكنك » فتعلم وتثقف وترقى واحب العلم والادب كما احب الصيد والقنص . فكان يذهب الى الصيد وكتابه معه وله عدة مؤلفات في مواضيع سياسية وتاريخية . وذاعت شهرته وعظم مقامه وهو لا يزال شاباً فرشحوه سنة ١٨٨٦ لمنصب محافظ نيويورك ولم ينتخب لاسباب سياسية ولكنه تولى مناصب رفيعة في خدمة الجمهورية وحضر حرب كوبا وعين عند رجوعه حاكماً على ولاية نيويورك فادخل فيها اصلاحات كثيرة وارتقى منها لنيابة رئاسة الجمهورية سنة ١٩٠١ وتوفي في تلك السنة الرئيس مكنلي فخلفه المدة الباقية ثم انتخب رسمياً للرئاسة سنة ١٩٠٥

مكث فيها اربع سنين فارادوا تجديد انتخابه مرة ثالثة فأبى . فعرض عليـه اصحاب الشركات المالية الكبرى اموالاً طائلة ليكون من اعضاء مجالسها الادارية فاعتذر بانه يجهل اعمالهم وطرقهم ويخاف ان يتخذوا اسمه ذريعة للكسب ولكنه قبل ان يشتغل بالصحافة فتعين رئيس تحرير جريدة الاوتلوك ثم عزم على الرحلة للصيد في اواسط افريقيا فاصطاد كثيراً من الافيـال والاسود والنمور والفهود . وجاء قاصداً مصر عن طريق النيل وكان حيثما نزل يقابل بالترحاب والاجلال حتى وصل مصر . فكلفته الجامعة المصرية ان يخطب فيها فخطب في ٢٦ مارس المـاضي خطاباً اجتماعياً سياسياً عما يرى البلاد في حاجة اليه لتصل الى الاستقلال المطلوب وكان مدار كلامه على الجامعة المصرية وما يرجى من الخير على يدها اذا سارت في تهذيب الشبيبة على الاسلوب المطلوب . وذكر في اثناء خطابه قواعد جوهرية لرفع شأن الامة . وبين اهمية الاخلاق بالنظر الى التقدم وفضلها على العقل اي ان الامة تحتاج في رقيهـا الى

اخلاق عالية اكثر مما الى علم كثير . وزار في ذلك اليوم الكلية الاميركية للبنات بمصر وهي معهد علمي انشأه المرسلون الاميركان حديثاً لتثقيف البنات وتعليمهن فخطب هناك ايضاً

وتألف وفد من وجهاء السوريين بالنيابة عن النزالة السورية بمصر قدموا له صندوقا من الفضة والذهب قد نقشت عليه بالعربية والانكليزية عبارة مؤداها انه « مقدم من الجالية السورية في القطر المصري الى جناب الكولونيل تيودور روزفلت عند زيارته القطر المصري سنة ١٩١٠ اعترافاً بجليل خدمته الانسانية وبالفوائد التي نالها مواطنوهم في الولايات المتحدة مدة رئاسته » وعلى ظهر الصندوق الراية العثمانية والراية الاميركية متقاطعتان على غصن من الزيتون وعلى وجهه صورتان مجسمتان من الذهب تمثلان ارز لبنان واعمدة بعلبك وسائر الجوانب منقوشة نقشاً عربياً بديعاً . ووضعوا في الصندوق خطاباً عربياً يشتمل على المراد من تقديمه . فتقبل منهم تلك الهدية بالشكر

وبرح الكولونيل روزفلت القطر المصري في ٣٠ مارس المذكور

طبيعة الانسان للخير او للشر؟

سأل (الهلال) اديب من يافا عن ميل الانسان الى الخير او الشر . وكتب «الهلال» ما دفعني الى كتابة ما يأتي راجياً ان يوفق الله من يهديني الى الحق الصريح :

ولقد اخترت في موضوعي هذا الاقرار ان الانسان موفق الى الخير او الى الشر من بادئ امره – اي ان هناك امراضاً تعترضه وهو في عهده الاول فتحط به من مكان رصفائه من بني الانسان وان هذه الامراض يعبر عنها بعضهم بالطبع او الغريزة

قالوا ان الانسان عرضة المؤثرات الخارجية وهو صحيح ولكن ليس لهذه المؤثرات غير عمل واحد – فاما ان تذكي هذا الطبع وتنمي ما فيه من الفضائل . واما ان تشكل ما فيه من القبائح فالوسط وما يقابل الانسان ليس هو الا آلة تعمل عملاً خاصاً بها . والطبع هو هو من القدم

ربما تخفف التربية ما في الانسان من غريزة قبيحة الا ان المشاهدات تثبت ان التربية لا تمحو هذه الغريزة وانما تحولها الى وجهة غير مهلكة بالمرة وتكون اخف الا ولكن النهاية واحدة . ونرى ان بين جنبي الانسان هامة تهم انعمل ولكنها لا تلبث ان تهمل عملها او توجله او تكافح تلك العوامل فتنقلب عليها

وقد بحث العلماء فيما اذا كان الانسان يأتي جريمته عن اختيار او اضطرار . فوصلوا بابحاثهم ان المجرم مدفوع من طبعه الى جريمته وانه موضوع في قالب خاص ينبيء عن شره وتراه بعلامات خلقية مخصوصة يتشابه بها المجرمون وقالوا ان هناك جرائم تجري مجرى الدم في عروق الانسان هي واسطة الاغراء والتحريض

وكانت نتيجة ابحاثهم على ما وصل الى مسامعي : ان الذين يرتكبون الجرائم يرتكبونها عمداً ولهم من فطرتهم مساعد قوي حيث تبذر فيهم بذور الجرائم وهم في بطون امهاتهم . وقيل انهم يتوارثونها جيلاً عن جيل — ولهم مميزات خلقية مخصوصة تفرقهم عن غيرهم اذ ترى المجرم اصفر الوجه باذنين مائلتين الى الامام او فيهما عيب آخر وذقنه بارز او غائر ولحيته خفيفة . غير قوي العضلات مقلوب السحنة . ورفيقه في حياته مرض الرئتين والقلب . تراه حاد المزاج سريع الغضب عرضة للتقلب . وفي كثير من الاحوال يكون سلالة سكير

وقال بعضهم ان للفرص التي يولد فيها الانسان شأناً كبيراً في حياته المستقبلة ويسمونها بساعة النحس او السعد حتى انهم تطرفوا في معرفة ما خص به الانسان في حياته . والمجرم يتجلبب في كثير من الاحوال بثياب الصلاح والتقوى حتى يتمكن من معرفة موضع الضعف ممن يريد اذيته — وهذه الحيلة تنطلي كثيراً على العالم

والانسان في بادىء امره يحجم عن اتيان ما يبعثه اليه طبعه متحيناً فرصة حتى اذا تمكن من الفعلة الاولى واستمرأ لذة الجرم كرر العمل دفعات متوالية تنمو في خلالها ملكة الشر . وما خلقت الحكومات الا لتخفف وطأة بني الانسان عن بني الانسان — وتلك العقوبات التي تقوم في وجه المجرمين قل ان تفيدهم — وبطون السجون ملأى بالمجرمين الذين يتحينون الفرص للخروج من هذا المضيق حتى اذا تمكنوا من الخروج حنوا الى السجن وعادوا اليه

والذي استنتجه مما تقدم ان الانسان من طبعه مقدر له انهُ من الاشرار او من الاخيار تبعاً للعوامل التي اثرت عليه قبل ميلاده وان غريزته تدعوه الى العمل وقد رمز الى ذلك الشاعر العربي بقوله

اذا كان الطباع طباع سوء   فلا ادب يفيد ولا اديب

هذا ما وصلت اليه بالبحث والسلام

منشية الصدر   عبد العزيز الصدر

الشمس والقمر

اجوبة الاقتراح

اقترحنا في الهلال الماضي على الشعراء نظم هذا المعنى « القمر يستمد نوره من الشمس وهو يكسفها ويحجب نورها » في بيتين فاتانا عدة اجوبة ننشرها حسب ورودها ونعقبها برسالتين في ما نظمه القدماء بهذا المعنى . واليك الاجوبة مذيلة باسماء ناظميها :

١

وكم صاحب مني استمدَّ رخاءه فأرخى على فضلي الجليّ سجوفا
كبدر أمدته ذكاء بنورها فكان جزاها ان تنال كسوفا

٢

من الناس من يجزي على الخير ضده ويلقي على وجه الجميل غطاء
كما يكسف البدر الغزالة في السما ولولا سناها ما بدا واضاء

كفر كلا الباب مركز السنطه غربية فؤاد سليم

من الناس من يجزون علة نفعهم بسوء واضرار يعمُّ بلاها
كبدر الدجى مع كسبه النور من ذكا يلاقيها شرًّا بحجب ضياها

طنطا رزق الله نعمة الله عبود

يا من يقابل بالاساءة محسناً يسدي له الاحسان وهو يسيء
كالبدر يكسف طلعة الشمس التي تهدي لطلعته الضيا فيضيء

مصر الياس الغضبان

كم فاضل غمرت سحائب فضله قوماً يود حسودهم اخفاءه
كالشمس يكسفها ويحجب نورها قمرٌ ومنها يستمدُّ ضياءه

بني سويف قسطنطين شدودي

لا ترجي من اللئيم وداداً كلما نال حاجة منك تاها
فهو كالبدر يستمدُّ ضياه من سنا الشمس وهو يخفي سناها

بيروت الياس حنيكاتي

وجاءنا في هذا الشأن من امين افندي الحداد في الاسكندرية ما يأتي :

اقترحتم في هلالكم الاغر نظم شيء في كسوف القمر للشمس فذكرت بذلك ابياتاً تغني عن نظم شيء جديد . منها ابيات لابن رشيق يقول فيها معرضاً بكاتب ردَّ أمراً

لمحمد بن هرون :

اري بعض من انت صيرته من الناس يعروك تعييره
تنافس فعلك افعاله وينقص جاهك تأثيره
كما كسف الشمس بدر الدجى وان كان من نورها نوره

ومما قاله ابن التلميذ في هذا المعنى :

اشكو الى الله صاحباً شكساً تسعفه النفس وهو يعسفها
فنحن كالشمس والهلال معاً تكسبه النور وهو يكسفها

ومما يجيء في هذا المعنى ما قاله ابو الفتح البستي :

لئن كسفونا بلا علة وفازت قدامهم بالظفر
فقد يكسف المرء من دونه كما يكسف الشمس ضوء القمر

ولابي اسحق الغزي هذا البيت :

كفاك الله اصغر من تشاوي فان الشمس تكسف بالهلال

الاسكندرية امين حداد

وجاءنا من عيسى افندي معلوف بزحلة :

نشرتم في الهلال السادس اقتراحاً بنظم معنى حكمي في استمداد القمر نوره من الشمس ثم كسفه اياها . وكنت اود ان انظم في ذلك لولا وقوفي على كثير من المقطعات بهذا المعنى فاحببت سرد ما حضرني منها . ولعل من اقدم ذلك قول هبة الله بن التلميذ الطبيب المسيحي يشكو من ولد عقه :

اشكو الى الله صاحباً شكساً تسعفه النفس وهو يعسفها
فنحن كالشمس والهلال معاً تكسبه نورها ويكسفها

وقول شاعر آخر :

من لم يرَ البدر لم يرَ العجبا في ليلة التم اذ رأى الطربا
سار الى الشمس كي يقبلها فلم يجدها فعاد منقلبا

وقول الغساني :

كأن البدر لما ان علاه خسوف لم يكن يعتاد غيره
سجنجل غادة قابلته لما اراها شبهها حسداً وغيره

وقول فرنسيس مراش الحلبي :

ايها العالم الشديد دع الغيـ ـظ اذا خان ذلك التلميذ

واتوك العتب ان يخن ذمة العهد فمن طبعه الردى فنعوذ
ومن الشمس يأخذ القمر النور ومنه كسوفها مأخوذ

وقولي مضمناً :

لشمس العلى فضل بامداد بدرنا على انه في كسفها جار واعتدى
فصحَّ له التمثيل في قول شاعر « وانانت اكرمت اللئيم تمردا »

زحله عيسى اسكندر معلوف

الاسطول العثماني

قصيدة في وصف الاسطول العثماني نظمها حافظ افندي ابراهيم لحفلة اقيمت بمصر لاعانة الاسطول المذكور وهي :

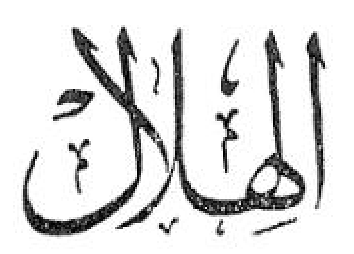
بالذي اجراك يا ريح الخزامى بلغي البسفور عن مصر السلاما
واجمعي من كل روض زهرة واجعليها لتحايانا كماما
واشري ريك في ذاك الحمى والثمي الارض اذا جئت (الاماما)
ملك للشرق في ايامه همة الغرب نهوضاً واعتزاما
أيها القائم بالامر لقد قمت في الناس فاحسنت القياما
جرد الراي فكم رأي اذا سل من غمد النهى فل الحساما
وابعث الاسطول ترمي دونه قوة الله وراء واماما
يكلأ الشرق ويرعى بقعة رفع الله بها البيت الحراما
وثغوراً هن ابهى منظراً من ثغور الغيد يبدين ابتساما
خصها الله بافق مشرق ضم في اللألاء مصراً والشآما
حي يا مشرق اسطول الاولى ضربوا الدهر بسوط فاستقاما
ملكوا البر فلما لم يسع مجدهم حلوا من البحر المراما
بجوار منشآت كالدمى اينما سارت صبا البحر وهاما
كلما أوفت على امواجه سجد الموج خشوعاً واحتشاما
كان بالبحر اليها ظمأ وعجيب يشتكي البحر الاواما
فهي في السلم جوار تجتلى تبهر العين رواء ونظاما
وهي في الحرب قضاء سائح يدع الحصن تلالاً ورجاما

ما نجوم الرجم من ابراجها | اثر عفريت من الجن ترامى
من مراميها بانكى موقعاً | لا ولا اقوى مراساً وعراما
وهي بركان اذا ما هاجها | هائج الشر عداء وخصاما
جبل النار لقد رعت الورى | انت في حالك لا ترعى ذماما
انت في البر بلاء فاذا | ركب البحر غدا موتاً زؤاما
فاتقوا الطود مكيناً راسياً | واتقوا الطود اذا ما الطود عاما
حملت حربا فكانت حقبة | نذراً للموت يجتاح الاناما
خافها العالم حتى اصبحت | رسلاً تحمل أمناً وسلاما
بعث المشرق من مرقده | بعد حين جل من يحيي العظاما
ايها الشرقي شمر لا تنم | وانفض العجز فان الجد قاما
وامتط العزم جواداً للعلى | واجعل الحكمة للعزم زماما
واذا حاولت في الافق منى | فاركب البرق ولا ترض الغماما
لا تضق ذرعا بما قال العدا | رب ذي لب عن الحق تعامى
سابق الغربي تسبق واعتصم | بالمروآت وبالبأس اعتصاما
جانب الاطماع وانهج نهجه | واجعل الرحمة والتقوى لزاما
طلبوا من علمهم ان يعجزوا | قادر الموت وان يثنوا الحماما
وأرادوا منه ان يرفعهم | فوق هام الشهب في الغيب مقاما
(قتل الانسان ما اكفره) | طاول الخالق في الكون وسامى
احرج الغيب الى ان بزه | سره بزاً ولم يخش انتقاما
قوة الرحمن زيدينا قوى | وافيضي في بني الشرق الوئاما
افرغي من كل صدر حقده | املأي التاريخ والدنيا كلاما
اسأل الله الذي الهمنا | خدمة الاوطان شيخاً وغلاما
أن ارى في البحر والبر لنا | في الوغى انداد (توجو) و (اياما)

حافظ

يلزم ادارة الهلال

ان ادارة الهلال تحتاج الى الاعداد الآتية وهي الجزء ٢ و٦ من السنة ١٥ و٦ من السنة ١٦ و١ و٨ و٩ من السنة ١٧ و١ و٢ من السنة ١٨ فمن كان عنده شيء منها لا حاجة له به فليخابرنا بشأنه



الجزء الثامن من السنة الثامنة عشرة

اول مايو (ايار) سنة ١٩١٠ و٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٢٨

الحبشة وامبراطورها

تناقلت الصحف خبر وفاة منيليك امبراطور الحبشة ثم كذبته وقد تكرر نشر هذا الخبر وتكذيبه مراراً في السنين الأخيرة نظراً لتمكن الداء من هذا الملك منذ عدة اعوام . فكثر تحدث الناس في الحبشة وتاريخها وامبراطورها فرأينا ان ننشر شيئاً من هذا القبيل على جاري العادة

تاريخ الحبشة

موقعها وسكانها

اذا نظرت الى خارطة افريقيا وما يليها من غربي اسيا رأيت تجاه بلاد اليمن في الغرب بلاداً واسعة الاطراف يفصلها عن اليمن البحر الاحمر هي بلاد الحبشة . يحدها شمالاً وشمالاً غربياً بلاد النوبة وسنار وجنوباً وشرقاً البحر الاحمر وبلاد الصومال وغرباً بلاد السودان . مساحتها نحو ٢٠٠٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها تختلف الاقوال في تقديره بين اربعة ملايين وعشرة ملايين نفس فيهم الاحباش على اختلاف اصولهم والغالا والصومال والزنوج واليهود وكثير من الهنود والعرب واليونان والارمن وبعض الافرنج . وهي تقسم الى ثلاث ممالك : التيغري في الشمال وشوا في الجنوب والامحرة بينهما . ما عدا بعض الارباض التي كانت تعد تابعة للحبشة في الجنوب والغرب

والشرق مثل بلاد الصومال والغالا وهرار وغيرها مما لا محل لتفصيله

وكانت مملكة الحبشة قديماً تشمل بلاد السودان والنوبة وكانت تسمى مملكة أثيوبيا وللملكة أثيوبيا شأن عظيم في التاريخ القديم وله ارتباط شديد بتاريخ الفراعنة وغيرهم ويقال ان ملكة سبا التي زارت سليمان الحكيم في القرن العاشر قبل الميلاد انما هي ملكة الحبشة في ذلك العصر كما سترى . وكل ما قيل في غنى مملكتها وما فيها من الذهب والفضة والحجارة الكريمة ينسبونه الى اثيوبيا

فالحبشة قديمة جداً عاصرت الفراعنة في اقدم دولهم وكانت دولتها يومئذ في اعالي النيل في ما هو الآن بلاد النوبة وهي التي تسمى أثيوبيا . فلما ذهبت دولة الفراعنة انتقلت السيادة الى اقسمها الشرقي الجنوبي (الحبشة) حيث هي الآن . فتاريخ الحبشة يقسم الى طورين عظيمين الطور الاثيوبي والطور الحبشي

الطور الاثيوبي من تاريخها

فالطور الاثيوبي يبدأ قبل زمن التاريخ ويمتد الى اواخر دولة الفراعنة . وكانت عاصمة الاثيوبيين في اعالي النيل قرب مروي ولا تزال آثار عاصمتهم نبتة باقية هناك الى هذه الغاية . وقد تعاصر الاثيوبيون والفراعنة المصريون عدة قرون وتنازعوا وكانت الحرب بينهم سجالاً وقد تغلب الاثيوبيون على مصر في اواسط القرن السابع قبل الميلاد وحكموها نحو نصف قرن (من سنة ٧١٥ ــ ٦٦٥ ق م)

اول من تسلط على مصر من الاثيوبيين سباقون افتتحها سنة ٧١٥ ق م وقتل ملكها باكوريس آخر الدولة الصاوية حرقاً بالنار وتولى زمام مصر وكان عاقلاً حكيماً فدبر شؤون البلاد ونظمها واستبقى حكامها على اقاليمهم يراقب احوالهم امراء اثيوبيون ثم شاد الجسور واحتفر الترع حرصاً على البلاد ان يمسها غرق او شرق ورمم كثيراً من المعابد واستبدل عقوبة القتل بالاشغال الشاقة فاكتسب ثقة المصريين واشتهر بالرأفة وحسن التدبير

الا ان ذلك لم يدم له لان مملكة اشور كانت في ذلك العهد قد امتدت سطوتها على الفينيقيين والاسرائيليين والفلسطينيين ورغب هؤلاء في التخلص من نير الاشوريين فاجمعوا على ان يستنصروا « سباقون » في ذلك . فانفذ هوشع ملك اسرائيل اليه هدايا فاخرة وسأله التحالف معه على « شلمنصر » ملك الاشوريين فاجابه سباقون الى طلبه طمعاً منه بالحصول على ما كان لاسلافه من ملوك مصر العظام . فبلغ خبر تلك المعاهدة مسامع شلمنصر فاحتال على هوشع حتى اسره وفاجأ قومه بالهجوم فظهر عليهم فاعترفوا

له بالسيادة بعد ان قنطوا من مساعدة سباقون . ثم سار « شالمنصر » الى السامرة وحاصرها لكنه مات قبل افتتاحها وهو آخر ابناء العائلة الملوكية الاشورية . فاقيم مكانه « سرجون » رئيس قواده فاقتدى به وسار على خطواته فاتم فتح السامرة ثم سار الى فلسطين وقتل الملك « يهوبيد » احد المتحالفين مع سباقون

فلما راى سباقون ذلك خاف على بلاده فتقدم بجنوده الى الشام لرد « سرجون » بعد ان انضم اليه « حانون » ملك غزة احد المتحالفين فالتقيا بجيوش الاشوريين في رفح و'نتشبت الحرب بين الفريقين فانهزمت الجيوش المصرية والشامية وأخذ « حانون » اسيراً ونجا سباقون فضل في الصحراء الى ان وجد من اهداه الى طريق مصر . فكانت هذه المحاربة امثولة له حتى لا يطمع فيما هو عاجز عن نيله . ولم يكن ذلك كل شقائه فانه بعد هذه الهزيمة ثار عليه سكان الوجه البحري تحت رئاسه اسطيفانيتس احد اقرباء الملك « باكوريس » سعياً في اصلاح شؤون البلاد فانهزم سباقون الى الصعيد واستقل باكوريس بالوجه البحري لكنه لم ترسخ قدمه حتى انقسمت حكومته على نفسها وقام النزاع بين فئتين من طالبي السيادة . وفي اثناء ذلك توفي « سباقون » وخلفه ابنه « سيخون » فاغتنم فرصة الانشقاق وحارب الوجه البحري واستولى عليه . وهنا ما لبث ان ثبتت قدمه حتى قتله « طهراق » وتولى مكانه

اما « طهراق » هذا فكان رجلاً محارباً نزع مدينة منف من « اسطفانيتس » ثم جاءه ملك اشور (اشوراخي الدين) فاتحاً ففر طهراق الى النوبة واستولى ملك اشور على منف وطيبة ونهب امتعة هياكلها وقسوسها وارسلها الى بلاده لتحفظ تذكاراً لتلك الغلبة . ثم اشتغل في اصلاح شؤون مصر فاعاد رؤساء الاقاليم كما كانوا كل واحد في اقليمه وضرب عليهم الجزية . وبعد ان تم ذلك سار الى « نينوى » تاركاً بعض جنوده حامية في قلاعه خوفاً من غائلة الاثيوبيين ومر اثناء الطريق بنهر الكلب قرب مدينة بيروت فنقش على الحجر الذي كان نصبه رعمسيس الثاني نقوشاً كثيرة بين فيها فتكه بالمصريين والاثيوبيين

وفي سنة ٦٦٩ ق م اغتنم طهراق مرض اشوراخي الدين وهاجم المصريين لاسترجاع البلاد اليه . فلما علم اشوراخي الدين بذلك احس بعجزه عن الدفاع فتنازل عن الملك لابنه الاكبر « اشوربانبال » . فسار هذا الى مصر واخرج منها الاثيوبيين واعاد السلطة الى رؤساء الاقاليم وعاد الى وطنه . فعاد طهراق الى مشروعه فتحالف مع المصريين سراً على ان يعضدوه فيما يريد فعلم ملك اشور بذلك فقبض على الخائنين من

رؤساء الاقاليم وقادهم اليه اسرى . الا ان ذلك لم يمنع طهراق مما اراد فهجم على مصر واستولى على منف وطيبة (لقصر) وابطل عبادة الصنم « ايس » منها . اما ملك اشور فجعل يقرب منه رؤساء الاقاليم المأسورين عنده استجلاباً لرضاهم وطلبا لمساعدتهم فخلع عليهم واكثر من اكرامهم وارسلهم الى مصر فاخذوا الوجه البحري ثم القبلي ثم ما زالت مصر يتناوبها الاشوريون والاثيوبيون حتى انتهى الامر باغضاء الاشوريين عن تملكها لما يقتضي لذلك من المشقة فدخلت في سلطة « نوان ميامون » ملك اثيوبيا بدون كبير مشقة وترى كيفية استيلائه مكتوبة بالهيروغليف نقشاً على حجر وجد في اطلال مدينة « نبته » بجبل برقل وهو محفوظ في المتحف المصري .. هذا اهم ما يعرف عن سلطة الاثيوبيين على مصر

الطور الحبشي

كانت الدولة فيه مستقرة في بلاد الحبشة المعروفة الان . ويرجع الاحباش في تاريخ دولتهم هذه الى عهد بعيد يبدأ بسليمان الحكيم وعندهم ان ملوك الحبشة متسلسلون من هذا الملك العظيم وتعرف اسرة ملوكهم لذلك بالاسرة السليمانية نسبة اليه

ويؤخذ مما يتناقله الاحباش من التقاليد وقد دونه المؤرخون عن اصل اسرتهم المالكة ان اول ملوكهم ويسمى منيليك الاول ابن سليمان المذكور من امرأته سبا ملكة العرب المتقدم ذكرها وهم يقولون انها ملكة الحبشة . وخلاصة ذلك ان سليمان لما سمع بهذه الملكة كما جاء في التوراة استقدمها اليه فجاءت وجعلها من نسائه فاقامت عنده مدة وقد تعشقها لجمالها ونظم فيها قصيدته المعروفة بنشيد الاناشيد . ثم سافرت هذه الملكة الى بلادها وهي حامل فوضعت غلاماً سمته منيليك وربته حتى ترعرع ثم ارسلته الى اورشليم على ان يقدم نفسه الى سليمان ويدفع اليه خاتماً يشهد انه ابنه . ولما بلغ الى سليمان خاف الفتنة من هذه الدعوى لان الغلام كثير الشبه بابيه ففض المشكل بتنصيبه ملكاً على الحبشة وقد ولاه ذلك رسميا في هيكل اورشليم وسماه داود باسم جده واعاده الى والدته سنة ٩٦٤ قبل الميلاد . واقام منيليك هذا في الحبشة حتى توفيت والدته فافضى الحكم اليه سنة ٩٥٥ ق م وهو اول ملوك الاسرة السليمانية

هذه ما يقولونه عن اصل الاسرة المالكة وهي عندهم لم ينقطع حكمها الى الان اي انها حكمت ٢٨٦٥ سنة تنقسم الى ثلاثة اطوار تخللتها فترات استولى على الدولة فيها غير السليمانيين . الطور الاول من تولية منيليك الاول سنة ٩٥٥ ق م الى دخول النصرانية الحبشة سنة ٣٤١ ب م والطور الثاني من دخول النصرانية ٣٤١ الى سنة ٩٣٧ م تليه

الفترة الاولى استولى فيها على الدولة امرأة يهودية اسمها يوديت اواستير اختلست الملك من السليمانيين سنة ٩٣٧ وظلت حاكمة اربعين سنة (الى سنة ٩٧٧) تليها فترة اخرى دخلت الحبشة فيها بحوزة اسرة مسيحية اسمها الزاكوة طال حكمها ٣٥٤ سنة (من ٩٧٧ — ١٣٣١) اسسها قائد اشتهر اسمه في تاريخ الحبشة نعني مارا تقلا هيمانوت . ثم الطور الثالث من الاسرة السليمانية يبدأ سنة ١٣٣١ ولا يزال الى الان

وتاريخ هذه الاطوار غامض وقد ضاع اكثره وما بقي لا يخلو من المبالغات والخرافات ولا محل لتحقيقه ونقده . وانما نكتفي باشهر حوادثه مما ثبت وقوعه . ومن اشهر تلك الحوادث دخول النصرانية بلاد الحبشة سنة ٣٤١ م وقد جاءتها من مصر وهي تحت سلطة دولة الروم . وكانت الحبشة يومئذ يحكمها الملك ابرهة الاول من الاسرة السليمانية (تولاها من سنة ٣٢٨ ـ ٣٥٦ م)

دخول النصرانية بلاد الحبشة

دخلت النصرانية الحبشة على يد رجل من صور اسمه فريمنتوس ويسميه الاحباش ابا سلامه واخ له اسمه اديسا او اديسوس ويسميه الاحباش سيدراكوس . وتفصيل ذلك ان فيلسوفاً صورياً من اهل القرن الرابع اسمه ميترودورس تاقت نفسه الى الرحلة لمشاهدة الاقطار . فساح في بلاد فارس والهند وجاء الحبشة ولما عاد الى القسطنطنية وهي في قبضة قسطنطين الكبير قص عليه ما شاهده من الغرائب وحمل اليه بعض التحف واكد له انه لو لم يأخذ ملك الفرس اكثرها لجاءه بشيء كثير . فاقتدى به فيلسوف اخر من اهل صور ايضاً اسمه ميروبيوس ومعه ابناه فريمنتوس واديسوس وقد اراد ان يمتعهما بلذة الرحلة ويزيد اختبارهما . فاحتاجت سفنهم الى الماء والزاد فعرجوا الى مدينة على شاطىء الحبشة فسطا عليهم اهلها واسروهم واخذوا ما كان معهم وقتلوا اكثر رجال السفينة . اما الاخوان فريمنتوس واديسوس فكانا على جانب من التقوى والتبعد فجلسا يصليان بهدوء وسكينة فلما رآهما الاحباش استغربوا حالهما فحملوهما الى الملك في اكسوم عاصمة الحبشة . فاستلطفهما واحبهما فاستخدمهما في بلاطه . ثم جعل فريمنتوس خازنه وكاتب يده فاظهر اذكاء وامانة فزاد الملك حباً بهما واعتماداً عليهما . ولما مات الملك خلفه ابنه فاقرهما لكنه اطلق لهما الحرية ان يفعلا ما يريدان فالتمس اديسوس ان يؤذن له بالرجوع الى بلده فاذن له وبقي فريمنتوس في اكسوم وملكها يومئذ ابرهة الاول صغير السن . فعهد وصيه الى فريمنتوس بتعليمه وتثقيفه فعلمه الانجيل وغرس فيه حب النصرانية فآنس منه ارتياحاً اليها فجعل همه نشر هذا الدين في الحبشة رسمياً فاستأذن

في السفر الى القسطنطنية وعرض رأيه في هذا الشأن فنشطته هيلانه ام قسطنطين . فذهب الى الاسكندرية وعليها يومئذ البطريرك اثناسيوس فقص عليه ما رآه وبين له ما يرجوه من النجاح في تنصير الحبشة اذا لقي مساعدة منه فعقد اثناسيوس مجلساً وافق فرينتوس على غرضه وسامه اسقفاً على اكسوم وانفذه اليها . فرجع الى الحبشة واقام في عاصمتها وقربه ملكها ابرهة واعانة على بث تعاليم النصرانية فيها وهو اول اساقفة الحبشة . وما زال الاساقفة بعده يأتونها من الاسكندرية وهي تابعة لكرسي الاسكندري الى الان

الاحباش وعرب اليمن

ولما تنصرت الحبشة طمعت كنيسة الاسكندرية في نشر النصرانية ببلاد اليمن وهي يومئذ في سلطة الحميريين وقد تهود ملوكها وكانت المنافسة بين الحميريين والاحباش قائمة من اوائل التاريخ المسيحي ففتحوها مدة ثم عادوا عنها وكانت اليمن قد دخلتها اليهودية وشاعت فيها فوقعت المنافسة بين اليهود والنصارى هناك وكرسي النصرانية في اليمن يومئذ كعبة نجران حتى افضت الى دخول الحبشة اليمن دخول الفاتحين . وقد ذكر خبر هذا الفتح في عهد ذي نواس ملك حمير في حديث طويل • ودوّنه اليونان في كتبهم على اسلوب اخر واليك خلاصة ما قالوه :

ان اليمنيين لما تضعضعت احوالهم بتقهقر دولتهم وخروج مقاليد التجارة من ايديهم كان الروم قد اخذوا ينشرون نفوذهم في الشرق بواسطة النصرانية وتيسر لتجارهم المرور في بلاد اليمن بين خليج العجم والبحر الاحمر يحملون تجارة الهند الى الحبشة ثم الى مصر والعرب يشق ذلك عليهم ولا حيلة لهم في منعهم

واراد الفرس في اثناء ذلك ان يعرقلوا مساعي الروم اعدائهم القدماء في متاجرهم عن طريق جزيرة العرب فنزل جند منهم بشواطئ خليج العجم من جزيرة العرب . فارسل القيصر يوستين الى بني حمير ان يردوا الفرس عنهم وبعث من الجهة الاخرى الى الاحباش ان يأخذوا بيد الروم في ذلك السبيل . وكذلك فعل يوستينيان لما تولى ولم يطل عهد الوفاق فعاد العرب الى معارضة قوافل الروم - قال ثيوفانس « واتفق في اوائل القرن السادس ان الحميريين تعدوا على تجار الروم في اثناء اجتيازهم اليمن بتجارتهم الهندية وقتلوا جماعة منهم فتوقفت حركة التجارة فشق ذلك على الاحباش فتجندوا لفتح الطريق وقطعوا البحر الاحمر تحت راية ملكهم هداد وحاربوا الحميريين فقتلوا ملكهم دميانوس « ذي نواس » وجددوا المعاهدة مع قيصر القسطنطينية يوستينيان

على شرط ان يتنصر اهل اكسوم وارسلوا الى الاسكندرية وفداً يطلبون قسيساً يعمدهم ويعلمهم فارسل اليهم رجلاً تقياً عاقلاً اسمه يوحنا صار بعدئذ اسقفاً على اكسوم

وبعد ان اقتص الاحباش من الحميريين انسحبوا الى بلادهم فعاد الحميريون الى ما كانوا عليه وعادت التجارة الى الانقطاع . فاعاد اليسباس ملك الحبشة الكرة وفتح بلاد اليمن فتحاً بحملة كبيرة حارب بها الحميريين وغلبهم على بلادهم وولى عليها اميراً مسيحياً من امرائه اسمه اسيافيوس واوعز اليه ان يحمل اهلها على النصرانية استنجاداً بالدين على السياسة واستعان باسقف اسمه جريجنتوس كان خطيباً مفوهاً وعالماً كبيراً على ان يبذل جهده في هذا السبيل . وعقد مجلساً جمع فيه بين هذا الاسقف وحبر يهودي اسمه هربان وامرهما بالمناقشة في الدين فتناقشا وكتب الاسقف بعد ذلك كتاباً نسب فيه الفوز لنفسه وذكر اعجوبة حدثت في اثناء الجدال عمي بها كل الحاضرين من اليهود فصلى الاسقف والقس شفاءهم فعادت اليهم ابصارهم فافحموا وتنصروا. ولم يطل حكم اسيافيوس على حمير لانهم ثاروا عليه وخلعوه فارسل اليسباس جنداً لاخضاعهم فانضم الجند الى العصاة فلما يئس الملك من اذلالهم قنع بعقد الصلح بينه وبينهم

اما العرب فيجعلون سبب الفتح اضطهاد ذي نواس لنصارى نجران واحراقهم فاستنجدوا قيصر الروم فحرض الاحباش عليهم فجاؤوا وفتحوا اليمن على يد أبرهة الثاني فبنى كنيسة في صنعاء سماها القليس وبالغ في تزيينها (١) قالوا :

« وملَّ الحميريون سلطة الاحباش وكان في امراء حمير رجل من الاذواء اسمه سيف ابن ذي يزن استنجده قومه فسعى في انقاذهم من سلطة ذلك الاجنبي واشاروا عليه ان يستنصر قيصر الروم فاستنصره فردّه فمضى الى كسرى فنصره بجند تحت قيادة رجل اسمه وهرز فهر الحبشة واخرجهم واحتل مكانهم وكتب الى كسرى يقول « اني قد ملكت للملك اليمن وهي ارض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم » وبعث اليه بجوهر وعنبر ومال وعود وزباد وهي جلود لها رائحة طيبة . فكتب اليه كسرى يأمره ان يملك سيف بن ذي يزن ويقدم هو اليه فخلف سيفاً على اليمن . فلما خلا سيف باليمن وملكها عدا على الحبشة فجعل يقتل رجالها ويبقر نساءها عما في بطونهن حتى افناها الا بقايا منها اهل ذلة وقلة فاتخذهم خولاً . فمكث على ذلك غير كثير وركب يوماً واولئك الاحباش معه ومعهم حرابهم يسعون بها بين يديه حتى اذا كان وسطاً منهم مالوا عليه فطعنوه حتى قتلوه ولم يقم على الحميريين ملك حتى كان الاسلام ودخلوا في حوزة المسلمين »

(١) راجع كتابنا تاريخ العرب قبل الاسلام ١٣٠ ج ١

هجرة الصحابة الى الحبشة

ومن حوادث الحبشة التاريخية هجرة الصحابة اليها سنة ٦١٥م اي قبيل الهجرة الى المدينة . وكان ملك الحبشة يومئذ يسمى الرماخ — وذلك ان المسلمين لما اشتد عليهم اذى قريش في اوائل الاسلام وهم مستضعفون اذن لهم النبي بالهجرة الى الحبشة فهاجر منهم ٨٣ رجلاً فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية والزبير بن العوام وعثمان بن مطعون وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف . فارسلت قريش في طلبهم عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص (وهو لم يسلم بعد) ومعهما هدية الى النجاشي . فوصلا وطلبا من النجاشي ان يسلم اليهم المهاجرين فلم يجبهما . فقال له عمرو بن العاص « سلهم عما يقولون في عيسى » فسألهم فقالوا « انه كلمة الله القاها الى مريم العذراء » فوافق ذلك اعتقاد النجاشي في النصرانية فلم ينكرها وازداد رغبة في حماية المهاجرين فاقاموا عنده آمنين ورجع وفد القرشيين خاسراً . وقد حفظ المسلمون للحبشة هذه الحسنة فلما اشتد ساعدهم وعظم سلطانهم لم يتعرضوا لها ولا فتحوها مع انهم اكتسحوا كل ما احدق بها من البلاد . على ان بعض امراء المسلمين نزلوا الحبشة في القرون الاولى للاسلام وانشأوا فيها امارات اسلامية في حماسن وهرر واواسة وجبا ولكنها لم يطل استقلالها فعادت ودخلت في سيطرة النجاشي ثم ذهبت تلك الامارات ولكن الاسلام ظل منتشراً بين اهلها

تاريخ الحبشة الحديث

اما تاريخ الحبشة الحديث فاجماله ان البورتغاليين لما استيقظوا للاكتشاف وارتياد الابحار في القرن السادس عشر تحرشوا بالاحباش وداخلوا في بعض شؤونهم . ثم حاربهم جيرانهم من الغالا وغيرهم وكانت الحرب سجالاً . وآل الامر اخيراً الى استقلال كل مقاطعة من مقاطعات الحبش بحكمها ولكل منها سلسلة ملوك مستقلين لا سبيل الى تحقيق تواريخهم بالتفصيل . لكن المشهور ان اعظم ملوك الحبشة الحديثين ثيودورس الشهير وقد ولد سنة ١٨١٨ وتربى في بعض الديور وكان فيه ميل الى السياسة والحرب فوجه افكاره الى الجندية فما زال يرتقي حتى صار قائداً لعصابة قوية خافت الحكومة بطشها . وكان ملك مقاطعة الامحرة رجل اسمه الرياني فخاف سطوة ثيودورس واسمه يومئذ « كاسا » فولاه الرياني جزءاً من مملكته وزوجه ابنته ولكنه عاد الى مطامعه فحارب حماه واخذ الملك منه فخاف سائر ملوك المقاطعات بطشه وسموه « ملك الملوك » ولا يزال ذلك لقب النجاشي بعده الى الآن وكان للانكليز يد في هذا الارتقاء

وعظم ثيودورس في عيني نفسه فاراد ان يجعل نفسه في مصاف الملوك العظام فكاتب

ملكة الانكليز ان تاذن له بارسال سفارة حبشية الى لندرا فلم تجبه وطلب نحو ذلك من امبراطور فرنسا فلم يحصل على نتيجة مرضية نغضب على كل من في بلاطه من الاجانب فقيدهم وعذبهم. فبعثت انكلترا كتابا في شأن رعاياها المحبوسين فاطلق سراحهم سنة ١٨٦٦ ثم كتبت اليه ان يطلق سراح الباقين فلم يجبها فجردت جنداً لاخراجهم من السجن عنوة سنة ١٨٦٨ وكان المسجونون في مجدلا بداخل الحبشة فقصدوا تلك الناحية وكان ثيودورس قد سبقهم اليها فلما رأى جند الانكليز غضب غضباً شديداً واشتد خوفه حتى اصيب بما يشبه الجنون واثر خوفه في جنده . فاراد ان يذهب ذلك الخوف عن رجاله وهو على مقربة من السجن فسمع صراخ المسجونين وعددهم نحو مائتين . فسألهم عن سبب الصراخ فقالوا انهم منذ يومين لم يذوقوا طعاماً فاستل سيفه وهو يرتعش وامر باخراجهم وقتلهم فقتلوهم جميعاً واخرجوا جثثهم الى البرية لتكون طعاماً للوحوش . واستعد للدفاع عن نفسه فحصن الحصون والقلاع والاضطراب غالب عليه واخذ بعض قواده بشجعه حتى سكن روعه وجعل يشجع جنده ثم ركب جواده واغار امام جنده ولكنه لم يطق قتال الانكليز فعادت العائدة عليه وتفرقت رجاله ولم يبق في القلعة سواه . ولما علم بوصول الانكليز اليها اكبر امر التسليم ففضل الانتحار فاطلق غدارته في فيه فوقع قتيلاً فدخل الانكليز القلعة ورفعوا الراية الانكليزية فوقها وجاءوا بامرأة ثيودورس وابنه وعمره ثماني سنوات الى نابيه قائد الحملة الانكليزية فحمله الى لندن . واصبحت الحبشة بعد تلك الواقعة فوضى وجرت فيها الحروب بين ملوك المقاطعات فغلب ملك التيغري واسمه كاسا ايضاً وسموه ثيودورس الثاني ثم خلفه الملك يوحنا الثاني سنة ١٨٧٢ وفي سنة ١٨٨٩ قتل الملك يوحنا في السودان اثناء الحوادث المهدوية فعادت حكومة الحبشة الى الفوضى

منيلك الثاني

كيف صار امبراطوراً

وكان منيليك يومئذ ملكاً في شوا وكان حازماً فاغتنم الفرصة بموت يوحنا وسعى في تمليك نفسه ولا يتأتى له ذلك الا ان يمسحه المطران وهو يومئذ الانبا بطرس ولم يكن له سبيل اليه . وكان في جملة الاساقفة الانبا متاوس فطلب اليه منيليك ان يمسحه امبراطوراً فاعتذر بانه اسقف وليس له درجة المطران فوعده انه اذا مسحه يكتب الى بطريرك الاسكندرية ان يرقيه الى المطرنة فمسحه ولقبه ملك الملوك على جاري العادة فصار امبراطوراً على الحبشة من ذلك الحين سنة ١٨٨٩ وهو منيليك الثاني ولد سنة ١٨٤٢



منيلك الثاني وعلى رأسه التاج

وطمعت دول اوروبا في على عهده في السيطرة على مملكته فحاربته ايطاليا وهددته فرنسا وصادقته انكلترا وانتهت المنازعات في هذا السبيل سنة ١٩٠٦ بوفاق دولي بين انكلترا وفرنسا وايطاليا باعتبار الحبشة على الحياد ولا يجوز لاحد التعدي عليها . وعاصمة الحبشة اليوم اديس ابابا حيث يقيم الامبراطور وفيها الحامية والجند وهم مؤلفون من سبع بطاريات . وعدد الجند النظامي كله نحو ١٥٠٠٠٠ وفي بلاد الحبشة كثير من المدن لكنها صغيرة وقليلة السكان يتراوح عدد سكان المدينة الواحدة بين ١٠٠٠ و ٥٠٠٠ نفس ويندر ان يزيد العدد عن ذلك

اخلاقه ومناقبه

هو الآن في الثامنة والستين من عمره تولاه المرض منذ عدة اعوام واشرف على الموت مراراً حتى كثيراً ما اشاعوا وفاته كما حدث بالامس ولكنه لا يزال حياً يرزق

وقد وصف منيليك الثاني غير واحد من اهل السياحة الذين عاشروه ودرسوا اخلاقه منهم المسترفيفيان قال « رأيت منيليك الثاني كما كنت اتوقع ان اراه ربع القامة شديد السمرة لطيف الملامح عليه رداء حريري اخضر واصفر فوقه جبة ثقيلة وعلى راسه قبعة اوطاقية . فلما دخلت عليه مد يده الي وتمتم بالترحاب فقبلت يده فسألني عن سياحتي

وعملي ثم دعاني للجلوس على مقعد تجاه مقعده فجلست فالتفت الى خادمي لفتة استفهام وكنت قد حملته بندقية موزرجئت بها هدية الى الملك . ومع كثرة البنادق من هذا النوع عنده هش للهدية واظهر اعجابه بها كأنه لم يرَ مثلها من قبل . ثم اثنى على امتنا (انكلترا) وما تأتيه من الحسنات في بلاده ثم انتقل الى موضوع آخر فآخر وتبين لي من خفة تنقله في المواضيع قدرته على اعمال الفكرة في كثير منها . مع انه لم يتعلم الا على نفسه وتبينت من مجمل حديثه انه صديق لانكلترا ولا يزال صديقها ما دامت بعيدة عن اذيته في مملكته . وهوانما يطلب ان يترك وشأنه والا فهو لايعجز عن مقاومة كل من يناوئه »

وقال المستر الفريد بيس احد اعضاء البرلمان الانكليزي على أثر رحلته الى الحبشة وقد اقام في عاصمتها اديس ابابا مدة طويلة « دعاني منيليك وانا في اديس ابابا لحضور حفلة العماد وكان قداعدّ مأدبة شائقة حضرها ١٢ الفاً من الناس وكلهم جلوس للطعام وجالست الملك طويلاً فلقيت منه انساً ولطفاً مع علمي انه اشد الناس وطأة على الآخرين ومما قاله لي عن سياسته انه رجل سلام ولكنه قد يضطر للحرب الى ان قال : انه في حاجة الى الصداقة وحسن التفاهم مع الاوربيين وانه يجد الانكليز اقرب الناس مودة اليه واهلاً لثقته . وهو في الواقع اكثر ثقة في انكلترا مما في سائر الدول . وقد قربته وتوددت اليه وهو يحمل من علامات الشرف الانكليزية الوسامين G. C. M. G و G. C. B.

وهو شجاع في الحرب كثير العناية في تدريب جنده على الشجاعة واقتحام المخاطر ويخلع على المبرزين منهم خلعة هي عندهم كوسام الامتياز عند الدول الافرنجية او صليب فكتوريا عند الانكليز . فمن اظهر من رجاله بسالة وصبراً خلع عليه جلد اسد والبسه اياه بيده فيتيه لابسه فخراً على رفاقه . ولجند الحبشة مقدرة عظيمة على احتمال المشاق والصبر في ساحة القتال حتى ان احدهم قد يقضي ثلاثة ايام في ساحة الحرب بلا طعام وكثيراً ما يستعرض منيليك الجند ويشاهد حركاتهم العسكرية (كما ترى في الرسم بصدر هذا الهلال)

والاحباش اشداء اهل بطش يصطادون الاسود والافيال وقد يهجم احدهم على الاسد وليس معه من السلاح الا حربة ولا يخفى ما في ذلك من ادلة الشجاعة الحقيقية. وكان منيليك في اواسط حكمه يطلق بعض الاسود في حديقة قصره فتتمشى بين الاشجار وتزار فيرتج لها القصر . وكثيراً ما اوقعت الرعب في الزائرين . حتى اهل

القصر انفسهم لم يكونوا في مأمن من تلك السباع الكاسرة وقد سأله بعض الزائرين من الافرنج مرة « هل قتلت هذه الاسود احداً ؟ » فاجاب « نعم قد تقتل احياناً ولكننا نقتص من القاتل بالقتل ! »

وكان يأنس بالافيال ويتركها تجول في المدينة منها فيل صغير كان قد اباح له الطواف في اسواق اديس ابابا يختطف من الاطعمة ما شاء ولا يتعرض له احد . فاتفق للموسيو بوفيه احد الفرنساويين المقيمين هناك وهو يتأهب للخروج في العشاء من غرفة القعود الى غرفة المائدة في الدار مع عائلته انه رأى ذلك الفيل في وسط الدار . فارتعب الطاهي وخصوصاً لما رأى المائدة خالية من الاطعمة وكان قد وضع عليها اطباق الطعام وبينها طبق من البطاطس وآخر من الدجاج وآخر من العجة وقد اكل الفيل كل ما هناك من الخبز ولم يكلمه احد . ولما اراد الخروج عاقه الباب فاحتمل عتبته على راسه وخرج بها وهو لا يبالي . وقص بوفيه هذا الحادث على الملك في اليوم التالي فضحك واغرب في الضحك حتى دمعت عيناه وامر بتقديم الفيل هدية الى الحكومة الفرنساوية . فوضعته في حديقة النبات في باريس وكان لا يزال هناك الى عهد غير بعيد

وهو شديد العقاب على الذين يسيئون التصرف من خاصته فاذا اخطأ احدهم فبدلاً من توبيخه بعبارة لطيفة يأخذ في تقريعه ويغلظ له القول وقد يتناول العصا ويضربه كما يضرب الاب ابنه اذا اراد تربيته . ويعتقد الاحباش ان ملكهم ساهر على مصالحهم لانه يقضي وقتاً طويلاً في مراقبة حركاتهم من برج عال يجلس فيه وبيده نظارة مزدوجة يتعهد بها حركات القوم في الشوارع والحارات فكل منهم يخاف ان يقع نظر الملك عليه وهو يرتكب ذنباً فيتجنب غضبه — وذلك خير من بث الارصاد والعيون او دس الجواسيس

وهو كثير العناية بمصاحة مملكته يعمل في ذلك معظم النهار فلا يفتر عن مراقبة حركات اهل حاشيته وبلاطه . كالبلد الصغير لكثرة الحاشية والاعوان فيطوف اجزاءه يتفقده بنفسه فيتعهد كل شيء من الخزينة الى المطبخ فالمدارس فالحدادين والسروجية وغيرهم

وزوجة منيليك تسمى الملكة طايتو وهي في الخامسة والخمسين من عمرها جميلة الخلقة عظيمة الهامة كما تراها في الرسم . وكانت في صباها زوجة احد قواد الملك تيودورس . فلما توفي زوجها تزوجت غيره وغيره فلما مات زوجها الثالث لجأت الى الدير ثم طابت فتزوجت رابعة واخيراً تزوجها منيليك سنة ١٨٨٣ الزيجة الخامسة .



طايتو ملكة الحبشة

وهي من الذكاء على جانب عظيم ولذلك اصبحت صاحبة النفوذ في الدولة وكثيراً ما شكى الناس استبدادها وطلبوا غل يديها ووقع الخصام بسبب ذلك . ومن اسباب الخصام سوء ظن الناس بها وتجنبهم ما يخافون وقوعه بعد موت منيليك اذ ليس له ابن يرثه ولا اوصى بالملك لاحد . واقرب الناس اليه حفيد له اسمه « ليج يسوع » ابن بنته وهو الآن في التاسعة عشرة من عمره فقد يأول الحكم اليه او الى بعض كبار القواد مثل الرأس مكونين الذي تزوج ابنة اخت الامبراطورة طايتو منذ بضع سنين فاصبح من الطامعين في الملك وكذلك رأس تساما وهذان اقوى امراء الحبشة الذين يطمعون بالدولة اذا توفي منيليك بلا خلف شرعي فيخشى ان تنتشب حرب اهلية بسبب ذلك

خداع بنات الهوى

قال شاعر قديم :

يا صاح ان القيان للغمر الـ	ـغر شباك يصدن بالملق
يهوينهن هناً ويشتكين له	وجداً ويرمقن ذاك بالحدق
حتى اذا ما اقتنصن ذا حمق	مستهتراً واستمال للومق
نفضنه واستلخن جلدته	سلخاً بطيب الدلال والفنق
وصار كالآس في غضارته	صفراً بلا طارف من الورق
ناولنه المسح ثم قلن له	جئتنا به في البياض كالبقق

التمثيل العربي

نهضته الاخيرة على يد الجناب العالي

ان فن التمثيل من جملة مقتبساتنا عن التمدن الحديث في هذا العصر . ولكننا لا نزال مقصرين فيه اكثر من تقصيرنا في سائر ما اقتبسناه من عوامل هذا التمدن وطالما جاهرنا بالشكوى من هذه الحال وكثيراً ما بينا افتقارنا الى اتقان هذا الفن لما يترتب عليه من الفائدة في ترقية شؤون الاجتماع ـ ونحن في غاية الاحتياج الى اصلاح اجتماعنا . ولم تأت هذه الشكوى بفائدة لان الادباء يقعدهم الفقر والاغنياء لم يهمهم الامر . واتقان التمثيل يحتاج الى بذل المال وهو في كل بلد لا يستغني عن اعانة الحكومات او اصحاب الاموال . حتى مصر فانها تساعد الاجواق الافرنجية التي تأتيها في اثناء الشتاء وتفتح لها ابواب الاوبرا الخديوية لكنها لا تلتفت الى الاجواق العربية — فيئسنا من ترقية التمثيل العربي

ونحن في ذلك اليأس فتح لنا باب الفرج وانتعشت آمالنا بما اظهره سمو الامير اعزه الله من الرغبة في تنشيط هذا الفن على يد جورج افندي ابيض ـ وهو من الادباء الاذكياء رآه يمثل في حفلة عقدتها احدى الجمعيات الخيرية بالاسكندرية وشرفها الجناب الخديوي بحضوره وكان ابيض افندي في جملة الممثلين الغواة فاعجب سموه باستعداده للتمثيل فتبرع من تلقاء نفسه ان يذهب هذا الشاب لاتقان هذا الفن في باريس على نفقة سموه . فاطاع وقضى هناك خمس سنوات يدرس ويتمرن وعاد الينا بالامس ومعه جوق فرنساوي مثل بضع ليال في الاوبرا الخديوية على سبيل التجربة وكنا في جملة الذين شهدوا التمثيل فرأيناه قد طبع على اتقانه . واذا والاه الامير بالالتفات أو قررت له الحكومة راتباً على سبيل الاعانة لتأليف جوق عربي يتلقن الفن على اصوله يرتقي التمثيل عندنا ويكون الفضل الاول في هذه النهضة الى سمو الامير وهي خدمة جليلة لا تقل في ثمارها الادبية عن ثمار مدرسة كبرى تعلم الشبان مجاناً . بل قد تأتي المراسح اذا احسن استخدامها بما تعجز عنه المدارس . وعجيب تقصيرنا في هذا الفن مع انه من اقدم ما اقتبسناه من عوامل هذه المدنية — واليك تاريخ ذلك :

اصل التمثيل وتاريخه

التمثيل قديم قلما خلت منه امة من الامم التي تمدنت قديماً . وهو شرقي في منشأه ظهر في الهند والصين واليابان في اقدم ازمانها ثم اتقنه اليونان والرومان وعنهما اخذ اهل العصور الوسطى فالعصور الحديثة حتى بلغ ما بلغ اليه الآن . فهو من موضوعات الشرق مثل اكثر عوامل المدنية القديمة . فالصينيون والهنود استخدموا التمثيل في عباداتهم قبل التمدن اليوناني باجيال . والهنود ينسبون اختراع التمثيل الى اصل ديني ويقولون ان برهما اوحى به الى حكيم اسمه بهاراتا ومعنى هذه اللفظة « مثل » وكانوا يستخدمون التمثيل في الطقوس الدينية كاهل الصين وغيرهم . واما اليونان فهم اول من جعل التمثيل فناً وقسموه الى التراجيديا والكوميديا . واول كوميديا اظهرها اليونان على المراسح مثلها سوزاريون ودولون على دكة او عجلة سنة ٥٦٢ قبل الميلاد . واول تراجيديا مثلوها سنة ٥٥٦ ق م وكانوا يمثلون اولاً بلا غناء ثم ادخلوا الغناء والموسيقى والملابس . واقتبسه الرومان عنهم سنة ٣٦٤ ق م واشهر مؤلفي الروايات التمثيلية من القدماء اشيلوس وصوفوكلس واوريبيدس وارستوفانس وسينكا وغيرهم . ولما نهضت اوربا النهضة الاخيرة كان في جملة ما عملت على احيائه واصلاحه من عوامل التمدن التمثيل فتفننوا فيه واتقنوه ونبغ بينهم جماعة كبيرة من الممثلين ومؤلفي الروايات التمثيلية وقد ترجمت بعض هذه الروايات الى اللغة العربية ومثلت على مراسحنا

تاريخ التمثيل العربي

تاريخه قبل هذا العصر

التمثيل العربي فن افرنجي نقل الينا مع سواه من عوامل المدنية الحديثة ولم يكن معروفاً عند العرب قبل الاسلام — الا اذا اعتبرنا ما كانوا يجرونه في الكعبة وحولها من الطواف والرقص ونحو ذلك من قبيل التمثيل . اما في الاسلام فالتمثيل من جملة الفنون التي اهملها المسلمون كما اهملوا ترجمة الياذة هوميروس وغيرها من آداب اليونان الشعرية والدينية ولاسيما التصوير والنحت . وربما دعاهم الى هذا الاهمال ما في التمثيل من المشابهة للتصوير والنحت وبعض المسلمين يذهبون الى تحريمها

على ان الشيعة في بلاد فارس لم يمنعهم ذلك من الالتفات الى هذه الفنون الجميلة فاشتغلوا بالتصوير والتمثيل وان لم يكن اشتغالهم رغبة في ترويج الفن نفسه . فان الفرس اتقنوا التصوير في الاجيال الاسلامية الوسطى اتقاناً حسناً بالالوان الجميلة واكثر اشتغالهم

في تمثيل بعض الحوادث الدينية كالمعراج والخليقة . او الادبية كتوضيح بعض المواقف في الشاهنامة اوكلستان . او التاريخية كتصوير بعض وقائع تاريخ الفرس او العلمية كتصوير بعض حيوانات في علم الحيوان . وترى امثلة من ذلك في معرض الكتبخانة الخديوية بمصر



بعض ممثلي رواية عاشوراء

اما التمثيل فكان اشتغالهم فيه قاصراً تقريباً على تمثيل مقتل الحسين يوم عاشوراء فيمثلون ذلك الحادث برواية تبتدئ بيوم خروج الحسين من مكة وتنتهي ساعة قتله وهو الفصل الاخير من الرواية ويسمونه « روز قتل » اي يوم القتل . فهذا الفصل يمثلونه يوم عاشوراء بحضور الشاه ورجال دولته في ساحة كبيرة فيشخصون الحسين وشمر والعباس وجعفر وزينب وسكينة وكلثوم وام ليلى وعمر بن سعد وغيرهم وكيفية الواقعة من اول النهار الى آخره ومقتل الحسين واصحابه ويفعلون ذلك في ساحة ينصبون فيها الخيام عليها اشارات الحداد فيقوم شيخ فيقرأ على النـاس حكاية مقتل الحسين بنغم محزن ولا يكاد يبدأ بالقراءة حتى تهيج عواطف السامعين فيبكون ويندبون وينوحون فيطوف عليهم شيخ بقطنة يلتقط بها دموعهم ثم يعصرها في قارورة تحفظ بها للاستشفاء عند ما يعز الشفاء وتنفد حيـل الاطبـاء وقد وصف ذلك الاحتفال العلامة موريه في رحلته الثانية الى فارس سنة ١٨١١ م قال :

« وفي يوم عاشوراء بعث الشاه الى السفير يدعوه لحضور الاحتفال « يوم القتل » فاسرنا معه فاجلسو في خيمة خاصة بنا بالقرب من خيمة جلالته بحيث نشرف على الساحة

الكبيرة فرأينا عند مدخلها جماعة من القاجارية وهم من قبيلة العائلة المالكة وقوفاً حفاة عَلَى شكل دائرة في وسطها رجل يرنم لهم وهم يوقعون انغامه بالقرع عَلَى صدورهم . وفي بعض جوانب الساحة مكان مثلوا به كربلاء وبالقرب منه خيمتان تمثلان معسكر الحسين الذي كان يقيم فيه مع عائلته . وفي وسط الساحة مرسح من الخشب مغطى بالسجاد لتمثيل الرواية عليه . ولم يبدأوا بالاحتفال حتى جاء الشاه وجلس في خيمته فبدأوا بالتمثيل فجاء رجل ضخم عاري الجسم الا الحقوين يحمل قناة طولها ٣٠ قدماً مرتكزة في منطقة من جلد حول خصره وفي اعلاها راية عريضة مكتوب عليها بعض الآيات القرآنية . ثم جاء رجل آخر في مثل ذلك تماماً وجاء بعده رجل اضخم منهما واكثر عرياً يحمل قربة ماء رمزاً عما قاساه الحسين من العطش في ذلك اليوم . ثم جاؤوا بتابوت عظيم يسمونه « قبر الحسين » يحمله ثمانية رجال عَلَى اكتافهم وعليه الشيلان الثمينة وفي صدره اكليل اهليلجي الشكل مكسو بالحجارة الكريمة وفوقه كوكب من الالماس يتلألأ كالشمس وفي جوانب التابوت كثير من الحلي والمجوهرات . وفي ما خلا ذلك فهو مكسو بالشيلان الكشميرية الملوكية وعَلَى قمته عمامة يريدون بها عمامة الحسين والى كل من جانبي التابوت رجلان يحملان علمين تتدلى منهما الشيلان الثمينة ينتهي العلم من اعلاه بشكل كف مفتوحة رمزاً عن يد الحسين . ثم جاؤوا باربعة افراس مسرجة في اثمن ما يكون وعَلَى جباهها صفائح من الذهب مرصعة بالالماس تنعكس عنها الاشعة حتى تبهر الناظرين . وعَلَى ظهورها شيلان كشميرية وخز مزركش بالذهب تتدلى الى جانبيها وفوق السروج ادوات تدل عَلَى مقتل الحسين . فلما اجتمع هؤلاء في الساحة وقفوا صفاً واحداً عَلَى حدة ثم جاء جماعة عراة لولا شملات صغيرة تغطي بعض اجسامهم وعليهم ملامح البداوة والخشونة وقد تلطخت اجسامهم بالدماء وهم ينشدون انشودة بدوية ويراد بهم اصحاب الحسين واهله الذين قتلوا معه ثم جاؤوا بجواد ابيض عليه جروح عديدة يمثل الجواد الذي قتل الحسين فوقه . ثم جاء خمسون رجلاً في يد كل منهم قطعتان من الخشب يضرب احداهما بالاخرى . . فاصطفوا صفاً واحداً امام الشاه ثم مشوا مشية منتظمة عَلَى توقيع رجل منهم وهم يصفقون . ثم بدأوا بتمثيل المعركة وكيفية قتل الحسين ورفاقه وفي نهاية هذا الفصل رأينا الحسين طريحاً عَلَى الارض وقد وثب رجال يزيد ليقتلوه فسمعنا اصوات الندب والنواح من سائر انحاء الساحة وشاهدنا الدموع تتساقط من اعين الناس حتى لم يبق احد لم يبك . وثار بعض الحضور عَلَى القتلة الذين مثلوا رجال يزيد فلم يكد يقتل الحسين حتى فرّ هؤلاء وتعقبهم الناس يرمونهم بالحجارة . وانتهى هذا الفصل باحراق كربلاء وهي

اعشاش اقاموها في بعض جوانب الساحة ثم ظهر قبر الحسين مغشى بالالوان السوداء وفوقها جلد نمر محشو يريدون به اسداً يقولون انه حرس جثته بعد موته . وافظع ما شاهدناه في هذا الموقف جثث اصحاب الحسين ملقاة و رؤوسها بعيدة عنها وهو منظر مع كونه تمثيلياً فان النفس تنقبض منه كثيراً فالناظر الى تلك الجثث يرى الابدان مصفوفة والرؤوس بالقرب منها حتى يخال له انه يرى حقيقة . والواقع ان رؤوس تلك الابدان وابدان تلك الرؤوس مدفونة في الارض وفي دفنها صناعة دقيقة يخفيها عن الرائي ومع ذلك فكثيراً ما تسبب عن هذا العمل خطر وخصوصاً في الصيف فمات من الممثلين جماعة . ثم اختتم التمثيل بخطبة في الحسين ورثائه » (انتهى)

ولا نعرف في الاسلام تمثيلاً غير هذا الا ما قد يدخل في التمثيل الديني مما يجريه بعض اصحاب الطرق كالرفاعية وغيرهم . واما التمثيل على الكيفية المعروفة الآن فلم يكن في التمدن الاسلامي شيء منه وانما هو من جملة ما اخذناه من التمدن الحديث

التمثيل العربي الحديث

نقلنا هذا الفن الى العربية في جملة ما نقلناه من ثمار المدنية الحديثة في القرن الماضي . والسوريون اسبق الشرقيين الى ذلك لتوفر لهم من اسباب الاختلاط بالافرنج واتقان لغاتهم والرحلة الى بلادهم ومشاهدة مراسحهم ومطالعة مؤلفاتهم . واول من فعل ذلك منهم المرحوم مارون النقاش من اهل بيروت المتوفى سنة ١٨٥٥ اي قبل بداية النهضة البيروتية التعليمية وقد مثل اول رواية عربية سنة ١٨٤٨ اي قبل انشاء المدارس الكبرى فيها وقبل صدور اقدم صحف الاخبار ببضعة عشر عاماً . فلم يكن في بيروت يومئذ كلية الاميركان ولا كلية اليسوعيين ولا المدرسة الوطنية . وقبل ان ينبغ البستاني واليازجي والشدياق وغيرهم . ومع تقدم التمثيل في الظهور على الكتابات والصحف فقد سبقتاه . مع انه جاءنا ناضجاً لان الروايات التي وضعها النقاش لا تزال الى الآن من احسن ما وضع من نوعها في اللغة العربية . ويدل ذلك على استعداد الواضع لهذا الفن وعدم استعداد الشعب له

مارون النقاش

ولد رحمه الله في صيدا وتربى في بيروت وكان من حداثته ميالاً الى العلم فاتقن الآداب اللسانية وغيرها كالصرف والنحو والعروض والبيان والمنطق واخذ في نظم الشعر وهو في الثامنة عشرة وتعلم الحسابات التجارية على الاصول الافرنجية وعلمها لكثيرين فكان امام هذا الفن في بيروت وتعلم ايضاً القوانين التجارية وكان التجار يرجعون الى

رأيه فيها . واتقن اللغة التركية والايطالية والفرنساوية . وكان له ولع بالموسيقى وارتقى في مبدأ عمره الى رئاسة كتاب جمرك بيروت ثم انقطع للتجارة الى آخر حياته

وكان فيه ميل الى السفر مع صعوبته في ذلك الحين فساح في سوريا كلها . ثم جاء الاسكندرية ومصر سنة ١٨٤٦ في اواخر ايام محمد علي وشخص منها الى ايطاليا وهي يومئذ لا تزال اكثر ممالك اوربا علاقة بالشرق . وحضر فيها تمثيل الروايات على المراسح فادهشه ما في ذلك من اللذة والفائدة بتمثيل العبرة حتى يراها الناس رأي العين . وخطر له ان ينقل هذا الفن الى العربية لفائدة ابناء وطنه واخذ في العمل حال رجوعه الى بيروت . فضم اليه جماعة من اصدقائه الشبان النجباء الادباء واخذ يعلمهم التمثيل والف لهم رواية « البخيل » وهي اول رواية تمثيلية الفت في اللغة العربية . فعلمهم ادوارها حتى اتقنوها ومثلوها في بيته سنة ١٨٤٨ في ليلة حضرها قناصل المدينة واعيانها فاعجبوا بما شاهدوه من دقة التمثيل واتقان التأليف مع حداثة هذا الفن . فشاع خبر ذلك حتى تناقلته الصحف الافرنجية . فزاد نشاطاً واقداماً فألف رواية « ابي حسن المغفل » او « هارون الرشيد » مثلها في بيته ايضاً في اواخر سنة ١٨٥٠ ودعا اليها والي سوريا وبعض الوزراء ورجال الدولة وكانوا يومئذ في بيروت فاعجبوا به واثنوا على نشاطه . فلما تحقق نجاح عمله انشأ مرسحاً خاصاً بالتمثيل بجانب منزله خارج باب السراي بفرمان سلطاني — وقد تحول بعد موته الى كنيسة عملاً بوصيته . وفي هذا المرسح شخص رواية الحسود السليط وهي كثيرة الفكاهة والعبرة. وكان مع ذلك يتعاطى اشغاله التجارية وانما يشتغل بالتمثيل حباً في الفن وكذلك سائر اصدقائه الممثلين . وكانوا في بادئ الرأي يتزلفون الى الناس ويتملقونهم ليحضروا تمثيلهم ثم صار الناس يتقاطرون اليهم وقد نبغ منهم بعد ذلك جماعة من كبار الوجهاء واهل الادب . ولو مدّ الله باجل النقاش لكان لفن التمثيل شأن آخر ولكنه توفي سنة ١٨٥٥ في طرسوس وكان قد ذهب اليها لبعض اشغاله التجارية وهو لم يتجاوز الثامنة والثلاثين من عمره

فخلف النقاش في اهل بلاده حب التمثيل ورغب بعض ادباء بيروت في هذه الصناعة فجعلوا يمثلون في المراسح الخصوصية او المدارس الكبرى او المراسح العمومية واشهرها مرسح سوريا ولا يزال باقياً الى اليوم. ومن قدماء المشتغلين بالتمثيل في سوريا بعد النقاش سعد الله البستاني مثل رواية انتظم في سلكها جماعة من نوابغ الشبان يومئذ ومنهم الآن غير واحد من العلماء واهل الوجاهة

ونبغ نخبة من الممثلين في بيروت اكثرهم اشتغل في هذا الفن رغبة فيه لا في

الكسب . ومن جملة النابغين سليم النقاش ابن اخي مارون مؤسس هذا الفن ومعه جماعة اشهرهم اديب اسحق فترجما روايات كثيرة تمثيلية والفا جوقاً شخص مراراً في بيروت

التمثيل العربي في مصر

وفي أثناء ذلك تولى عرش الاريكة الخديوية اسماعيل باشا (سنة ١٨٦٣) ونشط اهل الادب بما سهله لهم من اسباب الرزق في خدمة الحكومة وغيرها فرغب شبان سوريا في الرحلة الى هذا القطر السعيد . واتفق الفراغ من حفر قناة السويس في عهده (١٨٦٩) فاحتفل بافتتاحها احتفاله المشهور وبنى الاوبرا الخديوية لذلك الغرض واستقدم لها الممثلين من الافرنج مثلوا فيها رواية عائدة باللغة الفرنساوية

فتحدث الناس يومئذ بعظمة اسماعيل وفخامة مرسحه ورغبته في الادب واهله فجاء مصر جماعة من ادباء السوريين وكتابهم وشعرائهم . ومن جملتهم المرحومان سليم النقاش واديب اسحق ومعهما جوق من جملة الممثلين فيه المرحوم يوسف خياط . فنزلا الاسكندرية سنة ١٨٧٦ فمثلا عدة روايات في مرسح زيزينيا فلم يلقيا اقبالاً فتخليا عن الجوق ليوسف خياط وانصرفا الى الصحافة . وفي سنة ١٨٧٨ انتقل الخياط بجوقه الى القاهرة مقر الخديوي ورجال الدولة فنشطه اسماعيل وامر ان تفتح له ابواب الاوبرا لتمثل بها رواياته ووعد ان يحضر التمثيل هو بنفسه . فمثل الخياط فيها رواية « الظلوم » وكان اسماعيل حاضراً فغضب لما تخلل التمثيل من ذكر الظلم والظالمين فتوهم انهم يعرضون به وباحكامه فامر باخراج الخياط وجوقه من مصر . فعادوا الى سوريا وظلت الاوبرا الخديوية مقفلة في وجه التمثيل العربي الى سنة ١٨٨٢ وكان قد أقيل اسماعيل وخلفه ابنه المغفور له الخديوي السابق . وجاء في تلك السنة سليمان افندي القرداحي بجوقه وفيه الشيخ سلامة حجازي فاذنت له الحكومة بالتمثيل في الاوبرا وجرت الحوادث العرابية في ذلك العام فهاجر وكف عن التمثيل ولم يرجع الا سنة ١٨٨٤ ومعه الشيخ سلامة وليلى فكانت الاوبرا تغص بالمتفرجين لكثرة الزحام رغبة في سماع الغناء . ثم اقفلت الحكومة الاوبرا عن الاجواق العربية

ورغب المصريون في اثناء ذلك في التمثيل ولكنهم قلما استخدموه للارتزاق وانما كانوا يمثلون في المدارس أو المراسح باجواق تتألف من التلامذة . واول من فعل ذلك المرحوم عبد الله نديم فقد مثل بالاسكندرية روايتي « الوطن » و « العرب » في مرسح زيزينيا بحضور الخديوي السابق فكان لهما وقع حسن في نفسه فتبرع بمئة جنيه لمساعدة الجمعية القائمة باعباء تلك المدرسة

التمثيل للجمهور

وقدم القاهرة منذ نحو عشرين سنة المرحوم ابو خليل القباني من دمشق ومعه اسكندر افندي فرح فاشتغل جوق القباني بضع سنوات وكان يمثل في مرسح افرنجي يسمى بوليتياما . ثم استقل فرح افندي بجوقه ولكنه اضطر لانشاء المرسح الخاص به في شارع عبد العزيز ولم يكن في الامكان اتقانه كما ينبغي دفعة واحدة لما يقتضيه ذلك من النفقة الطائلة والارتزاق من التمثيل يومئذ يختلف عما كان عليه في عهد الخياط والقرداحي . لان هذه الاجواق كانت قائمة بالخديوي وبعض الامراء والوجهاء ولا يهمها ارضاء سواهم لان كسبها منهم ولم يكن للعامة سبيل لحضور التمثيل في الاوبرا الا قليلاً . اما اجواق القباني وفرح وغيرهما فكان اعتمادها في الارتزاق على الجمهور ولا بدّ لها من ارضائهم . فانتقلت صناعة التمثيل من الخاصة الى خدمة العامة والوجه الاخير اقرب الى مقتضيات الارتقاء الطبيعي . فاضطر اصحاب هذه الاجواق الى تمثيل الروايات التي تستلفت انتباه العامة وتسترعي اسماعهم فوجدوا الجمهور يميلون على الخصوص الى الصوت المطرب والنكت المضحكة فوجهوا عنايتهم الى انتقاء اطرب المنشدين وتمثيل الروايات المضحكة او تذييل الرواية بفصل مضحك . ثم اخذت هذه الاجواق ترتقي تدريجاً بارتقاء اذواق المشاهدين ولم يبق رائجاً منها في القاهرة الا جوق اسكندر افندي فرح وساعده الاقوى على ارضاء الجمهور الشيخ سلامه حجازي المطرب الشهير فارتقى الجوق والمرسح والحضور معاً

وما زال الشيخ سلامة عاملا في جوق اسكندر فرح الى سنة ١٩٠٤ فانفصل عنه ولحقه الجوق كله فانشأ فرح افندي جوقاً جديداً عدل فيه عن الطريقة القديمة في التمثيل العربي من حيث كثرة الغناء في اثناء التمثيل ـ وكان قد تقرر في اذهان الناس الى ذلك الحين ولا يزال ذلك شائعاً الى الآن ان التمثيل لا يعد تمثيلاً الا اذا تخلله ادوار غناء . واصل هذا الاعتقاد ان مؤسس التمثيل رحمه الله لما اراد نقل هذا الفن الى العربية فضل ان تكون رواياته غنائية اي من النوع المعروف عند الافرنج بالاوبرا ترغيباً للناس في حضور التمثيل ولو لاجل سماع الغناء . فالف رواياته على هذا النسق ووضع الالحان لشعرها وكان هو بنفسه يلحنها . فكان اول ما عرفه ابناء اللغة العربية من الروايات التمثيلية ممزوجاً بالغناء فساروا على نسقه في الروايات التي ليست من قبيل الاوبرا . فاراد فرح افندي ان يعدل بالتمثيل الى اصل وضعه فجعل روايات جوقه الجديد بلاغناء فكان لها وقع حسن عند الادباء اما الجمهور فلم يجدوا فيها

ما كانوا يجدونه في الروايات الاخرى فنال جوق الشيخ سلامة الاسبقية وراج رواجاً عظيماً حتى اصيب الشيخ بانحراف في العام الماضي اقعده عن التمثيل

تاليف الروايات التمثيلية

ولا بد لنا من كلمة بشأن تاليف الروايات التمثيلية عندنا نقول على العموم ان اكثر الروايات المذكورة منقول عن الافرنجية . وكان مؤلف الرواية في اول هذه النهضة هو ممثلها او مدير تمثيلها كما رأيت في ما فعله النقاش وغيره ثم صار المؤلف غير الممثلين . واشهر من عني في تعريب الروايات التمثيلية المرحوم الشيخ نجيب الحداد واشهر ما يمثل على المراسح المصرية من تاليفه او تعريبه حتى جرى كثير من اشعارها واناشيدها على الالسنة مجرى الامثال . واشتغل كثيرون غيره في تعريب الروايات وعدد المعربين يزداد يوماً فيوماً وتعريبهم يتفاوت دقة واتقاناً بتفاوت اذواقهم ومواهبهم في الشعر والانشاد . على انهم صرفوا عنايتهم على العموم الى الانشاء المرسل السهل واهملوا ما كان الاولون يتوخونه من التسجيع . ولكنهم قلما التفتوا الى تاليف الروايات من عند انفسهم يمثلون بها حوادث عربية شرقية مما لا يستطيع ادباء الافرنج ادراك تفاصيله او لا يحسنون تمثيله لبعده عن مألوفهم . واتقن ما نعرفه من الروايات التمثيلية المؤلفة في اللغة العربية رواية المروأة والوفاء للمرحوم الشيخ خليل اليازجي وهي الرواية الشعرية الوحيدة في اللغة العربية . وقد شهدنا تمثيلها في بيروت مراراً واحدث رواية تمثيلية الفت بالعربية رواية السموأل لانطون افندي الجميل وقد مثلت مراراً

وفي مصر الآن عدة اجواق لكنها محرومة من التمثيل في الاوبرا ولو اذن لها بذلك وساعدتها الحكومة لتقدمت كثيراً. على ان الآمال عالقة الآن بالجوق الذي سيؤلفه ابيض افندي صنيعة الجناب العالي في فن التمثيل. ان تمثيل الروايات الافرنجية لا يفيدنا الفائدة المطلوبة لاننا في حاجة الى احياء التمثيل في اللغة العربية . وذلك لا يكون الا بتأليف جوق عربي من شبان ادباء فيهم استعداد فطري للتمثيل ورغبة فيه ولا يتم هذا الا ببذل المال . وهذا مرجو من فضل مولانا الامير ايده الله فقد بدأ بذلك من تلقاء نفسه فدلنا تفضله على ميله الى تنشيط الادب وسيحفظ التاريخ ذكرى هذا الفضل لسموه بانه اول من نهض بفن التمثيل العربي على القواعد العلمية من امراء هذا القطر. والتمثيل لا يستغني عن مساعدة الحكومات في كل حال . فنرجو ان يكون حظ هذا الفن بمصر مثل حظه في سائر الممالك المتمدنة بل على الاقل نرجو ان تنعطف الحكومة المصرية عليه مثل انعطافها على الاجواق الافرنجية والسلام

الارواح

٢ — فساد مزاعم الذين يدعون مراسلتها

بيّنا في الهلال الماضي ما كشفه وليم ماريوط من شعوذة اصحاب الارواح في ما يدعونه من استحضارها او مناجاتها ووقفنا الآن على مقالة اخرى له كشف فيها الغطاء عن شعوذتهم في ما يزعمون من مراسلتها . نعني مكاتبة الارواح او مخابرتها خطاً بان يكتب الطالب سؤالاً على ورق او لوح يوجه الكلام فيه الى روح صديق او قريب ويدفع الرسالة الى الوسيط فيرد عليه الجواب خطاً . وقد تجري الكتابة في حضرته فيرى القلم يتحرك على الورق او اللوح من تلقاء نفسه وهو يراقب حركاته

وقد شاعت مراسلة الارواح في اعظم مدائن العالم وخصوصاً في انكلترا حتى انشأ لها المستر ستيد صاحب مجلة المجلات الانكليزية مكتباً خاصا سماه « مكتب جوليا » وزعم انه خابر بعض الارواح وقد اشرنا الى ذلك في بعض اهلة هذه السنة . فلاقى اولئك الوسطاء اقبالاً عظيماً واكتسبوا اموالاً طائلة وقد سمعنا بعض الذين خابروا الارواح على يدهم يعجبون بما يأتونه من المعجزات . وقصوا علينا من اخبار ذلك ما يصعب تعليله او بيان فساده الا على من يشهد تلك الشعوذات بنفسه ويراقب حركات المشعوذين ويؤتى من النباهة ما ينير طريقه كما اتفق لوليم ماريوط المذكور فانه كشف الستار عما يزعمونه من هذا القبيل بمقالة نشرها في مجلة بيرسن الانكليزية

ومراسلة الارواح التي نحن في صددها تتم على اساليب مختلفة ترجع الى اسلوبين رئيسيين الكتابة والاستكتاب — فالكتابة هي ان يكتب السائل سؤاله فيأتيه الجواب مكتوباً بيد الروح المخاطب بدون توسط الوسيط . والاستكتاب ان يأتي الرد على يد الوسيط اي ان الروح تحرك يد الوسيط فيكتب الجواب فكأنها استكتبته . وقد شهد ماريوط عدة مجالس من النوعين وكشف اسرارها

المراسلة بالكتابة

فمن امثلة ما كشفه من المراسلة بالكتابة جلسة في قاعة رأى الحضور يد الروح تكتب الاجوبة على لوح منصوب في بعض جوانبها . كما فعلت اصابع الملاك لشالمنصر

ملك اشور على عهد دانيال ـ وكان في وليمة اعدها لالف من عظمائه فظهرت اصابع يد انسان وكتبت تجاه المصباح على كلس الحائط والملك ينظر طرف اليد التي كتبت فذعر وخاف ـ على ما جاء في التوراة . وبعض مراسلي الارواح يجعلونها تكتب الجواب امام الحضور بيد تحرك بين الوسيط واللوح ويجعل الوسيط يديه متعاقدتين وراء ظهره ويقبض باحدى كفيه على الاخرى كما يفعل المتمشي للراحة اوالتفكير . ويولي ظهره للناس ووجهه للوح وقد اطفئت المصابيح او اضعفت كثيراً بحيث يبدو ظهر الوسيط وقد تعاقدت كفاه من ورائه ثم يرون يداً تحرك بين الوسيط واللوح وتخط عليه بالطباشير البيضاء ما تريد ان تقوله

وقد بين ماريوط الحيلة في خداع المشاهدين وذلك ان اليد التي يرونها تكتب على اللوح انما هي يد الوسيط نفسه اما الكف التي تظهر لهم في قبضة الكف الاخرى عند اسفل ظهره فهي كف كاذبة مصنوعة من الكرتون او الخشب وملونة كانها الكف بارزة من الكم وقد قبض عليها صاحبها بكفه الاخرى . وتبقى يده الحقيقية مطلقة تحت الرداء يكتب بها بالطباشير الابيض على اللوح الاسود ما شاء

وقص ماريوط ما شاهده من كتابة الارواح على الواح الحجر قال « حضرت مجلساً لوسيط زعم انه يأتيني برسالة مكتوبة بقلم حجر على لوح حجر تكتب بين يدي بدون يد . فاخذني الى غرفة في وسطها مائدة من خشب مصقول ليس عليها غطاء واتاني بلوح نظيف تفحصته جيداً على وجهيه فلم اجد فيه شيئاً فوضعه على المائدة وجلسنا اليها وايدينا على اللوح فلم يحدث شيء فقال الوسيط « يظهر اننا اخطأنا الكيفية في استكتاب الروح دعنا نمسك اللوح تحت المائدة » ففعلنا وازلنا اللوح اسفل جانب من جوانب المائدة ونحن قابضان عليه وفي الحال سمعنا صرير القلم فوقه واصيب الوسيط بتشنج فجائي فافلت اللوح من يدي لكني عدت فقبضت عليه حالاً ورفعته وتأملته فرأيت عليه كتابة مختصرة سقيمة الخط . وقد يتبادر الى الذهن انها كتابة الروح والحقيقة ان الوسيط كتبها بيده — وذلك انه اصطنع كستباناً يلبس سبابته جيداً جعل فيه ثقباً صغيراً انزل فيه قطعة قلم حجر صغيرة بحيث تنتأ عند بطن السبابة نتوءاً خفيفاً كما تنتأ الماسة التي يقطع بها الزجاج . وقد شد الكستبان المذكور بخيط من الكاوتشوك (لستيك) الى زنده بحيث اذا نزع عن السبابة شده الكاوتشوك الى داخل الكم فيختفي فيه . وكان وسيطنا قد اعده في سبابته واخذ يكتب به على اللوح وهو قابض عليه وقد تعود الكتابة بالعكس حتى تظهر مستقيمة »

وفي جلسة أخرى اتاه الوسيط بلوح تفحصه جيداً ثم اظهر انه سقط من يده سهواً فعاد والتقطه ووضعه على الطاولة وبعد قليل سمع صرير القلم طويلاً . وكشف عن اللوح فوجد عليه كتابة مطولة وفي غاية الانتظام وعال ذلك ان الوسيط كان قد خبأ لوحاً مكتوباً في مخبأ بجانب المائدة وعرض على ماريوط لوحاً نظيفاً فبعد ان تفحصه اوهمه انه سقط وابدله باللوح المكتوب . اما صوت صرير القلم فانه حدث من قطعة قلم حجر صغيرة الصقها الى ركبته وحركها بخفة على قطعة لوح ماصقة الى رجل الطاولة



ش ١ — نقل الكتابة بين اللوحين

ولكن بعض السائلين لايثقون بالواح الوسطاء فيأتون بالواح من عندهم ويطلبون الجواب عليها . ففي هذه الحال يأتي السائل بلوحين يكتب على احدهما سؤالاً يطلب الجواب عليه من الروح ويقلب اللوح الآخر عليه بحيث تكون الكتابة بينهما نحو الداخل ويربط اللوحين بشرائط متينة ربطاً متصالباً ويختم عند العقد بخاتمه بحيث لا يمكن حله سرًّا ويدفع اللوحين الى الوسيط . فيخلو هذا في غرفته حتى يستقدم الارواح او يستكتبها كما يزعم والسائل في انتظاره ثم يعود اليه واللوحان مشدودان كما كانا تماماً . فيحل الرباط فيجد على اللوح الآخر مقابل سؤاله جواباً مكتوباً بالقلم فيبهره ذلك

ويعتقد انه من عمل الروح

ولكن ماريوط علل ذلك الخداع وجربه بنفسه كما تجده مصوراً في الرسم . وذلك ان للالواح الحجرية اطاراً من الخشب . ومهما يكن الربط عليها متيناً يمكن التفريق بين اللوحين باسافين دقيقة تدخل عند الزاويا كما ترى في الشكل الاول وعند ذلك يأتي الوسيط بسلك دقيق صلب من الاسلاك التي تشد بها المظلات ويحني رأسه انحناء دقيقاً بحيث يخدش به اللوح فيكتب ما يريده بخفة ولباقة ولا بد من التمرين على هذا العمل فيسهل ويتقن



ش ٢ — كتابة الارواح بالمغناطيس

واغرب من كل ما تقدم قوم يضعون اللوح امامك ويعرضون عليك قطعاً من الطباشير مختلفة الالوان ويخيرونك في انتقاء القطعة التي تريدها فيضعونها على اللوح امامك في رابعة النهار ثم لا تلبث ان ترى الطباشير تدب على اللوح وتكتب من تلقاء نفسها جواباً على سؤالك وانت تسمع صريرها . وقد شهد ماريوط هذه المراسلة العجيبة فخيره الوسيط ان ينتقي لون الطباشير الذي يريده فانتقى قطعة فوضعها الوسيط على اللوح ورفع سائر القطع وسأله الوسيط عن السؤال فقاله فما لبث ان رأى الطباشير تدب على اللوح من تلقاء نفسها وتكتب الجواب ولكنها اختصرته كثيراً . فدهش ماريوط من ذلك لكنه احتال في سرقة احدى القطع الطباشيرية وذهب بها الى بيته وتبين له

بفحصها انها ممزوجة ببرادة الحديد ففطن ان الرجل انما يحركها على اللوح بمغناطيس تحت المائدة كما ترى في الشكل الثاني

ومن اغرب المدهشات التي كاد حلها يمتنع على ماريوط انه ذهب مرة الى احد الوسطاء الذين يراسلون الارواح على الورق وليس على الالواح وطلب ورقة يريد ان يخابر الروح عليها فاعطاه الوسيط ورقة بيضاء فكتب على احد وجهيها سؤالاً ودفعها الى الوسيط . فوضعها بين لوحين واطبقهما جيداً وماريوط واقف يلاحظ ذلك بكل دقة فلم يرَ في الامر تلاعباً . وبعد قليل استخرج الورقة من بين اللوحين فوجد عليها كتابة كأنها بالحبر واضحة للغاية . فكاد يغلب على امره لكنه ما لبث ان تبين السر فاذا هو كيماوي — واصحاب الارواح يستخدمون الكهربائية والمغناطيسية وسائر القوى الطبيعية في تدبير حيلهم . واما هذه الحادثة فقد استخدموا فيها الكيمياء فالورقة التي دفعها الوسيط الى ماريوط كان عليها كتابة لا تظهر الا بالحرارة لانها مكتوبة بالحامض الكبريتيك المخفف بالماء — وذلك انك اذا نقطت عشر نقط من هذا الحامض في قدح ماء لا يتغير لونه فما كتب به على الورق فلا ترى الكتابة الا اذا احميت الورق فتظهر سوداء كأنها كتبت بالحبر . وكان الوسيط قد احمى احد اللوحين اللذين وضع الورق بينهما فاسودت الكتابة

ووجد ماريوط غير واحد من الوسطاء يركنون في حيلهم الى الوسائط الكيماوية منها انه ذهب الى بعضهم فاعطاه ورقة كتب عليها ماريوط سؤاله ووقع عليها باسمه ودفعها اليه فوضعها في ظرف وختم الظرف وسلمه اليه . فقبض ماريوط على الظرف وصبر حتى امره الوسيط بفض الظرف ففضه واذا بالجواب قد كتب تحت السؤال بحبر لم يجف بعد فدهش وسكت ووضع الظرف في جيبه وذهب الى منزله وفحص الظرف فحصاً كيماوياً فوجد سطحه مكسواً بحامض العفصيك ولهذا الحامض تأثير على الحديد فاذا التقى به اسود مهما كان مقدار الحديد طفيفاً . ففهم ماريوط من ذلك ان الوسيط كان قد كتب الجواب على تلك الورقة قبل تسليمها اليه بسائل خفيف من الحديد لا لون له فلما لامس الحامض العفصيك في الظرف اسود اسوداد الحبر تماماً

المراسلة بالاستكتاب

أما الاستكتاب اي مراسلة الارواح على ايدي الوسطاء فمنها جلسة شهدها ماريوط مع وسيطة تغمض عينيها برباط شديد وتجيب على اسئلة تكتب بين يديها وهي

لاتراها . قال ماربوط « لي صديق ولوع بالارواح يعتقد وجوها وامكان مخابرتها اراد ان يخابر روح صديق له قتل بالاتوموبيل من عهد غير بعيد مع اثنين من رفاقه . فطلب اليَّ ان ارافقه الى الوسيطة فوصلنا الى منزلها ومعنا رفيق ثالث . فاستقبلتنا اختها واعتذرت اولاً ان العادة ان تقابل الطالبين واحداً واحداً فالححنا عليها ان تقبلنا فقبلت واستقدمت اختها الوسيطة وهي فتاة في نحو العشرين من العمر . فطلبت الى صاحبنا ان يكتب الاسئلة واحداً واحداً وهي تجيب على كل منها . واشترطت ان يجعل السؤال الاول الاستفهام من الروح هل الوقت مناسب للمخابرة ام لا

فجلس صاحبي الى الطاولة وجلست هي امامه وقد شدت عينيها بمنديل وجعل هو يكتب السؤال ويدفع الورقة اليها فتكتب الجواب تحته واليك ما دار من الحديث :

١ س . هل انت في استعداد المخابرة مع الاصدقاء ؟

ج . نعم اظنني قادراً وسابذل جهدي

٢ س . هل م موجودة وتقدر ان تخابرني ؟

ج . انت تسأل عن م نعم هم هنا لكنهم لا يستطيعون المخابرة بانفسهم ولكنهم يجيبونك بواسطتي فانهم لم يبلغوا الدرجة التي تخولهم المخابرة رأساً

٣ س . اراك تجيبني بصيغة الجمع وانا سألتك عن واحد فهل تقدر ان تسمي الآخرين ؟

ج ـ ياصاحبي نحن دائماً نتكلم عن الواحد بصيغة الجمع لاننا اخوة والكل في واحد والواحد في الكل

٤ س ـ هل م يتذكر المصيبة التي وقعت ؟

ج ـ سألته فقال انه ينظر الى تلك الحادثة كما ينظر الى حلم مزعج

٥ س ـ هل لاقيت حنا والآخرين الذين انتقلوا معك ؟

ج ـ نعم فهمت . دعني اسألك عن شيء . هل تذكر وعداً وعدته مرة ؟

٦ س ـ وعدتُ وعوداً كثيرة . من هو السائل ؟

ج ـ نعم وعدت وعوداً كثيرة ولكني اعني وعداً خصوصياً لي

٧ س ـ من من الاصدقاء يسأل هذا السؤال ؟

ج ـ يقتضي ان تتذكرني فقد كنت دائماً الى جانبك . كما تعلم

٨ . س ـ هل انا اعرفك على الارض هنا ؟

ج ـ معلوم

٩ س ــ الا يقدر الاصحاب ان يعطوك اسم الشخص الذي سألني هذا السؤال ؟ ارجو ان تفعل

ج ــ اسمع . . انا طويل اسمر معتدل القامة اسود العينين رمادي الثوب واحياناً اضع النظارات . وانا نصوح لك وكثيراً مانصحتك وانت قلما تذكر هذا الفضل لي ولكنه لي . . وكنت احب ان تعرفني

١٠ س ــ ما هو اسمك أو ما هواول حرف منه

ج -- جاك (انتهت المخابرة)

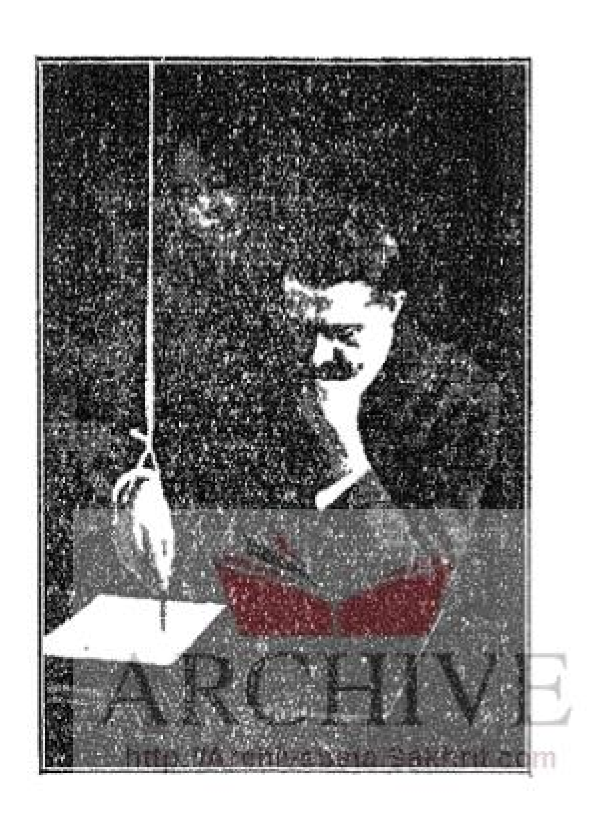
فيظهر من هذه المداولة امران الاول ان الوسيطة كانت تحسن تتبع الاسئلة لكنها لم تكن تحسن الجواب عليها صريحاً . وانما تجعل جوابها مبهماً او اجماليا يمكن تأويله واذا كان السؤال صريحاً يقتضي جواباً قطعياً فانها تخطىء في الجواب عليه او تحتال في تغيير الموضوع . ويظهر من مجمل الاجوبة ان الوسيطة لم يكن لها اقل اطلاع على الغرض الذي جاء السائل من اجله . ولو علمت شيئاً منه لاحسنت الحيلة في الاجوبة

بقي النظر في كيف كانت تعرف الاسئلة وهي مشدودة العينين بالرباط؟ ويسهل حل هذا الغامض متى جرب القارىء ربط عينيه بمنديل واراد ان يرى ما بين يديه فانه يجد نفسه قادراً على ذلك من خلال الرباط بين المنديل والوجنتين . ويؤيد ذلك ان الوسيطة تلبكت على الخصوص عند السؤال الخامس لان السائل كان قد كتبه على ورقة في جيبه فقال للوسيطة « وفي جيبي سؤال سأستخرجه اجيبيني عليه » واستخرج الورقة فلم تتمكن من لمح ما عليها فجعلت جوابها مقتضباً وغيرت الموضوع فاصبحت هي السائلة بعد ان كانت المسئولة

ولاحظ ماريوط أمراً آخر يساعد على تبين الاسئلة على الورق وذلك ان الطاولة كانت مغطاة بغطاء من جوخ اخضر تحته طبقة من الكاوتشوك فالكتابة بالقلم الرصاص لم تكن تظهر على الورق الا اذا ضغط الكاتب بالقلم عليه فتأتي الكتابة بارزة من القفا والوسيطة قد تعودت القراءة او التلمس تتساعد به احياناً

ومن طرق الاستكتاب ان يعلق الوسيط يده بالسقف او بشمعة معلقة فيه بحيث تتدلى الكف وبين اصابعها قلم يمشي على القرطاس وصاحبه لا يدري . اي انهم يزعمون ان الارواح تحرك تلك اليد فتكتب ما يريدون . والغالب في هؤلاء ان يفعلوا ذلك وهم يعتقدون ان الروح تلهمهم لكتابة ما يكتبون ويغلب ان يكتبوا ما يتكرر تردده في ذاكرتهم او تكثر تلاوته على السنتهم . وبديهي انك اذا قرات كتاباً في موضوع اثر في

نفسك ثم خلوت في مكان وتجردت عن المؤثرات الخارجية وامسكت بيدك قلماً فوق قرطاس فانك تكتب الالفاظ التي اثرت في نفسك مما قرأته في ذلك الكتاب



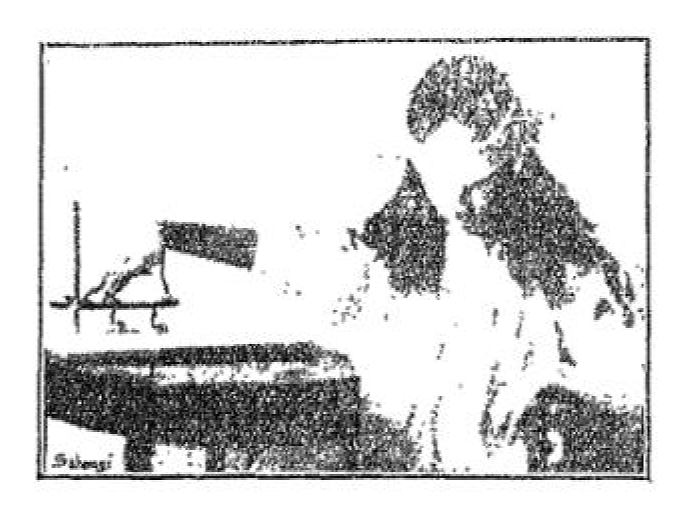
ش ٣ — الوسيط يكتب ويده معلقة

ومن عادتهم في استكتاب الوسطاء على هذه الصورة ان يفعلوا ذلك في غرفة مظلمة ويجلسوا حول الوسيط والقلم بيده فوق القرطاس . ويظهر لهم في ذلك الظلام خيال فتاة يتوهمونها الروح توحي الى الوسيط ما ينبغي . وما هي الا شبح او صورة وضعت لزيادة الايهام انظر الشكل الثالث

وهناك استكتاب بآلة هي عبارة عن صفيحة قلبية الشكل قائمة على عجلتين بينهما قلم . تضع الوسيطة اصابعها عليها وقد اغمضت عينيها برباط كما ترى في الشكل الرابع . وقد يتبادر الى الذهن لاول وهلة ان في استخدام هذه الآلة مشقة ولكنها في الواقع من اسهل الآلات استعمالاً ولكن الكتابة تأتي بها متواصلة لا فاصل بين كلماتها

لودج ومايرس

واستطرد المستر ماربوط بعد بيان خداع اولئك المشعوذين الى ذكر حادثة مهمة



ش ٤ — الاستكتاب بالآلة

بالنظر الى هذا الموضوع . وذلك ان السيراوليفر لودج احد كبار المفكرين من الانكليز غلب عليه الاعتقاد بوجود الارواح حتى كتب فيه ودافع عنه . فتعاهد مع رجل آخر من المؤمنين بها اسمه مايرس ان الذي يموت قبل صاحبه يبذل جهده في مخابرته من عالم الارواح ! وكان مايرس قد عاهد كل اصدقائه على ذلك . وخوفاً من خداع الوسطاء ترك مايرس مع لودج ظرفاً مختوماً اودعه رسالة لا يعرف فحواها سواه فاذا استطاع بعد مرته ان يخابر صديقه لودج على يد احد الوسطاء ويكون فحوى هذه المخابرة الاقرار بما تحويه تلك الرسالة يثبت قطعياً وجود الارواح وامكان مخابرتها

توفي مايرس وبعد شهر من وفاته اتى لودج الى احد الوسطاء وطلب اليه ان يستحضر له روح مايرس او يسأله عن فحوى الرسالة المشار اليها . فاول جواب أتاه من عالم الارواح على يد الوسيط قوله « يالودج ان المسألة اصعب مما كنت اظن . كيرني يقول اني في احسن حال لكنني اشعر بضيق نفس ! »

ثم قال « آه يا لودج اشعر كاني انظر في مرآة يغشاها الضباب . واني كان ينبغي لي ان اعلق بها مذكرة .. لا اشعر كاني اتكلم .. ولكن الاحسن ان اتلوها كلها .. قل لهم اني هنا اكثر بلادة من بعض الذين كنت اعاملهم . آه يالودج ماذا يكون لو اراك ؟ هل كنا في نادي الجارلي لما تكلمنا عن .. ؟ ـ آه قد ذهب ذلك من خاطري »

ثم وجه لودج سؤالاً الى مايرس قائلاً « هل تريد ان تقول شيئاً عن الجمعية (يريد جمعية البحث عن الارواح) »

فاجاب مايرس « لا تظنني نسيت .. ولكنني نسيت . نسيت في هذه اللحظة »
وفي سؤال آخر اعترف انه نسي اسم والدته . واخيراً سئل اذا كان ينوي في الاجتماع التالي ان يذكر فحوى الرسالة في الظرف فاجاب على الفور « واي ظرف ؟ »

فهذا كله يفسد ما كان يرجى استنتاجه من امكان المخابرة . ولكن لودج المؤمن بالارواح فسرها بما يوافق اعتقاده فقال « ان النسيان الوقتي وان كان يؤخذ حجة على اصحاب الارواح لكنه طبيعي ومفيد » ولكن مايرس هذا كان سكرتيراً لجمعية البحث عن الارواح فلا يعقل ان ينسى الجمعية والنادي الذي كانت تجتمع فيه . ومع ذلك فان لودج لم يتحول عن اعتقاده

وبعد مدة طويلة ادعت وسيطة اسمها فيرال انها خابرت مايرس وانه قال لها ان الوقت قد آن لبيان فحوى تلك الرسالة المختومة فعقدت اجتماعاً حضره لودج نفسه وكانت النتيجة ان الوسيطة بلغت ما قاله لها روح مايرس عن فحوى الرسالة فلما فضوا الظرف وجدوه مخالفاً لفحواها . ومع ذلك فان السير لودج لم ير في هذا التناقض ما يفسد امر اصحاب الارواح !

الصدق

من احسن ما قيل في الصدق قول احد الشعراء :

يا ليت اني لا أموت بغصتي حتى أرى رجلاً يقول فيصدق
احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ان البلاء موكل بالمنطق

ولآخر

لعمرك ما شيء علمت مكانه أحق بسجن من لسان مذالِ
على فيك مما ليس يعنيك قوله بقفل شديد حيث ما كنت فاقفلِ

ولآخر

اذا الامر اعيى اليوم فانظر به غداً لعل عسيراً في غد يتيسرُ
ولا تبد قولاً من لسانك لم يرض مواقعه من قبل ذاك التفكرُ
ولا تصرمن حبل امرىءٍ في رضى امرىءٍ فيتصلا يوماً وحبك ابترُ

تاريخ النهضة الصحافية

في اللغة العربية

الصحافة حديثة العهد في اللغة العربيــة لا تتجاوز في قدمها اوائل القرن الماضي ولم يكمل القرن على نشوئها . وقد رافقت نهضتنا الاخيرة وكانت عوناً كبيراً لها . ولهذه النهضة تاريخ تقلبت فيه الصحافة على اطوار شتى وتدرجت في ارتقائها تدرجاً اقتضته الاحوال السياسية والاجتماعيــة وغيرها . وتسهيلاً لدرس تاريخها نقسمه الى اربعة ادوار : الاول دور الولادة من نشأتها الى سنة ١٨٦٣ وهي السنة التي تسنم فيها الخديوي اسماعيل عرش الخديوية المصرية . والثاني الدور الاسماعيلي من هذه السنة الى خلع اسماعيل سنة ١٨٧٩ . والثالث الدور التوفيقي في زمن الخديوي السابق توفيق باشا من سنة ١٨٧٩ — ١٨٩٢ والرابع الدور العباسي في عهد سمو الخديوي الحالي من سنة ١٨٩٢ ولا يزال

١ — دور الولادة من سنة ١٨٢٩ — ١٨٦٣

دعوناه دور الولادة لان الصحافة العربية ولدت فيه . واول الصحف العربية « الوقائع المصرية » انشأها محمدعلي باشا سنة ١٨٢٩ ولا تزال تظهر الى الآن فهي اقدم الصحف العربية على الاطلاق . ظل العالم العربي نحو ثلاثين سنة ليس فيــه صحيفة عربية غير الوقائع المصرية . ثم صدرت جريدة « حديقة الاخبار » في بيروت سنة ١٨٥٧ لمحررها خليل الخوري . وهاتان الجريدتان صدرتا على نفقة الحكومة فهما رسميتان لا يعبران عن حال الامة من الادب أو السياسة . واقدم الجرائد العربيــة غير الرسمية « مرآة الاحوال » صدرت في الاستانة قبل سنة ١٨٦٠ لصاحبها رزق الله حسون الحلبي . ثم صدرت الجوائب في الاستانة ايضاً سنة ١٨٦١ للشيخ احمد فارس الشدياق وهما جريدتان سياسيتان . فالاستانة اسبق البلاد الشرقية الى الجرائد السياسية غير الرسمية كما كانت مصر اسبقها الى الصحافة . وقد صدر في هذا الدور جريدة رسمية في تونس سنة ١٨٦٠ هي الرائد التونسي

فلما توفي سعيد باشا وخلفه اسماعيل باشا الخديوي الاسبق سنة ١٨٦٣ لم يكن في العالم جريدة عربية غير هذه الجرائد . ولم يبق منها الى الآن غير الوقائع المصرية

وحديقة الاخبار والرائد التونسي . وكانت الصحافة العربية في هذا الدور بغاية الضعف شأن كل عمل في اوله – فالعبارة كانت ضعيفة والاسلوب مضطرب ركيك والاخبار قليلة

٢ – الدور الاسماعيلي من سنة ١٨٦٣ — ١٨٧٩

وهو دورها في زمن اسماعيل وقد كان هذا الامير شديد الرغبة في المدنية الافرنجية كبير المطامع في السيادة الاستقلالية . تتوق نفسه الى القيام بمشروع جده محمد علي من حيث الاستقلال فسار على خطواته في احياء اللغة العربية والجامعة العربية فقرب الادباء والشعراء ونشط الكتاب ورجال الصحافة . فكثر رجال الاقلام في ايامه بمصر وغيرها من العالم العربي . وتقاطر كثيرون منهم الى مصر يرجون نوال اسماعيل . على ان عطاياه وخيراته كانت تصل اليهم في بيروت والاستانة مدينتي الادب والسياسة في ذلك العهد . فالجوائب كانت مشمولة بعناية اسماعيل وعطاياه فلا عجب اذا كانت تطريه وتأخذ بناصره لدى الباب العالي . وكانت واسعة الانتشار في العالم الشرقي فجعلت لاسماعيل شهرة بعيدة . ونشط اسماعيل رجال العلم في بيروت وزعيمهم البستاني رحمه الله . وكان تنشيطه وسخاؤه من اكبر البواعث على ظهور دائرة المعارف وغيرها من ثمار قريحة ذلك الهمام العظيم

فبعث ذلك على زيادة رغبة الادباء في مصر فتوافدوا اليها زرافات ووحداناً وفيهم الكتاب والشعراء وارباب الصحافة والتمثيل . واسماعيل لايدخر وسعاً في تقديمهم والاخذ بايديهم فسهل لهم ابواب الرزق بالاستخدام في مناصب الحكومة أو بالجوائز ونحوها . ووافق ذلك عكوف السوريين على التعلم في المدارس الكبرى التي انشئت في بيروت وغيرها وخصوصاً بعد حوادث سنة ١٨٦٠ فنبغ جماعة من الكتاب والادباء هاجر بعضهم الى مصر وظل الباقون في بيروت . وتكاثرت الصحف السياسية والعلمية في البلدين واكثرها في سوريا . فظهر في بيروت الجنان والجنة للبستاني والمقتطف لصروف ونمر ومكاريوس والطبيب للدكتور بوسط . والنشرة الاسبوعية للمرسلين الاميركان والبشير لليسوعيين ولسان الحال لسركيس وثمرات الفنون للقباني والتقدم للشلفون والمصباح والنجاح والنفير وغيرها . وظهر في مصر جريدة وادي النيل لابي السعود والكوكب الشرقي للحموي والاهرام لتقلا والوطن لخائيل عبد السيد ومصر لاديب اسحق وروضة المدارس واليعسوب في الطب وغيرها

ففي هذا الدور كان اكثر ارباب الصحف العربية وكتابها من السوريين ومنهم كثيرون قطنوا مصر واتخذوها وطناً لهم . وكانت الحكومة تساعد الصحف من كل

وجه ولو لا مساعداتها المالية أو تنشيطها الادبي لما قامت لها قائمة وكان للاهرام شأن كبير في هذا الدور ثبت فيه ثبات الجبال . وقد ساعد هذه النهضة الوزير الكبير رياض باشا فانه كان عضداً قوياً للصحافة ادبيا ومادياً

وقد حدث في لغة هذا الدور من تاريخ الصحافة تحسين كثير فانتقل الانشاء الصحافي من العبارات الضعيفة الركيكة الى الرشاقة والطلاوة العصرية . ومقدام هذه النهضة المرحوم اديب اسحق فقد كان نابغة في الانشاء مع المتانة وصحة العبارة . فقلده الكتاب في عبارته وتحدوه في اسلوبه

وكانت الصحف في هذا الدور مطلقة الحرية وخصوصاً في اواخر ايام اسماعيل والسوريون قد تشربوا يومئذ روح الحرية من نهضة الاحرار العثمانيين في الاستانة بخلع عبد العزيز وتنصيب عبد الحميد سنة ١٨٧٦ ثم جاء مدحت الى سوريا ونشط هذا الشعور فانتشرت الحرية الصحافية انتشاراً عظيماً في سوريا . اما في مصر فان اسماعيل لم يكن يقاوم حرية الصحافة لكنه لم يكن يصبر على من ينتقده . فكان الكتاب يراعون جانبه ومن تجاسر على انتقاده اصبح في خطر القتل كما اصاب مدير الاهرام رحمه الله لما اشار الى مال صرف من الخزينة ولم يعلم مصيره . ولو لم تنصره فرنسا لذهب ضحية تلك الملاحظة

ولم يزد عدد الجرائد العربية في هذا الدور على بضع وعشرين صحيفة لم يبق منها حياً الا ربعها

٣ — الدور التوفيقي من سنة ١٨٧٩ — ١٨٩٢

وهو عصرها في زمن المغفور له الخديوي السابق توفيق باشا ويمتاز بظهور الثورة العرابية واحتلال الانكليز . تولى رحمه الله والصحافة حرة كما تقدم والشعب المصري لم يستعد لها لكن هيبة اسماعيل كانت تحول دون تهورها وخصوصاً من حيث النزالة الاجانب لانه كان كثير الاكرام للجالية من كل بلد ترغيباً لهم في نزول هذا الوادي . وكان الوطنيون قد تنبهوا للجامعة العربية وفهموا من الصحف ومما بثه الافغاني من روحه في ادباء مصر وكتابها وخطبائها ما لهم من الحقوق . ولكنهم كانوا يتحدثون بها سراً خوفاً من سطوة اسماعيل . فلما تولى توفيق وكان سهلاً هيناً يحب الوطن المصري واهله اندفعت الصحف في الحرية وحدثت ثورة افكار وطنية وظهرت جرائد ثورية نقادة كالتنكيت والطائف والمفيد خافتها الحكومة فعمدت الى تقييد الصحافة فسنت قانون المطبوعات سنة ١٨٨١ فلم يجدها ذلك نفعاً لان الثورة كانت قد اخذت مجراها

فافضت الى الحوادث العرابية المشهورة التي انتهت باحتلال الانكليز مصر سنة ١٨٨٢

والاحتلال الانكليزي خطوة سياسية مهمة انتقلت بها مصر من دور الى دور. ولم يكن للجرائد العربية قبلها الا خطة واحدة غايتها النظر في مصلحة مصر ومسايرة حاكمها ولم يكن يهمها الدول الاخرى في شيء ولا الدولة العثمانية. الا جريدة الاهرام فانها اخذت جانب فرنسا لانها انقذت مديرها من غضب اسماعيل اذ سجنه وكاد يفتك به كما تقدم

فلما احتل الانكليز مصر ولم تكن فرنسا معهم تولدت مسألة الاحتلال والجلاء ومسألة المصري والعثماني فانقسمت الصحف الى اقسام تحزب بعضها للدولة العثمانية على الانكليز والبعض لفرنسا على الانكليز والبعض الآخر اخذ جانب الانكليز. واول الصحف التي اخذت بناصرهم بمصر جريدة الزمان لصاحبها علكسان سرافيان. ثم المقطم لاصحاب المقتطف صدرت سنة ١٨٨٨ فامتعض الوطنيون منها فانشأوا جريدة المؤيد في السنة التالية سنة ١٨٨٩ لمحررها الشيخ علي يوسف ومديرها الشيخ احمد ماضي ثم استقل بها الشيخ علي. وظهور المؤيد خطوة كبيرة في الصحافة الوطنية لانها اول الجرائد الوطنية الكبرى وهي التي مهدت السبيل لغيرها من الجرائد الوطنية الاسلامية. وقد اخذ كبار الوطنيين بناصرها في اول نشأتها اما بقاؤها الى الآن وما نالته من الشهرة ونفوذ الكلمة فانه راجع الى اقتدار صاحبها وثباته. اما المقطم فلاقى في سبيل البقاء في خطته مشقات جسيمة قلَّ من يصبر عليها

فانقضى الدور الثالث الذي نحن في صدده وفي الصحافة المصرية خطتان رئيسيتان خطة احتلالية رئيسها المقطم وخطة وطنية رئيسها المؤيد. وهناك جرائد اخرى اخذت بناصر الدولة العثمانية ضد الاحتلال واكثرها كان عبد الحميد يدفع اليها الرواتب. وبعضها كان ينصر الفرنساويين ويحاسن العثمانيين وهو الاهرام

وبلغ عدد الصحف التي صدرت في هذا الدور اضعاف ما كانت عليه قبله فصار مجموع ما صدر منها من اول نشأتها الى آخر الدور المذكور — اي من سنة ١٨٢٩ — ١٨٩٢ نحو ١٥٠ جريدة بين سياسية وعلمية وطبية وحقوقية وادبية لم يبق منها حياً الى ذلك العهد الاثلث هذا العدد — كان منها في مصر ٦ جرائد سياسية هي الفلاح والمحروسة والمقطم والمؤيد والنيل والوطن و٨ علمية او ادبية وهي الآداب والازهر والاصلاح والفتى والفرائد والبستان والمقتطف والهلال. واثنتان طبيتان هما الشفاء والفوائد الصحية. واثنتان حقوقيتان هما الحقوق والمحاكم. وواحدة زراعية هي مجلة الزراعة.

وواحدة ماسونية هي اللطائف . واثنتان رسميتان هما الوقائع المصرية ووقائع البوليس. وبقي في الاسكندرية ٣ سياسية الاتحاد المصري والاهرام والحقيقة. واثنتان ادبيتان السرور ومرقى النجاح . وفي بيروت ٥ سياسية هي الاحوال وبيروت وثمرات الفنون ولسان الحال والمصباح . و٣ دينية هي البشير والنشرة الاسبوعية والكنيسة الكاثوليكية و ٢ رسميتان حديقة الاخبار وبيروت الرسمية . وفي ما بقي من العالم ١٨ صحيفة . وكانت الصحافة قبلاً منحصرة تقريباً في مصر والشام والاستانة ففي هذا الدور صدر بعضها في لندرا واميركا والهند والجزائر وتونس والبصرة وتلمسان وتفليس وطرابلس الغرب

٤ — الدور العباسي من سنة ١٨٩٢ ولا يزال

هو اهم سائر الادوار يبدأ باعتلاء سمو الخديوي الحالي عرش الخديوية سنة ١٨٩٢ ولا يزال . وفي اثنائه بلغت الصحافة العربية ما لم تبلغ اليه في عصر قبله . وسبقت مصر بها سائر الامصار العربية . وانحطت الصحافة في سوريا لما تولاها من ضغط الحكومة وتقييد الافكار قبل اعلان الدستور . فاصبحت مصر محط رحال ارباب الاقلام وعشاق الحرية وطلاب الرزق من سائر الاقطار . اما بالنظر الى الصحافة فيقسم هذا العصر الى دورين يفصل بينهما ظهور جريدة اللواء : الدور الاول من تولي الجناب العالي سنة ١٨٩٢ الى ظهور اللواء سنة ١٩٠٠ والثاني من ظهور اللواء الى الآن

الدور العباسي الاول من سنة ١٨٩٢ — ١٩٠٠

فالدور الاول نضج فيه المقطم والمؤيد واشتد ساعداهما وحمي وطيس الجدال بينهما . وأُهمل قانون المطبوعات فاطلقت حرية الصحافة فتكاثر ظهور الجرائد الاسبوعية ولابد لكل منها ان تتحدى احداهما . فصارت اكثر الصحف اما مقطمية او مؤيدية اي اما مع الاحتلال او عليه الا الاهرام فانها ثبتت في خطتها . وتنبهت الطائفة القبطية في اثناء ذلك الى الصحافة فاعادت جريدة الوطن (وكانت قد توقفت) وصدرت جريدة مصر . وهما اكبر الجرائد القبطية وهي على الاجمال احتلالية الخطة

وبلغ عدد الصحف التي صدرت في هذا الدور اي من سنة ١٨٩٢ — ١٩٠٠ نحو مئة وخمسين صحيفة . اي صدر منها في ثماني سنين نحو ما صدر قبلاً في ٦٣ سنة . ومن اسباب كثرتها اطلاق سراح المطبوعات فاصبح الكاتب لا يسأل عما يكتب ولا حرج على الناس في اصدار الصحف . وكانوا قبلاً لا يقدرون على اصدار الجريدة الا بعد دفع التأمين او تقديم الضمانة والقبول بكل القيود والشروط . ولكن اكثر الصحف التي صدرت في هذا الدور علمية او ادبية لانها اقل نفقة وتعباً . منها ٨٩ صحيفة بمصر

القاهرة وحدها و٣٥ في الاسكندرية و٤ في بيروت و٥ في الولايات المتحدة و ٣ في كل من تونس والاستانة والبرازيل و٢ في كل من لبنان وباريس وارجنتين واسيوط و١ في كل من مرسيليا وطرابلس الشام والفيوم ودمشق والمنصورة وطنطا والسويس .
ومما يدل على ان ظهور هذه الصحف لم يكن مؤسساً على قواعد اقتصادية او اجتماعية انه لم يبق منها الى الآن الا القليل اهمها مصر لتادرس شنودة والوطن لجندي ابراهيم والتوفيق لجمعية التوفيق وطبيب العائلة للدكتور خياط والبصير لرشيد شميل (بالاسكندرية) والمشرق لليسوعيين (ببيروت) والمنار للشيخ رشيد رضا والجامعة لفرح انطون

ومن مميزات هذا العصر ان الحركة الوطنية ضد الاحتلال ظهرت فيه وكثر تحدث الجرائد بالعرش العثماني والخلافة الاسلامية وخصوصاً بعد انتصار الدولة العثمانية على اليونان . وكانت قلما تذكر ذلك من قبل ولعلها عمدت اليه نكاية بالمحتلين . وتعلقت آمال المصريين بالجناب العالي واكثروا من المظاهرات في سبيل تعظيمه والتوسل اليه وهو يطيب خاطرهم ويؤكد لهم حبه لمصر وغيرته على استقلالها وتخلصها من الاحتلال . فانكرت بعض الجرائد عليه ذلك واغتنمت الفتور الذي وقع بين سموه وبين اللورد كرومر عميد انكلترا وتعرضت له فنهضت جرائد أخرى للدفاع عنه فازدادت السياسة انقساماً

الدور العباسي الثاني من صدور اللواء سنة ١٩٠٠ ولا يزال

يمتاز هذا الدور بنبوغ مصطفى كامل محيي الشعور الوطني في مصر وهو مؤسس اللواء . وكانت الصحف الوطنية قبل اللواء تذكر المحتلين بوعودهم وتستطيل مقامهم اما مصطفى فانه صرح بانتقاد الحكومة ودعا المصريين الى المطالبة بجلاء الانكليز عن بلادهم قياماً بوعدهم . وسافر الى اوربا للسعي في هذا السبيل بالخطابة والكتابة والتحريض مما تراه مفصلاً في ترجمة حياته بالهلال ٦ سنة ١٦ واخيراً انشأ الالوية الثلاثة بالعربية والفرنساوية والانكليزية والف شركة مالية لانشائها وهي اول شركة صحافية في اللغة العربية . وجعل خطة اللواء التشديد في طلب الجلاء والاحتجاج على انكلترا وابدى في جهاده من الجراءة والحزم ما لم يسمع بمثله في مصر . وهو الذي اقام مسألة دنشواي ولولاه لم يسمع لها صدى في اوربا فانه استكتب الاهلين عرائض لالتماس العفو وقع عليها ١٢٥٠٠ من المصريين ورفعها الى الجناب العالي فتعلقت قلوب المصريين به وتعشقوه وارتفع صوت الصحافة المصرية من ذلك الحين

وكان في مصر حزب وطني تألف بطبيعة الحال من اوائل الاحتلال ولم يكن حزباً

منظماً له رئيس ونائب وكاتب مثل احزاب هذه الايام ولكنه ضم نخبة الوجهاء والنبهاء الذين يكرهون الاحتلال . ولرجال هذا الحزب فضل على اكثر الصحف الوطنية التي نشأت في اثناء الاحتلال لانهم كانوا يساعدونها مادياً وادبياً تحت طي الخفاء وكان مصطفى طبعاً من ذلك الحزب . فلما انشأ اللواء وارتفع صوته شكل الحزب الوطني رسمياً وتولى رئاسته وجعل اللواء لسان حاله يدافع عنه ويأخذ بناصره . فصدور اللواء كان خطوة كبيرة في تاريخ الصحافة العربية بمصر بل هو نهضة جديدة فيها

ووافق هذه الحوادث خروج اللورد كرومر من مصر لسياسة اقتضت ذلك وكان شديداً في مشورته ففرح الوطنيون بذهابه وعدوا خروجه فوزاً لسياستهم واشتد ساعدهم وقويت لهجة اللواء في طلب الجلاء

واعلن بعد ذلك الدستور العثماني فعلقت امال المصريين بقرب نيله لانفسهم وأخذوا يجاهرون بطلبه بالمظاهرات والخطب ولا سيما الحزب الوطني . ولما تغيرت الوزارة وتولاها بطرس باشا غالي اراد ان يخفف لهجة الصحافة الوطنية فاعاد قانون المطبوعات وقلما كان له تأثير في مجاري الاحوال . وبالجملة فان للصحافة العربية بمصر في هذا العصر عدة مميزات وهي :

مميزات الصحافة العربية في العصر العباسي الثاني

١ — انشاء الجرائد بشركات مالية تجمع اموالها بالاسهم من المتمولين الوطنيين ومصطفى كامل اول من فعل ذلك فاقتدى به سواه فظهرت « الجريدة » بشركة مؤلفة من اعيان المصريين . ثم حول صاحب المؤيد راس مال جريدته الى شركة مساهمة ايضاً

٢ — كبر حجم الجرائد الوطنية وتعدد صفحاتها — فقد كانت اربع صفحات فصار اكثرها ثماني صفحات تطبع على آلات تدار بالكهربائية جيء بها الى مصر بعد صدور اللواء ولكن المؤيد سبق الى الاحتفال بتدشينها سنة ١٩٠٦

٣ — صار للصحافة تأثير شديد في نفوس الوطنيين وكثر قراؤها — فبعد ان كانوا لا يتجاوزون ثلاثين الفاً زادوا على المئة وربما بلغوا اضعاف ذلك في بعض الاحوال التي تبعث على هياج العواطف أو الاغراض . واول ما لاحظنا تلك الزيادة في اثناء الحرب بين الدولة العلية واليونان . وصار للصحافة نصراء اكثرهم من الطلبة حتى شغلوا بها عن دروسهم . واهتمت الناشئة المصرية بها وقد أحيت فيهم روح الحماس واستقلال الفكر وحب الوطن حتى اصبح فيهم من يخاطر بنفسه في سبيل وطنه

٤ — جرت العادة في العالم المتمدن ان تتشكل الاحزاب السياسية في الامة ولكل

منها وجهة او خطة كالاحرار والمحافظين والمتطرفين ونحوهم فينشئ كل حزب منها جريدة او عدة جرائد يجعلها لسان حاله للدفاع عن سياسته . اما في مصر فان الجرائد هي التي انشأت الاحزاب والسابق الى ذلك اللواء في ايام منشئه مصطفى كامل فانه انشأ الحزب الوطني والمؤيد انشأ حزب الاصلاح والجريدة انشأت حزب الامة . وكل هذه الاحزاب تطالب بالاستقلال او الدستور وان اختلفت في كيفية الحصول عليه . والحزب الوطني ارفعها صوتاً واشدها لهجة

٥ — تكاثرت الصحف الوطنية وكانت الصحافة المصرية العربية قبل هذه النهضة اكثرها في ايدي السوريين فاصبحت الآن واكثرها في ايدي الوطنيين

٦ — تنوعت مواضيع الصحف واتسعت دائرة مكاتباتها وتمكنت بها الروابط بين المسلمين على بعد الشقة . واكثرت من ذكر الجامعة الاسلامية وصارت تهتم باخبار الشرق الاقصى وتنقلها عن لغاتها الهندية والفارسية والروسية والتركية فضلا عن الانكليزية والفرنساوية . واقتبست اساليب الاميركان في تشويق القراء الى المطالعة بتصدير المقالات بالعناوين الكبيرة . وصارت تخوض اهم المواضيع السياسية أو الاجتماعية او الاقتصادية بتعقل ودرس . وارتقى انشاؤها فهو الآن احسن منه في سائر ادوارها وبين محرريها اليوم طائفة من ابلغ المنشئين

٧ — ارتفعت أجور كتابها وسائر عمالها بعد صدور « الجريدة » لانها اعلنت قبل صدورها انها في حاجة الى محررين وعمال وبذلت الاجور الكبيرة فذهب اليها جماعة من كتاب الصحف وعمالها وقد صار راتب بعضهم الى ضعفي ما كان عليه ثم رأت الجريدة بعد ظهورها انها تورطت بذلك وعمدت الى الاقتصاد لكن الاجور ظلت مرتفعة

٨ — لم يكن للصحافة العربية نفوذ في الحكومة مثل ما نراه في مصر لهذا العهد . وقد ظهر نفوذها على الخصوص في الحوادث الاخيرة بشأن مد امتياز قناة السويس فهي التي بعثت الحكومة على عقد الجمعية العمومية لاستشارتها في هذا الامر وجعلت الحزب الوطني وغيره يقومون بالمظاهرات يطلبون رفض المشروع . وقد فازت وجعلت الحكومة للجمعية الرأي القاطع فيه وهي خطوة كبيرة نحو الدستور . ولما قتل رئيس النظار بالامس تشكلت وزارة وطنية تجاهر بمراعاة جانب الحزب الوطني وتشاركه في تمني الجلاء — كل ذلك من تأثير الصحافة ولولاها لم يكن للوطنيين هذا الصوت العالي

٩ — كانت الصحافة العربية بمصر محصورة من مدن القطر المصري بالقاهرة والاسكندرية وظهرت صحف متفرقة في اسيوط وطنطا والفيوم والمنصورة . فزادت

على ذلك في هذا الدور ظهورها في طهطا وبني سويف وزفتى وبنها والزقازيق والزيتون والقرشية والخرطوم

١٠ - كانت الجرائد العربية في اوائل نشأتها تطرح على المشتركين طرح الصابون فمن اشترك فيها عد ذلك اريحية منه للاخذ بناصر صاحبها ولا يعد دفع الاشتراك من جملة الحاجيات . اما الآن فاصبح القراء يطلبون الجرائد والمجلات وكثيرون منهم يرسلون البدل مقدماً . وسيأتي يوم تجري فيه صحافتنا مجرى صحافة سائر المتمدنين فيكون الدفع دائماً سلفاً

١١ - تألفت للصحافة المصرية نقابة اشترك فيها ارباب الصحف على اختلاف لغاتهم وهي خطوة مهمة للاجتماع بين رجال الصحف العربية

وبلغ عدد الصحف العربية التي صدرت في العصر العباسي الثاني (من سنة ١٩٠٠ الى ١٩١٠) في العالم العربي وغيره نحو ٢٧٠ صحيفة بين جرائد ومجلات منها نحو ١٠٠ في القاهرة وحدها و ٢٠ في الاسكندرية و ١٤ في تونس و ١٥ في بيروت والباقي في سائر انحاء العالم

فالصحافة العربية بمصر الآن في ارقى ما بلغت اليه من قبل وهي مع ذلك في حاجة الى التحسين . وقد رأيت انها جعلت للمصريين صوتاً مسموعاً وعودتهم الاجتماع والاتحاد في مصلحة الوطن المصري وقد ذاقت ثمار عملها — فاذا ثابرت على الاعتدال والنصح وتحريض العامة على السكينة لا تلبث الامة ان تتوسع سلطتها النيابية كلما سنحت الفرصة .

الصحافة العربية بعد اعلان الدستور العثماني

ذكرنا حال الصحافة بمصر الى اليوم ولا بد من الكلام عن الصحافة العربية على الاجمال بعد اعلان الدستور العثماني . قد تقدم ما كانت عليه الصحافة العربية من التقييد في زمن عبد الحميد حتى ان المطالع ليعجب من بقائها حية . ولكنها بقيت كأنها في حال الاحتضار وتحولت همم ادباء السوريين في اثناء دور الاستبداد الى انشاء الصحف خارج سيطرة الدولة العثمانية في مصر وامريكا . فانشأوا في اثناء تلك الفترة عشرات من الصحف في الولايات المتحدة والبرازيل والارجنتين والمكسيك وغيرها من بلاد العالم الجديد كان لها شأن كبير في نصرة الاحرار والضرب على ايدي الظالمين . اما في سوريا فظلوا صابرين كاظمين حتى اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ فقابلته الصحف بالدهشة وهي بين مصدق ومكذب . فما لبثت ان تحققت هبوط تلك النعمة عليها حتى انتعشت وتكاثرت . وكانت الى ذلك التاريخ محصورة من المملكة العثمانية في بيروت ولبنان والاستانة ودمشق

وطرابلس الشام وحلب فظهرت بعد الدستور في حيفا والقدس وحمص واللاذقية وصيدا وجديدة مرجعيون ومكة وجدة وبغداد والموصل والبصرة وغيرها . ولا تلبث ان تظهر في اماكن اخرى . وقد صدر منها في بيروت وحدها في السنتين الاخيرتين نحو ١٥ جريدة او مجلة منها خمس او ست جرائد يومية غير التي كانت قبل الدستور . وتعددت الصحف في دمشق وطرابلس وغيرهما

الخلاصة

فالصحافة العربية السياسية غير الرسمية بدأت منذ نصف قرن ضعيفة صغيرة وظلت بضعاً وعشرين سنة محصورة في سوريا ومصر . ثم نشرها السوريون في سائر انحاء العالم القديم والحديث . فظهرت في فرنسا وانكلترا وروسيا وفي اميركا الشمالية والجنوبية وخصوصاً في الولايات المتحدة والبرازيل والصحف العربية هناك تعد بالعشرات . وظهرت ايضاً في الارجنتين والمكسيك وكندا . وصدرت جرائد عربية ايضاً في مدائن كثيرة من الهند وسنغافورة وبلاد القوقاس وتكاثرت في المغرب الاقصى فظهرت في طنجه وطرابلس الغرب وتلمسان والجزائر غير ما ظهر منها في مدائن المملكة العثمانية كما تقدم

وقد رايت ان الجرائد التي صدرت في الدورين الاول والثاني (من سنة ١٨٢٩ — ١٨٧٩) بضع عشرات وتكاثرت في العصر التوفيقي (سنة ١٨٧٩ — ١٨٩٢) فبلغ عدد ما صدر منها نحو ١٥٠ جريدة وصدر نحو هذا العدد في الدور العباسي الاول (١٨٩٢ — ١٩٠٠) وقد تقدم ان الصحف التي صدرت في العصر العباسي الثاني اي من صدور اللواء الى الآن عددها نحو ٢٧٠ صحيفة بين جرائد ومجلات فيكون عدد الجرائد العربية التي صدرت في العالم من اول عهد الصحافة الى الآن نحو ٦٠٠ صحيفة لم يبق منها حياً الى الآن الا مئة وبعض المئة منها ثمانون صحيفة بمصر ونحو هذا العدد في سوريا واميركا وسائر العالم فيكون معدل البقاء مما يصدر من الصحف العربية نحو ٢٥ في المئة

عن قرار الحكومة هذا قبل ان تأخذوا في المناقشة في المشروع الا ليكون لحضراتكم من ذلك فوق ما تعتقدونه في الحكومة من الثقة بكم باعث عَلَى زيادة الروية والعناية في بحث هذا المشروع الذي حملت الجمعية مسئولية البت فيه » اه

فكان لهذا التصريح وقع جميل لدى الجميع وضج المكان بالتصفيق واتخذوا ذلك بشارة حسنة لما يرجى ان تناله الامة من الحقوق النيابية . ثم تلا سري باشا ناظر الاشغال ملاحظات الحكومة المتقدم ذكرها فاجلت الجمعية اصدار قرارها النهائي الى جلسة أخرى وفي هذه الجلسة قررت رفض المشروع بالاجماع الا مرقس بك سميكة والنظار فانهم خالفوا الجمعية في ذلك الرفض . وفي ٩ افريل انفضت الجمعية وقد بلغت جلساتها العلنية هذه المرة ١٤ جلسة وجلسات لجانها ١٨ جلسة واكثر بحثها في مشروع القناة . وكان لقرار الرفض رنة في سائر انحاء القطر المصري وتواردت رسائل الشكر والتهنئة الى الجمعية العمومية من كل صوب



رعاية الاطفال

وحافظ ابراهيم

احتفلت جمعية رعاية الاطفال في ليلة الثامن من ابريل الماضي بليلة تمثيلية في الاوبرا الخديوية يضم دخلها الى خدمة مقاصد الجمعية الخيرية في اعالة البائسين والبائسات وتلا حافظ افندي ابراهيم الشاعر المشهور قصيدة مثل بها البؤس احسن تمثيل و بين فضل القائمين بتخفيف تلك الاثقال عن عاتق بني الانسان واليك هي :

شبحاً أرى ام ذاك طيف خيال ... لا — بل فتاة بالعراء حيالي
أمست بمدرجة الخطوب كأنها ... راعٍ هناك وما لها من والِ
حسرى تكاد تعيد لحمة ليلها ... ناراً بانات زكين طوال
ما خطبها عجباً وما خطبي بها ... ما لي أشاطرها الوجيعة ما لي
دانيتها ولصوتها في مسمعي ... وقع النبال عطفن اثر نبال
وسألتها من انت وهي كأنها ... رسم عَلَى طلل من الاطلال
فتململت جزعاً وقالت حامل ... لم تدر طعم الغمض منذ ليال
قد مات والدها وماتت امها ... ومضى الحمام بعمها والخال

والى هنا حبس الحياء لسانها ... وجرى البكاء بدمعها المطال
فعلمت ما تخفي الفتاة وانما ... يحنو عَلَى امثالها امثالي
ووقفت انظرها كأني عابد ... في هيكل يرنو الى تمثال
ورأيت آيات الجمال تكفلت ... بزوالهن فوادح الاثقال
لا شيء افعل في النفوس كقامة ... هيفاء روعها الاسى بهزال
او غادة كانت تريك اذا بدت ... شمس النهار فاصبحت كالآل
قلت انهضي قالت اينهض ميت ... من قبره ويسير شن بال
فحملت هيكل عظمها وكأنني ... حملت حين حملت عود خلال
وطفقت انتهب الخطى متيماً ... بالليل دار رعاية الاطفال
امشي واحمل بائسين فطارق ... باب الحياة ومؤذن بزوال
ابكيهما وكأنني انا ثالث ... لهما من الاشفاق والاعوال
وطرقت باب الدار لا متهيباً ... احداً ولا مترقباً لسؤال
طرق المسافر آب من اسفاره ... أو طرق رب الدار غير مبال
واذا باصوات تصيح الا افتحوا ... دقت مرضى مدلجين عجال
واذا بايد طاهرات عودت ... صنع الجميل تطوعت في الحال
جاءت تسابق في المبرة بعضها ... بعضاً لوجه الله لا للمال
فتناولت بالرفق ما انا حامل ... كالأم تكلأ طفلها وتوالي
واذا الطبيب مشمر واذا بها ... فوق الوسائد في مكان عال
جاؤا بانواع الدواء وطوفوا ... بسرير ضيفهم كبعض الآل
وجثا الطبيب يجس نبضاً خافتاً ... ويرود مكمن دائها القتال
لم يدر حين دنا ليبلو قلبها ... دقات قلب أم دبيب نمال
ودعتها وتركتها في اهلها ... وخرجت منشرحاً رخي البال
وعجزت عن شكر الذين تجردوا ... للباقيات وصالح الاعمال
لم يخجلوها بالسؤال عن اسمها ... تلك المروءة والشعور العالي
خير الصنائع في الانام صنيعة ... تنبو بحاملها عن الاذلال
واذا النوال اتى ولم يهرق له ... ماء الوجوه فذاك خير نوال
من جاد من بعد السؤال فانه ... وهو الجواد يعد في البخال
لله درهم فكم من بائس ... جم الوجيعة سيء الاحوال

ترمي بهِ الدنيا فمن جوع الى عريٍ الى سقم الى اقلال
عين مسهدة وقلبٌ واجفٌ نفس مروَّعة وجيب خالِ
لم يدر ناظره اعريانًا يرى ام كاسيًا في تلكم الاسمال
فكأنَّ ناحل جسمه في ثوبه خلف الخروق يطل من غربال
يا برد فاحمل قد ظفرت باعزل يا حر تلك فريسة المغتال
يا عين سحي يا قلوب تفطري يا نفس رقي يا مروءة والي
لولاهمو لقضى عليهِ شقاؤه وخلا المجال لخاطف الآجال
لولا همو كان الردى وقفًا على نفس الفقير ثقيلة الاحمال
لله درّ الساهرين على الأُلى سهروا من الاوجاع والاوجال
القائمين بخير ما جاءت بهِ مدنية الاديان والاجيال
اهل اليتيم وكهفه وحماته وربيع اهل البؤس والامحال
لا تهملوا في الصالحات فانكم لا تجهلون عواقب الاهمال
اني ارى فقراءكم في حاجة لو تعلمون لقائل فعال
فتسابقوا الخيرات فهي امامكم ميدان سبق للجواد النال
والمحسنون لهم على احسانهم يوم الاثابة عشرة الامثال
وجزاء رب المحسنين يجل عن عدٍّ وعن وزنٍ وعن مكيال

مصر حافظ ابراهيم

استفادات

لجانب ادرة مجلة الهلال الغراء

ارجو من الادباء المطلعين الافادة الصريحة عن الامور الآتية ولهم الشكر مقدمًا

(١) من هو ثاوفيلس بن ثاقويل المعلم الدمشقي اسقف مصر الذي ترجم الاسفار المقدسة الي العربية بلغة انيقة وما هي ترجمته وزمانه واعماله — وقد ذكره ابن العسال القبطي في كتاب مخطوط وقال : ان الشماس بن الفضل الانطاكي تحداه باستعمال عويص الالفاظ

(٢) من هو السير جكم السخيفي الكنصل بدمشق سنة ٧٤٢ هـ (١٣٤١ م) الذي كتب له الراهب توما رسائل عربية بليغة العبارة وهي من مخطوطات مكتبة دير البلمند الارثوذكسي في لبنان

(٣) من هو عفيف بن الشيخ المكين بن المؤمل مؤلف رسالة في مذاهب النصارى وهل يمت بقرابة الى الشيخ جرجس بن العميد الملقب بابن المكين من نوابغ الامة القبطية في القرن الثالث عشر للميلاد صاحب التاريخ المشهور بتاريخ ابن العميد. وما هي ترجمته

(٤) كم هي قيمة قطعة النقود (السلطاني) المستعملة في القرن السادس عشر في سورية

(٥) قرأت في مخطوط قديم ان الانبا انوف وانبا بيمين كانا في الاسقيط (في الجبل الاسود) وكانوا سبعة فلما اخرب الحارثون البلاد وقتلوا اكثر الرهبان جاؤوا مصر الى موضع اسمه طراوس حيث بيت للاصنام الحنفاء فاقاموا فيه الى ان يبصروا مكاناً لهم. فما هي طراوس وهل فيها اليوم محل للرهبان واين اتخذ اولئك الرهبان مناسكهم

(٦) من هو مؤلف كتاب (البستان في احاديث الآباء القديسين والرهبان) وهو كتاب ضخم متين العبارة فيه اخبار نسكية وذكر اديار قديمة ونحو ذلك واي متى وجد مؤلفه. واذا كان بلغة اجنبية فمن معربه لان عبارته تنم عن الشماس ابن الفضل الانطاكي الشهير

(زحلة) عيسى اسكندر المعلوف

تاريخ التمدن الاسلامي

ترجمته الفارسية

جاءنا من طهران ما معناه :

حضرة صاحب الهلال

احببت أن انقل كتابكم تاريخ التمدن الاسلامي الى اللغة الفارسية لنشر فوائده بين ابناء وطني فترجمت الجزء الأول منه وجئت استأذنكم بنشره فهل تأذنون

فضل الله بن داود بدايع نكار (خراسان)

﴿الهلال﴾ لا مانع من ذلك عندنا ولكننا نذكر اننا اطلعنا في بعض الصحف الفارسية منذ بضع سنوات على فصول مترجمة من الكتاب المشار اليه على ان تجمع بعدئذ في كتاب ولا ندري ما تم من امرها وانتم اولى بالاطلاع على ذلك

واخذ علماء الاجتماع يبحثون في سبب هذه الزيادة فلم يظفروا بحل مقنع وبعكس ذلك في المستعمرات فان الرجال فيها اكثر من النساء . فمهاجرة الانكليزيات اليها تسد ذلك النقص

(التنظيف بالرمل) من الامور المألوفة في المنازل تنظيف الادوات المعدنية فركاً بالرمل ولكنهم الآن اصطنعوا آلات تقذف الرمل من انابيب بقوة فتقع على الادوات الوسخة فتنظفها تنظيفاً تاماً يكسبها لمعاناً

(تسميد الارض بالكهربائية) ففي السير لودج (وقد تقدم ذكره في الكلام على الارواح) بضع سنين وهو يشتغل مع اثنين آخرين من العلماء في تجربة تسميد الارض بالكهربائية . وخصصوا لهذه التجارب حقلاً قرب برمنهام مساحته نحو ١٤ هكتاراً اجروا فيه الكهربائية . وكانت النتيجة ان خصب تلك البقعة زاد نحو ٣٠ في في المئة . ويوصلون المجاري الكهربائية الى الارض باسلاك ممتدة في كل جوانبها

(السل والمشروبات الكحولية) رفع الدكتور برتيليون الى جمعية الاحصاء في باريس احصاء هاماً عن علاقة التدرن بالمسكرات رسم فيه خريطتين لفرنسا احداهما تمثل انتشار الخمر والاخرى تمثل انتشار السل فظهر من الاولى ان الخمر اكثر انتشاراً في الشمال مما في الوسط او الجنوب . وظهر في الثانية ان السل منتشر في تلك البقاع مثل انتشارها تماماً . وبين برتيليون ايضاً ان اصابات السل في باريس نفسها اكثر انتشاراً في السكيرين مما في سواهم

(مؤتمر الفوتوغرافيين في بروكسل) ينعقد المؤتمر الخامس لصناعة التصوير الشمسي هذا العام في بروكسل وفيه مندوبون من كل العالم وينتظر ان تكون المعروضات فيه عظيمة الاهمية بالنظر الى ما ناله هذا الفن من التقدم في الاعوام الاخيرة

مطبوعات جديدة

١ — جرائد ومجلات

(لسان الاتحاد) هي جريدة سياسية عمرانية تصدر في بيروت مرة في الاسبوع لصاحبها ومديرها فيلكس افندي فارس بدل اشتراكها ثلاثة مجيديات في المملكة العثمانية و٢٠ فرنكاً في الخارج

(الوطن) جريدة ادبية سياسية تصدر في سنغافورة بجزائر الهند مرتين في الشهر لصاحبها ومديرها السيد محمد بن عبد الرحمن بدل اشتراكها ريالان في سنغافورة وريالان ونصف في الخارج

﴿ الرأي العام ﴾ جريدة يومية عربية حرة تصدر في بيروت لصاحبها ومديرها ورئيس تحريرها طه افندي المدور بدل اشتراكها ثمانون غرشاً في بيروت وعشرون فرنكاً في الخارج

﴿ الانتقاد ﴾ جريدة عربية تركية سياسية هزلية مصورة تصدر في الاستانة مرة في الاسبوع لصاحبها عبد الرزاق افندي البغدادي ومديرها ورئيس تحرير قسمها العربي محمود زكي بك بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً في الاستانة و٢٥ فرنكاً في الخارج

﴿ العالم الجديد ﴾ مجلة كبيرة في العلم والادب والتاريخ تصدر في نيويورك مرة في الشهر لصاحبها ومحررها سلوم افندي مكرزل قيمة اشتراكها ريالان في الولايات المتحدة وريالان ونصف في الخارج وهذا عنوانها : The New World, 81 West St. New York

﴿ الروايات الجديدة ﴾ هي المجلة الروائية التي اشرنا الى قرب صدورها قبلاً فقد صدرت بمصر لصاحبها ومنشئها نقولا افندي رزق الله . وفي الاعداد الأولى منها رواية لويس السابع عشر الشهيرة . وهي تصدر مرتين في الشهر في ٢٥٠ صفحة كلّ عدد . وبدل اشتراكها ٦٠ غرشاً بمصر و٢٢ فرنكاً في الخارج وثمن العدد الواحد ثلاثة غروش وفي ذيل كل عدد فصول أدبية في مواضيع عمومية مفيدة فضلاً عن الروايات المعربة

﴿ المكتب الكندي ﴾ جريدة اسبوعية ادبية تصدر في كندا باميركا باللغات الثلاث العربية والانكليزية والفرنساوية لمديرها الخواجه م . ج . صباغ اشتراكها ثلاثة ريالات وهذا عنوانها l'office Canadien, 680 Ave Coloniale, Montreal, Canada

٢ — كتب مختلفة

﴿ معجم الادباء او طبقات الادباء ﴾ صدر القسم الاول من الجزء الثالث لهذا المعجم النفيس تأليف ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان . وقد عني بنسخه وتنقيحه صديقنا الاستاذ مرجليوث وطبع بنفقة لجنة تذكار جيب . وقد ذكرنا صدور الجزئين الأولين من هذا الكتاب من قبل وفي نشره خدمة كبيرة لآداب هذا اللسان

﴿ الريحانيات ﴾ هي مجموعة مقالات وخطب وشعر منثور تأليف امين افندي ريحاني الشاعر الفلسفي . صدر الجزء الاول منها في بيروت يحتوي على مقالات اجتماعية ادبية انتقادية وبذور للزارعين وتباع في مكتبة صادر في بيروت ومكتبة الهلال ومكتبة التأليف بمصر وثمن النسخة فرنكان والبريد غرشان

﴿ النظرات ﴾ هي مختارات مما كتبه الشيخ مصطفى المنفلوطي الكاتب المشهور ونشره في المؤيد وغيرها تحت عنوان النظرات وهي ٨٣ رسالة في الادب والاجتماع

والانتقاد وعدد من القصائد والمقطعات ويطلب من مكتبة الهلال والمعارف بالفجالة ومكتبة التأليف بشارع عبد العزيز وثمن النسخة عشرون غرشاً واجرة البريد ٣ غروش

﴿ المعجم في معايير اشعار العجم ﴾ : هو كتاب في الشعر الفارسي باللغة الفارسية تأليف شمس الدين محمد بن قيس الرازي من اهل اوائل القرن السابع للهجرة عني بنشره صديقنا الاستاذ ادوار برون استاذ الالسنة الشرقية في جامعة كمبريدج على نفقة لجنة تذكار حبيب الانكليزية ووقف على تصحيحه ميرزا محمد بن عبد الوهاب القزويني ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة نصف جنيه انكليزي خالصة اجرة البريد

﴿ صحة الاطفال ﴾ : هو كتاب صحي تأليف الدكتور امين دمس طبيب اختصاصي لمعالجة الاطفال بالاسكندرية وهو يختص فيما يلزم لحفظ صحة الاطفال ووقايتهم من الامراض ويطلب من حضرته وثمن النسخة ستة غروش

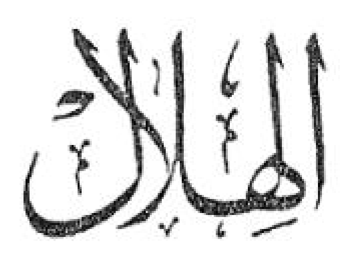
﴿ ديوان الرصافي ﴾ : هو مجموع ما نظمه معروف افندي الرصافي الشاعر البغدادي الشهير طبع بنفقة المكتبة الاهلية في بيروت ويطلب منها ومن مكتبة التأليف ومكتبة الهلال بمصر وثمن النسخة ٧ غروش من الورق الوسط و٩ من الورق العال غير البريد

☸ ديوان الاثر ☸ هو مجموع قصائد من نظم الشيخ رشيد مصوبع الشاعر المطبوع وهو الخامس من دواوينه وفيه كثير من القصائد الاجتماعية مع وصف الاخلاق والعادات بما يقتضيه ذلك من العبرة والموعظة وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٠ غروش واجرة البريد غرش

☸ ديوان المصري ☸ هو مجموع اشعار عبد الحليم افندي حلمي المصري الشاعر المشهور طرق فيها اكثر ابواب النظم وصدره بمقدمة في الشعر . وهناك قصائد اجتماعية وسياسية ووصفية وغير ذلك ويطلب من مؤلفه ومن مكتبة الهلال ثمن النسخة ٥ غروش واجرة البريد غرش

☸ عمر ☸ هي رواية ادبية تاريخية حربية غرامية تأليف جورج رينولد الروائي الانكليزي الشهير وقد عربها ن . م . ونشرت تباعاً في جريدة الاخبار وقد صدر الجزء الرابع منها ويطلب من مكتبة الهلال وثمن الجزء ٣ غروش والبريد غرش

☸ العاشق البائس ☸ هي رواية غرامية اجتماعية تهذيبية وضعها الكاتب الروائي اوكتاف فوييه ونقلها الى العربية اسماعيل افندي شكري المترجم بالمؤيد وطبعت بنفقته ونفقة احمد افندي الحكيم باشكاتب ادارة المؤيد ويطلب منهما ومن مكتبة الهلال



الجزء التاسع من السنة الثامنة عشرة

اول يونيو (حزيران) سنة ١٩١٠ و٢٣ جماد الاول سنة ١٣٢٨

ادوارد السابع

ملك انكلترا

ولد سنة ١٨٤١ وتولى سنة ١٩٠١ وتوفي سنة ١٩١٠

هو سابع ملوك انكلترا من أسرة هنوفر واولهم جورج الاول تولى سنة ١٧١٤ ثم جورج الثاني فالثالث فالرابع فوليم الرابع فالملكة فيكتوريا والدة الملك ادوارد السابع الذي نحن في صدده

ولد ادوارد المذكور في ٨ نوفمبر سنة ١٨٤١ وابوه البرنس البرت سكسبورج وغوطا وتزوج البرنسس الكسندرا بنت كريستيان التاسع ملك الدنمارك في ١٠ مارس سنة ١٨٦٣ وتولى عرش انكلترا يوم وفاة والدته الملكة فيكتوريا في ٢٢ يناير سنة ١٩٠١ وقد طال حكمها فلم يفض اليه العرش الانكليزي الا وهو كهل في الستين من عمره

نشاته الاولى

تربى الملك ادوارد التربية الانكليزية الحقة التي امتازت بها انكلترا على سائر الامم حتى حسدتها اترابها عليها وقام علماء أوربا يحرضون أممهم على الاقتداء بها في تربية ابنائهن لانها من ارقى ما وصل اليه التمدن الحديث من حيث حاجة

الناس على اختلاف طبقاتهم فهي تلائم الصانع والتاجر والحاكم والعالم لانها تقوي البدن والعقل وترقي القلب والنفس وتدرب الانسان على العمل والثبات والاعتماد على النفس . فلا عجب اذا الف ديمولان الكاتب الفرنساوي كتابه « سر تقدم الانكليز » يحرض به أمته على تحديها والنسج على منوالها

نشأ ادوارد السابع منذ طفوليته بين يدي والدة فاضلة هي قدوة الامهات وفخر الملكات فعهدت بتربيته الى اللادي لتلتن شقيقة امرأة غلادستون السياسي الشهير واوحت اليها ان تدربه على معرفة الواجب وتعوده القيام به مثل سائر آحاد الناس . وكتب والده البرنس البرت في اثناء ذلك الى بعض اهله في عرض كلامه عن تعليم طفله فقال « يجب ان يعلم احسن تعليم ويربى احسن تربية لان سعادة الامم تتوقف على تعليم ملوكها »

والعلم ينال معظمه من الكتب ولكن التربية يكتسب اكثرها بالتلقين والقدوة الى ان تغرس في الطفل من حداثته الاولى . فالمعلم الموكل بتربية ادوارد واخوته كان يبث فيهم روح الصدق وعلو الهمة والاقتصاد فأنشأ لهم في روسبورن بيتاً علمهم فيه تدبير المنزل والنجارة ونحوها من الصنائع اليدوية وفرض لهم أجرة يتناولها من اتقن عمله وقام بما عليه . فكان الاستاذ يدون اعمال كل امير في قائمة فاذا انقضى الاسبوع أرسلت القائمة الى ابيهم فيأمر لهم بالاجور — لا يستنكفون من ذلك بل كانوا يتاخرون به ويتنافسون في اتقان الصناعة وان كانوا في غنى عن التكسب بها ولكنها لذة ادبية تدل على ارتقاء النفس وسمو المدارك . وكان ادوارد يحسن الرسم فصور صورة عرضت في جملة صور أخرى بمعرض عام فبيعت بخمسة وخمسين جنيهاً لكنها اكسبت الامة الانكليزية ألوفاً وملايين لانها بثت فيهم حب العمل والمنافسة في ميدان الاتقان

ولم تكن تربية الغلام قاصرة على أستاذه ولكنه كان يقتبس اخلاق والديه ويقلدهما بعلو الهمة وكرم الخلق ومعرفة الواجب والاعتراف بالحق ولو خالف مصلحة نفسه — ذكروا انه زار باريس مع والديه سنة ١٨٥٥ وهو في الرابعة عشرة من عمره من جملة المشاهد التي تعهدوها قبر نابوليون الاول في الانفاليد ولا يخفى ما بين

صاحب ذلك القبر والانكليز من التضاغن والتنافس . فلما وقفوا بين يدي القبر اشارت الملكة الى ابنها قائلة « اجث امام نابوليون العظيم » فكان من ثمار هذه الاشارة انه لما صار رجلاً وشخص للسياحة في الولايات المتحدة وأتى قبر وشنطون محرر اميركا لم يلتفت الى قهر صاحب ذلك القبر لجده جورج الثالث لانه تعود ان يقول الحق ولا يبخس الناس أشياءهم فوقف بازاء القبر خاشعا حاسر الرأس ثم امر ان يغرس بجانبه شجرة من الكستنا اكراماً لمقامه



ش ٢ — الملك ادوار والملكة الكسندرا يوم التتويج

وتلقى الملك ادوارد العلوم العالية في جامعة ايدنبورج فوجه التفاته الى العلوم التي يحتاج اليها ولاة الامور في درس احوال بلادهم الاقتصادية فاتقن علم الكيمياء الصناعية وتردد على المعامل يشاهد كل شيء بنفسه . وكان ابوه راغباً في العلم منشطاً لاهله فنشأ الملك على ذلك . فلما تزوج وولد له الاولاد رباهم هذه التربية وغرس فيهم من طفوليتهم البساطة في الكساء واوصى بتدريبهم على اعمال الحياة الحقيقية وكان

هو ووالدتهم قدوة لهم في ذلك . ولما كانت قوة انكلترا معظمها في البحر امر ان يعلموا على ظهر الباخرة « بريطانيا » وان لا يميز بينهم و بين سائر النوتية في شيء من الواجبات والحقوق

وكانت الملكة من الجهة الاخرى تدرب بناتها على مثل ذلك فاوعزت الى المربية ان تعلمهن اشغال البيت كالخياطة والطبخ وتدبير المنزل واصلاح الحديقة فشبن صحيحات الاجسام والعقول وقد تحلين بالكمالات الانسانية -- فما اجدرهن ان يكن مثالاً لبنات الاغنياء بيننا اللواتي يحسبن الالتفات الى مهام المنزل حطة —بمثل هذه التربية غلب الانكليز لاقتداء الشعب بالملك ونعم القدوة

اعماله في ولاية العهد

وبالجملة فقد تربى الملك ادوارد تربية هيأته للمنصب الذي اعد له منذ ولادته وازداد حنكة ودربة بالاسفار التي اتاها في اثناء ولاية العهد شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً . ولا يخفى ما في هذه الاسفار من الفائدة للملوك ومن جرى مجراهم ولا سيما اذا كان السفر في بلادهم وبين رعاياهم فانه من اكبر اسباب التقريب بين الملك ورعيته فهم يزدادون تعلقاً به وهو يبذل جهده في راحتهم . وقد طالت ولاية العهد على الملك ادوارد لكنه لم يضيع فرصة يخدم بها بلاده بانشاء معاهد العلم او الصناعة او الاحسان فكانوا ينتدبونه لرئاسة اللجان التي تتألف لمثل هذه المشروعات فيتولاها ويأخذ بيدها . على ان قيامها تحت رعايته كافل لنجاحها بما يبذله الناس التماساً لرضى ولي عهدهم او طوعاً لامره . والشواهد على ذلك كثيرة منها انه اراد انشاء كلية للموسيقى وهو شديد الولع بهذا الفن ويعتقد انه يرقي الاذواق فعرض رأيه على الامة بخطاب القاه سنة ١٨٨٢ فكان جوابهم انهم اكتتبوا حالاً بمبلغ ١٢٦٠٠٠ جنيه . فلما وقف لتدشين هذا العمل في السنة التالية قال قولاً رفع به نفوس العامة وقوى عزائمهم لانه بشرهم بدنو الوقت الذي لا يبقى به تفاوت بين طبقات الامة الانكليزية وحثهم على السعي في هذا السبيل . وتولى رئاسة المدرسة الصناعية فحبب الى الناس تعلم الصنائع ورفع منزلة العامة والعمال

وترغيب الملك لرعيته في المشروعات النافعة يكفي وحده لنهوض الامة من الجهل

الى العلم ومن الفقر الى الغنى — فكيف اذا تقدمهم بالعطاء وساعدهم بالرأي فانه يسرع في رقيهم سرعة البرق ولا يبدأون بمشروع الا اتموه سواء كان مدرسة او معملاً او شركة او جمعية واذا لم يكن للملك يد في خدمة رعيته الا من هذا الوجه لكفى بها خدمة

ومن مساعي الملك ادوارد في هذا السبيل دخوله الجمعية الماسونية فقد ولد الولادة الماسونية سنة ١٨٦٨ وارتقى الى ارقى درجاتها وتولى رئاستها ونشط اصحابها . واهتمامه بمصالح الامة لم يمنعه من التمتع بمصلحة نفسه . وله ولع خاص بالصيد منذ نعومة اظفاره ويحب صيد التمساح بمصر والنمر والفيل في الهند . وله عناية بتربية الخيول والسباق وغير ذلك من وسائل الرياضة وهي لازمة للتربية البدنية مثل لزوم التعليم العقلي

تتويجه

لما توفيت والدته وافضى الملك اليه اخذت الامة الانكليزية تستعد لتتويجه على الطريقة المتبعة في الدولة الانكليزية وهي التي سيجرون عليها في تتويج ابنه الملك جورج الخامس الذي خلفه على العرش الانكليزي في ٧ مايو الماضي فيستحسن نشر كيفية تتويج الملك ادوارد مثالاً لما سيكون من الاحتفال بتتويج جورج الخامس

« كنيسة وستمنستر » دير وستمنستر مشهور في تاريخ الانكليز وفيه يتوّج الملوك ويحتفل بزواج الامراء والكبراء وفيه مدفن مشاهير الامة الانكليزية . ويلي هذا الدير شارع عظيم اسمه شارع . فيكتوريا ينتهي بقصر بكنهام الذي يقيم فيه ملك الانكليز بعض ايام السنة . وفي الدير كنيسة تقام فيها الصلاة في الاحوال الرسمية وخصوصاً في الاحتفالات العظمى كالتتويج والزواج ونحوهما

ففي يوم تتويج الملك ادوارد السابع اصبح الدير كأنه تحول الى مرسح بما نصبوه فيه من السرادقات والمقاعد في طرقه ومنحنياته وفنائه وفعلوا مثل ذلك في الكنيسة نفسها لقعود اعضاء العائلة الملوكية والاشراف رجالاً ونساء وارباب المناصب العليا ولكل فئة منهم مكان خاص يشاهدون منه حفلة التتويج

لم تأزف الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم حتى غصت الكنيسة بالاشراف والشريفات وغيرهم بالملابس الرسمية . وفي تلك الساعة اقبل البرنس اوف ويلس وامرأته . فجلس البرنس في مقدمة مقاعد الاشراف وجلست امرأته على كرسي بجانب

المنبر . وفي الدقيقة الخامسة والعشرين من الساعة الثانية عشرة دخل الملك والملكة الى الدير ولكنهما لم يصلا الكنيسة الا في الدقيقة الخامسة والخمسين فاقبلت الملكة وذيل ردائها يحمله ٦ ويحف بها ١٢ من نساء الاشراف — سار موكبها على هذه الصورة في فناء الكنيسة والناس يهتفون من كل جانب باللاتينية Vivat Regina Alexandra أي لتحي الملكة الكسندرا . ثم اقبل موكب الملك و وراءه جماعة الاكليروس يحملون شارات الملك الآتي ذكرها والناس يهتفون باللاتينية ايضا Vivat Rex Eduardus أي ليحي الملك ادوارد . وعند وصولهما الى الكنيسة تقدم رئيس اساقفة كنتربري واعلن اهل ذلك الاحتفال في اربع جهات الكنيسة بحق الملك ادوارد في الملك على جاري عادتهم بعبارة تلاها مرة في كل جهة . وهذا مفادها : « ايها السادة اقدم لكم الملك ادوارد ملك هذه المملكة بلا شك وانتم انما جئتم اليوم لتقديم واجبات الاحترام والطاعة له فهل تفعلون ذلك ؟ » فضج الجميع بصوت واحد God save king Edward يا الله احفظ الملك ادوارد . ثم جلس الملك والملكة على كرسيهما . واحتفلوا بالصلاة باختصار مراعاة لصحة الملك ثم البسوه التاج وسلموا اليه شارات الملك حسب التقاليد المحفوظة في المملكة البريطانية . ووافق وضع التاج على رأس الملك في الدقيقة الاربعين من الساعة الاولى بعد الظهر



(ش٣) المهمازان والسيفان (ش٤) ابريق الزيت والملعقة

واليك بعض التفاصيل في اجراء تلك التقاليد مما لا يخلو ذكره من فائدة

بعد الفراغ من الصلاة وتناول القربان المقدس تقدم الملك الى المذبح واقسم اليمين

المعتادة وتعهد ان يحكم البلاد بمقتضى الشرائع المقررة والعادات المألوفة وان يحافظ على الاعتراف بالديانة الانجيلية المقررة بحسب الشريعة . ثم تقدم رئيس الاساقفة ليمسح الملك بالزيت . فقعد الملك على كرسيه أمام المذبح وفوق رأسه شبه مظلة من الحرير مربعة الزوايا قائمة على اربعة اعمدة يحملها اربعة من الاشراف . ثم تقدم رئيس الاساقفة ومعه شماس الكنيسة يحمل ابريقاً من الذهب بشكل النسر وملعقة (ش ٤) نصب الزيت من الابريق في الملعقة ثم صبه على قمة رأس الملك برسم الصليب وهو يقول « فليمسح رأسك بالزيت المقدس كما يمسح الملوك والكهنة والانبياء » ثم دهن صدره على تلك الكيفية وهو يقول « ليمسح صدرك بالزيت المقدس » . ثم دهن كفيه وهو يقول « لتمسح يداك بالزيت المقدس وكما ان صادق الكاهن وناثان النبي مسحا سليمان ملكاً كن أنت ملكا ممسوحاً ومباركاً ومقدساً على هذا الشعب الذي ولاك اياه الرب الملك باسم الاب والابن والروح القدس . آمين » ثم البسوه قميصاً ودراعة معدين للملك من قبل والدراعة من حرير احمر وردي موشى بالذهب

ثم اقبل متولي التتويج وبيده مهمازان (ش ٣) مس قدمي الملك بهما على جاري التقاليد القديمة . ثم قلده سيف المملكة وهو ذو قبضة مزدوجة في غمد من المخمل القرمزي طوله ٣٢ قيراطاً وعرضه قيراطان (ش ٣) ثم البسه قلادة مرصعة تلبس بين الكتف والخصر المنابل بشكل ما يتقلده القضاة . ووضع على اكتافه بردة منسوجة بالذهب ثم اجلسوه وسلمه رئيس الاساقفة كرة فوقها صليب مرصع (ش ٥) وهو يقول « البسك الله لباس الحق وثياب الخلاص وكلما نظرت الى هذه الكرة تحت هذا الصليب تذكر ان العالم باسره سيخضع لقوة

ش ٥ — الصولجان والخاتم

المسيح مخلصنا » ثم البسوه الخاتم وعليه رسم الصليب ايضاً (ش ٥) وقدموا له الصولجان الذهب وطوله قدمان وتسعة قراريط رمزاً عن الملك والعدل . ثم قدموا له صولجاناً آخر في رأسه حمامة بيضاء رمزاً عن المساواة والرأفة . واخيراً تقدم رئيس الاساقفة و بيده التاج ووضعه على رأس الملك فضج الناس بالدعاء وضربت الموسيقى وأطلقت المدافع . ثم تلوا بعض الادعية وتقدموا بالملك الى عرشه في وسط الكنيسة فاصعده الاساقفة اليه على خمس درجات فقعد الملك على العرش وتقدم الناس لتهنئته وأول من هنأه الاساقفة ثم ولي العهد فسائر اعضاء العائلة المالكة فالاشراف . وعلامة التهنئة ان يتقدم المهنئ فيلمس التاج ويقبل الملك في خده الايسر ويدعو له بطول البقاء . واحتفلوا بتتويج الملكة على نحو ذلك . ثم خرج الملك والملكة في مركبة خاصة الى قصر بكنهام والناس في الشوارع يصيحون ويتطاولون لمشاهدة ملكهم . وبعد دخولهما القصر اطلا من الشرفة لرد التحية على الناس كما ترى في الشكل الثاني

اعماله في اثناء ملكه

تولى ادوارد السابع عرش انكلترا منذ تسع سنوات ومملكته لا تغيب الشمس عنها ومساحتها ٥٣ ضعف مساحة فرنسا و٥٢ ضعف المانيا وثلاثة اضعاف الولايات المتحدة ونصف ضعفها وهي ثلاثة اضعاف اوربا . وعدد سكانها ٢٩٨ ٨٩٣ ٢٩٤ نفساً في المستعمرات فضلاً عن سكان انكلترا نفسها ٠٠٠ ٠٠٠ ٤٢

والحكومة الدستورية قلما يكون لملوكها تأثير في سياستها وان كانت شخصياتهم تؤثر في العلائق مع الدول الاخرى · وامتاز الملك المتوفى رحمه الله بعلائقه الودية مع دول اوربا وامما ولا سيما بماله من روابط القربى مع بعض ملوكها وقد اثمرت مساعيه ثمراً صالحاً يعود الى المسالمة ولذلك فهم يعدونه من انصار السلام . وقد استبشروا بذلك منذ اعتلى عرش الملك اذ وضع حداً لحرب البوير التي كانت مستعرة في جنوبي افريقيا وقد سعى في التوفيق بين انكلترا وفرنسا وافلح سعيه فعقد الوفاق الانكليزي الفرنساوي المشهور

وفي ايام هذا الملك استنشقت المستعمرات الانكليزية ريح الاستقلال بمعنى ان السياسة الانكليزية الحديثة لا تقصد بالاستعمار استعباد الناس ولا هي تستطيع ذلك

اذا ارادته ولكنها تريد الانتفاع من الاستعمار ماديأ برواج تجارتها وتأييد نفوذها لا يهمها كان ذلك باسم الحماية او الاحتلال او الاستعمار او الامتلاك . وهي تلاحظ من الجهة الاخرى قوة مستعمراتها فاذ رأت فيها الكفاءة للعمل او القوة على الاستقلال اذا ارادته بادرت الى منحها الاستقلال بشروط تحفظ بها حقوقها السياسية وافضليتها التجارية . كذلك فعلت على عهد الملك ادوارد مع مستعمراتهـا في كندا واوستراليا فنحتها الاستقلال الاداري . واتحدت في ايامه ولايات افريقيا الجنوبية باسم ولايات افريقيا المتحدة ولكنه توفي بالامس والدولة الانكليزية في احرج المراكز بالنظر الى الازمة السياسية بين الاحرار والمحافظين وقد احتفل بدفنه في ٢٠ مايو الماضي احتفالا حضره ملوك الارض ورؤوس الحكومات او من ينوب عنهم



١ — المذنبات على الاجمال

ذوات الاذناب او الكواكب المذنبة [١] سيارات تابعة للنظام الشمسي كالمريخ وعطارد والمشتري والارض . اي انها تدور حول الشمس مثلها لكنها تمتاز عنها باذناب تختلف طولاً وشكلاً و بعدم انتظام افلاكها اي مداراتها

لكل من السيارات مدار او فلك يدور فيه وله حدود معروفة واكثرها مستدير او يقرب من المستدير الا المذنبات فان افلاكها اقرب الى الاشكال المخروطية . واول من قال ذلك من علماء الفلك هفليوس الفلكي الالماني في اواسط القرن السابع عشر . وعاصره هالي فاشتغل بضبط حركاتها ووضع القواعد لسيرها بناء على ذلك الرأي . وبعض

(١) وتسمى في الافرنجية « Comet » من « Coma » في اليونانية ومعناها الشعر ولعل « الجمة » العربية بمعنى مجتمع شعر الراس معربة عنها

المذنبات يظهر من حركاتها انها تسير في افلاك اهليليجية الشمس في احدى بؤرتيها

وقد بلغ عدد المذنبات التي رصدها الفلكيون الى اليوم نحو ٦٠٠ مذنب ولكنها اكثر من ذلك كثيراً وهي تختلف حجماً وشكلاً و بعداً وقرباً وتشترك في صفات لا يخلو منها واحد وهي ان المذنب مؤلف من اربعة اجزاء : النواة واللحية والمحيط والذنب . واما النواة فلا ترى في بعض المذنبات وهي مثل الضباب ترى من ورائها النجوم وكان أخف البخار المائي في الهواء يحجبها عن النظر وفي بعضها تكون النواة لامعة جدًّا تضاهي لمعان الزهرة . وفي البعض تتألف النواة من عدة قطع . وذكر بعضهم حركة تلك القطع بعضها على بعض غير ان ذلك من الامور المشكوك في صحتها

اما اللحية او الرأس فهي المادة الضبابية حول النواة وقد تشغل مساحة اوسع من مساحة قرص القمر

اما المحيط فهو القسم من اللحية او الرأس الابعد عن النواة وهو غالبا ينحرف نحو خلف المذنب ويكون مبتدأ ذنبه . والذنب مادة لطيفة على هيئة مروحة كبيرة ممتدة الى عكس جهة الشمس من المذنب وطوله الظاهر متوقف على الزاوية الحادثة بيننا وبينه والشمس وجهة حركته . وقد يكون الذنب ممتدًّا على خط النظر فلا يرى آخره او يرى قصيرًا

اشهر المذنبات

اقدم من ذكر المذنبات ارسطو الفيلسوف اليوناني فقد وصف مذنباً ظهر سنة ٣٧٠ قبل الميلاد. وجاء في التاريخ ان نجماً مذنباً ظهر في السماء عند ولادة متريداتس سنة ١١٥ قبل الميلاد وظل ظاهرًا للعيان ٧٢ يوماً . قال يوستن انه كان عظيما جدًّا حتى كان يظهر في اثناء النهار يشغل ربع القبة الزرقاء ويكاد يحجب نور الشمس

وظهر مذنب كبير سنة ١٢٦٤م قالوا ان طول ذنبه كان ممتدًّا مسافة ١٠٠ درجة ويظنون ان هذا النجم ظهر ايضاً سنة ١٥٥٦

ومن اكبر المذنبات نجم ظهر في انكلترا سنة ١٣٣٧

ومن اكثر المذنبات ذكراً في التاريخ نجم ظهر سنة ١٦٧٩ فارعب العالم لقربه من الارض وظل ظاهراً من ١ نوفمبر سنة ١٦٧٩ الى ٩ مارس سنة ١٦٨٠ وقد رآه نيوتن

الفيلسوف الشهير ودرس حركاته وطبائعه وكانت نتيجة درسه ان المذنبات وسائر السيارات تتأثر من ناموس الجاذبية وانها تدور في افلاك اهليليجية

و بعد مئة سنة ظهر نجم مذنب شديد اللمعان اقترب من الارض حتى صار على مليوني ميل منها وكان سريع المرور شاهده اهل لندن واعجبوا بلمعانه وجماله وكان ذيله طويلاً ممتداً في عرض السماء لمسافة ٣٦٥ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل

وظهر نجم عظيم سنة ١٨١١ قدّر هرشل الفلكي طول ذيله بنحو ١٠٠,٠٠٠ ٠٠٠ ميل وعرضه ١٥ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل وظل ظاهراً للعين المجردة طول خريف ذلك العام

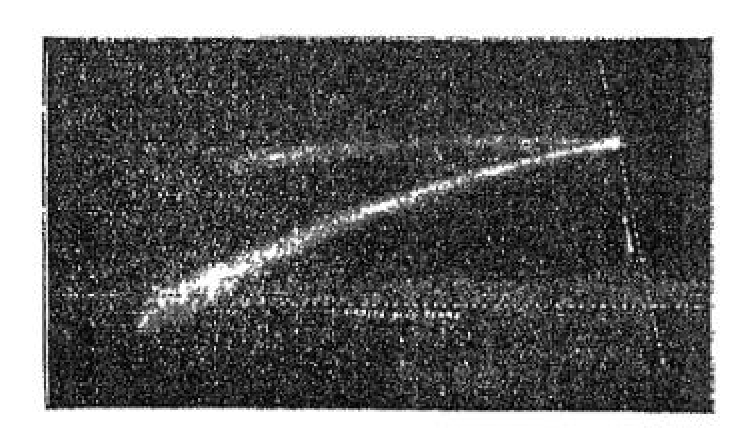
ومن مشاهير المذنبات مذنب انكي سمي على اسم الاستاذ انكي الذي اكتشفه سنة ١٨١٨ ودرس مداره وحركاته وهو يدور في فلكه مرة كل ثلاث سنين و ١٥ اسبوعاً

ومنها مذنب بيلا اكتشفه ضابط نمساوي اسمه بيلا سنة ١٨٢٦ واهتم الناس بشأنه لانه اقترب من فلك الارض وقد حسبوا حركاته فوجدوه يدور دورة كل ست سنين و ٣٨ اسبوعاً فظهر للمرة الثانية سنة ١٨٣٢ ثم سنة ١٨٣٩ ثم سنة ١٨٤٥ وأخيراً سنة ١٨٥٢ ثم لم يعد يظهر

ومذنب دوناتي اكتشفه الدكتور دوناتي الايطالي سنة ١٨٥٨ ودرس طبائعه وحركاته فوجده يبعد عن الارض ٢٢٨ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل وكان ظهوره واضحاً على الخصوص في انكلترا فبدأ في اواخر سبتمبر شديد اللمعان وقاسوا ذيله في ١ كتوبر فبلغ طوله ٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل وبلغ اقرب نقطة للارض في ١٠ اكتوبر المذكور وكاد في ١٨ منه ان يتصادم مع الزهرة ولكنه لم يفعل

وظهر سنة ١٨٦١ مذنب هائل اكتشفه المستر تبوت في سدني اوستراليا في ١٣ مايو ثم رآه غيره وقاسوا نواته فبلغ قطرها ٤٠٠ ميل وذيله متعرض على غير نظام وكانت سرعته ١٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل في اليوم . وفي ٣٠ يونيو من تلك السنة مرت الارض في طرف ذيله وشعر الناس باشعة فصفورية (انظر الشكل الاول)

وكثر اكتشاف المذنبات من ذلك التاريخ على اختلاف الاحجام والاشكال . وتظهر نواتها أي النقطة المضيئة فيها على الغالب بحجم كوكب كبير أو صغير . واما الذيل



ش ١ — مذنب سنة ١٨٦١ وقد دخلت الارض في ذيله

فهو دائماً متجه نحو الجهة المقابلة للشمس ولذلك ذهبوا في تركيبه الى انه ابخرة تتصاعد من النواة عند اقترابها من الشمس ولكن ظهر بالتحليل الطيفي ان في ذوات الاذناب غاز الهيدروكربيدو السيانوجين وهو سام

ش ٢ — المقابلة بين حجم الارض والقمر ورؤوس المذنبات

ويختلف طول الاذناب اختلافاً كثيراً وترى في اعلى الشكل الثاني صور بعض رؤوس المذنبات وفي اسفله طول اذنابها بالنسبة الى الشمس وبعدها عن الارض . فانك ترى في اسفل الشكل المذكور صورة الشمس الى اليسار والارض الى اليمين والمسافة بينهما ٣٧٣٧٥٠٠٠ ميل وترى حول الشمس صور بعض المذنبات واقصرها الذي ظهر سنة ١٨٥٨ ويكاد طوله يساوي البعد بين الشمس والارض . واطولها مذنب ١٨٤٣ ويزيد طوله على مضاعف ذلك البعد . وترى في وسط الشكل المذكور المقابلة بين حجم قرص الشمس ورأس المذنب الذي ظهر سنة ١٨١١ وكان حجمه هائلاً . أما ذيله فتراه في اسفل الرسم وطوله نحو المسافة بين الشمس والارض او اكثر قليلاً .

مذنب هالي

أما مذنب هالي فهو أهمها بالنظر لظهوره في هذه الاثناء وقد سمي بذلك نسبة الى ادموند هالي الفلكي الانكليزي المتوفى سنة ١٧٤٢ لانه شهد ظهوره سنة ١٦٨٢ وعني بدرسه وطبق ما رآه على ما ذكره الفلكيون قبله عن المذنبات التي ظهرت الى ايامه فوجده يطابق مذنبين ظهر أحدهما سنة ١٥٣١ والآخر سنة ١٦٠٧ فاستنتج ان هذه الثلاثة نجمٌ واحد وانه يظهر مرة كل ٧٥ سنة. وبناء على هذا الحساب تنبأ بظهوره سنة ١٧٥٧ وهو اول من تجرأ على ذلك. فاستخف معاصروه بقوله وعدوه رجماً بالغيب ولكن الزمان برهن صدق قوله. غير ان بعض العوارض الفلكية أخرت ظهوره ٦١٨ يوماً لان زحل والمشتري أثرا في سرعته لشدة جذبهما اياه تأييداً لرأي نيوتن المتقدم عن تأثير الجاذبية في سير المذنبات فلم يظهر الا في افريل سنة ١٧٥٩ بدلاً من اوغسطس سنة ١٧٥٧ ثم ظهر مرة أخرى سنة ١٨٣٥ وتنبأوا بظهوره على هذا القياس سنة ١٩١٠ وقد ظهر ولا يزال. وكثر تحدث الناس به ووجد بعض علماء الفلك ان هذا النجم ظهر سنة ١٠٦٦ وذكر الذين شاهدوه ان حجم نواته اربعة اضعاف نجمة الصبح ونوره يقرب من نور القمر اذا كان في ربعه الاول. ثم سكت التاريخ عنه ولم يذكر الا سنة ١٤٥٦ فظهر في ذلك العام ومر على مقربة من الارض وقد امتد ذيله مسافة ٦٠ درجة من السماء مستطيلاً كالسيف المسلول واتخذه الناس علامة سماوية لظهوره على أثر دخول العثمانيين القسطنطينية وفرار اهلها منها واهتزاز العالم الاوربي

ش ٣ — مذنب هالي على اختلاف اشكاله: (1) شكله عند ظهوره سنة ١٦٨٢ (2) رأسه عند ظهوره سنة ١٨٣٦ (3) مظهره للعين المجردة في تلك السنة

خوفاً من العثمانيين . ثم ظهر سنة ١٥٣١ وسنة ١٦٠٧ ثم سنة ١٦٨٢ فرآه هالي ودرسه كما تقدم وذكر آخرون انه ظهر في السنة ١٢ قبل الميلاد ثم توالى ظهوره مرة كل ٧٥ سنة تقريباً ولم يثبت ذلك

ويختلف مذنب هالي شكلاً حسب الظاهر باختلاف اوقات ذلك الظهور فقد رسمه اهل القرن الرابع عشر بشكل الخنجر ذي الحدين (انظر 1 في ش ٣) وصوره هرشل سنة ١٨٣٦ بشكل خوذة الفارس (2) ولكنه ظهر للعين المجردة مخروطيا مستطيلا (3) وهكذا كان شكله تقريباً لهذا العام

وذكروا من اوصاف مذنب هالي لهذا العام ان طول ذيله ٢٣ مليون ميل . وهو يسير في فلك يقاطع فلك الارض بينها وبين الشمس ويقطع ٤٩ كيلومتراً في الثانية والارض تقطع ٢٩ كيلومتراً بحيث يكون مروره في ذلك الوسط بين مارس ومايو ويختلف قربه من الارض وبعده عنها في اثناء هذه المدة فيكون على أبعد المسافات في ٢٠ ابريل ثم يقترب رويداً رويداً فيصير على ٠٠٠ ٠٠٠ ١١٣ ميل في ٢ مايو ولا يزال فلكه يقرب من فلك الارض الى ٣٠ مايو حيث يتقاطعان ويعودان الى التباعد . فحسبوا ان مروره بين الارض والشمس يكون على اقرب نقطة بينهما قريباً من نقطة تقاطع الفلكين في ١٨ مايو ويكون رأس النجم المذكور متجهاً نحو الشمس وذيله نحو الارض . وتكون المسافة بين النواة والارض ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٣ ميل فاذا صح ان طول ذنب ذلك النجم هذا المقدار او اكثر فالارض يغمرها ذيله وان كان الذنب اقصر من ذلك لا يمسها

وقد استولى الرعب على القلوب خوفا من دخول الارض في ذيل هـذا النجم مع انها ليست اول مرة دخلت فيها الارض في ذيول المذنبات ولم يمسها ضرر . وذهب بعضهم ان الارض اذا غمرها ذيل مذنب هالي اختنق اهلها بغاز السيانوجين المتقدم ذكره لانه سام كثيرًا ولكن العلماء في خلاف من حيث مادة ذلك الذيل . وكل ما يذكر من هذا القبيل من قبيل التخمين وقد انقضى يوم ١٨ مايو وليله ولم يحدث تغيير في الظواهر الجوية والحمد لله

قيمة الحياة [1]

لامين افندي ريحاني

ايها السادة والسيدات

سأحدثكم الليلة في موضوع قريب منا كلنا بلغة تسمعونها كل يوم و بعبارة تفهمونها وانتم الى اشغالكم سائرون . موضوعي « قيمة الحياة » واحب ان اسدل بادئ بدء ستاراً على الماضي وآخر على المستقبل فاحصر الحياة في الحاضر واسألكم سؤالاً : لو علمتم حق العلم ان الحياة صدفة من صدف الطبيعة وان لا سابق قصد لها ولا لاحق — لا قوة مدركة وراء المهد ولا وراء اللحد فترسلها وتبعثها عقلاً وروحاً — وكلمة أخرى لو تأكدتم ان الحياة محض مادية والموت ضجعة ابدية كيف تعيشون يا ترى وكيف تعملون لترفعوا من قيمتها وتجنوا الناضج اللذيذ من ثمارها ؟ اتجعلون قاعدتها الاساسية قاعدة التجار والمتمولين أن لا حقيقة في العالم الا المال ؟ اتقولون قول السياسيين والمسيطرين ان لا حق في العالم الا القوة ؟ أتذهبون مذهب فلاسفة اليونان الكابيين أن لا حقيقة في العالم الا اللذات أو تقولون قول حشاشي الزمان القديم أن لا حقيقة في العالم على الاطلاق وكل شيء مباح ؟ لو تأكدنا أن الكون مركب من المادة والقوة فقط وان الحياة كذلك. اينبغي ان نعيش كالحيوانات ؟ وان نحن فعلنا انأمن شر انفسنا ان لم اقل شر الاقوياء فينا ؟ اذا احب احد الناس ان يعيش كما لو كان هو العالم وبيته الدنيا واستطاع الى ذلك سبيلاً أيستطيع ان يذهب على هواه دون ان تذهب حياته فريسة الاهواء والشهوات ؟ لو ضحاني هذا السيد العظيم الاثيم وضحا كم على عرفات قدسه ومجده واطماعه ايأمن يا ترى صولة الجماعات حين يستيقظون وينهضون ؟ أآمن هو ويدٌ فوق يده تأخذ بناصيته يوم يثأر الحق باعدائه ؟ حكم عبد الحميد ثلاث وثلاثين سنة وهو لا يحسب ان في العالم من ينبغي ان تراعى حقوقهم وحياتهم سواه فماذا كانت عاقبة بغيه وجوره وأثرته

لا انكر ان نظرة عمومية سطحية في احوال الانسان الاجتماعية ترينا الشرير يسعد

(1) خطبة القيت في حفلة جمعية الخدمة الوطنية في صيدا

بشره والصالح يشقى بصلاحه. ولكن ذلك لايكون الى الابد. وانما يظهر كذلك لمن لا ينظر في الامور الى ما وراءها. لمن لا يرى في الحياة غير ظواهر الحوادث. مات كثيرون ممن قاسوا اليم العذاب من الدور الماضي دون ان يشاهدوا نكبة سلطانه واعوانه. ماتوا وهم يائسون من الحياة التي ينتصر فيها مثل هؤلاء الاشرار الكبار. ولكن قصر نظرهم فيئسوا. ولو تشوفوا الى المستقبل وكان ايمانهم شديداً بالعناية التي لا تترك الاثيم عزيزاً الى الابد لما ماتوا يائسين. ان ما نراه نحن اليوم مثلا ونفر منه ساخطين حانقين يراه غداً آخرون فينجلي لهم فيه اليقين. ان شر الامس ينتج اليوم خيراً وخير اليوم قد ينتج غداً شراً

اجل ياسادتي ان في الاشياء والاكوان عناية لايعقلها الانسان ولا يدركها ارباب العرفان. ان في الحياة اسراراً تدك العروش وتزعزع الجبال لو تجلت كلها دفعة واحدة في وقت واحد. ولكنه تعالى عليم رحيم وهو لا يمكننا الا مما نحتاج اليه من القوات الخفية في الحياة نستخدمها في منفعتنا ونقف صابرين هادئين ثابتين امام مقطعات الوجود ومبهجاته. وعندي ان هذه الاسرار تتجلى للانسان تدريجاً على حسب ارتقائه العقلي والروحي. ذلك لان الحياة سلم اوله الحيوان ووسطه الانسان وآخره الملاك. وقد يأتي يوم يشاهد فيه ابناء الارض رجل المستقبل العظيم وقد ترقت فيه القوى الحيوية كلها أي القوى الحيوانية والبشرية والالهية الى منتهى الدرجات. الانسان مركب من هذه كلها وقواها كامنة فيه الى الابد. فان رعى احداها دون الاخرى يقف في سلم الارتقاء وطبائع الحياة فيه ناقصة فاسدة. نعم اني ممن يعتقدون بالنشوء والارتقاء ولا حاجة الى ان يؤيد العلماء اعتقادي. فاني لمؤيده بما اعرفه وبما اجتليه من لوح هذا الوجود. من الحياة ومن الاكوان. ان في نشوء الانواع وارتقائهما عناية الهية عظيمة. والناموس الطبيعي الذي يكثر من ذكره العلماء انما هو مشيئة الله في الاشياء. اني لارى يد الله في كل مظهر من مظاهر الحياة وأؤمل ان أرى ولو بعد موتي بمليون من السنين روح الانسان متجلية في كل مظهر من مظاهر الله

اراني تجاوزت الحدود الوهمية التي حصرت هذا الوجود ضمنها فاصبحت والماضي والمستقبل يتجاذبان فيَّ المعقول والمحسوس. وكيف نستطيع ان ننظر في الحياة بنظره

بعيدة صائبة دون ان نلتفت الى الماضي ونتشوف الى المستقبل . كيف يمكننا ان نقيسها لنعلم قيمتها وكل شيء فينا وحولنا ينطق بما مضى وبما هو آت مما هو قسم جوهري من الحياة البشرية . احببت ان احصر الموضوع في الحاضر لأريكم ان الحياة وان كانت محض مادية لا يستطيع الانسان ان يذهب فيها حسبما يشاء ويسترسل الى ملاذه واهوائه دون ان تخثر نفسه فيغلظ شعوره فيكثر عثاره فيشتد بلاؤه وان بلاء الناس اليوم لناتج عن هذه الحياة المادية الحيوانية التي يكبرونها ويعززونها ويهرقون دماً في سبيلها . ألا اننا نعيش اليوم كما لو كانت الحياة منحصرة في البورص والمخزن وغرفتي الطعام والنوم . نعيش كما لو كان قوام الحياة في جمع المال وفي تربية دود الاهواء والشهوات . ويالها من ديدان تحوك للنفس وللجسد اكفاناً من الحرير . نعيش كما لو كنا آلات هضم واكثرها في هذا الزمان مصدئة . وانصاب مجد واكثرها متهدمة فالسياسي لا يرى في الحق قوة تستحق الاعتبار ان كان الحق لا يؤيده في ضلاله وفساده . ورجال الدين يصمون اذانهم عما جاء في كتب الدين من سديد التعاليم ويستخرجون من بعض الآيات والعقائد قواعد تمكنهم من الضغط على الانفس والعقول لتكون لهم في ذلك سلطة ما انزلها الله على احد من الناس . والصحافيون يزفون ثناءهم لهذا الخاطب ويبذلون شهادتهم لذاك الطالب حبًّا باعلان او اشتراك يحرزونه . او انهم يوقفون الحق على رأسه غواية ونكاية . او انهم يتحاملون على الناس ويثيرون المفاسد والفتن حبًّا بالظهور والاشتهار . والغني فينا يعيش كما لو كانت الاموال تقيه الموت وتكسبه الخلود . والتاجر يضرب اخماساً لاسداس ليل نهار فيستنبط طرقاً بل حيلاً جديدة للكسب والاثراء . والوجيه الفاضل الواقف على شفير الافلاس يكند الفلاحين الفقراء ويعرقهم ليؤيد فيهم منزلته العالية ومقامه الرفيع الشأن . ترانا نعيش كأن الحياة بنت يومها منحصرة بين شارقة وغاربة . مركبة من امشاج لا اثر فيها للعقليات والروحيات . بلى نعيش كما لو كنا مركبين من ألسنة ومِعَد واكباد فقط فنحسن القلقة والكبكبة والشر الثالث الذي ذكره النبي في حديثه الشريف . ولا نحسن سواها نعيش لأهوائنا وبطوننا وملاذنا . نعيش لمجد في العالم باطل . نعيش لوجاهة فينا فارغة نعيش لازياء تستعبدنا لعادات واصطلاحات تسوقنا الى المذلات . وفوق ذلك نعيش

في الخداع والجربزة والتلبيس. نخادع لخوف فيها يسودنا . نموه على الله والناس لغايات في النفس خبيثة ذميمة . نتآخى طمعاً بربح من هذا الاخاء. نتصادق حباً بما في الصداقة من عائدة مادية بائدة . وقد قال المتنبي

ولما صار ود الناس خِباً جزيت على ابتسام بابتسام

وصرت أشك فيمن اصطفيه لعلمي انه بعض الانام

كانت لامرىء كرمة يأوي اليها الثعالب و يفسدون فيها. فنصب هناك مفزعة او خيال صحراء ليردعهم عنها . فجازت الحيلة على الثعالب وعجبوا لصاحب كرمة يناطرها ليل نهار ليقطع نصيبهم منها . الا ان احدهم اشجعهم وادهاهم بادره الريب من ذلك فجاء الكرمة ذات يوم ووقف ساعة امام المفزعة دون ان يفزع منها . ثم تقدم اليها قليلاً قليلا وضربها بيده فوقعت الى الارض . فضحك ثم ضحك ورفع فوقها جنبه وراح يدعو اخوانه الى اجتماع وطني سياسي وخطب فيهم قائلا : ان الانسان لخداع مكار فقد حرمنا نصيبنا من الكرمة بخيال نصبه فيها . ومن رأيي ان نحذو حذوه لنفوز عليه فاقترح عليكم نصب خيال أسد هناك فننال قسمتنا من الكرمة . فصفق الثعالب الجياع له ونصبوا في كرمة الانسان مفزعة بهيئة الاسد. ولما جاء الانسان في اليوم التالي ورأى الاسد واقفاً هناك ينظر اليه وقف شعر رأسه وهرول راجعاً الى بيته . وكذلك نال الثعالب الجياع قسمتهم من الكرمة . خدعهم الانسان بخيال فخدعوه بمثله

وكم من خيالات و بعبعات تحفظ اليوم كياننا وتدفع عن شرقنا الوهمي عارًا وهماً كم في حقول الدين وصحاري السياسة وكروم التجارة من مفزعات لو ضربت مرة لاصبحت مفضحات ؛ اجل ان الحياة اليوم في الفخم مظاهرها الاوربية كانت او في ارقى مظاهرها الشرقية انما هي حياة خاسئة فاسدة ناقصة . هي عند الغربيين محض مادية تجارية وأمست عندنا لا مادية تعرف ولا روحية . حياتنا ايها السادة وان كنا لم نزل نؤم الكنائس والجوامع كاجدادنا ان هي الا الاعوبة في روحياتها واضحوكة في مادياتها . هي مزيج فاسد من الاثنين . وهذا سبب الشقاء والبلاء والفساد الذي نشاهده كل يوم في طبقات المجتمع كلها . بل هذا من وجهة خصوصية السبب الاصلي في انحطاط الشرق والشرقيين واكدوا ان ولاية الاوربيين على الشرق لا تدوم طويلاً

اذا كان اساسها القوة المادية فقط . وان نهضة الشرق لا تنجح ان كان اساسها الروحيات فقط . الكتب المقدسة تصلح الحياة ولكنها لا تعمر البلاد . والعلوم المادية تعمر البلاد ولكنها لا تصلح الحياة . اذن كتبكم المقدسة احفظوها وكتب العلم عززوها . وكل كتاب ايها السادة يساعد على حفظ الحياة وتحسينها وارتقائها هو عندي كتاب كريم مقدس . والحياة الصحيحة القوية الجميلة السابغة هي التي تتغذى من كل كتاب مقدس روحي كان او موضوعه مادي . ذلك لانها مركبة من الاضداد . ذلك لانها مادية روحية عقلية . ومن النواميس الطبيعية المعروفة ان قوى الانسان تنمو وتشتد بالتمرين والممارسة . فاذا كنا لا نمارس الا قوانا الحيوانية وفينا قوى اخرى عقلية روحية نظل لا شك في درجة واطئة من سلم الحياة بل نظل والجهل والبلاء اكبر ما في حياتنا ذلك لان القسمين الاكبرين فيها اعتراهما من الاهمال الفساد . ولو مرّن المرء قواه العقلية والجسدية فقط لظلت الروح فيه مهملة مغبونة . وكثيراً ما تكون تشوقات النفس المظلومة سبباً لعوارض وامراض شتى . كثيرا ما يكون شقاؤنا ناتجاً عن فساد احدى قوانا الروحية والعقلية

وها اني وصلت الى الحد الذي ينبغي ان نعرف عنده الحياة لنعرف كيف نقيس قيمتها . مما تقدم يتضح لكم ان الحياة في الاصل انما هي قوات عقلية روحية مادية تظهر في الانسان بمقادير متباينة ناقصة ولكنها كامنة بالقوة غير محدودة في كل نفس بشرية . قلت انها كامنة بالقوة والعبارة فلسفية وضعية لا أحب ان ارددها واكثر من مثلها . على انني اورد الفكر هذا بعبارة بسيطة . ان في كل منا قوىً غير محدودة من هذه الينابيع الثلاثة تظهر فينا او في نسلنا بمظاهر شتى طوعاً لاحوال نعقلها اذا اعتبرناها ولاسرار لا نستطيع اليوم ادراكها . هذه هي الحياة نظرياً مبدئياً . واما عملا — آه لو كانت حياتنا الدنيا ابتسامة دائمة تبتدىء بالسرور وتنتهي بالابتهاج . آه لو كانت حلماً من احلام الشعراء او لحناً مطرباً مفرحاً من الحان الموسيقيين ! ولكن الحياة في نظر احد القديسين انما هي عقاب الانسان في هذا العالم . وفي نظر الفيلسوف هي سلسلة من حديد المصائب فيها حلقات قليلة من ذهب العزاء والهناء . وفي نظر الشاعر هي هيئات هيولية محزنة لاسرار سامية غامضة . هي خيال زائل لحقيقة ازلية دائمة . وفي رأي سيدنا

سليمان كل شيء باطل وقبض الريح وفي رأي جمهور الناس انما الارض وادي الدموع. فالقديس اذاً والفيلسوف والشاعر والحكيم والناس كلهم مجمعون على ان حياتنا الدنيا لا تساوي العناء الذي نقاسيه من اجلها بل لا تساوي العرق الذي يتصبب من جباهنا في سبيلها • ولكني ارفع على هذه الاراء كلها رأياً اخر اود لو سمعتموه وحفظتموه وتمثلتم به في كل وقت وفي كل مكان • الا ان الحياة صالحة اذا كان المرء صالحاً وجميلة اذا كانت نفس المرء جميلة . والانسان لا يكون صالحاً ونفسه لا تكون جميلة اذا كان لا يربي ويرقي فيه قواه الروحية والعقلية والمادية كلها على السواء • ومن النادر ان نجد في العالم اليوم حياة تامة الاجزاء ارتقاء ونشاطاً في شخص واحد • فاذا كانت القوة العقلية عظيمة في احد الناس راقية تكون القوة الروحية او الجسدية فيه منحطة • والعكس بالعكس • ودفعاً لما قد يكون في كلامي من الابهام ازيدكم ايضاحاً بما اريده بالحياة التامة الاجزاء ارتقاء وفهماً ونشاطاً • القوة الحيوانية التي ينبغي للانسان ان يرعاها ويتعهدها بالتربية تظهر نتائجها في صحته وصحة نسله • والقوة الروحية تظهر في شعوره الراقي وحبه • والقوة العقلية في ادراكه ونباهته وحكمته • واعلموا ان العالم مثلا يكون غالباً قوي الادراك ضعيف الشعور • والشاعر قوي الشعور ضعيف الادراك • والفلاح او البدوي يكون غالباً قوي الجسم ضعيف الشعور قليل الادراك • اما قيمة الحياة في كل من هؤلاء وان كانت ناقصة فتختلف بالنسبة الى ما يأتون به من الصالحات الباقيات • فقد تكون قيمة حياة البدوي في نسله اعظم منها في نسل الشاعر او العالم وقد تكون في الشاعر اعظم منها في العالم العلامة والحبر الفهامة

قد لا ينتبه ارق الشعوب حتى في هذا الزمان الى ما في الوجود من دواعي الارتقاء كلها والصحة والسعادة . في الشرق مثلاً نظن الوسخ عرضاً والخمول نعمة والوهن مصدراً للتجليات الروحية . ومن هذه الاوهام ينشأ التقشف والزهد وما يصحبهما من اذلال الجسد واماتته . وفي الغرب بدأنا نرفع من أسباب النظافة والصحة الى حد لا تعلوه أقصى الغايات . وقد قال الفلاسفة هناك ان من واجبات الانسان الاولية ان يكون حيواناً نشيطاً قوياً • ولكن اذا نحن أهملنا ترويض الاجسام فهناك بدأوا يهملون ترويض الارواح • وفي الامرين نقص ظاهر • على الانسان ان يعتني على السواء

في تربية وترقية قواه العقلية والجسدية والروحية كلها • سأضرب لكم مثلا من هذا النقص في التربية حتى في مشاهير الرجال • في الفيلسوف سبنسر كانت قوة الادراك راقية الى حد نادر المثال عجيب وأما قوة الشعور والانعطاف أي القوة الروحية فكانت فيه اضعف مما قد تكون في أحد سكان اواسط افريقيا • وفي الشاعر دانتي نجد القوة الروحية عظيمة في شعره كما كانت في حياته وأما القوة العقلية أي قوة الادراك فما هي كذلك • ومثل هذه الموازنة تصح بين الفارض وابن رشد او بين البهاء زهير وأبي العلاء • وعندي ان في رجل المستقبل العظيم يتجسد الفيلسوف سبنسر والشاعر دانتي او العالم باستور والقديس اوغسطينوس او الفارض وابن رشد • سيجبل الله انساناً جديداً كاملاً من الطينتين • من النصفين • وهو على كل شيء قدير

من هذا يتضح كم رأيي في ماهية الحياة واقصى غاياتها . أجل ان الحياة الحقة هي التي تجمع بين محاسن فلسفة الروحيين وفلسفة الماديين . هي التي يشارك صاحبها ابيكوروس في لذاته وافلاطون في روحياته وسقراط في ادراكه وحكمته . هي التي تعظم فيها قوة الجسد وقوة العقل وقوة الروح . هي التي تؤلف بين أول درجات سلم الحياة وآخرها . بين الحيوان مصدرها والملاك محجتها . مثل هذه الحياة كنز من كنوز الدنيا وقيمتها لا تقدر ولا تحد

أما حياتنا اليوم — حياة عالمنا أو تاجرنا أو زاهدنا او فلاحنا — فهي ناقصة ضيقة خاسئة فاسدة . ونتائجها بالطبع تكون كذلك . فمن عمل فيه اخلاص وما فيه شيء من العقل • ومن عمل فيه عقل وما فيه شيء من الاخلاص . ومن عمل فيه اقدام وشجاعة بل قحة وسلاطة وما فيه ذرة من العقل والاخلاص . ومع ذلك نستطيع ان نجعل حياتنا اليوم ذات قيمة تذكر اذا سرنا الى غرضنا بحزم وعزم وثبات ونشاط واقتطفنا من الاعمال الناقصة حولنا ما هو صحيح ناضج من ثمارها . اذا كنا حقاً احراراً — اذا كنا صادقين مخلصين محبين مدركين فنعرف اين تنتهي حريتنا واين تبتدئ حرية جارنا — نمهد بشيء من العلم والصلاح سبيل الحياة الحقة التي وصفتها . الحياة البشرية المستقبلة التامة الاجزاء ارتقاء وصحة وفهماً . نعم ان قيمة مثل حياتنا اليوم لهي ناقصة تافهة ولكن بالنسبة الى ما هو دونها تستحق الاعتبار حسبنا ان تنقص فينا اليوم الجريرة

والتليس والخداع فتعلو بالنسبة قيمة الحياة . حسبنا أن يتقدم في كل بلد أحد الناس الاقوياء بصلاحهم الجريئين بفكرهم فيضرب بيده احدى مفزعات الناس و يحطمها . الخيالات والبعبعات والاوهام والخزعبلات كلما زال شيء من هذه ترتفع بالنسبة قيمة الحياة

قل لي اذاً ايها المحترم ما هو اعتقادك الحقيقي فاقول لك ما هي قيمة حياتك . قل لي ياصاحب السعادة والعزة ما هي آمالك في اعمالك فاقول لك ما هي قيمة حياتك . قل لي أيها الصحافي الحر ما هي غايتك من تسويد الصحف فاقول لك ما هي قيمة حياتك . قل لي أيها الغني ما هو قصدك الاول من جمع المال فاقول لك ما هي قيمة حياتك . قل لي أيها الانسان ما هي اسرار قلبك اقل لك ما هي قيمة حياتك . قولي لي أيتها المرأة ما هي غايتك القصوى في الدنيا اقل لك ما هي قيمة حياتك

اخواني . اخواتي

ان قيمة حياتنا اليوم ما نزرعه في القلوب من البر والتقوى وفي العقول من العلم والحكمة . قيمة الحياة ما يعود الينا من ثمار الحب الذي نزرعه في صدور الناس. قيمة الحياة ما يأتي به كل منا من الصالحات الباقيات مادية كانت او عقلية أو روحية. فالغني الذي يقدر حياته بما عنده من المال يرفع من قيمتها اذا بذل من ثروته في نشر المعارف واستئصال الامراض . والعالم الذي يقدر حياته بما عنده من العلم يرفع من قيمتها اذا بذل من ثروته لنشر المعارف واستئصال الامراض . والعـالم الذي يقـدر حياته بما عنده من العلم يرفع من قيمتها اذا محص علمه من الغش والخداع من السفاسف والاوهام وبثه في الناس صافياً لوجه الله . والمتقشف الذي يقدر حياته بما عنده من الزهد والتقوى يصنع خيراً اذا كان تقشفه يفيد في الاقل افادة سلبية فيخفف فينا وطأة زخرف هذه الحياة المدنية . على ان العالم والغني والزاهـد قلما تنفع حياتهم وقلما تكون ارفع قيمة من حياة احقر الناس واجهلهم اذا كانوا لايعملون لغير انفسهم . وشر الحياة حياة لا انعطف فيها ولا اخلاص . ولا حب . ولا حماسة

واما رجل المستقبل ذاك الذي تتم فيه اجزاء الحياة كلها وتتساوى صحة ونشاطاً وفهماً ورقياً فسيتمكن ان شاء الله من الجمع بين حسنات العالم والغني والزاهد . بين

محاسن العقل والجسد والروح . بين الخيال والحقيقة . بين جمال الشعر وجمال الحكمة وجمال الصحة . مثل هذا الرجل يعيش في الحاضر كما لو كان الحاضر الابدية كلها فلا يعمل عملاً لا يشترك فيه عقله وروحه وقلبه . هو يشغل رأس ماله في اسواق الحياة الثلاثة فلا يكون عالماً عاجزاً لا يحسن التصرف في غير منزله . ولا غنياً جاهلاً ولا زاهداً أخبل — هو الذي يحيي قواه كلها و يرعاها و يغذي العقل والروح دائماً كما يغذي الجسد . هو الذي يروض نفسه للشدائد كما لو كانت من ضرورات الحياة . هو الذي لا يعول في الملمات على احد من الناس . هو الذي لا يحترم في البشر غير العلم والذكاء والصلاح . هو الذي لا يحابي في سبيل العدل احداً ولا يخشى في سبيل الحق انساناً . هو الذي يعيش لنفسه ولربه وللانسانية في وقت واحد . ان حياة مثل هـذا الرجل لكنز من كنوز الدنيا وقيمتها لا تقدر ولا تحد



قال استاذنا المرحوم الدكتور فانديك « المعدة عضو مظلوم اشد ظلم يلقي عليها صاحبها اشغالاً شاقة تضاهي اشغال هركليس الاثني عشر وهي صابرة على ذلك مدة مستطيلة تكمل المطلوب منها بـلا تذمر ولو على تعبٍ جزيل واخيراً يصيبها اليأس فتقطع العمل وتبطل الشغل وتعذب صاحبها وتنتقم منه اشد الانتقام على ظلمه اياها ومتى اخذت تشكو يعسر تسكينها واذا سكنت بواسطة التلطيف والتملق والمداراة كمداراة العين الرمداء تهيج لأقل سبب كأنها انتبهت الى قوتها وقيمتها فصارت مثـل الولد المتخلق لا يرضيها شيء »

ولم ينطق البلغاء ولا جاء الحكماء على اختلاف الاعصر والاجيال بعبارة اكثر انطباقاً على الحقيقة من الحديث النبوي « المعدة بيت الداء » فقد قيلت منذ نيف وثلاثة عشر قرناً والطب لا يزال طفلاً رضيعاً فشب الطب وشاخ ولم يزدها الا اثباتاً وتحقيقاً . لان

المعدة عضو رئيسي للهضم والهضم قوام حياة الانسان وفي صحتها صحته وسعادته وفي اعتلالها شقاؤه وبليته

ومن امثال الفرنساويين انهم اذا اشكل عليهم فهم حادثة من الحوادث قالوا « فتش عن المرأة » يريدون ان للمرأة دخلاً في كل ضروب المعاملات على اسلوب خفيّ . ونقول اذا رأينا عارضاً صحيًا مهما كان نوعه « فتش عن المعدة » وهو ينطبق على فحوى الحديث المتقدم ذكره اذ يندر ان يشعر الانسان بعارض في صحته الا كان سببه انحرافاً في عمل المعدة بين تلبك او حموضة او تعب او تخم . ويصدق ذلك ايضاً على ما ينتاب الاصحاء من الاضطرابات العقلية والانزعاجات النفسية اكثر مما يصدق على الامراض المضالة في الصدر او الكبد او الكليتين او نحوها . وان يكن اكثر هذه الامراض انما يحدث من سوء معاملة المعدة في اوائل اطوار الحياة

وللمعدة دخل كبير في اخلاق الناس فمن تلبكت معدته ضاق خلقه وساء ظنه واحتد طبعه . وقد تبلغ هذه الاعراض في بعض الناس الى درجة الوحشية . ولو احصيت المنازعات الاعتيادية التي تحدث بين الرجل وامرأته او الولد وابيه او الفتاة ووالدتها لرأيتها انما تحدث بعد الطعام اذ تكون المعدة ملآنة . ويظهر ذلك على الغالب في اهل الترف المكثرين من الوان الطعام بحيث تمتلئ معدهم وتحتقن اوعيتها فيحدث التلبك فيضيق الخلق ويغلب على الرجل سوء الظن . فاذا خطر لامرأته مثلاً ان تخاطبه في امر يسرُّها وكررت القول او كان في خطابها ما يدعو الى اعمال الفكرة اجابها جواباً جافياً وهو لا يريد مجافاتها . فتنفر منه وهي تتوقع ان يسترضيها كما هي عادته في مثل هذه الحال وقد فاتها انه يفعل ذلك في غير حاله تلك ومعدته مرتاحة

اما الان فان نفورها يزيد في غضبه فينقم عليها فيسمعها ما هو امرّ فتزداد نفوراً وهو يزداد غضباً حتى يفضي بهما ذلك الى خصام يشتد او يضعف بنسبة مدارك كل من الزوجين . وقد تسمع جارك يصيح في امرأته ويعيرها ويلعن ساعة اقترانه بها وهي تجيبه بمثل ذلك ويشتد الخصام بينهما ولو تقاضوا اليك لضحكت مما جرّهم الى ذلك النزاع . واذا نظرت في قضيتهم من وجهة طبية حكمت ببراءة كليهما والقيت التبعة على المعدة او بالحري على الهضم

وما يحدث في البيوت الصغيرة يحدث مثله في الممالك الكبيرة . وكم من حروب انشبت بين مملكتين لم يكن سببها الا خصاماً بين زعيميهما ولو تدبرت سبب الخصام لوجدته التنازع على لفظ قاله احدهما فعدَّه الآخر اهانة وطلب ترضية فاكبر ذلك طلبه فجرّهما ذلك الى اشهار الحرب . ويا شقاء امة اصيب ملكها بالدسبيسيا (عسر الهضم) فانه فضلاً عن عجزه عن ادارة شؤونها قد يجرُّ عليها الوبال بما يثيره من الضغائن بضيق خلقه وحدة طبعه

ويكون تأثير ذلك شديداً اذا كان الملك مطلق التصرف كما كان اكثر ملوك الارض قديماً . يوم كانت ارادة الملك شريعة المملكة . اما الان فقد تقيدت ارادة الملوك بشوراهم في اكثر ممالك الارض فاصبح الخطر قليلاً من هذا القبيل . ولكن المعدة ما زالت ذات تأثير كبير في الاندية السياسية . ومن الحكمة وسداد الرأي ان تعقد مجالس الحكومات في اوقات تكون المعدة مرتاحة لا مثقلة بالطعام ملبكة ولا فارغة جائعة . ولكن الجلسات السياسية يطول امد اجتماعها ساعات كثيرة كالمؤتمرات ونحوها فلا يؤمن فيها عواقب الجوع لانه يؤثر على الخلق تأثيراً تضيق النفس معه ذرعاً عن التروي ودقة البحث في المسائل العويصة

فلو كلف احد وزراء الدولة بالمفاوضة مع مندوب دولة اخرى في مسألة عليها خلاف بين الدولتين واجتمعا لتسويتها فكل منهما يجتهد في اثبات الحق في جانبه بالبرهان ويغلب ان تكون براهين هؤلاء السياسيين سفسطية مقدماتها الطمع وحب الذات ولكنهم يزوقون البراهين تزويقاً . فاذا كان احد المندوبين من دهاة السياسة وتمكن قبل الشروع بالعمل من اثقال معدة زميله بالطعام الكثير وصبر عليه ساعة ثم اخذ في البحث والجدال فلا تمضي ساعة اخرى حتى يعجز ذاك عن اعمال الفكرة ويصبح غير قادر على تدبر الموضوع واستخراج النتائج الصحيحة . واذا كان الآخر فصيحاً قاده بفصاحته ودهائه الى ما يريد وهو لا يدري

ويحدث مثل ذلك اعتباطاً كل يوم في اعمال الناس الاعتيادية وهم لا ينتبهون له . ولكننا نوجه التفات القارىء منذ الان الى هذه الحقيقة ولا نظنه الا معجباً بما يلاقيه من علاقة المعدة باعمال الناس على اختلاف ضروبها من سياسية او تجارية او ادبية

فاذا تبين لك ذلك علمت مقدار العناية التي يجب اتخاذها في اصلاح الهضم لان اصحاب المعدة الضعيفة من اتعس الناس حالاً وهم لا ينظرون في الدنيا الا من وجهها الاسود فيرون الحياة مثقلة بالمتاعب والهموم فلا يهنأ لهم كسب ولا يفرحهم عمل من اعمال الحياة . ولا يخفى ما في ذلك من الشقاء وما يجر اليه من البلاء فان من كانت هذه حاله لا يستطيع عملاً ولا يسرُّ عشيراً

فاصحاب الدسبيسيا لا يصلحون لمخالطة الناس على انهم قلما يلتمسون تلك المخالطة لانهم ميالون الى الانفراد وقد يشتد ذلك في بعضهم حتى يطلب الخلوة اياما وقد يلتمس الخلاء . وربما تحول حاله الا السوداء فيظنه الناس اصيب بخبل فيكتبون له الكتابات وينذرون عنه النذور ويحملونه الى الديور وقد يكفي لشفائه ان يعالجوا معدته بما تصلح به بعد الفحص الدقيق

واسباب تلك المعدة او عسر الهضم كثيرة اهمها :

١ ادخال الطعام على الطعام اي ان يتناول الانسان طعاماً قبل هضم الطعام السابق وهو مما نبه اليه الحكماء والاطباء من قديم الزمان وفي مقدمتهم الشيخ الرئيس فقال « واحذر طعاماً قبل هضم طعام »

٢ الافراط من تناول الاشربة السخنة او المخدرة كالشاي والقهوة والتبغ والافيون

٣ طول الصوم ثم تناول الطعام بكثرة والمعدة فارغة

٤ سرعة المضغ والازدراد واللقمة لم تسحق جيداً ولا امتزجت باللعاب كما يجب . وقد سئل المستر غلادستون عن سبب اقتداره على الاعمال السياسية الشاقة على كبر سنهِ فنسب معظم ذلك الى التأني في مضغ الطعام وسحقه جيداً حتى قال « لا ازدرد اللقمة قبل ان اسحقها بين اضراسي ثلاثين سحقة على الاقل »

٥ الاعمال العقلية على اثر تناول الطعام فان المطالعة او الكتابة تنبه الدماغ فيتوارد اليه الدم بكثرة فلا يبقى للمعدة كمية كافية منهُ لافراز السيال المعدي فيضعف عمل الهضم وتفسد الاطعمة فيها ولا يستثنى من ذلك الاعمال الجسدية وهذا ما حمل الامم المتمدنة على عادة القيلولة بعد الطعام فانها احسن وسيلة للراحة وانتظام عمل المعدة

٦ تناول الطعام على أثر التعب الشديد عقلاً او جسداً وهو يشبه السبب الثالث (طول الصوم) ومن عوائد هنود اميركا انهم اذا عادوا من صيد وقد اعياهم التعب وهم جياع ينامون قليلاً ثم يأكلون

٧ تناول الاطعمة الضخمة والاكثار من الاطعمة وتعداد الوانها حتى يدخل المعدة منها فوق ما تستطيع هضمه

٨ السهر الطويل بغير انتظام مع ما قد يعقب ذلك من اسرار الليل

٩ طول القعود ساعات متوالية بغير رياضة او مشي وخصوصاً اذا كان ذلك في اماكن فاسدة الهواء

١٠ عدم تنظيم اوقات الاكل اي ان لا يعين للطعام ميقات معلوم كل يوم

على انك اذا تدبرت هذه الاسباب وغيرها مما لم نذكره رأيتها ترجع كلها الى تحميل المعدة فوق طاقتها فان مقدرتها على هضم الطعام تختلف باختلاف حالة الجسم جملة. فالمعدة في الحالة الصحية الاعتيادية تهضم رطلاً من الطعام مثلاً واما في حالة تعب او سهر او صوم او ما شاكل فلا تستطيع ذلك

ومن سوء حظ الامة ان يكون طعامها لذيذاً شهياً فانه يعود افرادها على التلذذ به فيتناولون منه فوق ما يحتاجون اليه . ويغلب في الاطعمة اللذيذة الدسمة ان تكون ثقيلة على المعدة فتساعد على تلبكها . والانكليز وهم من ارقى الامم الحاضرة وطعامهم تفه لانهم لا يلتفتون في اصطناعه الا الى مقدار غذائه وسهولة هضمه لا الى طعمه . وبعكس ذلك المشارقة فانهم انما يلتفتون في اطعمتهم الى طعمها ومقدار ما فيها من الدسم . وزد على ذلك انهم يتعاطون اشربة منبهة تزيد شهوة الطعام كبعض العرقي او نحوه وقد لا يكونون في حاجة الى منبه ولكنهم يفعلون ذلك استكثاراً من لذة الاكل وقد فاتهم ان العبرة في الطعام ليست في مقدار ما يدخل المعدة بل هي في مقدار ما تهضمه المعدة منه

بلزم ادارة الهلال

ان ادارة الهلال تحتاج الى الاعداد الاتية وهي الجزء ٢ و٦ من السنة ١٥ و٦ من السنة ١٦ و١ و٨ و٩ من السنة ١٧ و١ و٢ من السنة ١٨ فمن كان عنده شيء منها لا حاجة له به فليخابرنا بشأنه

صحة العائلة

الدودة الوحيدة وعلاجها

الاوصاف

هذه الدودة هي اكبر انواع الدود الذي ينمو في معدة الانسان وتسبب ضرراً اكثر من سائر ما يدخل الجسم البشري . وهي مؤلفة من راس واقسام عديدة يزداد عددها مع طول الايام . فقد يصل طولها من عشرة اقدام الى خمسة وسبعين قدماً . وبالحقيقة ان هذه الدودة مؤلفة من دود صغير متصل بعضه ببعض كحلق السلسلة وشكل كل قسم منها كبزرة اليقطين . اما الراس فصغير جداً كرأس الدبوس ولونه اسود وله اربع مصاصات وعدة سنارات يتعلق بها في جدران الامعاء الداخلية . وللراس قوة ان يولد جميع اقسام الدودة . ولذلك في المعالجة يجب اخراج الراس الذي هو اهم شيء . فاذا خرج لايعود يتولد دود آخر . واما اذا خرجت الدودة بدون الراس فلا يمضي مدة قصيرة حتى تعود الدودة الى ما كانت عليه حجماً وطولاً وتصل الى معظمها في مدة ستين اوسبعين يوماً

التاريخ

عرف الاطباء المصريون وجود الدودة في الامعاء من زمن قديم يتصل بايام الفراعنة . وقد كتب بعضهم عنها وعن علاجها في الجيل الخامس عشر قبل الميلاد . حتى موسى النبي في كتاباته اوصى بني اسرائيل باكل بعض انواع اللحوم والامتناع عن غيرها التي كان يظنها تسبب الدود . وابقراط (ابو الطب) اشار في كتاباته اليها واعطى تعليمات لعلاجها . وارسطو (الفيلسوف اليوناني) وجد هذه الدودة تختلف عن سواها من الدود بكونها تلاصق جدران الامعاء الصغرى خلافاً للبقية التي تجول في كل انحائه . ولم يعرف خلاف ذلك عنها الى الجيل السادس عشر بعد المسيح حين فحصها الاطباء وتحققوا اوصافها . وما كان الا بعد مئة سنة من ذلك الوقت حتى عرفوا قوة الرأس الغريبة في توليد اقسام جسم الدودة فتقدموا في طريقة علاجها عن الاقدمين

الاسباب

قلما كان للاطباء القدماء معرفة واضحة عن اصل هذه الدودة . فزعم بعضهم انها ناشئة عن اختمار في الامعاء من كثرة شرب الحليب او اكل الجبن . واما الآن فقد تحقق الباحثون انها نتيجة عن اكل اللحوم النيئة لا سيما لحم البقر والخنزير كما هو شائع في هذه البلاد وفي أوروبا . واما في سوريا فقد وجد الدود ايضاً مع الذين يأكلون لحوم الغنم والمعز النيئة كما في اكل الكبيبة النيئة

تنمو هذه الدودة من بيضة صغيرة (مكرسكوبية) موجودة اصلاً في الحيوانات المذكورة اعلاه . وكل قسم من اقسام الدودة يحوي نحو ٥٠٠٠٠ بيضة ومتى خرجت هذه وسقطت في الماء او بين العشب وشربتها او اكلتها هذه الحيوانات فعند وصولها الى المعدة يفعل عليها العصير المعدي فتخرج الدودة من البيضة وتنمو وتذهب الى الامعاء ومنها تتولد الجراثيم التي تذهب مع الحركة الدموية الى جميع انحاء الجسم وتركز غالباً في العضلات الحيوانية وهذه متى اكلها الانسان بدون طبخ تتولد الدودة في امعائه ايضاً (كما في الحيوانات) وتنمو بالتغذية من غذاء الانسان

وجودها

قد وجد بعد الفحص المدقق ان هذه الدودة توجد في النساء اكثر مما في الرجال والغالب ان السبب في ذلك هو ان اكثر شغل النساء في البيت هو اعداد الطعام وطبخ اللحوم . وهاك ما وجده جملة من الاطباء المشهورين في اوروبا وأميركا — عالجوا ٨٧٠ مريضاً فكان منهم ٦٥٨ من النساء و٢١٢ من الرجال . واما اختباري في مدة نحو خمس سنوات فوجدت الامر بالعكس ففي ٣٠٠ شخص عالجتهم لهذا المرض كان منهم ٢٢٥ من الرجال و٧٥ من النساء . على ان سبب هذا الاختلاف هو ان النساء السوريات قلما يستشرن الطبيب لعلاج هذا المرض ولا سيما ان عدد الرجال السوريين في هذه البلاد هو اكثر من النساء

ويكثر هذا المرض في الشعوب الذين يكثرون أكل اللحوم النيئة . فنرى ان السوريين مصابون به اكثر من غيرهم وبعدهم الايطاليان ثم اهل الدنيمارك وافريقيا وفرنسا وهلم جرًّا

الاعراض

أعراض هذا المرض غالباً واضحة فلا صعوبة في معرفتها وهي كما يأتي : دوار ووجع رأس وتلبك في المعدة مع قيء في بعض الاحيان . غثيان ومغص لا سيما قبل

الاكل وخفقان قلب مع اصفرار اللون وضعف وتهيج عصبي وقد يشعر العليل بحركة في الامعاء أو المعدة قبل الاكل . وأما اهم الاعراض واكثرها تحققاً فهو خروج بعض اقسام الدودة من وقت الى آخر مع البراز

الضرر والخطر

يظن بعضهم انه لا يوجد الا خطر زهيد من وجود هذه الدودة . ومن الغريب ان بعض الاطباء اذا عجزوا عن علاج هذا المرض اخبروا العليل ان وجود هذا الدود لا يهمُّ . ولكن يا للعجب كيف لا يهمُّ او لا يوجد خطر من وجود دودة كبيرة في الامعاء طولها من عشرة الى سبعين قدماً تأكل من أكله وتتغذى من غذائه وتتمطط كالحية في بطانه وتعض في مصارينه ليلاً ونهاراً ومع ذلك لا تسبب ادنى خطر ؟ اما الحقيقة فهي انه اذا كان المريض صحة جيدة ففي باديء الأمر لا يشعر الا بقليل من وجع الرأس وتلبك المعدة واصفرار الوجه ونحوها . ولكن متى طال وجود الدودة فتتولد فيه امراض مختلفة مثل التهاب وحول العينين وداء النقطة وشلل واحياناً موت فجائي . وكما طالت مدة اقامة الدودة في الامعاء كلما عظم طولها وكبر جرمها وزادت الاعراض المرافقة لها وصارت مزمنة فيصعب حينئذ زوالها بالكلية . فليحذر كل من كان مصاباً بهذه الدودة من ان يتأخر عن استعمال الوسائط اللازمة لاخراجها قبلما تأتي عليه العواقب الوخيمة

العلاج

يقسم علاج هذه الدودة الخبيثة الى نوعين . الاول امتناعي او وقائي والثاني شفائي . ففي النوع الاول يجب الامتناع عن اكل اللحوم النيئة وطبخ كل الاطعمة طبخاً جيداً حتى اذا كان في اللحوم بعض جراثيم الدودة تعدمه حرارة الطبخ . وعلى الانسان ان يحفظ اعضاء الهضم في حالة مناسبة صحية بحيث لا يحدث اختمار الطعام . وفي النوع الثاني يجب اخذ الادوية التي من شأنها ان تضعف قوة الدودة وتخدرها فلا تستطيع ان تشبك سنارتها في الامعاء فيسهل خروجها . وان أعطيت هذه الادوية على يد طبيب خبير بهذا المرض فلا خطر من استعمالها

بلومنتن الينويس اميركا الدكتور فارس طنوس

باب السؤال والاقتراح

فن التمثيل في اللغة العربية

(كفر كلا الباب . السنطة) فؤاد افندي سليم

قرأنا لكم مقالاً عن التمثيل العربي ونهضته الاخيرة صدرتموه بمقدمة موجزة جداً عن اصل التمثيل ونشأته . فحبذا لو عنيتم بوضع كتاب كامل عن هذا الفن المستظرف الجميل لا سيا وان الجامعة المصرية قد قررت تدريسه هذا العام وطبعت عنه كتابين باللغتين الفرنسية والانجليزية وضعهما الاستاذان الموسيو بوقيليه والمستر شارل سيسون . انكم اذا نشطتم الى هذا العمل ووضعتم هذا المؤلف الذي يفتقر اليه ادب لغتنا العربية تضيفون زهرة ذكية جديدة الى باقة مآثركم الجليلة في التاريخ والادب والاجتماع

ان للغربيين عناية فائقة بهذا الفن ولا يوجد لهم مؤلف في تاريخ آداب لغاتهم الا وفيه فصل عن فن التمثيل ومختارات من منظوم ومنثور المؤلفين وهو عندهم من مقتضيات الرقي والتمدين . ولا تزال الى اليوم تضرب عندهم الامثال بابطال الروايات التمثيلية فيقولون عن البخيل هو « هاربجون » وعن الرجل اللاهي المنصرف الى الملذات هو « الدون جوان » وعن الفتاة الساذجة الطيبة القلب هي « اوفيليا » وعن العاشقين العفيفين هما « روميو وجوليت » وجميعهم من ابطال الروايات التمثيلية . ومحال أن تكون للتمثيل هذه المكانة في نفوس ابناء العرب الا بعناية علماء التاريخ والادب والاجتماع امثالكم

ثم قلتم في مقالكم : « ان المؤلفين عندنا قلما التفتوا الى تأليف الروايات يمثلون بها حوادث عربية شرقية مما لايستطيع ادباء الافرنج ادراك تفاصيله او لا يحسنون تمثيله لبعده عن مألوفهم » — ولا نرى فاضلاً احق بان يوجه اليه هذا القول غيركم لانه لايوجد في عصرنا هذا من يلم بالحوادث العربية الشرقية المامكم المتناهي الذي برهنت

عليه رواياتكم التاريخية ومؤلفاتكم العديدة الادبية فانتم اول من يطلب اليهم مساعدة جورج ابيض وامثاله بتأليف الروايات العربية على القواعد الفنية فهل لنا بان نبشر قريباً بأنكم اهديتم المراسح العربية رواية عربية ؟

(الهلال) نثني على حسن ظنكم بنا ونشكر لغيرتكم على اللغة العربية وآدابها . والحق يقال اننا في حاجة الى كثير من الآداب التي يقتضيها هذا التمدن حتى نجاري سائر الامم المتمدنة . وربما كنا افقر الى التمثيل مما الى سواه مع انه من اقدم ما اقتبسناه من عوامل التمدن الحديث . ولكن السبب في تأخره انه يفتقر في اتقانه الى نفقات لا يرجى استرجاعها . لان الكسب من المراسح قليل حتى في ارقى مدائن اوربا واميركا . فان كثيراً من مراسح التمثيل هناك تعجز عن القيام بنفقاتها وانما تحيا بما تخصصه لها الحكومات من الرواتب السنوية او بما يأتيها من هبات اهل اليسار فضلاً عن اقبال الناس . على ان الناس لم يقبلوا عليها الا بعد ان بلغت الاتقان الكافي لاجتذاب القلوب واستلفات الابصار . وهذا لم يتأت لها الا بمساعدة الحكومات واهل السخاء من الاغنياء

ويسرنا ان الجناب العالي حفظه الله قد تفضل بجعل هذا الفن موضوع اهتمامه فانفذ الابيض لاتقانه على نفقة سموه . وقد افلح اهتمامه رعاه الله لان الشاب الذي وقع عليه اختياره كفء لهذا العمل الجليل . والمرجو ان تقتدي حكومتنا بسائر الحكومات المتمدنة فتبذل الاموال في سبيل احياء هذا الفن في اللغة العربية بانشاء مدرسة لتعليمه وجوق لتشخيصه بادارة ابيض افندي . فاذا تمَّ ذلك هان على اهل الادب التأليف في هذا الفن للتعليم كما في الجامعة المصرية او للتمثيل على يد الجوق الذي سيؤلفه الابيض . نحن لاينقصنا من يستطيع التأليف في هذا الفن وانما ينقصنا من ينشط المؤلفين . فقد ظهرت عدة روايات عربية الفها ادباء لايحتاجون الى الارتزاق بها وقد مثلت غير مرة . ولو كان مؤلفوها يلتمسون منها رزقاً لما دونوا منها حرفاً . ونعرف اناساً الفوا روايات عربية شرقية بغية الكسب فالقيت في زوايا الاهمال لتقاعد الاجواق العربية عن تمثيلها لما تقتضيه من النفقة في اصطناع الالبسة الخاصة بها — من ذلك ان نقولا افندي حداد الكاتب المعروف وضع روايتنا « المملوك الشارد » في قالب تمثيلي منذ بضع عشرة سنة واطلع عليها اسكندر افندي فرح والشيخ سلامة حجازي وهما يشتغلان معاً فاعجبا بجوادثها وانما منع تمثيلها انها تحتاج الى تجديد البسة كثيرة لاوجود لها في ذلك الجوق وبالجملة ان العمدة في اتقان فن التمثيل عندنا على حكومة الجناب العالي فاذا اعارته

اهتماماً افاح وتسابق الادباء الى الاجادة في تأليف الروايات للتمثيل او وضع الكتب للتعليم والامور مرهونة باوقاتها

التجارة والملاحة عند العرب القدماء

(اوانيرا . برازيل) منصور افندي حنا اغناطيوس

قلتم في الجزء الثالث من السنة التاسعة عن رحلة فاسكو دي غاما الى الهند صفحة ٦٩ « وكان ملك كاليكوت رجلاً من اهلها اسمه زامورين او تامورين فلما راى اولئك الغرباء نزلوا بلاده هاب بياضهم والوان ملابسهم فاكرم وفادتهم فشق ذلك على جالية العرب هناك وعلموا ان اقامة اولئك الافرنج في تلك البلاد مضر في مصالحهم » فكيف وصل العرب الى تلك البلاد ومن اين اتوها بحراً او براً . وهل في ايام العرب كانت البصلة معروفة وكيف كان سفرهم في البحار قبل هذا الاختراع . وكيف خفي على البرتوغاليين والاسبان الطريق الذي سافر العرب فيه

﴿ الهلال ﴾ قد ذكرنا في نفس الصفحة التي اشرتم اليها « ان كاليكوت عمرت بعد الاسلام بمن نزح اليها من المسلمين من جزيرة العرب للاشتغال بالتجارة » وكان السفر الى تلك البلاد بحراً . ولا غرابة فيه لان التجارة في اثناء التمدن الاسلامي كان اكثرها في ايدي المسلمين براً وبحراً وكان العرب وغيرهم من المسلمين هم سلاطين البحار فاخترقت سفنهم البحر الابيض الى كل شواطئه والبحر الاحمر الى آخره والبحر المحيط الى سومطرا فزنجبار الى بلاد الكفرة وشرقاً الى كلكتة وجزائر الهند والصين وجنوباً الى مداغسكر وسائر شواطىء افريقيا الشرقية واجتازوا بحر قزوين الى بلاد الخزر والروس . اما براً فاخترقوا بلاد الهند وتركستان والتبت حتى نزلوا بلاد الصين . واوغلوا في افريقيا الى خط الاستواء فقربوا الابعاد بين تلك الاصقاع

فكان التجار المسلمون حوالي القرن الرابع للهجرة يجوبون الاقطار براً وبحراً ينقلون التجارة من بلد الى بلد بين شواطىء فارس وسواحل افريقيا والحبشة واليمن وسواحل الهند والصين وسائر المشرق . ويقطعون صحاري خراسان وتركستان وارمينية وافغانستان والهند والشام ومصر والسودان وافريقية والاندلس في نقل اصناف التجارة كانهم هم وحدهم تجار الارض . ومركز تجارة الشرق البصرة بحراً وبغداد براً وكان البورتغاليون وغيرهم من امم اوربا يومئذ في ظلمات الاجيال الوسطى يتنازعون على

الجامعة المصرية

علومها والتدريس فيها

لا يزال هذا المعهد العلمي يتقدم وينمو بما تبذله لجنته العاملة من العناية في ترقية شأنه ولا تمضي برهة الا نقرأ لرئيسها البرنس فؤاد حفظه الله مأثرة حسنة تدل على تفانيه في سبيل نجاحه . ومما يدل على حسن نية القائمين بهذا العمل انهم لا يدخرون وسعاً في تنقيح الخطة التي يرسمونها في كل عام عما قبله . فقد ذكرنا في السنة الماضية التنقيح الذي احدثوه في انواع الدروس وقد أدخلوا فيها كثيراً من العلوم الطبيعية والرياضية . فوافق ذلك ما كان الهلال قد بينه من ضرورة هذه العلوم للمدارس العليا

وقد اتانا منشورها الآن عن بروجرامها الجديد للعام الآتي فرأينا فيه تحسيناً آخر يستحق الاعتبار وهذا نصه :

« اجتمع مجلس ادارة الجامعة المصرية ونظر في الوسائل المؤدية الى ترقيتها وتعميم الفائدة الحقيقية منها بطريقة مستديمة ومن ضمن ما قرره ما يأتي :

اولاً — انشاء قسمين عاليين لتدريس الفنون الادبية والعلوم الاقتصادية وذلك من اول السنة الدراسية المقبلة التي تبتدىء في اوائل نوفمبر الآتي

القسم الاول للفنون الادبية

يشتمل هذا القسم على المواد الآتية :

الآداب العربية . تاريخ الآداب العربية . الآداب الانكليزية . الآداب الفرنساوية مصر القديمة ومركزها في العالم القديم . تاريخ الامم الاسلامية وخصوصاً مصر الاسلامية . تاريخ العالم الغربي (اوربا واميركا) . الفلسفة العربية والاخلاق . تاريخ التعاليم الفلسفية علم مقارنة اللغات السامية بعضها ببعض مع الرجوع بالتخصيص الى اللغة العربية . الجغرافيا وعلم الشعوب

القسم الثاني للعلوم الاقتصادية

ويشتمل هذا القسم على المواد الآتية :

علم الاقتصاد السياسي . علم الاقتصاد الزراعي المصري مع مقارنته . وسائل النقل وطرق المواصلات بالقطر المصري . بيع المحصولات المصرية والاتجار بها وتصريفها . اختزال

الكتابة العربية . تاريخ التعاليم الاقتصادية . الري ونظام النيل . الاحصاء . العلوم العالية والتشريع العالي . البنوكة والكمبيو و بورصات القراطيس . امساك الدفاتر

ثانياً - توسيع نطاق الارسالية الجامعية بأوروبا بارسال خمسة من الطلاب ايضاً في صيف هذا العام (اثنان بلوندره واثنان بباريس وواحد ببرلين) وستعلن الجامعة قريباً عن الشروط اللازمة للدخول في المسابقة لهذه البعثة والمواد التي يكون الاختبار فيها » اه

هذا ما جاء في المنشور من زيادة العلوم وتحسينها وننتظر انها ستوالي التحسين وخصوصاً لان الحكومة والامة تنظران الى هذا المشروع بعين الاهتمام وتتوقعان منه خيراً كثيراً ولا تدخران وسعاً في سبيل الاخذ بناصره ماديا وادبياً وهو اهل لذلك الالتفات لان عليه ستتوقف حياة اللغة العربية لاسباب بيناها في غير هذا المكان

ملاحظة على القاء الدروس

على اننا نستلفت نظر لجنة الجامعة الى ملاحظة عن طريقة القاء الدروس جاءت في مقالتنا عن « الجامعة المصرية والتعليم اللازم للبلاد » بالسنة الماضية لم تعرها التفاتها كما اعارته لملاحظاتنا الأخرى عن العلوم اللازمة لها — فقد قلنا هناك ان القاء الدروس بطريق الخطب يسمعها التلامذة وينصرفون مع كونها الخطة المتبعة في اكثر جامعات اوربا لا تصلح لنا لان احوالهم تختلف عن احوالنا . هم يحتاجون الى مدارس للتعليم فقط ونحن نحتاج الى مدارس للتعليم والتربية . ان الاوربي يتلقى مبادىء التربية في حجر والديه لان العائلة عندهم ارقى من العائلة عندنا . فالام تتكفل عندهم بغرس تلك المبادىء في طفلها فتعلمه الاعتماد على النفس والمحافظة على الوقت وتبث فيه استقلال الفكر وحب الوطن . واما نحن فينبغي لنا ان نتعلم ذلك في المدارس لان امهاتنا لا يزلن عاجزات عنه . ولا يتيسر الحصول عليه الا بالمدارس الداخلية التي يقيم فيها التلامذة يتعلمون ويتثقفون ويتربون بطريقة يحمل بها التلميذ على الدرس كرهاً وينشأ في وسط يكون اساتذته مثالاً في الآداب الصحيحة والاخلاق السامية فضلاً عن العلم . فتكون المدرسة مدرسة تعليم وتربية يدخلها الطالب لدن العود لين العريكة فلا يزال يتلقى العلم ويتمرس باسباب الترقي ويطبع على الاقدام وسائر الفضائل حتى يخرج مثقفاً قوي الارادة نشيطاً مستقل الفكر هماماً يحب وطنه ويتفانى في خدمته . وهذا لا يتأتى بالحضور الاختياري لسماع الخطب لان معظم هذه المحامد تنال بالقدوة والمباحثة والمعاشرة والمناقشة اناء الليل واطراف النهار . وبالجملة اننا في حاجة الى مدرسة يسبك فيها الطالب سبكاً في قالب جديد يوافق مصلحة بلاده على ايدي اساتذة

عقلاء فضلاء يستفيد من اخلاقهم ومناقبهم

فنتقدم الى لجنة الجامعة مرة ثانية نلتمس منها ان تعيد نظرها في هذه الملاحظة فان الافكار متجهة والابصار شاخصة لما سيكون من ثمار هذا المعهد العلمي

السلطة النيابية بمصر

حضرة صاحب الهلال

ذكرتم في الجزء الرابع من السنة الحالية اسماء نواب اول مجلس للسلطة النيابية ولم تذكروا بينهم نائب مديرية اسيوط المرحوم مخائيل بك فرج مع انه كان من الاعضاء وقد عاينت بنفسي البيلوردي الذي صدر اليه من المرحوم الخديوي اسماعيل باشا في ١١ القعدة سنة ١٢٩٣ هجرية

دير مواس معزوز جاد مخائيل

رباعيات الخيام

حضرة صاحب الهلال

مررت في قراءتي الجزء الخامس من الهلال بذكر الاحزاب الانكليزية المحافظين والاحرار فترجمت هذه المقالة باسرها الى الفارسية وادرجتها في جريدة (طوس) وارجو ان يكون بعد ذلك تراجم مقالات الهلال لا تزال تلقى الى اخواننا . ثم رايت في صفحة ٣٠٣ حيث ذكرتم رباعيات الخيام قولكم ان الرباعيات ضرب من الشعر سميت به قصائد ولم يعهد هذه التسمية الا في الفارسية ثم خصصتم ظهوره بابي سعيد ولكن سبقه اليه شعراء كانوا قبله ومنهم ابو جعفر رودكي البخاراني المتوفى سنة ٣٠٢ هـ

طوس . خراسان محمد تقي ملك الشعراء

عنوانات المشتركين

نرجو من حضرات المشتركين اذا انتقلوا من اماكنهم أو تغيرت عنواناتهم لسبب من الاسباب ان يخبرونا بذلك لئلا تضيع الاعداد التي ترسل بعنواناتهم خطأً ونوجه هذا التنبيه خصوصاً الى مشتركينا في الخارج باميركا واوربا والهند وفارس وغيرها

باب التقريظ والانتقاد

مشاهد الممالك

لادوار بك الياس

لادوار بك الياس شغف بالسياحة واستطلاع احوال الامم وتعهد آثارهم وقد نشر منذ بضع عشرة سنة كتاباً في رحلته الى اوربا واميركا سماه « مشاهد اوربا واميركا» ثم رحل الى بلاد اخرى وعلق ما شاهده فيها . فلما نفدت الطبعة الاولى من كتابه المذكور اعاد النظر فيه وزاد عليه رحلاته الأخرى فجاء كتاباً ضخماً في تسعمائة صفحة كبيرة بينها عشرات من رسوم مشاهير الناس وأشهر الاماكن والمناظر وسماه « مشاهد الممالك » وهو اكبر رحلة عربية لسائح عربي

وكانت سياحة اهل الرحلة في أثناء التمدن الاسلامي قاصرة على بلاد المشرق وقل من وطىء منهم أوربا ولم تكن اميركا معروفة في ذلك العهد . ولما نهض العرب في التمدن الحديث كانت اكثر رحلاتهم الى اوربا تطلعاً الى مصدر هذا التمدن . ومن اقدم الراحلين اليها منهم رفاعة بك الطهطاوي فالشيخ احمد فارس فسليم بسترس فالسيد محمد بيرم فأمين باشا فكري فاحمد بك زكي وغيرهم . ولم يصل احد منهم في رحلته الى اميركا . واوسع هؤلاء السياح رحلة محمد بيرم لانه ساح في مصر والشام والحجاز فضلاً عن اوربا . ومع ذلك فانا لا نعرف رحالة توسع في سياحاته ودقق في وصف مشاهداته كما فعل ادوار بك الياس صاحب مشاهد الممالك . فان رحلته تمتاز عما تقدمها بالسياحة في اميركا وقد دون فيها سياحاته المتوالية في أثناء نيف وثلاثين سنة باوربا واميركا وسوريا وبلاد المغرب . ويدخل في ذلك وصف اعظم عواصم اوربا وأشهر مدنها في فرنسا وانكلترا والمانيا والنمسا وروسيا وايطاليا واسبانيا وسويسرا وهولندا والباجيك والدنمارك وأسوج ونروج وبلاد اليونان واكبر مدائن الولايات المتحدة وكندا . وشواطىء افريقيا الشمالية وفيها تونس والجزائر وطرابلس الغرب ومراكش وأشهر بلاد البلقان في رومانيا والسرب والبلغار ومكدونية واهم بلاد الشام خصوصاً لبنان وبعلبك وحمص وحماه ودمشق وحلب وغيرها

وقد صدر الكلام عن كل بلد زاره بفذلكة تاريخية يليها وصف ما شاهده فيه من المتاحف أو المعارض اوالقصور او الحدائق او الكنائس أو المساجد او المدافن . وقد أفاض في كثير منها افاضة مستحسنة كوصفه القصر الشتوي في بطرسبورج فقد استغرق ثماني صفحات لا يملّ القارىء مطالعتها لما حوته من الوصف الجميل كقوله في وصف جواهر القياصرة المودعة في ذلك القصر (صفحة ١٢٠) :

« واجمل ما في هذا القصر العظيم واثمنه قسم منه خصص لجواهر القياصرة ونفائس التحف النادرة المثال وقد وضعت هذه الجوهرات الثمينة في غرفة متينة ابوابها من حديد يقوم بحراستها اثنان من ضباط الحرس الامبراطوري فاذا اذن لاحد الناس بالدخول اليها دخل معه الضابطان واوصدا من ورائه الابواب فيرى من غالي الحجارة الثمينة ما يبهر الانظار ويسحر الافكار في جملة ذلك حجر من الالماس عظيم القدر والقيمة قيل انه كان في عين معبود للهنود في مدينة دلهي اسمه المغول الكبير وكان في العين الثانية الحجر المشهور باسم « كوه نور » اي جبل النور وهو الآن في حوزة الدولة الانكليزية والحجران من ثمن جواهر الارض طرًّا واعظمها جمالاً . ويقال في كيفية وصول ذلك الحجر الى قياصرة الروس ان هندياً سرقه من عين الصنم وفرّ به الى مدينة مالابار في جنوبي الهند فلقيه ربان سفينة برتغالية واشترى الالماسة منه بالفي جنيه ولما عاد الى اوربا باعها لتاجر اسرائيلي باثني عشر الف جنيه وباعها التاجر لصائغ ارمني في مدينة امستردام بهولاندا وهي مشهورة من قدم بصناعة الالماس وطرائق قطعه ونحته وصقله . وكان هذا الصائغ الارمني روسي التبعة اسمه لازاريف فعرف بالامر الكونت اورلوف وهو يومئذ من كبراء الدولة الروسية واصحاب الثروة الطائلة فيها فاستقدم اليه الصائغ واشترى الجوهرة منه بنصف مليون ريال روسي ومعاش سنوي لقريبة البائع مقداره الفا ريال . ثم حمل الكونت ذلك الحجر الى القيصرة كاترينا الثانية وقدمه هدية لها ووزنه ١٥٨ قيراطاً فهو من اكبر الجواهر حجماً ووزناً . وللحجر الاخر الذي كان في عين الصنم بدلهي قصة اخرى تحكي هذه فان الفاتحين من ملوك ايران مثل نادر شاه ومحمود الغزنوي استولوا عليه مدة ثم عاد الى قبضة سلاطين دلهي حتى اتيح للانكليز دخول الهند والاستيلاء على بعض خزائنها فكان هذا الحجر الثمين اكبر ما احرزوا من الجواهر واعظمها فارسلوه الى امستردام ليضلع ويقطع . وكان الامير الهندي دوليب سنغ الذي اخذ هذا الحجر من خزائنه بعد ان طرده الانكليز من مملكته لا يتحسر على شيء قدر تحسره على تلك الجوهرة الثمينة واشتهر هذا الامير بالتجائه الى روسيا وعمل الدسائس الكثيرة ضد انكلترا . فلما اخفق سعيه وراى ان الحكمة

في التسليم للقوة طلب الصفح من الملكة فيكتور يا فصدر امرها بالعفو عنه . ولما جاء لمقابلتها بعد العفو قال لها اني ارجو من جلالتك امراً صغيراً قالت ما هو قال ان تسمحي لي بنظرة الى كوه نور او هي تلك الالماسة العظيمة فاني مشتاق لرؤيتها اكثر من شوقي لرؤية الوطن والخلان فأمرت الملكة باحضار الجوهرة وقدمتها اليه فأخذها بيده وجعل يقلبها و يعجب بباهر نورها ثم ردها الى الملكة قائلاً اني بكل احترام اقدم هذه الهدية العظيمة الى امبراطورة الهند وملكتي العظيمة فقبلتها الملكة باسمة شاكرة وانصرف الرجل . وابن هذا الامير الهندي اسمه البرنس فكتور دوليب سنغ ربي في انكلترا واقترن بابنة اللورد كوفنتري احد اشراف الانكليز من عهد غير بعيد

«على اننا في حكاية الجواهر التي رايناها في خزائن القصر الشتوي العظيم فمنها ايضاً تاج قيصري صنع سنة ١٧٦٢ وتوجت به الامبراطورة كاترينا الثانية في اعلاه صليب مرصع بحجارة الالماس النقي كبيرة بحجم البندق والنور يسطع منها شعاعاً وقد وضع هذا الصليب فوق ياقوتة حمراء كبيرة فاخرة يحيط بها ١١ حجراً من الالماس النقي . وعند حافة التاج مما يلي الجبين لؤلؤة عظيمة المقدار يحيط بها ٢٦ حجراً من الالماس وفيه جواهر اخرى نسقت تنسيقاً بديعاً حتى اصبح هذا التاج مجموع جواهر كأنما هي مصابيح تتوقد انوارها وجمالها يفوق الوصف ولا عجب فان ثمن هذا التاج الغريب خمسة ملايين ريال وقليل بين تيجان الملوك ما كان مثله . وفي جملة هذه الجوهرات كرة من الذهب الخالص تمثل الكرة الارضية فوقها صليب مرصع بأثمن الجواهر يحملها القياصرة بيسارهم يوم تتويجهم كما يحملون صولجان الملك باليمين . وهذا الصولجان من الذهب الخالص يبلغ طوله ٣ اقدام وفيه ٢٦٨ حجراً من الالماس و٣٦٠ من الياقوت و١٥ من الزمرد . هذا غير الجوهرات والحلى والحجارة الاخرى التي اشتراها امراء الروس وقياصرتهم أو أهديت اليهم هي محفوظة في هذا القسم الثمين من القصر الشتوي الذي لا يفوقه قصر في اوربا كلها بجمال متاحفه وكثرة كنوزه وفخامة بنائه واتساع قاعاته » اه

ومنها وصفه مدفن السلطان عثمان في بورصه قال (صفحة ١٩٩) :

«ولما كانت بورصه مركز قوة آل عثمان في بدء عهدهم فان كثيراً من شهرتها ينسب الى ما فيها من الترب وآثار السلاطين السابقين . ولهذا فاني قصدت تربة السلطان عثمان مشيد اركان هذه الدولة القوية وجدها الكريم . والتربة محاطة بسور جميل مرتفع وهي في وسط حديقة غناء فيها برك يتدفق منها الماء تشرف على وادي بورصه الشهير وقد اقام على بابها حارس امين فتح لنا الباب حين وصولنا فدخلناها واذا هي حسنة

البناء عريضة الجوانب عالية الاركان لونها ازرق جميل ولها ثماني نوافذ . وفي سقفها ثريا بديعة الصنع مدلاة على شكل بهي وفي جدرانها مصابيح جميلة والارض مفروشة بفاخر الطنافس . والضريح في الوسط بني من الرخام وغطي بشال كشميري ابيض ثمين حسب العادة التركية . وعند الراس عمامة كالتي كان يلبسها هذا السلطان العظيم وقد كتب فوق الضريح تاريخ ولادة السلطان ومدة حياته وتاريخ ارتقائه العرش وتاريخ وفاته . وهناك مصاحف قديمة وبعض الآثار النبوية . ولا يمكن لزائر هذا الضريح ان يقف امامه الا ويخطر في باله انه واقف أمام اثر الرجل العظيم الذي اسس دولة من اقوى دول الارض فيتأثر لواقف لذكره وذكر امور الدهر الذي لم يقوَ على طي عظمته »

ومن امثلة وصفه المدن والشوارع قوله في وصف سلانيك (صفحة ٨٣١) :

« سألت كثيرين عن تعدادها فكان كل يختلف بالقول عن الآخر ولكن المرجح انها تعد بمائة وخمسين الفاً منهم ٦٠ الفاً من اليهود والبقية اتراك واروام واجناس مختلفة والسبب في كثرة اليهود هنا انهم رحلوا من اسبانيا وجاؤا هذه الجهة ومازالوا يتكلمون لغة الاسبان . أما موقع البلد فعلى البحر يشبه موقع ازمير أو هو احسن منه لان الرصيف الممتد فيه غرست الى جانبيه الاشجار تحدها المنازل على الشمال والبحر على اليمين وهذا الرصيف اطول واعرض من رصيف ازمير ومنازل سلانيك في آخر هذا الرصيف اكثرها للأوربيين من اصحاب اليسار لكل منهم منزل داخل حديقة جميلة تشرف على البحر . وقد مدوا خطوط الترامواي من عهد قريب . والخط يسير ازاء البحر من اول الرصيف المذكور الى آخره في مسافة نصف ساعة وهو للشركة البلجيكية التي احتكرت المشروعات من هذا القبيل في رومانيا والسرب ومصر وبيروت . وعدا الترامواي هذا فانه يوجد خط آخر للبواخر الصغيرة تمخر في البحر ازاء الرصيف من اوله الى آخره وفي المحطة الاخيرة لهذه البواخر قصر اللاتيني الذي نفي اليه السلطان عبد الحميد بعد عهد الدستور فسبحان مغير الاحوال ! وفي هذا الرصيف محطات للبواخر يذهب الناس عليه الى احيائهم أو يعودون منها . فحركة الانتقال لا تبطل من الصباح لحد نصف الليل. قلت ان الرصيف ممتد ازاء البحر تمتد منه شوارع لجهة الجبل تعدّ بالعشرات فيها الحوانيت ومواضع التجارة والاسواق بعضها مسقوف مثل اسواق دمشق وبعضها عريض ولا سيما في اواخر هذا الرصيف . وقد غرسوا الشجر الى الجانبين فسلانيك على الجملة اجمل من مدينة ازمير » اه

ويتخلل الوصف نصائح لمحبي الاسفار تسهل عليهم الرحلة وتكفيهم مؤونة التعب

فلسفة النشوء والارتقاء

للدكتور شميل

الدكتور شميل اول عربي دافع عن مذهب النشوء والارتقاء أو مذهب داروين وقد اخذ بناصر اصحابه منذ نيف وثلاثين سنة وله في ذلك مقالات ضافية نشرت في مجلة المقتطف . حتى اذا كانت سنة ١٨٨٤ نشر كتاب شرح بخنر على داروين وصدره بمقدمة حمل بها على الملوك والرؤساء وشدد النكير عليهم بلهجة لم يعهد مثلها في احد من كتاب العربية فساءت أكثر الجماعات ولا سيما رجال الدين لانه تطرف في احكامه تطرف من ينظر في المسائل من بعض وجوهها فقط . فكان لصدور هذا الكتاب رنة ودوي . وتصدى بعضهم للرد عليه . فدارت المناقشة فكتب الدكتور في اثنا ذلك مقالات فلسفية دلت على سعة علمه وقوة حجته جمعت في كتاب « الحقيقة » . وكتب غيرها في مواضيع مختلفة اكثرها يرمي الى فلسفة الاجتماع على القواعد الطبيعية . فاقترح عليه بعض الادباء في العام الماضي ان ينشر نفثات قلمه في مجموعة حرصاً على فوائدها . فاجاب واصدر الكتاب الذي نحن في صدده وهو الجزء الاول من تلك المجموعة

ويحتوي هذا الجزء على شرح بخنر وهو مقالات في مذهب داروين في اصل الانواع وتحولها . وعلى كتاب الحقيقة المتقدم ذكره ومباحثات ومناقشات علمية في الحياة . وعلى مقدمتين ضافيتين احداهما مقدمة الطبعة الاولى التي اشرنا اليها والثانية لهذه الطبعة . وعلى خاتمة في خلاصة ما تقدم وفيها نظر خاص في علوم الانسان وفلسفته من حيث نشوئها وتحولها وتأثيرها في اخلاقه وافكاره وامياله من عهد التمدن اليوناني الى اليوم

والكتاب بجملته يرمي الى اثبات مذهب النشوء والاخذ بأقوال الماديين والانتقاد على نظام الاجتماع وشرائعه . ويتبين لك من خلال سطوره ان الدكتور شميل فيلسوف اجتماعي كبير لكنه يعوّل في كثير من احكامه على القواعد النظرية بدون ان يلتفت الى وجهها العملي . فينتقد حالة من حالات الاجتماع ويذهب في اصلاحها مذهباً قد يكون جميلا بنفسه لكنه لا ينطبق على الواقع اي لا يتيسر اخراجه الى حيز العمل . كقوله بذهاب الرئاسات الدينية والسياسية وتساوي الناس في مستقبل الايام بتوحيد اللغات وتوحد الامم — وهي في اعتقادنا نظريات جميلة لكنها لن تخرج الى حيز العمل . لان الانسان مفطور على التدين ولا تعرفه الا متديناً فهو لا يتخلى عن دين الا ليعتنق ديناً آخر . واذا وجد الدين وجدت الرئاسات — وان كانت تتفاوت نفوذاً

وسيطرة ونفعاً وضرراً باختلاف الاجيال والاحوال . أما الرئاسات السياسية فطالما كانت الامهات تلد القوي والضعيف والعوامل الطبيعية تزيد التفاوت بينهما وحب الاثرة والسيادة غريزيٌّ في الانسان . فالقوي لاينفك عن بسط سيادته على الضعيف من طريق قلبه أو احساسه او عقله فيقوم التنازع وتبطل المساواة

وقد اغرق صديقنا الدكتور شميل في المادية واصبح لا يكترث بغير المحسوسات حتى العلوم فانه لا يرى فائدة للمجتمع الانساني الا في الطبيعية منها كالطب والطبيعيات والكيمياء والميكانيكيات ونحوها مما ترتقي به حيئة المجتمع المادية بالاختراع والاكتشاف. ولايرى للعلوم الادبية كالتاريخ والادب واللغة والشعر والفقه فائدة كبرى . ولذلك فهو يندب المدنيات الماضية لان اصحابها لم يشتغلوا بالطبيعيات او المحسوسات ويقول ان ما تركوه لنا « انما هو كتب ادبية في فلسفة نظرية وفقه على انواعه وتواريخ مكذوبة ملفقة واقاصيص خرافية مما لا يزال بين ايدينا وتلده قرائحنا حتى الآن مما لا ينطبق على عقل او نقل فكم هو كثير في كل أمة فاذا كانت منقولات التاريخ عن هذه الآثار صحيحة من أنها كانت تعد بعشرات عشرات الالوف وتشرى بألوف بدرات الاموال على ما تشاء مخيلة المؤرخ الشعرية فلا اسف عليها ان كانت قد فقدت ويكون الامام عمر قد احسن باحراقه لنظائرها اذا صحت الرواية عنه . فهذه الآثار التي يتغنى بها التاريخ ويبالغ في كثرتها مبالغة في الفخر وما كثرتها الا اتفاق معان واختلاف روي والتي يعتبرها جمهور الناس حتى اليوم كنوز كل امة هي بالحقيقة آثار مخلدة لضلال الانسان صارفة اياه عن النظر في ما لديه من الحقائق مانعة له عن السلوك في الصراط المستقيم » اه

أليس هذا اغراقاً في المادية ؟ نعم ان العلوم الطبيعية يجب ان تكون اساساً لسائر العلوم لكن المدنية لاتقوم بها وحدها كما ان الانسان قد يكفيه من الغذاء اللحم والخبز ومن الكساء شملة يلتحف بها ومن المساكن كهف يأوي اليه لكننا نراه يتفكه بالاثمار ويتناول المنعشات والمرطبات ويتوخى الجمال والزينة في ملابسه وأثاثه ويشيد القصور ويغرس الحدائق ويعمر المدن . فالعلوم الطبيعية اساس متين ولكن العلوم الادبية بناء جميل . ليس الشعر والادب والتاريخ من الخيالات او الخرافات ولكنها علوم صحيحة ترقي شعور الانسان وتهذب اخلاقه وتلطف طبيعته . وقد عاش ادهاراً بالعلوم الادبية وحدها وكان سعيداً بها على تفاوت قربها من الحقيقة و بعدها عنها . وقد بنى عليها شرائعه وعلومه وتوصل بها الى درس طبائع البشر ووضع قواعد الاجتماع وسن الشرائع الضامنة لتبادل المنافع بين الجماعات والافراد - كل ذلك فعله الانسان بمعزل

عن العلوم الطبيعية . فلما أكتشف اسرار الطبيعة اصبحت معرفتها ضرورية لطلاب العلوم الادبية لتكون احكامهم اقرب الى الصواب لا ان تكون هي وحدها مطلبهم لان العلوم الادبية بالنظر الى المدنية ونظام الاجتماع اصلٌ والطبيعيات فرع

ونعهد صديقنا الدكتور شغفاً بالابحاث الاجتماعية فهل لهذه الابحاث طلاوة او رونق بدون التاريخ والادب ؟ ولا نقدر ان نتصور تمدناً قائماً بالعلوم الطبيعية وحدها او مع قليل من الادبيات فهو اذاً تمدن ماديٌّ قاصر على تسهيل وسائل النقل واسباب الرفاه وتعجيل الشفاء . ولكن الانسان لا تشغل هذه المطالب الاقسماً صغيراً من وقته وهي لاتشغل غير اوقات العلماء الذين يشتغلون بها . ولا يعقل ان يشتغل الناس كلهم بالاختراع والطب والكيمياء فبماذا يشغلون افكارهم او يروضونها ان لم يكن بالادب والشعر والتاريخ . فضلاً عما يترتب عليها من الاعتبارات الادبية التي تقوم بها علاقات الناس بعضهم ببعض من حيث المعاشرة والمعاملة والمصاهرة وتبادل المنافع الادبية والاجتماعية والشرعية . بل كيف يتعامل الناس من حيث الزواج ونحوه من الاحوال العائلية اذا استبدلنا شرائعنا المعروفة بشرائع طبيعية ؟

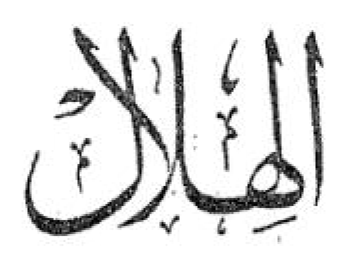
وبالجملة فان صديقنا الدكتور شميل فيلسوف طبيعي اجتماعي لكنه كثير الاغراق في المادية ويبني احكامه في نظام الاجتماع على الآراء النظرية اكثر مما على العمل . اما الكتاب الذي نحن في صدده فهو فريد في اللغة العربية عن مذهب النشوء والارتقاء ويجدر بالادباء الاطلاع عليه

مطبوعات جديدة

(الحضارة) هي جريدة سياسية علمية تصدر في الاستانة مرة في الاسبوع لمدير سياستها صديقنا عبد الحميد افندي الزهراوي نائب حمص في مجلس المبعوثان ومدير اعمالها شاكر افندي الحنبلي بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً في المملكة العثمانية و٢٠ فرنكاً في غيرها

(الكتابة والكتاب) هي محاضرة ادبية فنية لعلي افندي احمد الشهيدي بنظارة الحربية القاها في نادي الفنون والصنائع الخديوية بمصر ثم طبعها في رسالة على حدة وتطلب من حضرته ومن مكتبتي الهلال والتأليف وثمن النسخة ثلاثة غروش

(امراض النساء) صدر القسم الثاني للجزء الاول من هذا الكتاب لمؤلفه الدكتور صموئيل بوتسي معلم امراض النساء بمدرسة الطب في باريس ومعاونه ف جايل وقد نقله الى العربية الدكتور احمد عيسى . وقد ذكرنا ظهور القسم الاول في



الجزء العاشر من السنة الثامنة عشرة

يوليو (تموز) سنة ١٩١٠ و ٢٤ جماد الثاني سنة ١٣٢٨

تاريخ النهضة السياسية الاخيرة

في الهند الانكليزية

كثر تحدث الناس بالحركة السياسية التي ظهرت في الشرق بالاعوام الاخيرة بعد فوز اليابان على الروس وقد ظهرت آثار هذه الحركة في الهند ومصر من الممالك الشرقية على الخصوص . اما مصر فقد ترجنا حركتها السياسية في اماكن مختلفة من الهلال . وقد كتب الينا ابراهيم افندي سمعان من ادباء الناصرة مقالة في تاريخ هذه النهضة في الهند قال :

عزمت بريطانيا العظمى عقيب ثورة الهند الشهيرة عام ١٨٥٧ ان تقبض بيدها على مقاليد الهند وقد وفقت الى اخضاع سكانها بمعاهدات سلمية . مضى خمسون سنة ولم يحدث شيء يعكر صفاء جو السياسة هناك الا انه في الزمان الاخير ظهرت حركة وطنية قوية وبدت جلياً في المجلس الوطني الذي يعقد سنوياً في كانون الاول (يناير) للمذاكرة في احتياجات الشعب الهندي ومطالبه وبعد الحرب الروسية اليابانية اصبحت هذه المطالب ذات اهمية عظمى . سيما وان فوز اليابان في الشرق الاقصى احدث في آسيا عموماً والهند خصوصاً حركة عظيمة جعلت التربة صالحة لزرع بذور الثورة

وقد تلقت الصحافة الهندية فوز اليابان بملء السرور ورحبت به كغلبة امة اسيوية على امة اوروبية وليس لان الهنود يكرهون روسيا لعلمهم ان هذه تميل الى تحرير الهنود من نير الانكليز . وقد احتدمت نار الثورة في الوقت الحاضر ضد الاجانب

وبات الانكليز حائرين فتراهم يتساءلون « الى اي حد يصل بغض الشعب الهندي للاجانب » وان كان اتحادهم مع مملكة اليابان لا يقيهم عواقب هذه الثورة

ومما لا خلاف فيه ان الهند كباقي ممالك الشرق الاقصى في دور الانقلاب السريع لان الطبقة الراقية فيها تمني النفس بجمع شتات المملكة واستقلالها . فالمعتدلون يطلبون استقلالاً ادارياً تحت سلطة الانكليز والمتطرفون يطلبون الاستقلال التام . وهؤلاء المتطرفون يحثون الهنود على مقاطعة البضائع الانكليزية ويبثون في العمال روح الاعتصاب غير عالمين ما ينتج عن ذلك من المصاعب للحكومة الهندية . ولكن هؤلاء المهيجين قلما يجدون ميلاً وانعطافاً من الشعب لان كل هندي يطمح بالحصول على وظيفة ادارية واغلب استيائهم ناتج عن حبوط مسعاهم في هذا الامر وكيفما كان الحال فان مثل هذه الافكار نبهت في الهنود فكرة الوطن

وقد حاولت الحكومة الانكليزية ان تخمد تلك الحركة ولكن اتعابها ذهبت ادراج الرياح لان حزب العمال لم يفتر عن البحث في جرائده عن اجراءات الانكليز في الهند وساعده في ذلك الصحافة اليابانية التي كشفت النقاب عن اعمال الانكليز مع الهنود

وكثيراً ما نرى الحزب الوطني يستنجد الاشتراكيين في امر مقاومة الاجانب وقد سافرت لجنة من الهنود الى المؤتمر الاشتراكي الذي عقد في ستوتكارت واعضاؤها في اللباس الوطني وطلبت اليه ان يساعد الهنود الذين يجاهدون في سبيل استقلالهم . فصفق لها الجميع تصفيق الاستحسان

وقد اشاعت التيمس خبراً يكاد لا يصدق وهو : ان بغض الهنود للاجانب كان داعياً لائتلاف البراهمة المحافظين مع الفقهاء والصحافيين وغيرهم من اتباع التمدن الحديث الذين يجاهرون باميالهم المتطرفة حتى ان اتباع الشيعة « ارياساماي » التي كانت في عداوة شديدة مع المتطرفين مدت لهم يد المصافحة والتعاضد . وقد نفي زعيمها « دجنارت » في العام الماضي الى بيرمان لمجاهرته بالعداء للحكومة الانكليزية وصممت الحكومة الهندية حفظاً لمقامها ان تتخذ التدابير اللازمة والوسائل الفعالة لكبح جماح الثائرين فوضعت جزاء نقدياً على عدد عظيم من اصحاب الجرائد الهندية والقت القبض على كثيرين منهم فسجنت البعض ونفت البعض الآخر ولكن قوتها هذه لم تكن لتقدر ان تسكن عواصف هذه الحركة فقد اطلعت في مدينة « تشينسور » على جمعية سرية تسعى في اضرام نار الفتنة تدعى « البنغال الذهبية » اعضاؤها من الفدائيين وقد وزعت هذه الجمعية في كل الهند ملايين من الكراريس تدعو الهنود بها

الى التخلص من نير الاجانب وطردهم وقتلهم عند مسيس الحاجة وقد احرق اعضاؤها كنيسة المبشرين وحدث في « مدراس » مناوشة بين البوليس والحكومة واطلقت القنابل في أكثر المدن وعطلت خطوط السكك الحديدية في محلات كثيرة حيث كانوا يتوقعون مجيء احد الموظفين

وفي بومباي في يوم عيد المحرم الذي يقام تذكاراً لموت الامام الحسين حدثت اضطرابات شتى أصيب فيها المسلمون لانهم انحازوا للانكليز. ولكن الثورة بلغت معظمها في العاصمة كلكتة فقدظهر بغتة في اول تشرين الاول (أكتوبر) سنة ١٩٠٧ في هذه المدينة حركة هائلة وفي برهة وجيزة استولى الثوار على المدينة. وسبب ذلك ان الحكومة حكمت بالسجن ستة اشهر على احد الصحافيين لانه تطرف كثيراً في مقالاته ضد السلطة المالكة. وقد ذهبت ضحايا كثيرة في سبيل هذه الثورة واشبهت حالة الحكومة في هذه الايام حالتها عام الثورة ولكن الوسائط القاسية التي لجأ اليها اللورد مينتو النائب الملوكي لتسكين هائج الثوار وقفت كحاجز منيع ضد انتشار الثورة. وعدا هذا فقد اثر الاعدام في نفوس الشعب تأثيراً عظيماً

ولم تعدم هذه النهضة انصاراً من القبائل الحربية. ففي بدء الاضطرابات في كلكتة ثار الافريديون فأرسل الانكليز ضدهم قوة حربية هائلة تحت قيادة الجنرال فيلكوكس فوطد الامن في تلك الجهات. وكان سبب الفتنة في البنغال التعصب الديني لان بريطانيا عزمت ان تقسمها الى قسمين لعظم سكانها. فالبوذيون والبرهميون الذين كانوا يتمتعون بالسيادة هناك وجدوا قليلين في القسم الشمالي منها حيث يكثر المسلمون. وقد قسمت رغم اعتراض الوفد الذي ارسله البوذيون الى نائب الملك واكتفى الحزب المعارض بعزل حاكم البنغال الذي بنشاطه الزائد ادى خدمة كانت نتيجتها وبالاً على الحكومة

وكان المسلمون في اثناء هذه الحوادث على الحياد التام حتى انهم عرضوا على انكلترا ان يتحدوا معها ويؤيدوا سياستها في الهند وهم يربون على سبعين مليون نفس فلم تقبل انكلترا بذلك لانها سبقت فعرفت انها اذا وافقتهم على طلبهم لاتقدر بعدذلك ان تخضعهم اذا تحولوا الى حزب معارض لسياستها. وامتدت الثورة من البنغال الى البنجاب وادت الى نتائج هائلة لانها صادفت هنالك تربة صالحة قبلت بذور الثورة بسرور وكانت البنغال قديماً صحراء قاحلة لقلة مائها فتحولت الى بقاع خصبة جداً صالحة للاستغلال تبلغ مساحتها ١٢٥٠٠٠٠ هيكارو ويبلغ عدد سكانها خمسين مليون نفس ففي البدء كان يسمح للمهاجرين الى هذه الاراضي باستغلالها بواسطة اتفاقات افرادية مع الشركة الانكليزية

ثم تحولت هذه الاتفاقات الى شروط سجلت في دفاتر الحكومة . ثم تحولت الى قانون يتضمن بنوداً تضر بمصالح الشعب فهاجوا وارسلوا وفداً بهذا الصدد الى النائب الملوكي ثم قدم المجلس التشريعي في البنجاب اعتراضاً على القانون . تخوفاً من عواقب هذ الشغب تساهلت الحكومة فصححت بعض مواده ولكن هذا الاصلاح لم يمس جوهره . ثم رأت ان الارباح تزداد في بعض القرى فرتبت عليها ضرائب جديدة . وحالما انتشر هذا الخبر ظن الهنود ان الحكومة تضع يدها على املاكهم فبدأت الاضطرابات في البنغال والبنجاب وعمت مقاطعة البضائع الانكليزية . وقد لاقى الاوروبيون الامرّين منهم وكانوا معرّضين للخطر في كل خطوة حتى بات الواحد منهم لا يتجاسر ان يخرج من بيته بدون سلاح . ولم يلاق الثوار صعوبة في بث مثل هذه الافكار في الشعب وقد جاء في التيمس : ان عدم نجاحنا في الهند مسبب عن خشونتنا وعجرفتنا وقد اكتسب الهنود من الروسيين بعض اساليب الثورة فاستخدموها في جهادهم الوطني

ويظهر غريباً لاول وهلة ان اعداء بريطانيا الالداء هم الهنود الذين يرضعون لبان التمدن الاوربي في المدارس العالية والمتوسطة التي انشأها الانكليز . ظن الانكليز انهم يربون رجالاً يكونون ساعداً قوياً لترويج مصالحهم وقد عكست الآية . ومن امعن النظر في الوظائف الهندية يجد الرئيسية العالية منها بايدي الانكليز يتصرفون بها كما يشاؤن والثانوية لاتقدر ان تملأ آمال الهنود المتنورين بالتمدن الاوربي الذين يعللون النفس بالحصول على المناصب . فلا بدع اذا كان المحامي والطبيب والمعلم غير راضين بهذا التصرف وهؤلاء يؤلفون حزب الاستقلال فمن اهم قواد الحركة الوطنية المهراجا تيلاك العالم الشهير والصحافي العارف باكثر اللغات الاوربية هو صاحب جريدة يومية يصدرها باللغتين الانكليزية والهندية . وقد تعرض احياناً كثيرة للخطر بسبب اقواله المتطرفة ضد الانكليز . وقد حظي بمقابلته مراسل جريدة « الدالي كرونيكل » فصرّح تيلاك بانه يطمح الى الاستقلال . تحت سيادة الانكليز وتأليف مجالس نيابية ينتخب اعضاؤها باكثرية الاصوات وانه ضد كل وساطة مع الحكومة

وعدد نواب الهنود في مجلس النواب ٤ يقابلهم ٢١ من الانكليز ولا سلطة لهم جميعاً سوى انهم يسجلون ارادة النائب ويحكم الامارات الهندية في كل معنى الكلمة حكام انكليزيون

وفي آخر مؤتمر وطني التأم تحت رئاسة كوتفالي سن لائحة اصلاحات ضافية الذيول لو أجري بموجبها لاحدثت ثورة عظيمة . وهذا ما يدعو اللورد مينتو الى التساهل مع الهنود فعين هيئة للنظر في الاصلاحات المطلوبة للبلاد وخصوصاً المحاكم

الاهلية وقرر زيادة النواب الوطنيين في المجالس البلدية . وعدا هذا فانه يفكر ان يسمح للهنود بالدخول في بعض المناصب العالية ولو جاءت هذه الاصلاحات في حينها لخدمت مصالح الانكليز خدمة تذكر . اما الآن فانها تزيد الهياج في اقاصي البلاد لا سيما وان اللورد مينتو لا يزال ياجأ الى اضطهاد الصحافة وتعطيل الجمعيات

ارباح المؤلفين

في العالم المتمدن

كانت هذه الارباح قبل اكتشاف المطبعة متوقفة على ارادة ذوي اليسار اذ كان المؤلف او المغني مقيداً برضاء هؤلاء لا يهمه الشعب الا قليلاً ويحكى ان الكونت دي روسيليون كان يدفع لكل من الاربعة المؤلفين الذين كانوا بخدمته نحو ٣٧٠٠ فرنك سنوياً ودفع دي جيكلين لتشخيص واحد ٧٠٠ فرنك لاربعة مؤلفين . ويقال ان المدعو انسيلم فيديت ربح مائتي الف فرنك من مؤلفاته التي كانت تشخص على نفقته

وبعد اكتشاف المطبعة ظلت شهرة المؤلفين متعلقة بنفوذ الاغنياء وذوي الجاه الى الجيل الثامن عشر ويقال ان اليصابات ملكة الانكليز اهدت رونسارد المؤلف احجاراً كريمة ثمينة كما ان ماري ستيوارا هدته الآنية تساوي ٤٥٠٠٠ فرنك . امارابليه فلم يكتسب شيئاً من مؤلفه « جارجانتيا » مع كونه طبع منه في شهرين اكثر مما طبع من التوراة مدة ٩ سنوات

وكان دخل المؤلف ماروت ٤٠٠٠ فرنك سنوياً من الملك فرنسوا الاول عدا عن منزل وهبه اياه ومكافأة ١٣٤٠٠ فرنك اخذها من شارل الخامس وقد ترك شابلين بعد موته ١٤٠٠٠٠٠ فرنك من مؤلفاته وبوالو ٣٠٠٠٠٠ فرنك وكان للشاعر لابروير ١٠٠٠٠ فرنك يقبضها سنوياً اما الشاعر المجيد كورنيل فكان دخله ٧٠٠٠ فرنك فقط « وراسين » الشاعر المشهور كان يكتسب معاشه بغاية المشقة ولم يترك بعد موته سوى ٢١٠٠٠ فرنك من اقتصاده . اما موليير المؤلف المضحك الشهير فانه ترك اموالاً طائلة وكانت مؤلفاته يربح كل منها ٢٠٠٠٠ فرنك

وفي القرن الثامن عشر كان « فولتير » اغنى المؤلفين ويقال انه توصل لهذا الغنى بواسطة المضاربة اكثر مما بواسطة مؤلفاته العقلية وكان دخله السنوي ٣٤٠٠٠٠ فرنك

اما « روسو » الشهير فلم يتعد كسبه ٢٧٠٠ فرنك سنوياً « وبوفون » الطبيعي الشهير اكتسب ١٨٠٠٠٠ فرنك مع شركائه بواسطة مؤلفه عن التاريخ الطبيعي وكان مدخول

اقصى اماني الانسان

في الحياة الدنيا

ماهي مطالب الانسان او أمانيه

مطالب الانسان في هذه الحياة كثيرة ترجع الى التمتع بالملذات وهي اما مادية او معنوية . فالملذات المادية تشتمل على ما يتطلبه البدن من الشهوات المحسوسة اوتقتضيه الطبيعة من ضروريات الحياة كالطعام والشراب وغيرهما . وهي محدودة اي ان طالبها مهما يكن من شرهه اونهمه لابد من وصوله الى حد يقف عنده . فالجائع وان كان بطيناً لابد من وصوله الى حد يشبع عنده واذا تجاوزه أضر نفسه وهدم جسمه وكذلك العطشان وغيرهما

أما الملذات المعنوية فلا حد لها لان النفس لا تشبع منها وكلما زدتها منها زادت تطلباً لها . وهي كثيرة ترجع الى « حب التفوق على الاقران بالقوة البدنية او العقلية او الادبية » اي الامتياز على الآخرين بشيء يتحدث به الانسان عن نفسه وهو « التفاخر» او يتحدث به الناس عنه وهو « حسن الاحدوثة » التي تنتهي بالشهرة

والشهرة مرجع الملذات المعنوية يتطلبها كبار النفوس ورجال المطامع . وان كانت في الحقيقة وهماً وطلابها يطلبون وهماً لانها لا تسدُّ جوعاً ولا تدفع مرضاً ولاتقي من برد او حر. ولكن النفس ترتاح اليها وتلتذ بها ويندر في الناس من لايشتهيها وان تفاوتوا في اساليب السعي في سبيلها . وهم يطلبونها كأنها من جملة حاجيات الحياة

وحب التفوق على الآخرين او الشهرة تطلب من طرق مختلفة وعلى اساليب شتى تختلف باختلاف الطلاب وتفاوت قواهم ومشاربهم واميالهم . فمنهم طلاب الشهرة بالعلم او طلابها بالثروة او بالسياسة او الاحسان اوالجاه اوالشجاعة اوالقوة اوغيرذلك . والحقيقة ان نفس الانسان تشتهي الشهرة بكل هذه الفضائل معاً لكنه يعجز عنها كلها او بعضها تبعاً لمواهبه واميالهِ فيوجه قواه الى واحدة منها يرى في نفسه استعداداً لنيلها

فمطالب الانسان كثيرة وأمانيه تشمل كثيراً من الملذات المادية والمعنوية لان كل إنسان يطلب الطعام والشراب وغيرهما من ملاذ الجسد وهو ايضاً يتمنى لنفسه الملاذ

المعنوية من حسن الاحدوثة او الشهرة فيريد ان يكون ممتازاً بالقوة البدنية والعقلية وان ينال الشهرة بالعلم والادب والسياسة وان يتسع جاهه ويتحدث الناس بثروته وان يقيموا له التماثيل على احسانه ومبراته

كل انسان يميل الى احراز كل هذه الملذات لكن ميله اليها يختلف باختلاف مزاجه وباختلاف قدرته على الظهور بهذه الفضيلة او تلك . فقد يميل احدهم في شبابه الى الشهرة بالشجاعة ثم يعلم بالاختبار ان الاحوال لا تساعده على الظهور بها فيتحول الى طلب الشهرة بالعلم او السياسة . وقد يطلب الشهرة بالعلم ثم يرى المشقة التي يقاسيها ارباب الاقلام فيعدل عنها الى سواها . وهو في كل حال يطلب سائر الملذات ولكنه يختص واحدة منها بالاهتمام ويجعل اقصى أمانيه في حياته ان يصل اليها . فبعضهم يجعل اقصى مطالبه التمتع بملاذ الجسد وهو مع ذلك يريد ان يكون شهيراً محبوباً . وآخر يطلب الشهرة بالعلم مثلاً لكنه يطلب ان يتمتع بالطعام والشراب وان يكون صاحب جاه او ثروة وقس على ذلك سائر المطالب وطلابها

نال من جدّ في امر يحاوله . .

ويقال بالاجمال ان الانسان اذا وجه فكره الى مطلب جعله اقصى امانيه من دنياه وكان فيه ذكاء وثبات فانه نائله لا محالة . وهذه حقيقة اجتماعية تؤيدها المشاهدة فمن كان اقصى امانيه جمع المال مثلاً فلا بد من نيله عاجلاً او آجلاً لانه يصرف قواه الى وجهة واحدة يجعلها همه ومرجع سعيه ويغضي عن سائر المطالب فلا يهمه طلب العلم او طلب المجد او التمتع بالملاذ الجسدية وهذه كلها تقتضي الانفاق وهو لا يلتذ بغير الاقتصاد . فاذا اشتهت نفسه طعاماً لذيذاً ورأى الحصول عليه يقتضي انفاقاً كثيراً عدل عنه وتكون لذته في استبقاء ثمن ذلك الطعام في جيبه اكثر كثيراً من تلذذه بتناوله فلا يمضي زمن حتى يرى نفسه من الاغنياء . وكلما زاد غنى زاد شحاً ولكنه يكون قد نال اقصى امانيه

وقس على ذلك من كان اقصى مطالبه ان ينال الرتب او الاوسمة فهذا يجعل مدار سعيه نحوها فيتقرب من اصحابها بكل ما لديه من الاسباب اما بالمال او بالعلم او بالتزلف او التملق ولا ينفك حتى ينال منها ما يكفيه

واعتبر ذلك في الذين يطلبون المناصب السياسية او الادارية فاذا حصروا ذكاءهم وسعيهم نحو تلك الجهة فانهم يصلون الى غايتهم وهكذا في سائر المطالب . فان الانسان اذا وجه عنايته وقواه الى مطلب واحد منها وبذل سائرها في سبيل نيله فانه نائله ولذلك قالوا :

قل من جدّ في أمر يحاوله واستعمل الصبر الا فاز بالظفر

فالانسان لابد له من مطلب رئيسي يوجه اليه اهتمامه ويقف عليه سعيه . وعلى هذا المطلب الرئيسي تتوقف منزلته عند اهله او معاصريه لان علاقته بهم تختلف باختلاف ذلك المطلب . فمن كان اقصى امانيه ان يتمتع بملذات الجسد لايكون منزلته عند الناس مثل منزلة من كانت غايته القصوى من دنياه ان يشتهر بالاحسان وعمل المبرات . ونحن موردون في ما يلي امثلة من مطالب الناس وما يرجى منهم من نفع او ضر

الملذات الجسدية

اقل الناس نفعاً للناس من كانت اقصى امانيهم التمتع بالملذات الجسدية فهؤلاء يعيشون لانفسهم فقط وقد يجرهم نهمهم او شرههم الى الضرر بالآخرين . فان من يرى غاية الحياة الدنيا ان يتمتع بالطعام اللذيذ ويتنزه نفسه بالسياحات للتفرج بالمناظر الجميلة والهواء النشيط ويبتني القصور ويقتني الرياش الفاخر لمجرد التلذذ البدني ولا يستلفت انتباهه الا الحديث عن الطعام الفلاني والشراب الفلاني والذهاب للرياضة في محل كذا او السياحة في بلد كذا فهذا لا يرجى منه نفع لنمو حب الذات فيه نمواً يعمي بصيرته عن احوال الاخرين

واكثر هؤلاء ضرراً على المجتمع الانساني من كانت امانيهم منحصرة على الخصوص في المطالب الجنسية فهؤلاء شر كبير على ذلك المجتمع لان تلك المطالب تقودهم الى شرور لايمكن حصرها . وقد يأتون فضائح تهتز لها اعصاب الانسانية لان الانسان انما يشبه الحيوان بمطالب الجسد فاذا تغلبت فيه وكانت هي اقصى امانيه غلبت فيه الحيوانية وكان اعظم ضرراً من الحيوانات المفترسة لانه اقوى منها عقلاً واوسع حيلة فيستخدم حياته في قضاء شهواته فيرتكب في سبيل ذلك ما لا يتأتى للحيوانات المفترسة الوصول اليه

اعتبر فظاعة ذلك مما يرتكبه بعض العقلاء من الخطأ في مجاراة ملذاته مرة واحدة في حياته في حال تغلب الشهوة الجسدية على عقله كيف ان تغلبها في لحظة واحدة يجر عليه بلاء لا نهاية له الا بانقضاء حياته فما شأن من يكون اقصى مطالبه الاستسلام لتلك القوة الحيوانية

الملذات المعنوية

أما من كان اقصى مطالبه من الملذات المعنوية فانه يكون اقرب الى الانسانية وان كانت تلك كثيراً ما تجره الى اذى الاخرين ولكن نيلها يقتضي اعجاب الناس باعماله لان مرجعها الى حسن الاحدوثة او الشهرة ولذلك كان للناس نفع من وراء ذلك

على ان انتفاع الناس من طلاب الشهرة يختلف مقداراً وكيفية باختلاف موضوع الشهرة المطلوبة وعلاقتها بالناس . واكثرهم نفعاً طلاب الشهرة بالاحسان فان هؤلاء تتوقف شهرتهم على رضى الناس ولا يرضونهم الا ببذل المال في انشاء المدارس او الملاجئ او المستشفيات او الكنائس او تشكيل الجمعيات لاعالة الفقراء او الاخذ بناصر الضعفاء او نحو ذلك

يليهم طلاب الشهرة بالعلم والادب لان شهرتهم تقتضي نشر العلم وبث الافكار النافعة والمبادىء الملائمة لروح العمران في الصحف او الكتب او بالقائها في الاندية على الجماهير بالخطابة او المحاضرة

يليهم طلاب الشهرة بالثروة والجاه فهؤلاء قلما يتعدى نفعهم الى الناس لان غرضهم ان تكثر ثروتهم ويفوقوا على اقرانهم بكثرة المال وسعة الجاه بما يأتونه من البذخ والترف بتشييد القصور واقتناء الرياش ولبس الحرير والاكثار من الحلي واقتناء المركبات والافراس ونحوها

على ان الهيئة الاجتماعية قد تستفيد من هؤلاء لما يبذلونه في الاسواق بابتياع معدات البذخ والترف . واما اذا كان محب المال لا يطلب الاشتهار به فانه يكون ضربة على الانسانية اذ يكون اقصى امانيه احتشاد المال لنفسه بقطع النظر عن التماس الجاه او الفخر برضى الناس . ويغلب في هؤلاء البخل والشح فيكونون عالة على المجتمع الانساني او هم كالعلق يمتصون دم الهيئة الاجتماعية ولا يفيدونها بشيء . ولذلك يكرههم الناس حتى اولادهم يتمنون وفاتهم ليستولوا على حقهم من الارث ويتمتعوا به — ويغلب في ابناء الاغنياء البخلاء ان يكونوا مبذرين

ومن انواع الشهرة التي لا تضر ولا تنفع طلب الاشتهار بالجمال فان من الناس من لا هم له الا ان يقال انه جميل الخلقة رشيق القامة حسن البزة لطيف العشرة وهذا اكثر في النساء مما في الرجال فنيل الشهرة بالجمال لا يقتضي استرضاء الناس بشيء ينفعهم

ومن اكثر ضروب الشهرة ضرراً في الآخرين الشهرة السياسية فان طلابها لا ينالونها غالباً الا بسفك الدماء . ويصح ذلك على الخصوص في طلاب السيادة قبل هذا العصر فان مطامع بونابرت في السيادة والتماسه التفوق على اقرانه بالحركات العسكرية سبب شقاء ملايين من الناس بين قتل ورملة ويتم وثكل . ومطلب محمد علي باشا تأييد سيادته على مصر اوجب الفتك بالمماليك وهم راضخون هادئون والشواهد التاريخية من امثال ذلك كثيرة

فالشهرة مطلب كل انسان او هي مطلب اكثر الناس حتى العامة لكنها عند هؤلاء محدودة لا تتجاوز استحسان ذويهم واهلهم فيكتفي العامل او الصانع او الفاعل ان تعتقد امرأته او والدته او اخوته انه اقوى على العمل او امهر في صناعته من جاره اوزميله فلان . وهي الشهرة في ابسط احوالها ولا تأثير لها في الهيئة الاجتماعية . ثم يتعاظم تأثيرها كلما اتسعت مطامع طلابها وهم كبار العقول واهل الذكاء والنشاط ويختلف تأثيرهم في من حولهم باختلاف نوع الشهرة التي يطلبونها

على ان من الناس — وفيهم جماعة من اهل الذكاء والنشاط — لا يطلبون الشهرة ومع اقتدارهم على نيلها تراهم لا يهمهم امرها . وقد يأتون اعمالاً كبرى يخدمون بها الانسانية خدماً جزيلة لا يقصدون من ذلك شهرة ولا فخراً وبينهم جماعة من المحسنين انما يحسنون التماساً للثواب في الآخرة وجماعة من طلاب العلم يطلبونه للتلذذ به لا للتفاخر وهم قليلون

وهناك طائفة من اهل المواهب لا يهمهم من دنياهم الا ان يقوموا بما عليهم من الواجبات فاذا كان احدهم رب عائلة فهمه ان يعول ابناءه ويربيهم ويحافظ على صحتهم وان يقوم بأودهم جهد طاقته لا يهمه عرف الناس ذلك ام لم يعرفوه . واذا كان رئيساً على عمل فهمه ان يتم واجباته في ذلك العمل بالامانة والدقة لا يلتفت الى اعجاب الآخرين به فأقصى اماني هؤلاء القيام بواجباتهم — ونعم الاماني

وهناك طائفة كبيرة من الناس ليست مطالبهم في هذه الدنيا ولا يهمهم من ظواهرها ومفاخرها شيء الا ما يحتاجون اليه للقيام بأود الحياة وانما مطالبهم في العالم الآخر لما يرجونه هناك من الثواب والنعيم . فيقضون حياتهم في هذه الدنيا وليس لهم امنية فيها وانما امنيتهم ما يرجونه من الراحة والسعادة في الآخرة وكثيراً ما جرهم هذا المطلب الى خدمة الانسانية بل مضى على العالم ادهار وهم وحدهم رجال الخير خدمة الانسانية باعالة الفقراء وذوي الاسقام ببناء المدارس والمعابد والمستشفيات — نعني رجال الدين — ان طلاب الآخرة من هؤلاء لا يعتبرون الشهرة بل ينبذون الدنيا وملذاتها وينقطعون للعبادة وفيهم من يفعلون الحسنات سرًّا لوجه الله فيتعهدون الارملة واليتيم والفقير والمريض تحت طي الخفاء يعولونهم بما يبلغ اليه امكانهم وهم قليلون

وبالجملة ان لكل انسان مطلباً رئيسياً من مطالب الحياة يوجه اهتمامه نحوه ويجعل مدار سعيه اليه وهو نائله — وافضل هذه المطالب ما كان في نيله فائدة للناس واقبحها ما كان فيه ضرر لهم للاسباب التي قدمناها

الام مدرسة

لحافظ افندي ابراهيم

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي | في حب مصر كثيرة العشاق
اني لأحمل في هواك صبابة | يا مصر قد خرجت عن الاطواق
لهفي عليك متى اراك طليقة | يحمي كريم حماك شعب راق
كلفٌ بمحمود الخلال متيم | بالبذل بين يديك والانفاق
اني لتطربني الخلال كريمة | طرب الغريب باوبة وتلاق
ويهزني ذكر المروءة والندى | بين الشمائل هزة المشتاق
ما البابلية في صفاء مزاجها | والشرب بين تنافس وسباق
والشمس تبدو في الكؤوس وتختفي | والبدر يشرق من جبين الساقي
بألذ من خلق كريم طاهر | قد مازجته سلامة الاذواق
فاذا رزقت خليقة محمودة . | فقد اصطفاك مقسم الارزاق
فالناس هذا حظه مالٌ . وذا | علمٌ . وذاك مكارم الاخلاق
والمال ان لم تدخره محصناً | بالعلم كان نهاية الاملاق
والعلم ان لم تكتنفه شمائل | تعليه كان مطية الاخفاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده | ما لم يتوج ربه بخلاق
كم عالم مد العلوم حبائلاً | لوقيعة وقطيعة وفراق
وفقيه قوم ظل يرصد فقهه | لمكيدة او مستحل طلاق
يمشي وقد نصبت عليه عمامة | كالبرج لكن فوق تل نفاق
يدعونه عند الشقاق وما دروا | ان الذي يدعون حلف شقاق
وطبيب قوم قد احل لطبه | ما لا تحل شريعة الخلاق
قتل الاجنة في البطون وتارة | جمع الدوانق من دم مهراق
أغلى وأثمن من تجارب علمه | يوم الفخار تجارب الحلاق
ومهندس للنيل بات بكفه | مفتاح رزق العامل (!) المطراق
متعنت تندى وتيبس كفه | بالماء طوع الاصفر البراق
لا شيء يلوي عن هواه لحده | في السلب حد الخائن السراق
واديب قوم تستحق يمينه | قطع الانامل او لظى الاحراق

يلهو ويلعب بالعقول بيانه فكأنه في السحر رقية راق
في كفه قلم يمج لعابه سماً وينفثه على الاوراق
يرد الحقائق وهي بيض نصع قدسية علوية الاشراق
فيردُّها سوداً على جنباتها من ظلمة التمويه الف نطاق
عريتْ عن الحق المطهر نفسه فحياته ثقل على الاعناق
لو كان ذا خلق لأسعد قومه ببيانه ويراعه السباق

***

من لي بتربية النساء فانها في الشرق علة ذلك الاخفاق
الام مدرسة اذا اعددتها اعددت شعباً طيب الاعراق
الام روض ان تعهده الحيا بالري اورق ايما ايراق
الام استاذ الاساتذة الاولى شغلت مآثرهم مدى الآفاق
انا لا اقول دعوا النساء سوافراً بين الرجال يجلن في الاسواق
يدرجن حيث اردن لا من وازع يحذرن رقبته ولا من واق
يفعلن افعال الرجال لواهياً عن واجبات نواعس الاحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة كشؤون رب السيف والمزراق
كلا ولا ادعوكم ان تسرفوا في الحجب والتضييق والارهاق
ليست نساؤكم حلى وجواهراً خوف الضياع تصان في الاحقاق
ليست نساؤكم اثاثاً يقتنى في الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الازمان في ادوارها دولاً وهنَّ على الجمود بواق
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا فالشر في التقييد والاطلاق
ربوا البنات على الفضيلة انها في الموقفين لهن خير وثاق
وعليكم ان تستبين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباقي

وكيل الهلال بالولايات المتحدة

نرجو من مشتركي الهلال في الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك ان يعتمدوا في دفع بدلات الاشتراك حضرة وكيلنا الخواجه توفيق حبيب المقيم في بروكلين نيويورك) بموجب وصولات ممضاة من مدير الهلال وهذا عنوان الوكيل :

Mr Tofik Habib, 10-12 Emmett St, Brooklyn N. Y., U. S.

الداء الزهري

وتأثيره على حاسة البصر

ان الامراض العضالة او بعبارة أخرى عوامل الفناء الكبرى التي تهاجمنا من كل ناحية كثيرة وكلها مجلبة للسقم ثم الموت ان هي لم تعالج في اول ظهورها علاجاً فعالاً. ومنها ما لا تفيد فيه حيل الاطباء لسوء حظ الانسان

وكلها اذا اهملت تفتك بالجسم فتكاً ذريعاً وانما اشدها وطأة واصعبها مراساً الداء الزهري بلا جدال. وما من داء منتشر في اقطار المسكونة انتشار هذا الداء الخبيث

وللزهري اسماء عديدة «غير حسنى» تختلف باختلاف البلدان وكلها قبيحة مثله وذلك برهان على سعة انتشاره فاسمه في بلاد العرب «الحب الافرنجي» واسمه في السودان «الحلق» والسودانيون يدعون المصاب به «المحلق». وله في مصر ثلاثة اسماء وهي «الافرنجي» و «الزهري» و «التشويش» وفي اوروبا يدعونه «السفلس» وهو اسمه العلمي

قلنا ان هذا الداء هو من افتك الامراض العضالة التي تصيب الانسان ذلك لانه لا يسلم من شره عضو من اعضاء الجسم المصاب به ولا نسيج من انسجته ولا سائل من سوائله . فهو يفتك بالجلد فيحدث فيه انواعاً عديدة من النقط والبثور والقروح. ويفتك بالشعر ويسبب الصلع وبالاظافر فيثلمها ويشوهها . ويفتك بغضروف الانف فيهتكه فيشوه الخلقة والعياذ بالله . ويفتك بالعظام فينخرها ويفتتها وبالمفاصل فيبطل حركتها وبالعضلات فتصاب بالضمور ثم بالضعف فالاورام الصمغية . ويصيب الدماغ فيضر بكثير من وظائفه . والنخاع الشوكي فيحدث انواع الشلل واختلاج الحركة . ويفتك بالاوعية الدموية فتتصلب وينتج عن تصلبها الانزفة الدماغية القاتلة

. ويفتك بالدم فيتسمم وباللسان فيتقرح ويتضخم وبالحلق فيتهتك وبالحنجرة فتنقطع اوصال اوتارها وبالمريء فيضيق وينسد . ويفتك بالقلب والرئتين والكبد والطحال والكليتين . ويفتك بالسمع والشم والذوق والبصر . ولولا ضيق المقام وخوفنا على القاريء من الملل لذكرنا مساويء أخرى لا تحصى لهذا الداء العضال

وكفانا بما تقدم تنبيهاً للمصاب بهذا الداء ليكون على بينة من امره ولا يترك العلة

تمكن منه بل يثابر على علاجها وتحذيراً للسليم لكي لا يقع في هذه الهاوية

وانما الغرض المقصود من مقالتنا هذه هو الكلام عن تأثير الداء الزهري في حاسة البصر دون سواها . فالعين على صغرها مؤلفة من اجزاء متنوعة وطبقات عديدة وانسجة متباينة وسوائل مختلفة . وكل تلك الاجزاء والطبقات والانسجة والسوائل على اختلاف انواعها ينتابها الداء الزهري ويفتك بها وان هو لم يعالج في اول ظهوره لا يلبث ان يهد كيانها ويبطل وظائفها فتصاب العين بالعمى ولات حين مناص

والزهري يصيب اجزاء العين الظاهرة والباطنة على السواء فيفتك بالاجفان والاهداب والملتحمة والقرنية والصلبة والقزحية في قسمها الخارجي . ويفتك بالجسم الزجاجي والشبكية والعصب البصري والشبكية والمشيمية في قسمها الداخلي . غير ان اصابة الاجزاء الظاهرة اقل ضرراً من اصابة الاجزاء الباطنة لان في الحالة الاولى تكون اعراض الداء ظاهرة لا تخفى على المريض واهله فيسرع باستشارة الطبيب عند اول ظهور تلك الاعراض . اما اصابة الاجزاء الباطنة فتبقى اعراضها مستترة لانها لا ترى الا بآلة خاصة لا يحسن استعمالها غير الطبيب البصري . اما المريض فلا يشعر الا بضعف في بصره يكون في بادىء الامر خفيف الوطأة فلا يعبأ به او يظنه ناشئاً عن الكبر فيقصد احد بائعي النظارات فيتلقاه هذا بالترحاب ويبيعه نظارة ربما تكون السبب في اشتداد وطأة الداء الدفين ولا يفكر المريض في استشارة الطبيب الا بعد زيارة كل حوانيت بائعي النظارات وبعد ان يصل ضعف بصره الى حد لا يعود يستطيع معه المثابرة على اشغاله . ولكن استشارة الطبيب بعد هبوط قوة البصر الى ذلك الحد لا تعود تأتي بفائدة نظراً لاستفحال العلة وتهتك الاغشية الباطنة وضمور العصب البصري بعد النهاية

ذلك ما نريد تنبيه المزهورين اليه . فكل مصاب بالداء الزهري متى شعر بضعف في بصره يلزمه استشارة الطبيب البصري على الفور ليفحص باطن عينيه حتى اذا وجد فيها الاعراض الدالة على فتك الداء يصف له العلاج الشافي وهو فعال في بادئ الامر بقدر ما هو عاجز بعد استفحال العلة وضمور العصب البصري

وحوادث العمى الناشئة عن الزهري ولا سيما في دوره الثلاثي كثيرة وسببها جهل المزهور بوجود تلك العلة المستترة في باطن عينيه واستهانته بضعف بصره في اول حدوثه

وزهري العين يشفى شفاء تاماً اذا عولج في اول ظهوره علاجاً فعالاً سواء كانت

الاصابة في الاجزاء الباطنة او الظاهرة

وعلاج الزهري محصور في المستحضرات الزئبقية ويودور البوتاس . وطرق استعمال الزئبق عديدة ولكن افضلها الدلك بالمرهم الزئبقي وحقن الاملاح الزئبقية السريعة الذوبان اما في عضلات الاليتين او في الوريد . اما اخذ الاملاح الزئبقية من الباطن اي عن طريق المعدة فقد هجره الاطباء لانه يضعف المعدة ويكون سبباً في اعتلالها

ولا بد للمزهور من المثابرة على العلاج شهرين متواليين على الاقل بدون انقطاع حتى تزول الاعراض وتعاود العين قوة البصر . ولا بد له من تكرار العلاج كل سنة او سنتين اذا اراد ان يكون في مأمن من عود العلة « وعودها غير احمد » ذلك لان الداء الزهري كالعدو المتربص للفتك بالمصاب به فان كف هذا من مقاومته والوقوف له بالمرصاد يتغلب عليه ويذهب ببصره وهناك الطامة الكبرى والبلية العظمى التي نسأل الله ان يكفي العباد شرها والسلام

مصر الدكتور ابراهيم شدودي
الطيب البصري

الرق والحرية والضعف والقوة

هي قصيدة اجتماعية فلسفية قالها شوقي بك في وصف الحرية الحقيقية في سياق خطاب لكنار محبوس في قفص عنده . وقد نظمها على اثر مقالات لفاضلة مصرية سمت نفسها « باحثة في البادية » نشرت آراءها في المرأة الشرقية وتربيتها وخصوصاً الحجاب واضراره وناقشها بعض الكتاب في آرائها عن ذلك . وفي هذه القصيدة اشارات الى شيء من هذا القبيل وقد تؤخذ عن حال مصر السياسية قال :

صداحُ يا ملك الكنا ر ويا امير البلبل
قد فزتُ منكَ (بمعبد) ورزقت قرب (الموصلي)
واتيح لي (داود) مز ماراً وحسن ترتل
فوق الاسرة والمنا بر قط لم تترجل
تهتزُّ كالدينار في مرتج لحظ الاحول
واذا خطرتَ على الملا عب لم تدع لممثل
ولك ابتداءات الفرز دق في مقاطع جرول

ولقد تخذت من الضحى   صفر الغلائل والحلي
ورويت في بيض القلا   نس عن عذارى الهيكل

***

ياليت شعري يا اسير   شجٍ فؤادك ام خلي
وحليف سهد ام تنا   م الليل حتى ينجلي
بالرغم مني ما تعا   لج في النحاس المقفل
حرصي عليك هوى ومن   يحرز ثميناً يبخل
والشحُّ تحدثه الضرو   رة في الجواد الجزل

***

انا ان جعلتك في نضا   ر بالحرير مجلل
ولففته في سوسن   وحففته بقرنفل
وحرقت ازكى العود حو   ليه واغلى الصندل
وحملته فوق العيو   ن وفوق رأس الجدول
ودعوت كل اغرَّ في   ملك الطيور محجل
فأتتك بين مطارح   ومحدث ومدلل
وامرت بابني فالتقا   ك بوجهه المتهلل
بيمينه فالوذج   لم يهد (للمتوكل)
وزجاجة من فضة   مملوءة من سلسل
ما كنت يا (صداح) عنـ   ـدك بالكريم المفضل
شهد الحياة مشوبةً   بالرق مثل الحنظل
والقيد لو كان الجما   ن منظماً لم يحمل

***

يا طير لولا ان يقو   لوا جنَّ قلت تعقل
اسمع فربَّ مفصل   لك لم يفدك كمجمل
صبراً لما تشقى به   او ما بدا لك فافعل
انت ابن رأي للطبيـ   ـعة فيك غير مبدل
ابداً مروع بالأسا   ر مهدَّدٌ بالقتل
ان طرت عن كنفي وقعـ   ـت على النسور الجهل

يا طير والامثال تضـ مرب للبيب الامثل
دنياك من عاداتها ان لا تكون لاعزل
او للغبي وان تعلـ ـلَ بالزمان المقبل
جعلت لحر يبتلى في ذي الحياة ويبتلي
يرمي ويرمى في جهـا د العيش غير مغفل
مستجمع كالليث ما يجهل عليه يجهل
اسمعت بالحكمين في الا سلام يوم (الجندل)
في الفتنة الكبرى ولو لا حكمة لم تشمل
رضيَ الصحابة يوم ذا لك بالكتاب المنزل
وهم المصابيح الروا ة عن النبي المرسل
قالوا الكتاب وقا م كل مفسر ومؤول
حتى اذا وسمت (معا وية) وضاق بها (علي)
رجعوا لظلم كالطبا ئع في النفوس مؤصل
نزلوا على حكم القو ي وعند راي الاحيل

***

صداح حق ما اقو ل حفلت ام لم تحفل
جاورتَ اندى روضة وحللت اكرم منزل
بين الحفاوة من (حسين) والرعاية من (علي)
وحنان (آمنة) كامـ ـلك في صباك الاول
صح بالصباح وبشر الابناء بالمستقبل
واسأل اصر عناية تأتي وتهبط من عل
قل ربنا افتح رحمة والخير منك فارسل
ادرك (كنانتك) الكريـ ـمة ربنا وتقبل

مصر شوقي

فاجابهُ بعضهم عن باحثة في البادية يشير الى حجاب المرأة قال :

سميتني ملك الكنا ر وانت رب المنزل
وجعلتني رهناً لاقفـ ـاص الحديد المقفل
وظننت صيحة لوعتي في الاسر صدح البلبل

قد كنتُ صداحاً ولـ كن في الزمان الاول
فوق الغصون الناعما ت على ضفاف الجدول
بين الرياض المزهرا ت بنرجس وقرنفل
والطير اصدح ما يكو ن على الغدير السلسل
حيث الرياح مزاهر لغنائه المسترسل
انا باغمٌ لا صادح مذ صرت رهن المعقل
عجباً اتطرب من نيا ح من شجي معول
عللتني وسجنتني خوفاً اصطياد الاجدل
وزعمت انك مانعي من باشق او اخيل
ان لم تكن لي حارساً من كل عاد مقبل
وتذود عني بالقنا وتصيب ذات المقتل
فالحصن والبيداء يسـ تويان عند الاعزل
والقفل ليس بمانع من كل لص احول
كم من رسائل اوسلت طي النسيم المرسل
كم من ذئاب قد عدت دون الرتاج المقفل
كم من نعاج قد عقر ن بعقر دار من عل
انت القوي ملكتني واراك لست بمرسلي
واراك تقتلني بحجـ ـة حبك المتمحل
لو كان حبك صادقاً لفككتني من معقلي

عن باحثة البادية

ادوارد السابع واسرة هنوفر

قلنا في صدر الهلال الماضي عند ذكر ادوارد السابع انه سابع ملوك انكلترا من اسرة هنوفر ولكنه ايضاً الاول من اسرة سكسبورج وغوطا لان والده البرنس البرت من هذه الاسرة وليس من اسرة هنوفر . فيكون الملك جورج الخامس الثاني من اسرة سكسبورج وغوطا

باب السؤال والاقتراح

حمامات لامالو

للروماتزم والامراض العصبية

(القاهرة) س . ع .

لي صديق يشكو من روماتزم مزمن وقد وصف له الاطباء الذهاب الى لامالو للاستحمام في حماماتها فنرجو الافادة عن خواص هذه المياه الطبية وموقعها

(الهلال) لهذه الحمامات فائدة كبرى في معالجة الامراض العصبية وقد زارها صديقنا الدكتور كرم مراراً وسمعناه يثني على فوائدها ثناء جميلاً فلما جاءنا سؤالكم اقترحنا عليه ان يصفها كما شاهدها ودرس احوالها فاجابنا بما خلاصته

ان حمامات لامالو واقعة في بلدة لامالو لابين La Malou les Bains في وادي سفين على ارتفاع ٢٠٠ متر عن سطح البحر يحيط بها جبال علوها ٥٠٠ — ١١٠٠ متر وتبعد ٨٠ كيلومتراً عن مونبيليه ومنها الطريق اليها . وهي معتدلة الاقليم وتقسم الى قسمين يسمى احدهما لامالو السفلى وهي اكبرهما . والثاني لامالو العليا اصغرهما . وحمامات لامالو السفلى درجة حرارة مائها في نبعها ٥١ درجة سنتغراد لكنهم يبردونها ويتلقونها في برك تختلف درجات حرارتها حسب الحاجة . والحمامات العليا حرارتها من نبعها ٢٩ درجة سنتغراد ويكثر فيها غاز الحامض الكربونيك . والمياه على الاجمال قلوية حديدية فيها قليل من الزرنيخ والنحاس والسلكا . وقد حللها الاستاذ كوري فوجد فيها قليلاً من الراديوم

وتفيد حمامات لامالو اولا : في الروماتزم المزمن وخصوصاً المفصلي وفي المزاج الروماتزمي Arthritisme

ثانياً : في امراض النخاع الشوكي التي ينجم عنها اضطراب في حركات الاطراف Ataxia وتفضل السفلى لمعالجة هذه الامراض اذا كانت مصحوبة بآلام والا فالعليا افضل منها

ثالثاً : في النفرالجيا على اختلاف انواعها

رابعاً : في التهاب الاعصاب Polynevritis

ولا بد من التنبيه الى اضرار هذه المياه في بعض الامراض ليتجنبها اصحاب هذه الامراض . فهي شديدة الاذى في الامراض الجلدية وفي السل فلا يستشفي بها احد من المسلولين واصحاب الامراض الجلدية وهي لذلك خالية من اسباب العدوى بهذه الامراض

وفي هذه البلدة كل ما يحتاج اليه المريض من وسائل الراحة والعلاج والملاهي يأمها الناس للاستشفاء في الصيف للروماتزم وفي الربيع والخريف لامراض النخاع الشوكي اما اهل البلاد الحارة فالافضل ان يذهبوا اليها في الصيف على الحالين لان صيفها يشبه خريف بلادهم

وفيها ينابيع مياه معدنية للشرب منها نبع يدعى فيشي الصغير (بتي فيشي) وهو يشبه ماء فيشي لكنه اخف منه فيتناول على المائدة بدون تخفيف . وفيها عدة ينابيع حديدية تفيد في احوال فقر الدم ونبع يدعى الاسكلاد قلوي درجة حرارته ٤٠ سنتغراد يفيد شرب مائه في امراض المعدة والروماتزم

مذنب هالي

في نظر الشعراء

تحفز في الليل حتى ترامى فشق السما وازاح الظلاما
واقبل يستطع من حسنه ويبتسم الحسن فيه ابتساما
جمال لو امتلكته الحسا ن لم يمت الناس الا غراما
أتابع الحاظ عيني اليه حتى عقدن عليه الزحاما
لدى وقفة كالتقاء العيون أسلم فيها الفؤاد الزماما

***

« فيا نجم » ما اضعف الناس فيك وما اكثر اليوم عنك الكلاما
أحق ستجمع غل القلوب فتـ ـنفجر الارض منه اضطراما
وتصدمها صدمة المستبد يميت نظاماً ويحيي نظاما
وتحطم سلم ذي الكبرياء فليس يباهي مقام مقاما

وتهدم ذاك البناء العتيق فيصبح فيه العظام (عظاما)
وترحم هذي الشعوب الضعاف يقاسون داء الملوك العقاما
وتهشم تلك الانوف التي غدا الانف منها يحاكي السناما
وتترك في كربه يستغيـ ـث من كان ليس يرد السلاما
اذا كان هذا فعجل به وحسب الفضيلة منا انتقاما

مصر مصطفى صادق الرافعي

المعادن والجواهر [1]

في القطر المصري

الذهب

مناجم الذهب المعروفة الآن موجودة في أم الروس وأم قريات والعزقا وايقات واحيمر وعطا الله وعريديه وسمنه وحمش وسمودود ونجاش وفطيرة والبرامية والفواخير وجميعها كائنة في الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الاحمر

هذه المناجم ليست من اكتشافات هذا العصر بل عرفها قدماء المصريين واستخرجوا منها مقادير عظيمة ساعدتهم في الانفاق على اعمالهم الجسيمة ومبانيهم الفخيمة

جاء في كتاب تاريخ قدماء المصريين الانكليزي ما تعريبه « ان الجواهر والحلي الذهبية التي وجدت في مقابر المصريين تدل على مقدار براعتهم في استخراج المعادن وتوجد على آثارهم نقوش تمثل كيف كانوا يستخرجونها وكيف كانوا يستخلصونها مما يخالطها حتى يحصلوا عليها نقية خالصة »

واسم الذهب في لغة قدماء المصريين « نوب » وبه سموا بلاد الاثيوبيين فقالوا « نوبة » لكثرة وجود الذهب فيها

وفي عهد تحوتمس الثالث كان الاثيوبيون يؤدون الجزية حلقاً من الذهب المستخرج من ارضهم . ولما فتح المصريون اثيوبيا استولوا على معادن الذهب واستغلوها فأصبح محصولها وافراً

ولما استولى رمسيس على نبطة وهي مروي الكائنة عند الشلال الخامس صار تحت يده مدينة قريبة من المناجم فسهل عليه مراقبتها وحصل بهذه الوسيلة على مقدار

(١) من خطاب لمحمد افندي حسني العامري تلاه في نادي المدارس العليا

من الذهب فوق حد التصور وهو ٣٢ مليون "مَن" او ٧٠ مليوناً من الجنيهات . وهذا التقدير وجد منقوشاً على الصنم ممنون تحت صورة هذا الملك وهو يقدم مستخرجات الذهب الى معبوده آمون رع . وكان الذهب في مصر اكثر مما في اي بلد آخر . فكان العبرانيون يأتون لاستخراجه من فرضة على شاطئ البحر الاحمر هي أوفير العبرانيين المذكورة في التوراة والتي سماها البطالسة فيما بعد « برانيس الذهبية » اه

وقد ورد في التوراة انه لما حصل القحط في ارض كنعان رحل ابراهيم مع زوجته سارة الى مصر فعاد منها غنياً جداً بما اقتنى من ماشية وجمع من فضة وذهب . وكان العبرانيون يصنعون من الذهب صفائح رقيقة واسلاكاً دقيقة . يحوكونها مع خيوط الكتان لاثواب هارون . وقد صاغ هارون عجلاً ذهباً للاسرائيليين في برية سينا

وكيفية استخراج الذهب في ذلك الوقت ان الاهالي كانوا يقتلعون الصخور المحتوية على عروقه وحبوبه ثم يكسرونها فاذا تعذر كسرها لشدة صلابتها كانوا يحمونها في النار ليسهل كسرها ثم يسحقونها بين حجرين من الجرانيت المتدمج ثم يغسلون التراب الحاصل من السحق بالماء على الواح خشبية مائلة فيذهب الماء بالتراب ويبقى الذهب . وكانت الحكومة في ذلك العهد ترسل المجرمين واسرى الحرب ليشتغلوا في استخراج المعادن من مناجمها وعليهم حراس من الجند . هذا حال الذهب في القرون الاولى وأما بعد الفتح الاسلامي فقد جاء عنه في كتاب مسالك الممالك لابي اسحاق الاصطخري ما يأتي:

« ان البجة (يعرفون الآن بالبشارية) كانوا يأخذون معدن الذهب من قرب أسوان من ارض مصر على نحو عشر مراحل حتى ينتهوا الى حصن على البحر يسمى عيذاب ويسمى مجمع الناس بهذا المعدن « العلاقي » وهو رمال وارض مبسوطة لا جبل بها . وجاء في كتاب احسن التقاسيم لمعرفة الاقاليم للمقدسي « ان معدن الذهب في السودان وليس في العالم اصفى ولا اوسع منه »

وقال ابن خلدون في تاريخه « كانت الهدنة بين اهل مصر والبجة من لدن الفتح وكان في بلادهم معادن الذهب يؤدون منها الخمس وفي زمن الخليفة المتوكل امتنعوا وقتلوا من وجدوه من المسلمين في المعادن فارسل عليهم عشرين الفاً من العساكر والمتطوعة تحت قيادة محمد بن عبد الله القمي فاخضعهم وامتثلوا لاداء الخراج الذهبي » وفي الطبري « ان البجة كانت تدفع لمصر خراجاً مقداره اربعمائة مثقال من التبر قبل ان يصفى »

أما حالة الذهب الآن فبكل سرور اقول ان الاراضي المصرية لم تزل غنية بمعادنه

بدليل ان الشركات الاجنبية التي اشتغلت مؤخراً باستخراجه حصلت على ذهب مقداره ٦٥٢ ١٣٦ جنيهاً من اربعة مناجم فقط هي: مناجم ام الروس وأم قريات واحيمر والبرامية. والاهالي الضاربون بتلك الارضين أهل أمانة ونشاط وهم عربان العبابدة والمليكاب والبشارية ولكنهم الآن يتاجرون بالمواشي ويحتطبون الحطب لعدم معرفتهم كيفية استخراج الذهب

وهنا الفتكم لامر مهم وهو ان بعض الشركات الاجنبية ليست الا العوبة من الاعيب البورصة غايتها الحقيقية الربح من الاسهم لا من ذهب المنجم فلا تظنوا سقوط شركة وتعطيل منجم دليلاً على امحاله أو نفاد معدنه بل اعتقدوا دائماً ان بلادنا غنية بالمعادن ولم ينضب منها الذهب بعد

الفضة

هذا المعدن موجود في القطر المصري بدليل ما نقلناه عن التوراة وما وجد منقوشاً على آثار الكرنك اذ نرى في تلك النقوش ان رمسيس الثالث يقدم قربانه الى امون رع على مائدة من فضة. ولكن لغاية الآن لم يستدل على منجم خاص بهذا المعدن. وقصارى ما وصل اليه الاستدلال ان الفضة وجدت مختلطة بكبريتور الرصاص في المناجم التي سيأتي ذكرها. وكذلك وجدت مختلطة بالرمال في جهة الرملة بشبه جزيرة سينا ولكن بمقدار لا يوازي قيمة ما يصرف في استخراجه

الرصاص

في الصحراء الشرقية جبل معروف الآن عند عرب العبابدة باسم جبل الكحل لاحتوائه على طبقة سنجابية يكتحلون بترابها فتصح عيونهم. وقد جاء في كتاب طبقات الكرة الارضية المطبوع بمصر سنة ١٢٨٨ هجرية ان هذه الطبقة من كبريتور الرصاص ويكتحل منها لوقاية الاعين من الرمد لانها تقلل افراز الدموع وكان قدماء المصريين يستعملونها طلاء لاواني الفخار وكذلك استعملتها الحكومة المصرية في عهد المغفور له محمد علي باشا في معامل الفخار ببولاق وكفر الدوار. أما الآن فقد شاهدت بكل اسف ان المشتغلين بعمل الفخار في مصر القديمة وروض الفرج وغيرها يستحضرون ما يلزمهم من هذه المادة التي يسمونها جالينا من اوروبا ويدفعون ثمن الطن منها عشرين جنيهاً مع ان استخراجها من مناجها المصرية لا يكلفهم نصف هذه القيمة

وجاء في التقرير الرسمي لمصلحة المعادن المصرية سنة ١٩٠٦ ان كبريتور الرصاص موزع بكثرة في الجبال الممتدة على ساحل البحر الاحمر خصوصاً في جبل الرصاص

وسفاجا ورانجا حيث يشاهد في هذه الجبال كثير من مناجم قدماء المصريين تختلف في العمق من ٢٠ الى ٣٠ قدماً وسمك طبقة المعدن فيها نحو قدم ونصف وتحتوي على ٤٠ في المئة من الرصاص مختلطاً بقليل من الفضة والذهب

النحاس

معدن النحاس مثل الذهب في كثرة وجوده طبيعياً في القطر المصري وكان الفراعنة يستخرجون مقادير عظيمة منه وآثار اشتغالهم ظاهرة الآن في جبال حماطة ودارا وفي غرب جمسة والشمال الشرقي لام قريات بالصحراء الشرقية وفي جبال سربوط الخادم وسمارا بشبه جزيرة سينا

الحديد

يوجد في حالة اوكسيد الحديديك في جبال الصناع ومبعوج وعرشي بشبه جزيرة سينا . وفي الجبال التي يخترقها النيل من اسوان الى حلوان توجد طبقات من الطفل المشبع بأوكسيد الحديد ففي ايام الفيضان يحمل ماء النيل في مجراه شيئاً من هذه الطبقات الحديدية ولذا نرى ما يؤخذ من طمي النيل ويطبخ في النار آجراً ونخاراً يكتسب صلابة ولوناً احمر والاهالي يسمون هذه الطبقة مغرة ويأخذون منها طلاء للفخار والنجارون يستعملونها في النقش والتخطيط على الخشب بدل البوية وأقلام الرصاص

الجواهر

(الزمرد) هذا الجوهر الثمين موجود في جبال سكيت ونحروس وزباره وأبو حربة في الصحراء الشرقية والطريق من ادفو اليها مأمونة وقد عرفه قدماء المصريين وبرعوا في قطعه وصقله ولكثرته كان يعوض عن نفقات ٤٠٠ عامل يشتغلون في استخراجه وهناك لغاية الآن آثار البيوت التي كان يسكنها الشغالة . وفي عهد البطالسة سافر اوليودورس احد علماء الاسكندرية الى ما وراء اسوان تحت خطر البجة في النوبة ولكنه لم يوفق الى رؤية مناجم الزمرد التي يظهر انها كانت الغرض المقصود من سفره لانه من رجال الكيمياء . وجاء في كتاب تاريخ قدماء المصريين الانكليزي أن اسم زمرد مأخوذ من سمراكتوس وهو اسم سلسلة جبال من الجرانيت الاحمر على مسافة ٣٠ ميلاً من البحر الاحمر يوجد فيها هذا الحجر الاخضر الشفاف الجميل

(الزبرجد) كانت احدى المراكب الشراعية آتية في البحر الاحمر الى السويس فالتجأت مصادفة واتفاقاً الى جزيرة صغيرة قريبة من رأس بناس فرأى البحارة في ارضها حجارة خضراء لامعة فجمعوا منها نحو قدح ولما وصلوا السويس باعوه لاحد

الاهالي بثمن بخس وهذا باعه لاحد الاسرائيليين بخمسة جنيهات والاسرائيلي فحصها عند الجواهرية في الاسكندرية فعلم انها زبرجد وباعها بمبلغ كبير فذاع الخبر واشتهر امر الزبرجد فبادرت الخاصة الخديوية الى استخراجه من الجزيرة المذكورة وقد علم من كتاب المرحوم احمد بك ندا ومن تقرير مصلحة المعادن ان الزبرجد موجود في جزائر أخرى بالبحر الاحمر خلاف جزيرة الزبرجد المشهورة

(الفيروز) كان قدماء المصريين يستخرجون الفيروز من جبل قناع المعروف الآن باسم جبل المغارة في شبه جزيرة سينا على بعد ثلاثة ايام من السويس وقد شاهدت على باب احدى المغارات القديمة بالجبل المذكور صورة الملك رمسيس يضرب الكنعانيين ونقوشاً اخرى تدل على كيفية استخراج الفراعنة لهذا الحجر الكريم

اما الآن فان عربان الطور من قبيلة الصوالحة والقرارشة والحماضة والعوامرة هم الذين يستخرجون الفيروز بانفسهم ويبيعونه على حالته الطبيعية في السويس ومصر والاسكندرية وبسببه صاروا في سعة من العيش

(الكوارتز البنفسجي) الكوارتز او البلور الطبيعي موجود بكثرة في جزيرة الزبرجد وما جاورها من جزائر البحر الاحمر وفي الجبال القريبة من اسوان والنوع المطلوب منه هو ما كان بنفسجياً او ارجوانياً لاستعماله في الحلى مثل الجواهر ويطلق عليه اسم اميتيست Amethyst وهذا الاسم مأخوذ من الكلمة اليونانية A, not, methuo ومعناها ضد المسكرات لان المتقدمين كانوا يعتقدون ان هذا الحجر يحفظ حامله من السكر. ومن عهد قريب احضر لي احد عربان الطور حجراً بنفسجياً هو الاميتست بعينه قال انه يوجد كثير من نوعه في جبل لوقوم المجاور لجبل الفيروز. ويوجد في الآثار القديمة كثير من حجر الاميتيست وهو وان طال الزمن به لم يتغير لونه الجميل

(اللؤلؤ) المشهور لغاية الآن ان اللؤلؤ انما يوجد في البحرين وعمان بالخليج الفارسي ولكني شاهدت بعيني عرب الجبالة أو جهينة وهم من اهالي ام اللج والموباح وينبع يغوصون في البحر الاحمر على الصدف ويجدون فيه اللؤلؤ الجيد والاماكن المشهورة بكثرة اللؤلؤ هناك الجاد بجوار الطور والغبة ومسلات بجوار السويس

يلزم ادارة الهلال

ان ادارة الهلال تحتاج الى الاعداد الآتية وهي الجزء ٢و٦ من السنة ١٥و٦ من السنة ١٦ و١و٨ و٩ من السنة ١٧و١و٢ من السنة ١٨ و٢و٤ من السنة ١٣ فمن كان عنده شيء منها لاحاجة له به فليخابرنا بشأنه

الشعر والتمدن الاسلامي

ما من أمة شغفت بالشعر شغف الامة العربية في ابان تمدنها في صدر الدولة العباسية اذ تكاثر الشعراء وتوافدوا على الخلفاء ودار الشعر على السنة القوم كبيرهم وصغيرهم ودونوه في كتبهم واجازوا ناظميه ومنشديه وكتبوه على منازلهم وملابسهم ورياشهم وأدواتهم واقداحهم نقشاً او وشياً او تطريزاً واليك امثلة مما طرزوه على الستور والوسائد والبسط والمرافق في أثناء القرن الثالث للهجرة — قال الوشاء :

قال علي بن الجهم قرأت على ستر لبعض أمهات ولد المأمون

هجرتني كي اجاريكم بفعلكم لا تهجريني فاني لا أجاريك
قلبٌ محب لكم راض بفعلكم أسترزق الله قلب لا يجانيك
اصبحت عبداً لادنى اهل داركم وكنت فيما مضى مولى مواليك

وكتب بعض ولد المتوكل على ستره

يا ايها اللائم فيها لأصرفها ! كثرت لوكان يغني عنك اكثار
ارجع فلست مطاعاً ان وشيت بها لا القلب سال ولا في حبها عار

وكتب موسى الهادي بن المهدي على ستره

يا أيها الزاعم الذي زعما أن الهوى ليس يورث السقما
لو أن ما بي بك الغداة لما لمت محباً اذا شكا الما

وكتب بعض الظرفاء على مخدة له

يا راقد الليل ممن شفه السقم وهده قلق الاحزان والالم
جد بالوصال لمن أمسيت تملكه يا احسن الناس من قرن الى قدم

أخبرني من قرأ على مخدة لبعض الظرفاء

لم اذق يا سؤل قلبي للكرى مذ غبت طعما
ترك الدمع على خدي لما قد فاض رسما

وقرأت على وسادة لبعض الكتاب

تشكى المحبون الصبابة ليتني تحملت ما يلقون بينهم وحدي
فكانت لروحي لذة الحب وحدها فلم يلقها قبلي محبٌّ ولا بعدي

وأخبر بعض الكتاب انه قرا على بساط لبعض اهل الهوى

أحسن من قهوة وعود توريد خديك يا وحيد
نأيت عني فذاب جسمي وهدني الشوق والصدود

وطال سقمي لبعد حبي وملني الاهل والبعيد

وكتب بعض الظرفاء على مصلاه

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخر عنه ولا متقدمُ
اجد الملامة في هواك لذيذة حباً لذكرك فليلمني اللوم
واهنتني فأهنت نفسي عامداً ما من يهون عليك ممن أكرم
اشبهت اعدائي فصرت احبهم اذ صار حظي منك حظي منهم

وكتب سعيد بن قيس على مصلاه

سأمنع عيني ان تلذ بنظرة واشغلها بالدمع عن كل منظر
واشكر قلبي فيك حسن بلائه أليس به القاك عند التذكر

وكتب بعضهم على بساط

كتمت حبهم صوناً وتكرمة فما درى غير اضماري بهم وهم
قوم بذلت لهم صفو الوداد فما جازوا عليه ولا كافوا ولا رحموا
هم علموني البكا لا ذقت فقدهم يا ليتهم علموني كيف ابتسم

وقال الوشاء في مايكتب على المجالس والابواب ووجوه المستظرات والقباب :

قال علي بن الجهم رأيت في صدر قبة مكتوباً بالوان فصوص منضدة

لا تطمع النفس في السلو اذا احببت حتى تذيبها كمدا
من لم يذق لوعة الصدود ولم يصبر على الذل والشقا ابدا
فذاك مستظرف الفؤاد يرى في كل يوم أحبابه جددا

واخبرني ابو جعفر القارئ قال اخبرني بعض شيوخنا انه قرأ في صدر مجلس لامير المؤمنين المأمون

صل من هويت ودع مقالة حاسد ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن احسن منظراً من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما ازر الهوى متوسدين بمعصم وبساعد
يامن يلوم على الهوى اهل الهوى هل تستطيع صلاح قلب فاسد

وقرأت على وجه مستظر لبعض الكتاب

هبت شمال فقلت من بلد انت به طاب ذلك البلد
وقبل الريح من صبابته هل قبل الريح قبله احد

واخبرني احمد بن الحسين بن المنجم المقرئ انه قرا على مستظر لبعض الكتاب

لي الى الريح حاجة لو قضتها كنت للريح ما حييت غلاما
حجبوها عن الرياح لاني قلت يا ريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن منعوها يوم الرياح الكلاما

اخبرني عبد الحميد انه قرأ على باب مجلس بملطية

لا يمنعنك خفض العيش في دعة نزوع نفس الى اهل واوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران

وفي صدر المجلس ايضاً مكتوب

ان كنت في ارض غريباً فرجها ولا تكترث فيها نزوعاً الى الوطن
فما هي الا بلدة مثل بلدة وخيرهما ما كان عوناً على الزمن

وقرات على باب دار خدشاً في الجص بعود

هلا رحمتم موقفي بفنائكم متعرضاً لنسيمكم اتنشق
متلدداً ابكي لما قد حل بي مثل الغريق بعايرى يتعلق

واخبرني صديق لي انه قرأ على باب دار بالحجاز

يا دار ان غزالاً فيك عذبني لله درك ما تحوين يا دار
الدار تملكني ويحي وصاحبها قبي مليكان رب الدار والدار
يا دار لولا غزال فيك عاقني ما كان لي فيك اقبال وادبار

واخبرني من قرأ على باب دار باصطخر منقوشاً بحجر

ارى الدار من بعد الحبيب ولا أرى حبيبي مع الباقين في عرصة الدار
فيا عجباً اذ فارق الجار جاره أليس شديداً فرقة الجار للجار

وكانوا يكتبونه على النعال والخفاف ومن ذلك ما نقله الوشاء قال :
كتبت متيم المغنية على نعلها

أقسمت مقلته لا تنثني عن فؤادي او تراه قطعا
فالذ برت فيل من مطمع ان ترى ما قطعت مجتمعا

واهدى سعيد بن حميد نعلاً الى صديق له وكتب عليها

نعل بعثت بها لتلبسها قدم بها تسعى الى المجد
لو كان يصلح ان اشركها خدي جعلت شراكها خدي

وكتبت جارية علي بن عيسى بن يزداد كاتب اسحاق بن ابراهيم على خفها

تؤمله الالحاظ لما بدا محتجباً عن لحظات العباد

منزله ناء ولكنه يسكن مني في سواد الفؤاد

واهدى بعض الكتاب نعلاً وكتب على شراكها

لي فؤاد شفه الحزن واضناه الصدود

وهواي كل يوم هو ينمى ويزيد

وكتب بعض الظرفاء على خف له محالسي بالذهب

لولا شقاوة جدي ما عرفتكم ان الشقي الذي يشقى بمن عرفا

طاف الهوى بعباد الله كلهم حتى اذا مر بي من بينهم وقفا

واخبرني من رأى نعلا من فضة أهديت لبعض الظرفاء عليها مكتوب

بأبي انت سيدي ومناي جعل الله والديَّ فداكا

ان خدي من الثري لك نعلا قد للنعل من فؤادي شراكا

عجائب المخلوقات



انثى الكانغورو

تحتضن ابناءها في كيس لها عند اسفل بطنها

من ١٨٨٠ — ١٩٠٨ بنحو ثلاثة امتار . وبما ان شواطئها سهلة فان هذا الارتفاع القليل زاد في مساحتها زيادة كبيرة . وقد حدث نحو هذا الارتفاع في بحيرات أُخرى بجوارها في اثناء العشرين سنة الاخيرة . وينسبون بعض هذه الزيادة الى كثرة الامطار ولكن ذلك يخالفه انخفاضها من قبل ولا بد من سبب متصل بباطن الارض

المركبات الهوائية : كان ينبغي لنا بمناسبة الطيران الذي سيجري في اواسط هذا الشهر في واحة عين شمس ان نذكر تاريخ المركبات الهوائية ولكننا قد فعلنا ذلك في العام الماضي فكتبنا فيه مقالة ضافية مزينة بالرسوم فلتراجع هناك

موسم الحرير في العالم : استخرج بعضهم احصاء للحرير الذي صدر في العالم للسنين الاربع الاخيرة في اوربا وغيرها فظهر منه ان المحصول يزداد كل عام عما قبله فقد كان مجموعه ٥٣٠٠٠٠ ١٨ كيلوغرام سنة ١٩٠٥ فصار ٩١٣٠٠٠ ٢٠ سنة ١٩٠٦ و ٠٦٠٠٠٠ ٢٢ كيلوغرام سنة ١٩٠٧ و ٠٨٠٠٠٠ ٢٤ كيلوغرام سنة ١٩٠٨ وتقسم غلته الاخيرة على البلاد بهذه النسبة :

	كيلوغرام		كيلو غرام
ايطاليا	٤٨٦٠٠٠ ٤	اليونان	٦٥٠٠٠
اسبانيا	٧٥٠٠٠	القوقاس	٣٦٠٠٠٠
النمسا	٣٣٤٠٠٠	الفرس وتركستان	٥٢٦٠٠٠
فرنسا	٦٥٦٠٠٠	شنغاي (الصين)	٦٨٨٠٠٠ ٥
الاناطول	٦١٥٠٠٠	كانتون «	٣٧٨٠٠٠ ٢
سوريا وقبرس	٦٣٥٠٠٠	يوكوهاما (اليابان)	٥٧٠٠٠٠ ٧
سالونيك	٢٨٥٠٠٠	كلكته (الهند)	٢٥٠٠٠٠
البلقان	٢٠٧٠٠٠	المجموع	٠٨٠٠٠٠ ٢٤

مطبوعات جديدة

روزاموند : رواية ادبية اجتماعية تأليف ماري هولمس وقد نقلها الى العربية يوحنا افندي جرجس مبارك نزيل اميركا وطبعت بمطبعة المدى في نيويورك وتطلب منها

مذكرات شارلوك هلمز : هي روايات يغني اسم مؤلفها عن وصفها وقد نقلها الى العربية قوسه افندي سعد وطبعت في مجلة المحيط تباعاً وتطلب من ادارته وثمن الجزء الاول منها

وفيه ست روايات خمسة غروش

الأميرة : هي رواية انكليزية الاصل نقلها الى العربية الدكتور انيس بارودي في نيويورك وطبعت في مطبعة الهدى هناك وتطلب منها في ٨١ شارع ويست في نيويورك

روايتي : هي رواية تهذيبية ضد التعصب لم يذكر اسم مؤلفها وقد طبعت بمطبعة الاتقان في الاسكندرية

شقاء الملوك : رواية تاريخية غرامية تأليف ماري كورلي الكاتبة الانكليزية الشهيرة نقلها الى العربية خليل افندي بيدس منشىء مجلة النفائس في حيفا وتطلب منه وثمن النسخة فرنك ونصف غير البريد

التصوير الشمسي : هو كتاب في فن التصوير الشمسي او الفوتوغراف علَى أحدث الطرق واتقنها علماً وعملياً تأليف رياض افندي شحاته مصور ومعلم التصوير الشمسي ويطلب الكتاب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٠ غروش صاغ واجرة البريد غرش ونصف

مملكة جهنم : كتاب فلسفي اجتماعي تأليف تولستوي الفيلسوف الروسي الشهير نقله الى العربية سليم افندي قبعين ويطلب من مكتبة التاليف بشارع عبد العزيز ومكتبة الهلال وثمن النسخة ٤ غروش والبريد نصف غرش

التحفة السعدية : هو كتاب اشتقاقي لغوي في اللغة الانكليزية والعربية تاليف خليل بك سعد يتضمن مصطلحات اللغة الانكليزية واساليبها وما يقابل ذلك في اللغة العربية وهو وحيد في بابه ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٥ غرشاً واجرة البريد غرشان

الفرائد السعدية : كتاب في الانشاء الانكليزي وما يقابله في العربية ويتضمن المصطلحات والرسائل التجارية وامثلة منها في اللغتين تاليف خليل بك سعد ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش والبريد غرش

السيارة الفلكية : مجلة فلكية تصدر مرتين في الشهر العربي من غرة صفر سنة ١٣٢٨ تبحث في الفلك والطبيعة وغيرها لمنشئها الشيخ احمد موسى الزرقاوي اشتراكها السنوي ٦٠ غرشاً داخل القطر و ٢٠ فرنكاً في الخارج والمخابرة بادارتها بشارع محمد علي بمصر

النصير : جريدة يومية شهيرة كانت تصدر في لبنان لصاحبها صديقنا عبود بك ابي راشد فاشترك معه فيها وتولى رئاسة تحريرها صديقنا امين افندي غريب صاحب المهاجر الاميركي وبقيت ادارتها لعبود بك فدخلت بذلك في طور جديد

Der Islam : هو كتاب بالالمانية تاليف الاستاذ مرتين هرتمن المستشرق الالماني نزيل برلين ضمنه اهم تاريخ الاسلام واحكامه الشرعية الاسلامية والدين الاسلامي وهو يطلب من رودولف هوبت في ليبسك

﴿ علم قراءة اليد ﴾ ان هـذا الكتاب مترجم عن اللغات الاجنبيـة من اوثق المصادر وعدد صفحاته ٣٠٠ ورسومه ٣٩ مطبوعاً في ورق جيد وثمنه ١٠ غروش صاغ مجلداً وفرنكان مثلاً والبريد نصف فرنك ويطلب من مكتبة الهلال بالفجالة بمصر

❋ مرشد التاجر والدليل في مسك الدفاتر ❋ تاليف يوسف كمال وهو اوفى كتاب في هذا الموضوع لا يستغني عنه التاجر في تجارته ولا المحاسب في حساباته ولا العامل في تدبير اعماله لانه يشتمل على تعريف التجارة والعقود التجارية والكمبيالات والتشبكات ومسك الدفاتر وتاليف الشركات الى غير ذلك مما يحتاجه كل فرد من الافراد سواء كان لتدبير اعماله او منزله او زراعته او صناعته وهو مزين بالرسوم التي تقرب الفائدة المقصودة وعدد صفحاته ٤٨٠ صفحة تقريباً وعدد الرسوم تزيد عن العشرين وهي متقنة الصنع تمثل صورة كل كمبيالة او تحويل او جدول او غيرها من الميزانيات على انواعها . ثمنه ٢٥ غرشاً صاغاً واجرة البريد ثلاثة غروش صاغ

❋ المبادىء الفرنساوية ❋ لامين الخوري يشتمل على مبادىء اللغة الفرنساوية باسلوب تدريجي سهل المنال ينتقل به الطالب من الحروف الابجدية الى المقاطع فالجمل فالحكايات المصورة وقد طبع طبعاً متقناً في بيروت . ثمنه مجلداً غرشان ونصف صاغ واجرة البريد عشرون بارة

❋ نوادر الادباء ❋ لجامعه ابراهيم زيدان يشتمل على ما راق ذكره من نوادر الملوك والخلفاء والفلاسفة والعظماء والوزراء والخطباء والزاهدين والاذكياء وغيرهم . ثمن النسخة مجلدة ٥ غروش صاغ وفرنك و٣٠ سنتيماً واجرة البريد غرش واحد او ٣٠ سنتيماً

❋ المستظرفات ❋ لجامعه ابراهيم زيدان : وفيه ما حلا ذكره من اللطائف الظريفة والطرائف الرائقة اللطيفة التي تنفى بها الاشجان وتنشرح لها الصدور لذة وارتياحاً . يشتمل على ارق النوادر من ادبية وغزلية وغيرها . وهو مذيل بنخبة المقالات المدبجة بيراع فقيد النثر والنظم المرحوم الشيخ نجيب الحداد . ثمن النسخة مجلدة ٥ غروش صاغ او فرنك و٣٠ سنتيماً واجرة البريد غرش واحد

❋ النوادر المطربة ❋ يشتمل على أشهر النوادر من ادبية وغرامية وفكاهية وغير ذلك من وصف محاسن المحبوب التي يرتاح المطالع الى معانيها . وهو يشتمل على بعض منظومات لجامع الكتاب ثمنه مجلداً ٥ غروش صاغ واجرة البريد غرش واحد

❋ ديوان ابن الفارض ❋ وهو ارق ديوان لاشهر شاعر عرف برقة المعاني وسلاسة الالفاظ . ثمنه مشكلاً ومجلداً اربعة غروش صاغ واجرة البريد نصف غرش

❋ النخبة الازهرية في الجغرافية العمومية ❋ لاسماعيل علي وهي جغرافية مطولة تقع في نحو ٧٠٠ صفحة كبيرة مزدانة بالاشكال والخرائط المدرسية وهي تحتوي على جغرافية سائر البلاد على اختلافها مفصلة تفصيلاً واضحاً مطولاً . ثمنها ٤٠ غرشاً صاغاً واجرة البريد ٤ غروش صاغ للقطر المصري و٨ غروش للخارج

❋ شذاء الشام ❋ تعريب طانيوس عبده تتضمن ما يعانيه المحب من العناء وما يصادفه في سبيل الغرام من العثرات فتذكر الشاب بما يصادفه في شبيبته والشيخ بما صادفه في عهد الصبا . ثمنها ثمانية غروش صاغ واجرة البريد غرش واحد

❋ القصص ❋ هي رواية تاريخية غرامية وضعها بالفرنساوية الفيكونت دارنكور ونقلها الى العربية نسيب المشعلاني . واسمها يدل على ما احتوت عليه من الحوادث الغريبة التي تمثل التعاسة للعيان احسن تمثيل ناهيك بما يتخلل ذلك من الفكاهة التاريخية الغرامية التي تشوق المطالعة عدد صفحاتها ١٧٢ صفحة كبيرة ثمنها ٨ قروش صاغ او فرنكان و ١٠ سنتيم واجرة البريد قرشان صاغ او نصف فرنك

❋ نوبار باشا وما تم على يده ❋ تأليف نجيب مخلوف . من اراد الحصول على اصدق تاريخ للحوادث المصرية وما كان يتخللها من المطامع الدولية والمشروعات المهمة والآراء السياسية الصادرة عن كبار القوم من عهد المغفور له محمد علي باشا الى اليوم مع تفاصيل لم ترد في تاريخ عربي بعد فعليه ان يطالع تاريخ نوبار باشا الذي ظهر حديثاً مزيناً بالرسوم الجميلة المطبوعة على ورق جيد متقنة الصنع البالغ عددها ٢١ رسماً وعدد صفحاته ٢٢٢ صفحة غير الرسوم المطبوعة بورق جيد على حدة . ثمنه (مجلداً) عشرة غروش صاغ او فرنكان ونصف واجرة البريد غرشان أو نصف فرنك

❋ العاشقة المتنكرة ❋ تأليف اسكندر دوماس وتعريب نجيب الحداد : وهي تشتمل على ما راق لفظاً ومعنىً من الحوادث الغرامية التي تنزع بالقارىء الى عالم الشوق وتميل به الى لذة المطالعة . ثمنها عشرة غروش صاغ واجرة البريد غرش واحد

❋ مرآة العصر ❋ كتاب حوى سير مشاهير القوم بمصر في العصر الحالي وما لهم من المآثر الادبية التي يفتخر بها كل ذي نفس شريفة لانها تكون قدوة لغيرهم مع ما يتخلل ذلك من الرسوم . عدد صفحاته ٥٦٤ صفحة وثمنه مجلداً ٥٠ غرشاً صاغاً واجرة البريد ٤ غروش صاغ

❋ تذكار الصبا ❋ لناظمه الطيب الذكر والاثر المرحوم الشيخ نجيب الحداد هو ديوان عصري يتراوح بين عذوبة الالفاظ ورقة المعاني وفي شهرة ناظمه ما يغني عن الوصف وهو مطبوع طبعة جديدة جميلة وثمنه ٦ غروش صاغ واجرة البريد غرش ونصف صاغ

❋ ميت يتكلم ❋ (قول المعرب) رواية ميت يتكلم من الروايات القليلة التي تمتعت بالانتشار واحرزت رضى جمهور القراء فانها طبعت طبعة أولى منذ ست سنين فلم تنقضِ سنة بعد ذلك حتى نفدت نسخها وكثر عدد الراغبين في اقتنائها غيران الموانع حالت وقتئذ دون اعادة طبعها . اما مغزاها فهو ان الحكام قد يخطئون وتنفذ احكامهم ظلماً اذا اخذوا بظواهر الامور واغفلوا بواطنها الخفية فكم من بريء اودع غيابة السجن لاشتباه القضاة في امره واجتماع الدلائل والبينات الظاهرة على الصاق الجريمة به ثم تكشفت ظلامته فاهتدى القضاة الى ضلالهم وخرج من سجنه طاهر الجيب مبرءاً من كل عيب وصدق فيه قول الشاعر

غيري جنى وانا المعذَّبُ فيكمُ فكأنني سبابة المتندم

وتنطبق على مغزى هذه الرواية الآية الانجيلية القائلة « ما من خفيّ الا سيظهر » وهي حكمة تروع محاول الجريمة في الخفاء وتنذره بالافتضاح وان ضرب الزمان حجاباً على ذنبه

وقد سلكت في تعريبها مسلك كتاب العرب على الرغم من شواغلي الكثيرة المحيقة بي فجردتها من شوائب العجمة وألبستها حلة عربية قشيبة وحرصت على معانيها الاصلية حرص الثقة الامين على الوديعة باذلاً في ذلك ما وصل اليه جهدي وما اتسع له وقتي وحسبي من القراء الكرام اقبالهم على ما كتبت . فذلك خير ما يكافأ به الكاتب في كل بلاد

❊ الهدية السنية ❊ تأليف الياس انطون الياس . كثر الطلب على هذا الكتاب حتى نفذت طبعتاه الاولى والثانية في مدة وجيزة فطبع ثالثة على ورق جميل و باحرف رائقة جلية واضيف اليه زيادات كثيرة . وهو مفيد لكل طلاب اللغة الانكليزية اذ يتضمن ما يجب معرفته من مفردات وجمل وقواعد متنوعة وصور خطابات وغيره . ولاتمام الفائدة وضع المؤلف امام الكلمات الانكليزية لفظها بالعربية مضبوطًا بحركات خصوصية على اسلوب جديد بسيط يسهل معه ضبط لفظ الكلمات بدون احتياج الى مرشد وقد ابقينا ثمنهُ على أصله عشرة غروش صاغ واجرة البريد غرش ونصف وهو يطلب من مؤلفه ومن مكتبة الهلال بأول شارع الفجالة بمصر ومن جميع المكاتب الشهيرة بالقطر المصري

❊ سقوط نابوليون الثالث ❊ رواية تاريخية اجتماعية ادبية غرامية مصرية (معربها) نقولا رزق الله مدير ادارتي الاهرام والبرامهد وشهرة هذا المعرب تغني عن الاطناب بل حوادث نابوليون في غنى عن الشهرة وقد جعلها في ٣ اجزاء كبيرة الاول منها عدد صفحاته ٣١٢ صفحة والثاني كذلك والثالث ٣٦٠ صفحة بحجم كبير وورق جيد وطبع متقن وقد أحسن واضع هذه الرواية بانهُ تحاشى بها كلما تنسم منهُ رائحة التهتك والمجون فهي اذا مكتوبة لكل قارىء وقارئة وثمن كل جزء عشرة غروش صاغ والبريد غرشان

❊ نوادر الكرام في الجاهلية والاسلام ❊ وهو يمثل للقارىء انهُ في رياض انس زاهر بالبرامكة حافل باهل الجود والكرم تارةً يجانس الفضل بن يحيى وهو في هالة من البرامكة تحدق بهرون الرشيد وغيره من الوزراء والامراء — وطورًا يجالس معن بن زائدة وهو على كرسي الامارة يلاطف الزائر بثغر باسم ويمد للفقير يد المساعدة بطرف ثناهُ الحنان واذبلتهُ الوداعة بما يخيل للناظر انهُ هو الذي يستولي الفقير احسانًا . ثم ينثني فيرى حاتمًا الطائي وهو يهب النوق والجمال لسائل لم يكد يتمم السؤال . الى غير ذلك من نوادر أهل الجود والسخاء الذين تنضت احاديثهم واظلمت في افق الندى شموسهم . ثمنهُ ٥ غروش صاغ ومجلدًا ٧ غروش واجرة البوسطة غرش واحد

❊ نوادر العشاق ❊ يشتمل على ما راق ذكره من نوادر الملوك والخلفاء والامراء والعظماء وبني عذرة و بني عامر والشعراء وغيرهم . مع ذكر ما ورد على ألسنة الظرفاء من النوادر اللطيفة والعبارات الرائقة الظريفة المزدانة من فرائد شعار بما يحكي رقة الشمول . وقد جمع بين اللذة والفكاهة والتاريخ بعبارة رشيقة موجزة ثمنهُ ٥ غروش صاغ واجرة البوسطة غرش واحد

❊ الدنيا في باريس ❊ تأليف عزتلو احمد بك زكي سكرتير ثاني مجلس النظار هو اسم ام وابدع كتاب عن المعرض العام الذي اقيم في باريس سنة ١٩٠٠ وهو اشهر من ان يذكر وقد وصف المؤلف فيه المعرض بكلياته وجزئياته وصفًا دقيقًا يخيل للقارىء انهُ حاضر فيه يرى كما الكاتب ويشعر كشعوره والكتاب كبير الحجم يبلغ عدد صفحاته ٤٠٠ صفحة وفيه الرسوم الجميلة والمناظر البديعة للمعرض مما يقصر عنهُ الوصف ثمن الكتاب ١٥ غرشًا مصريًا واجرة البريد غرشان ونصف . والكتاب يطلب من مكتبة الهلال بمصر وباقي المكاتب الشهيرة

❊ منتخبات الشيخ نجيب الحداد ❊ وفيها زبدة ما خطهُ يراع ذلك الكاتب من المقالات التي تتهادى بين عذوبة الالفاظ ودقة المعاني وقد جُمعت في ذلك الكتاب بعد ما كادت ان تلعب بها ايدي الشتات . ثمنهُ ١٠ غروش صاغ واجرة البريد غرش ونصف